

الجزء الثاني

من

إعلامنا الشبلي

بناصح

جلب الشهباء

تأليف محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي عني عنه

الطبعة الأولى

سنة ١٣٤٢ هجرية و ١٩٢٤ ميلادية

طبع في المطبعة العلمية في مدينة حلب على نفقة مؤلفه

حقوق الطبع محفوظة له

تم بتوفيقه تعالى طبع الجزء الثاني من اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء *

خامس شهر صفر سنة الف وثلاثمائة وثلاثة واربعين

ويليه الجزء الثالث اوله ترتيب مملكة حلب في عهد دولة الجراكسة



الفهرست *

صحيفة

٣	ولاية نور الدين الشهيد على حلب	٢٥	استيلاء نور الدين على دمشق وتل
	سنة ٥٤١		بأثر سنة ٥٤٩
٦	ملك نور الدين مدينة ارتاح وغيرها	٢٦	ذكر حصر حارم سنة ٥٥١
٧	انهزامه في وقعة بينه وبين صاحب	٢٨	الزلازل العظمى سنة ٥٥٢
	انطاكية	٢٩	ملك نور الدين شيزر بعد خرابها
٧	وقعة يفرى وانهزام الفرنج فيها		بالتزلزلة
١٠	وقعة آنب وقتل البرنس صاحب	٣١	اخبار بني منقذ اصحاب شيزر
	انطاكية وهزيمة الفرنج سنة ٥٤٤	٣٤	وصول ولد السلطان مسعود للتزول
١٩	استيلاء نور الدين على حصن افامية		على انطاكية ومجيب العادل نور
	سنة ٥٤٥		الدين الى حلب ومرضه وما جرى
٢١	انهزام نور الدين من جوسلين		بسبب ذلك
	واسر جوسلين بعد ذلك وفتح	٣٨	استيلاء الفرنج على حارم سنة ٥٥٣
	عين تاب وعزاز ودلوك ومرعش	٣٩	مرض العادل نور الدين سنة ٥٥٤
	وغير ذلك		وما جرى بسبب ذلك
٢٤	الحرب بين نور الدين وبين الفرنج	٤١	حصر نور الدين حارم سنة ٥٥٧
	بدلوك سنة ٥٤٧	٤٢	انهزام نور الدين من الفرنج سنة ٥٥٨

٤٤	ذكر فحة لحارم سنة ٥٥٩	٧٢	مدرسو المدرسة الحاوية من حين
٤٨	عصيان غازي بن حسان صاحب		بنائها الى سنة ٦٥٠ ثم الكلام
	منبج على نور الدين سنة ٥٦٢		عليها
٥٢	ذكر ملك نور الدين قلعة جمبر	٧٥	الكلام على المدرسة المصرية
	سنة ٥٦٤	٧٧	خاتناه القصر . البيارستان النوري
٥٤	ذكر الزلازل بالبلاد الشامية وغيرها	٧٨	ومن آثاره تجديد بناء الجامع الاعظم
	سنة ٥٦٥		والتوسيع فيه وهنا الكلام على الجامع
٥٦	ذكر ملك نور الدين الموصل واقرار		من حين تأسيسه الى زمن نور الدين
	سيف الدين عليها سنة ٥٦٦	٨٢	نواب نور الدين بحلب وآثارهم فيها
٥٩	اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض	٨٥	ولاية الملك الصالح اسماعيل بن
	الدولة العبيدية سنة ٥٦٧		نور الدين
٦٠	اتخاذ نور الدين الحمام الهوادي	٨٦	ملك سيف الدين صاحب الموصل
٦١	ذكر ظفر مليح بن ايون بالروم سنة		البلاد الجزيرية
	٥٦٨	٨٧	ما كان من الأمور بين صلاح
٦٢	ارسال نور الدين للخليفة يطلب		الدين وبين امراء دمشق بعد
	تقليداً له		وفاة العادل نور الدين
٦٣	قصده بلاد قبايج ارسلان واستيلائه	٨٩	عجبي الملك الصالح الى حلب وما
	على مرعش		جرى من الامور سنة ٥٧٠
٦٥	وفاة العادل نور الدين الشهيد سنة	٩٠	سبب قبض الخادم سعد الدين على
	٥٦٩ وترجمته		ابناء الداية والفتنة بين اهل السنة
٧١	آثاره الجليلة في حلب اولها المدرسة		والشيعة
	الحلوية	٩١	ذكر قتل الرئيس ابن الخشاب

سنة ٥٧٧. ثم ولاية عماد الدين

زنكي بن مودود سنة ٥٧٨

١٢١ حصر صاحب ماردين قلعة البيرة

ومسير صاحبها مع صلاح الدين

١٢١ ذكر خروج السلطان صلاح الدين

من مصر وعيخته الى الديار الحلبية

واستيلائه على البلاد الجزرية سنة

٥٧٨

١٢٩ استيلاء صلاح الدين على تل خالد

وعيتاب وحلب سنة ٥٧٩

١٤٠ فتح صلاح الدين لحارم

١٤١ تقرير صلاح الدين لقواعد حلب

وترتيب امورها

١٤٣ الكتب التي ارسلها الى الجهات

يعلم بها استيلائه على حلب

١٤٧ رجوعه من حلب الى الشام

١٤٨ توليته اخاه الملك العادل ابا بكر

على حلب

١٥٢ وصف الرحالة ابن جبير لما حضر به

من هذه الديار سنة ٥٨٠

١٦١ عجي السلطان صلاح الدين الى

حلب وتوجهه الى حران

٩١ عجي السلطان صلاح الدين من

مصر الى الشام ثم حلب وحصره

لها وعوده عنها

٩٧ ذكر الحرب بين سيف الدين غازي

صاحب الموصل وبين صلاح الدين

ومحاصرة صلاح الدين حلب

١٠٠ الحرب بين هذين ايضاً واستيلاء

صلاح الدين على منبج واعزاز

ومحاصرته حلب

١٠٨ ونوب الحشيشية على صلاح الدين

قصد اغتياله

١١١ ابقاء حلب واعمالها للملك الصالح

سنة ٥٧٢

١١٣ ذكر قتل كمشكين وحصر الفرنج

حارم سنة ٥٧٣

١١٤ محاصرة قليج ارسلان لرعبان

وانهزامه من تقي الدين عمر سنة ٥٧٥

١١٥ قصد صلاح الدين بلد ابن ليون

الارمني سنة ٥٧٦

١١٦ وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور

الدين سنة ٥٧٧ وترجمته

١١٨ ولاية عز الدين مسعود بن مودود

- ١٦٤ نقله الملك المادل من حلب الى مصر
سنة ٥٨٢ وتولية حلب لولده
الظاهر غازي وشرح اسباب ذلك
١٦٨ فتح البيت المقدس سنة ٥٨٣ وحمل
المنر اليه من حلب
١٧١ اتصال القاضي ابن شداد بصلاح
الدين وفتح جبلة واللاذقية سنة ٥٨٤
١٧٦ ذكر فتح صهيون
١٧٨ ذكر فتح بكاس والشفر وسرمانية
١٨٠ ذكر فتح برزية ثم دربساك وبغراس
١٨٣ الهدنة مع صاحب انطاكية
١٨٥ وفاة الامير حسام الدين لاجين
والامير سليمان بن جندر وآثارهما بحلب
١٨٦ وصية صلاح الدين لولده الظاهر
غازي عند عودته الى حلب سنة ٥٨٨
١٨٧ وفاة السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩
١٨٨ ترجمة السلطان صلاح الدين رحمه الله
١٩٧ ذكر حال اولاده بعمه
١٩٧ ذكر الحاق جبلة واللاذقية بحلب
١٩٨ وفاة الملك العزيز ابن صلاح الدين
صاحب مصر وحصر ولديه عمهما
المادل في دمشق
- ٢٠١ ذكر اخذ الملك الظاهر منبج وافامية
٢٠٤ اخذ الظاهر قلعة نجم من اخيه الافضل
٢٠٥ ذكر الغارة من ابن ليون على اعمال
حلب سنة ٦٠٢
٢٠٧ قدوم الملك الأشرف الى حلب
متوجهاً الى بلاده الشرقية سنة ٦٠٥
٢٠٨ الكلام على نهر حلب وعلى قناتها
واصلاح مجراها من حيلان الى
حلب في هذه السنة
٢١٦ ذكر وفاة الملك الظاهر غازي سنة
٦١٣ وترجمته وتولية ولده محمد
الملقب بالملك العزيز
٢٢٢ آثار الملك الظاهر غازي بحلب
الكلام على المدرسة الظاهرية
المعروفة بالسلطانية
٢٢٥ المسجد الكبير في القلعة
٢٢٥ المدرسة الظاهرية خارج باب المقام
٢٢٦ المدرسة المروية
٢٢٧ قصديكاوس حلب وطاعة صاحبها
للأشرف وانهزام كيكوس سنة ٦١٥
٢٣١ عجائب الخلوقات رؤية التنين العظيم
في كلز

- ٢٣٢ وفاة الملك الأفضل علي بن صلاح الدين بسميساط ونقله الى حلب
- ٢٣٤ وفاة الامير سيف الدين علي بن جندر وآثاره بحلب
- ٢٣٦ وصف ياقوت لحلب سنة ٦٢٦
- ٢٣٩ ذكر استقلال الملك العزيز بالملك سنة ٦٢٩
- ٢٣٩ استيلاء العزيز علي شيزر سنة ٦٣٠
- ٢٤٠ وفاة الملك المعظم كوكبوري صاحب اربل وذكر آثاره وآثار ابيه بحلب وهي الخانقاه بالسهيلة (وراء الجامع)
- ٢٤٢ ترجمة الباني الاول للسهيلة علي بن بكتكين
- ٢٤٣ ترجمة الباني الثاني وهو ولده الملك المعظم كوكبوري (افراً. وتأمل)
- ٢٤٩ ذكر وفاة الأتابك طغريل الخادم سنة ٦٣١ والكلام على المدرسة الأتابكية في علة السفاحية
- ٢٥١ الكلام على المدرسة الأتابكية في علة الجبيلة
- ٢٥٣ ذكر بناء قلعة المعرة
- ٢٥٤ وفاة الزاهر داود صاحب البيرة
- ٢٥٤ ذكر استيلاء كيقباز بن كيخسرو على حران والرها
- ٢٥٥ ذكر وفاة الملك العزيز محمد صاحب حلب وولاية ابنه الملك الناصر يوسف سنة ٦٣٤
- ٢٥٧ ذكر استيلاء الحلبيين على المعرة وحصار حماة
- ٠٠٠ ذكر الخطبة بحلب الى كيخسرو ابن كيقباز وسببها
- ٢٥٨ عود العساكر الحلبية عن محاصرة حماة
- ٠٠٠ ذكر عيث الخوارزمية في البلاد الحلبية سنة ٦٣٦
- ٢٦٠ وفاة الملك الحافظ ارسلان صاحب اعزاز ونقله الى حلب سنة ٦٣٩
- ٢٦٠ القتال بين الحلبيين والخوارزمية وانهزام هؤلاء سنة ٦٤٠
- ٢٦١ ذكر وفاة الملكة ضيفة خاتون صاحبة حلب سنة ٦٤٠ والكلام على مدرسة الفردوس
- ٢٦٧ محاصرة الخوارزمية دمشق ثم اقتتلهم مع العساكر الحلبية عند بحيرة حمص وانكسارهم

٢٨٢ ذكر سلطنة قنطرة وتوجه الكيال ابن
القديم الى مصر رسولا من طرف
الملك الناصر يستنجده على التتر
٢٨٣ ما كان من الناصر يوسف صاحب
دمشق وحلب عند قصد التتر حلب
٢٨٤ استيلاء التتر على البلاد الجزرية
ونزولهم الى ظاهر حلب
٢٨٤ ذكر مسير هولاء كو يميوشه الى
الديار الحابية سنة ٦٥٨
٢٨٥ استيلاء التتر على حلب ثم على
قلعتها سنة ٦٥٨
٢٨٨ ذكر ما كان من امر الملك الناصر
بعد اخذ حلب
٢٨٩ استلاء كتبنا على قلعة دمشق
٢٩٠ ذكر هزيمة التتر وقتل كتبنا
٢٩٢ ترجمة قائد التتر كتبنا وتفصيل
قتله وزيادة بيان في الوقعة المتقدمة
٢٩٤ ذكر ما كان بعد انتهاء هذه الوقعة
٢٩٥ القبض على الملك السعيد على بن
لولو صاحب حلب وعود التتر اليها
٢٩٩ ذكر كسرة التتر على حمص
والغلاء في حلب سنة ٦٥٩

٢٦٨ ذكر استيلاء الحلبيين على حمص
سنة ٦٤٦
٢٦٩ ذكر استيلاء الملك الناصر صاحب
حلب على نصيبين وقرقيسيا
دولة الأتراك بمصر والشام
٢٦٩ قتل الملك المعظم تورانشاه وخروج
الملك عن بني ايوب في مصر
وسلطنة ابيك التركاني سنة ٦٤٨
٢٧١ استيلاء الملك الناصر على دمشق
٢٧١ مسيره الى مصر وكسرتة وعوده الى الشام
٢٧٣ ذكر الصلح بين المصريين والشاميين
٢٧٤ توجه الكمال بن القديم رسولا
من طرف الناصر الى الخليفة سنة ٦٥٤
٢٧٤ ذكر قتل المغزايك التركاني اول
ملوك الأتراك في مصر سنة ٦٥٥
٢٧٥ استيلاء التتر على بغداد وانقراض
الدولة العباسية وبيان اصل التتر
٢٧٨ رسالة هولاء كو ملك التتر الى الملك
الناصر صاحب حلب سنة ٦٥٧
٢٨٠ صورة الجواب من الملك الناصر
الى هولاء كو

صاحب تاريخ حلب
 ٣١٤ ذكر مقامة للشيخ عمر بن ابراهيم
 الرسفي يذكر فيها وقعة حلب
 ٣١٥ ذكر طرد التتر من نواحي الفرات
 ٣١٥ ذكر تولية قضاة من المذاهب
 الأربعة وسبب ذلك
 ٣١٥ ذكر دخول العساكر الى بلاد الأرمين
 ٣١٦ مسير الملك الظاهر الى انطاكية
 وبغراس وفتحها سنة ٦٦٦
 ٣١٨ ذكر مجيئ الملك الظاهر ببيسر
 الى حلب سنة ٦٦٨
 ٣١٨ ذكر ترتيب خيل البريد بين البلاد
 المصرية والبلاد الشامية سنة ٦٦٩
 ٣١٩ ذكر اغارة التتر على عيتاب
 ورجوعهم عنها وانهم امهم من
 الملك الظاهر على الفرات
 ٣٢٣ ذكر دخول الملك الظاهر الى
 بلاد سيبس سنة ٦٧٣
 ٣٢٤ ذكر مجيئ التتار الى البيرة وانكسارهم
 عليها سنة ٦٧٤
 ٣٢٥ ذكر انكسار البار على الباستين
 (آبستان) وفتح قيسارية

٣٠١ ذكر القبض على سنجر الحلبي
 الملقب بالملك المجاهد
 ٣٠١ نقل رأس مجي عليه السلام من
 القلعة الى الجامع الأعظم سنة ٦٥٩
 ٣٠٢ نزوح التتر عن حلب ونيابة فخر الدين
 بها ثم تغلب آقوش البرلي عليها
 ٣٠٣ ذكر اقامة خليفة عباسي في مصر
 وخليفة عباسي في حلب
 ٣٠٥ ذكر رضاء الملك الظاهر على علم
 الدين سنجر الحلبي وتوليته على
 حلب وطرده آقوش البرلي منها
 ٣٠٧ ذكر اخذ آقوش البرلي البيرة
 وعوده الى حلب واخذها
 ٣٠٧ ذكر مقتل الملك الناصر يوسف
 صاحب حلب والشام وترجمته
 ٣١٠ طاعة البرلي للملك الظاهر وارسال
 سقر الرومي الى حلب سنة ٦٦٠
 ٣١١ ذكر قصد التتر الموصل واستنجد
 صاحبها بالبرلي وانهم امهما من التتر
 ٣١٢ عود البرلي الى مصر وما كان منه
 ٣١٢ ذكر ولاية علاء الدين ايدكين حلب
 ٣١٣ ذكر وفاة الكيال بن المديم

قلمة بهسنى وقلمة مرعش وتل
 حدود سنة ٦٩٢
 ٣٤٠ ذكر مقتل الأشرف خليل وسلطنة
 اخيه الملك الناصر محمد سنة ٦٩٣
 ٣٤٠ ذكر استيلاء زين الدين كتبغا على
 الملكة سنة ٦٩٤
 ٣٤١ ذكر اسلام قازان خان ملك التتر
 ٣٤٢ خلع العادل كتبغا واستيلاء حسام
 الدين لاجين على الملكة سنة ٦٩٦
 ٣٤٢ ذكر قتل الأمير نوروز وزير قازان
 ٣٤٣ ذكر تجريد العساكر الى حلب
 ودخولهم الى بلاد سيس
 ٣٤٦ ذكر قتل الملك المنصور حسام
 الدين لاجين واعادة الملك الناصر
 محمد بن قلاون للسلطنة سنة ٦٩٨
 ٣٤٦ ما احتج به قازان ملك التتر في
 قصده هذه البلاد ايضاً
 ٣٤٧ ذكر المصاف العظيم الذي كان بين
 المسلمين والتتر واستيلاء التتر على
 دمشق وخر وجهم منها وعزل
 سيف الدين بلبان عن حلب وتوليبتها
 الى قراستقر للمرة الثانية سنة ٦٩٩

٣٢٧ ذكر وفاة الملك الظاهر بيبرس
 سنة ٦٧٦ وآثاره بهذه البلاد
 وتولية ولده الملك السعيد بركة
 ٣٢٩ خلع الملك السعيد واقامة اخيه
 سلامش
 ٣٢٩ سلطنة الملك المنصور قلاون الصالحى
 ٣٢٩ وفاة آقوش الشمسى مجلب وتولية
 علم الدين سنجر سنة ٦٧٩
 ٣٣٠ مجيئ التتر الى حلب وعودهم
 ثم رجوعهم
 ٣٣٢ ذكر الوقعة العظيمة مع التتر على
 حصص وانكسارهم عليها سنة ٦٨٠
 ٣٣٥ تولية حلب لقراستقر سنة ٦٨١
 ٣٣٦ تجديد المحراب الكبير فى الجامع
 الأعظم سنة ٦٨٤
 ٣٣٧ ذكر وفاة الملك المنصور قلاون
 سنة ٦٨٩ وسلطنة ولده الأشرف
 ٣٣٧ ذكر عمارة القلمة سنة ٦٩٠
 ٣٣٨ ذكر فتوح قلمة الروم وعزل
 قراستقر عن حلب وزيابة بلبان
 الطباخى سنة ٦٩١
 ٣٣٩ ذكر استيلاء الملك الأشرف على

- ٣٥٢ عودالتتر الى بلاد الشام سنة ٧٠٠
- ٣٥٣ الأغاراة على بلاد سيبس سنة ٧٠١
- ٣٥٣ ذكر دخول التتر الى الشام
وكسرتهم مرة بعد اخرى سنة ٧٠٢
- ٣٥٧ ذكر الأستيلاء على نل حمدون
سنة ٧٠٣
- ٣٥٧ ذكر اغارة عسكر حلب على بلاد
سيبس سنة ٧٠٥
- ٣٥٨ ذكر مسير السلطان محمد بن فلاون
الى الكرك واستيلاء بيبرس
الجاشكير على الملكة سنة ٧٠٨
-
- ٦٩٨ ووقع في الطبع سهواً سنة ٦٩٨
- ٣٥٩ ذكر دعوة الملك الناصر من الكرك
الى دمشق ثم مصر واقامته في
السلطنة وتولية حلب لسيف الدين
قبجق سنة ٧٠٩
- ٣٥٩ وفاة قبجق وتولية حلب الى اسندمر
سنة ٧١٠ ووقع سهواً ٦١٠
- ٣٦١ ذكر نقل قراستقر من نيابة السلطنة
بدمشق الى حلب سنة ٧١١ ومسيره
الى الحجاز واظهاره العصيان
وقصده حلب
- ٣٦٢ ذكر ما كان من امر قراستقر
والأفرم وسيرهما الى التتر
- ٣٦٤ زيادة بيان في حوادث قراستقر
واحتمائه بأمر العرب مهنا بن عيسى
وقصد هذا حلب وتوجهها مع
امير حص الأفرم الى بلاد العراق
- ٣٦٦ ترجمة قراستقر وآثاره بحلب
- ٣٦٨ تولية حلب لسيف الدين سودى
وقصد التتر الرحبة وتجر يد العساكر
الى حلب
- ٣٦٩ وفاة سيف الدين سودى وآثاره
بحلب وتوليتهما للملاء الدين الطنينا
- ٣٧٠ ذكر بناء الطنينا جامعه المسمى
باسمه والكلام عليه
- ٣٧٣ ذكر اغارة عسكر حلب على آمد
- ٣٧٤ الأغاراة على سيبس وبلاد هاسنة ٧٢٠
- ٣٧٥ ذكر عزل الطنينا وتولية حلب
لأرغون الدوادار سنة ٧٢٧
- ٣٧٥ مرور الرحالة ابن بطوطه سنة ٧٢٧
بهذه البلاد ووصفه لها
- ٣٨٢ ذكر وصول نهر الساجور الى حلب
سنة ٧٣١ ووفاة ارغون وترجمته

- ٣٨٤ دخول الأمير لؤلؤ القندشي لحلب
وما اتاه من المظالم سنة ٧٣٣
- ٣٨٧ ذكر عمارة قلعة جمير سنة ٧٣٥
- ٣٨٧ توجه العساكر الحلبية لأسترجاع
مدينة سيبس
- ٣٨٨ وفاة مهنا امير العرب وآثاره في سمرقند
- ٣٨٨ العمل في نهر قلعة جمير سنة ٧٣٦
- ٣٨٩ وفاة الأمير خضر ابن نائب حلب
الطنبغا سنة ٧٣٧
- ٣٨٩ توجه العساكر الى بلاد سيبس
- ٣٩١ ورود الامر بالمساحة عما يؤخذ
على الأغنام الداخلة الى حلب
- ٣٩٤ عود العساكر من بلاد سيبس سنة
٧٣٨ وزيادة بيان لهذه الحوادث
- ٣٩٦ ذكر فتح الباب شرق المحراب في
الجامع الأعظم وظهور رأس سيدنا
يحي عليه السلام سنة ٧٣٨
- ٣٩٨ ذكر توسيع طرق الأسواق بحلب
- ٣٩٨ وفاة بدر الدين بن زهرة نقيب
الأشراف بحلب
- ٣٩٩ قدوم تنكر نائب الشام الى حلب
متوجهاً الى بلاد سيبس لفقد احوالها
- ٤٠٠ عنزم الأمير صلاح الدين الدودار
على تحرير الأوقاف بحلب وماقاله
ابن الوردى في ذلك
- ٤٠١ ذكر عززل طرغاي وتولية طشتمر
وفتح خندروس ووفاة الامير
مغلطاي وغير ذلك سنة ٧٤١
- ٠٠٠ ذكر وفاة الناصر محمد بن قلاوون
وسلطنة ولده ابي بكر
- ٤٠٢ ذكر خلع الملك المنصور ابي بكر وتولية
ابن الملك الاشرف كجك سنة ٧٤٢
- ٠٠٠ قتل الامير الطنبغا وترجمته
- ٤٠٣ وفاة الامير بدر الدين محمد وآثاره
بحلب
- ٤٠٤ ذكر ولاية ايدغمش الناصري لحلب
- ٤٠٥ ذكر ولاية طغترتمر لحلب سنة ٧٤٣
- ٠٠٠ ولاية علاء الدين الطنبغا المارداني
- ٤٠٦ ذكر عززل امير العرب سليمان بن مهنا
- ٠٠٠ ذكر وفاة علاء الدين الطنبغا المارداني
سنة ٧٤٤
- ٠٠٠ تمزيق ابن الوردى كتاب
فصوص الحكم
- ٤٠٧ ذكر الزلازل ببلاد حلب وخراب منبج

- ٤٠٨ وصف ابن الوردي هذه الزلازل
في رسالة
- ٤١١ زيادة بيان لحوادث الزلازل في
هذه السنة
- ٤١٢ ذكر ابتداء دولة الدلفادرية في
آبستان ومرعش سنة ٧٤٥
- ٤١٣ وفاة الامير صلاح الدين واقف
المدرسة الصلاحية بحلب
- ٤١٤ استرجاع مابيع من املاك بيت
المال بمحاة والمعرة
- ٤١٥ وفاة الملك الصالح اسماعيل وسلطنة
اخيه شعبان سنة ٧٤٦
- ٠٠٠ الحرب بين الأمير طرفوش وبين
ابن دلفادر
- ٤١٦ ذكر نقل يلبغا الناصري من نيابة
حلب وتولية سيف الدين ارقطاي
وتزايد امر ابن دلفادر
- ٤١٨ عزل الحاج ارقطاي نائب حلب
وتوليها لسيف الدين طقتمر
الأحمدي سنة ٧٤٧
- ٤١٩ تولية حلب لبيدر البدري وذكر
واقعة غريبة لبعض النساء
- ٤٢١ تعيين قاض مالكي لحلب سنة ٧٤٨
- ٤٢٢ عزل بيدمر نائب حلب وترجمته
وتعيين ارغون شاه الناصري
- ٤٢٢ ذكر تعيين قاض حنبلي بحلب
- ٤٢٣ عزل ارغون شاه وشي من احواله
- ٤٢٣ تعيين فخر الدين اياز لنيابة حلب
ثم عزله
- ٤٢٤ تعيين الحاج ارقطاي
- ٤٢٥ استفحال امر قراجا ابن دلفادر
التركاني في البستان ومرعش
- ٤٢٥ وصول الطاعون الى حلب سنة
٧٤٩ واتصاله بالبلاد الشامية
والمصرية وفتكه فيها وذكر شي من
رسالة ابن الوردي التي سماها النبا
عن الوباء وما قيل في ذلك من الشعر
- ٤٢٩ ظهور انوار على قبر النبي متى وقبر
حنظلة بن خويلد وغيرهم بمنبج
- ٤٢٩ نيابة قطليجا ثم ارغون الكامل
سنة ٧٥٠ ووفاة ارقطاي بحلب
- ٤٣١ خلع السلطان حسن وسلطنة اخيه
الملك الصالح صالح سنة ٧٥٢
- ٤٣١ نيابة الامير بيبيغا اروس

- ٤٣٢ خبر عصيان ببيغنا بحلب وقصده دمشق
- ٤٣٤ تولية حلب للأمير ارغون الكاملى سنة ٧٥٤
- ٤٣٥ خلع الملك الصالح صالح وعود الملك الناصر حسن الى السلطنة وتولية حلب للأمير طاز ،
- ٤٣٦ بناء الأمير ارغون الكاملى ببيارستانه وذكر وفاته والكلام على هذا البيارستان
- ٤٣٨ القبض على الأمير طاز نائب حلب وتولية الامير منجك سنة ٧٥٩
- ٤٣٩ تولية الامير على الماردينى وترجمته
- ٤٤٠ قتل الملك الناصر حسن واستقرار السلطنة للملك المنصور محمد وتولية حلب للأمير قطلوبغا سنة ٧٦٢
- ٤٤١ تولية الأمير منكلي بغا سنة ٧٦٣
- ٤٤١ عود قطلوبغا الأحمدي لولاية حلب ووفاته بها وتولية اشقتمر الماردينى
- ٤٤٢ تولية الأمير جرجى الناصري
- ٤٤٢ انكسار الأفرنج على اياس سنة ٧٦٧
- ٤٤٣ عود الأمير منكلي بغا لنيابة حلب وعمارته لجامعه في باب قنسرين سنة ٧٦٨
- ٤٤٤ الكلام على هذا الجامع المعروف الآن بجامع الرومى ثم ترجمة منكلي بغا
- ٤٤٩ وفاة طنينا الطويل سنة ٧٧٠ وتولية حلب لأستنبغا الأبو بكرى ثم لقشتمر المنصورى ثم لأشقتمر وترجمة قشتمر
- ٤٥٠ ولاية عز الدين ايدمر سنة ٧٧٣
- ٤٥١ بناء اشقتمر جامعه المعروف الآن بجامع السكاكيني
- ٤٥٢ اتخاذ علامات خضر فى رؤس الاشرف
- ٤٥٢ ولاية بكتمر الخوارزمى ثم اشقتمر سنة ٧٧٥
- ٤٥٣ فتح مدينه سيس سنة ٧٧٦
- ٠٠٠ تعيين ابى الوليد ابن الشحنة لقضاء حلب سنة ٧٧٨
- ٤٥٤ ما كتب على جانب خان القاضى في محبة باب قنسرين
- ٤٥٤ قتل الملك الأشرف شعبان وسلطنة ولده على سنة ٧٧٩

٤٦٥ اظهار يلبغا العصيان، وتولية اينال

اليوسفي على حلب

٤٦٦ ولاية الأمير كشيغا الحموي سنة ٧٩٢

٤٦٦ اطلاق الملك الظاهر برقوق

والحرب بينه وبين منطاش سنة ٧٩٢

٤٦٧ ارسال منطاش تتمتع الى حلب

نائبا ومحاصرة نائبيها كشيغا

٤٦٩ ترجمة كشيغا وزيادة بيان في

الحرب بينه وبين الباقوسيين

٤٧١ استيلاء منطاش على حماة وحصن

وحجى الظاهر برقوق الى حلب

وقتله الأمير يلبغا الناصري سنة ٧٩٣

٤٧٢ عزل قرامرداش وتعيين الأمير جليلان

٤٧٣ عود منطاش وحصره حلب سنة ٧٩٤

٤٧٣ مقتل منطاش وانتهاء فتنته سنة ٧٩٥

٤٧٧ استيلاء تمرلنك على بغداد وهرب

صاحبها السلطان احمد ابن اويس

وحجته الى حلب واستعداد المصريين

٤٧٩ وصول السلطان احمد بن اويس

الى مصر سنة ٧٩٦ واستيلاء تمرلنك

على ديار بكر والرها وخروج السلطان

برقوق مع احمد بن اويس الى دمشق

٤٥٥ تولية حلب للأمير منكلي بقا البلدي

ثم لتمردياي

٤٥٦ عود منكلي بقا ثم ولاية اينال اليوسفي

٤٥٦ سلطنة الملك الصالح حاجي وتولية

حلب الى يلبغا الناصري

دولة الجراكسة

٤٥٧ خلع الملك الصالح حاجي وابتداء

دولة الجراكسة سنة ٧٨٤

٤٥٨ القبض على يلبغا الناصري وتولية

سودون المظفري وآثار يلبغا في حلب

٤٥٩ وصول تيمرلنك الى مدينة قرباغ

اعادة يلبغا لنيابة حلب وعصيان

منطاش بملطية سنة ٧٨٨

٤٥٩ استعداد المصريين لمحاربة تمرلنك

سنة ٧٨٩

٤٦١ الحرب بين الظاهر برقوق وبين

منطاش الماصي بملطية

٤٦٣ الزلازل في انطاكية وحلب

٤٦٤ عصيان يلبغا الناصري نائب حلب

وقتله للأمير سودون النائب السابق

واستيلائه على الشام ومصر

- ٤٨٠ وصول السلطان برقوق الى حلب
٤٨١ تعيين الأمير تغري بردى الى حلب
وبناءه جامعه المعروف بالموازيني
٤٨٣ ما احدث في زمن تغري بردى في
الجامع الكبير
٤٨٤ تولية حلب للأمير ارغون شاه سنة
٧٩٩
٤٨٤ تعيين علاء الدين اقبنا لنيابة حلب
سنة ٨٠٠
٠٠٠ وفاة الملك الظاهر برقوق
٤٨٥ استيلاء السلطان بايزيد العثماني
على ملطية وورود الأخبار بقصده
حلب
٤٨٥ عصيان تم نائب الشام واقبنا
الجمالي نائب حلب سنة ٨٠٢ وتعيين
دمرداش الخاصكي اليها
٤٨٦ مجيئ مقدمة تمرلنك الى نواحي
ملطية
٤٨٦ اصل تمرلنك وشي من احواله الى
ان استفحل ملكه والكتاب الذي
ارساه الى الملك الظاهر برقوق
وجواب هذا الكتاب
- ٤٩٢ الاسباب التي دعت الى الرجوع
الى هذه البلاد سنة ٨٠٣ ومجيئه
الى سيواس ثم عيتاب ثم حلب وما
فعله بهذه البلاد ثم بحلب من الفظايع
٤٩٨ اسئلة تيمورلنك والجواب عنها
من القاضي ابن الشحنة
٥٠١ توجهه الى الشام وعوده منها الى
اطراف حلب ثم رجوعه الى الشرق
ووفاته وما آل اليه امره
٥٠٤ ذكر تولية حلب للأمير دثاق
المحمدي سنة ٨٠٤
٥٠٥ ذكر تولية الأمير علاء الدين
اقبنا الأطروشي وشروعه ببناء
جامعه ووفاته بحلب سنة ٨٠٦
٥٠٦ ذكر عصيان جكم والأمير شيخ
وتغلبها على حلب ودمشق
٥٠٦ خلع الملك الناصر فرج وسلطنة
اخيه عبدالعزيز وعود الملك الناصر
الى الملك
٥٠٧ ذكر عصيان فارس بن صاحب
الباز التركماني سنة ٨٠٦
٥١٠ تولية حلب للأمير جركس القاسمي

٥١٨	توليبتها للامير يشبك اليوسفي	٥١١	قبل حكيم الذي تسلطان بحلب وحمل رأسه الى مصر سنة ٨٠٩
٥١٩	ذكر الأتمان المتعامل بها ومقدار الرطل والكيل في هذا العصر	٥١١	تغلب تيموربغا المشطوب على حلب سنة ٨١٠
٥٢١	الأتمان المتعامل بها في دمشق ومصر وحلب وهي ضربان	٥١٢	اعادة دمرداش لسيابة حلب سنة ٨١١ واكمله جامع الاطروش والكلام عليه
٥٢١	الضرب الأول ما يتعامل به وزناً	٥١٥	ذكر تولية حلب للامير نوروز سنة ٨١٢
٥٢٢	الضرب الثاني ما يتامل به معادة	٥١٥	توليبتها للأمير قرقماش ثم لشيخ سنة ٨١٣ وتوليبتها للامير دمرداش ثم للامير يشبك سنة ٨١٥
٥٢٤	تتمه لهذا البحث وذكر ما كان يتعامل به الناس من القود في الديار المصرية والشامية من سنة ٥٦٩ الى القرن التاسع	٥١٦	توليبتها للامير اينال الصصلافي سنة ٨١٦
٥٢٦	بيان ذراع القماش في مصر	٥١٦	توليبتها للامير افباي المؤبدي سنة ٨١٨
٥٢٦	بيان ذراع الأراضي والدور	٥١٧	توليبتها للامير فجعقار القردي سنة ٨٢٠
٥٢٧	اسعار اللحم والسكر وغير ذلك في دمشق ومصر		
٥٢٧	العربان القاطنون حول حلب		
٥٢٨	القبيلة الأولى بنو كلاب		
٥٢٨	القبيلة الثانية آل بشار		



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ٥٤١

ذكر ولاية نور الدين محمود الشهيد بن زنكي على حلب

قال في الروضتين قال الحافظ ابو القاسم بن عساكر لما راهق نور الدين لخدمته وخدمته والده الى ان انتهت مدته على قلعة جوبر وسيره في صبيحة الأحد الملك البارسلان ابن السلطان مسعود الى الموصل مع جماعة من اكابر دولة ابيه فقال لهم ان وصل اخي سيف الدين غازي الى الموصل فهى له وانتم في خدمته وان تأخر فأنا اقرر امور الشام وانوجه اليكم ثم قصد حلب ودخل قلعتها سابع ربيع الآخر ورتب النواب في القلعة والمدينة قال ابن ابى طي الحلبي لما اتصل قتل اتابك بأسد الدين شيركوه ركب من ساعته وقصد خيمة نور الدين وقال له اعلم ان الوزير جمال الدين قد اخذ عسكر الموصل وعول على تقديم اخيك سيف الدين وقصده الى الموصل وقد انضوى اليه جل العسكر وقد انفذ الى جمال الدين وارادنى على اللحاق به فلم اعرج عليه وقد رأيت ان اصيرك الى حلب وتجمعها كرسى ملكك وتجتمع في خدمتك عساكر الشام وانا اعلم ان الأمر يصير جميعه اليك لأن ملك الشام يحصل بحلب ومن ملك حلب استظهر على بلاد الشرق فركب وامر ان ينادى في الليل في عساكر الشام بالاجتماع فاجتمعوا وساروا في خدمة نور الدين الى حلب ودخلوها سابع ربيع الأول [تقدم آفا سابع ربيع

الاخر ولما دخلوا الى حلب جاء اسد الدين الى تحت القلعة ونادى واليها واصعد
 نور الدين اليها وقرر امره ومشى احواله فكان نور الدين يرى له ذلك واسد
 الدين يمن بأنه كان السبب في توليته ثم ساق في الروضتين ما قام به الوزير
 جمال الدين من التدابير في تقرير سيف الدين غازي اخي نور الدين في الملك
 لبلاد الموصل الى ان قال ولما استقر سيف الدين في الملك اطاعه جميع البلاد ما عدا
 ما كان بديار بكر كالمعدن وحيزان واسمرد وغير ذلك فان المجاورين لها تغلبوا
 عليها قال ولما فرغ سيف الدين من اصلاح امر السلطنة وتخليفه وتقرير امر
 البلاد عبر الى الشام لينظر في تلك النواحي ويقرر القاعدة بينه وبين اخيه
 نور الدين وهو مجلب وقد تأخر عن الحضور عند اخيه نور الدين وخافه فلم
 يزل يرأسه ويستميله فكلما طلب شيئا اجابه اليه استمالة لقلبه واستقرت الحال
 بينهما على ان يجتمعا خارج العسكر السيفي ومع كل واحد خمسمائة فارس فلما كان
 يوم الميعاد بينهما سار نور الدين من حلب في خمسمائة فارس وسار سيف الدين
 من معسكره في خمسة فوارس فلم يعرف نور الدين اخاه سيف الدين حتى قرب
 منه فحين رآه عرفه فترجل له وقبل الأرض بين يديه وامر اصحابه بالعود عنه
 فعادوا وقعد سيف الدين ونور الدين بعد ان اعتنقا وبكيا فقال له سيف الدين
 لم امتنعت من المجئ الى اكدت تخافني على نفسك والله ما خطر بيالى ما تكلمه فلمن
 اريد البلاد ومع من اعيش ومن اعتضد اذا فعلت السوء مع اخي واحب الناس
 الي فاطمان نور الدين وسكن روعه وعاد الى حلب فتجهز وعاد بمعسكره الى
 خدمة اخيه سيف الدين فأمره سيف الدين بالعود وترك عسكره عنده وقال
 لاغرض لي في مقامك عندي وانما غرضي ان يعلم الملوك والفرنج انفاقنا فمن
 يريد السوء يكف عنه فلم يرجع نور الدين وان لم يرضوا ما كانا عليه وعاد

كل واحد منهما الى بلده قلت ومن قصيدة لأبن منير في نور الدين
 ايا خير الملوك ابا وجداً * وانفهم حبال الغليل صاد
 علوا وغلوا وقال الناس فيهم * شوارد من ثناء او احاد
 وما اقتسموا ولا عمدوا بنام * بمنصبك القسيى العماى
 وهل حلب سوى نفس شعاع * قسمها التماى والتعاى
 نفي ابن عماد الدين عنها الـ * شكاة فأصبحت ذات العماى
 تبخر في كسا عدل وبذل * مدحجة التهام والنجاد
 وفي محرابها داود منه * يهذب حكمة آيات صاد
 تجاوزت النجوم فأين تبقى * ترق فلاخوت من ازدياد

قال في الروضتين قال ابن ابى طى في سابع يوم من استقرار نور الدين بحلب
 اتصل خبر مقتل اتابك بصاحب انطاكية البيمند فخرج في يومه بعساكر انطاكية
 وقسم عسكره قسمين انفذه الى جهة حماه وقسا اغاربه على جهة حلب وعات
 في بلادها وكان الناس آمنين فقتل وسي عالماً عظيماً وتماى حتى وصل الى صلدى
 ونهبها ووصل الخبر الى حلب فخرج اسد الدين شيركوه فيمن كان بحلب من
 العسكر وجد في السير فقاته الفرنج وادرك جماعة من الرجالة يسوقون الأسرى
 فقتلهم واستنقذ كثيراً مما كانت الفرنج اخذته وسار مجنبا عن طريق الفرنج الى
 ان شن الغارة على بلد ارتاح واستاق جميع ما كان للفرنج فيه وعاد الى حلب مظفراً .
 وقال فيها ايضاً وردت الاخبار في ايام من جمادى الآخرة من السنة بأن ابن
 جوسلين جمع الأفرنج من ناحيته وقصد مدينة الرها على غفلة بموافقته من
 النصارى المقيمين فيها فدخلها واستولى عليها وقتل من فيها من المسلمين فنهض
 نور الدين صاحب حلب في عسكره ومن انضاف اليه من التركان وغيرهم زهاء

عشرة الآف فارس ووقعت الدواب في الطرقات من شدة السير ووافوا البلد وقد حصل ابن جوسلين واصحابه فيه فهجموا عليهم ووقع السيف فيهم وقتل من ارمن الرها والنصارى من قتل وانهزم الى برج يقال له برج الماء فحصل فيه ابن جوسلين في تقدير عشرين فارساً من وجوه اصحابه واحدق بهم المسلمون وشرعوا في النقب عليهم حتى تعرقب البرج فانهزم ابن جوسلين في الخفية من اصحابه واخذ الباقون ومحق بالسيف كل من ظفر به من نصارى الرها واستخلص من كان فيه اسير من المسلمين ونهب منها شي كثير من المال والأثاث والسبي وانكفأ المسلمون بالغنائم الى حلب وسائر الأطراف وتال ابن الأثير لما قتل زنكى كان جوسلين الفرنجي الذي كان صاحب الرها في ولايته غرب الفرات في تل باشر وما جاورها فراسل اهل الرها وكان عامتهم من الأرمن وواعدهم يوماً يصل اليهم فيه فأجابوه الى ذلك فسار في عسكره اليها وملكها وامتنعت عليه القلعة بمن فيها من المسلمين فقاتلهم وجد في قتالهم فبلغ الخبر نور الدين وهو بحلب فسار اليهم بعسكره فهرب جوسلين ودخل نور الدين مدينة الرها وسبي اهلها وفي هذه الدفعة نهبت وخربت وخت من اهلها ولم يبق منهم بها الا القليل ووصل خبر الفرنج الى سيف الدين غازي بالواصل فجهز العساكر الى الرها فوصل العسكر وقد ملكها نور الدين فبقيت في يده ولم يعارضه فيها اخوه سيف الدين

سنة ٥٤٢

ذكر ملك نور الدين محمود مدينة ارتاح وغيرها

قال ابن الأثير في هذه السنة دخل نور الدين محمود بن زنكى صاحب حلب بلد

الفرنج ففتح منه مدينة ارتاح بالسيف ونهبها وحصر ما بولة وبسرفوت وكفرلانا
وكان الفرنج بعد قتل زنكي قد طمعوا وظنوا انهم بعده يستردون ما اخذوه فلما
رأوا من نور الدين هذا الجد في ادل امره علموا ان ما ملوه بعيد وخاب ظنهم واملمهم

سنة ٥٤٣

انهزام نور الدين في وقعة بينه وبين صاحب انطاكية

قال في الروضتين في حوادث هذه السنة . وردت الاخبار في رجب من ناحية
حلب بأن نور الدين صاحبها كان قد توجه في عسكره الى ناحية الاعمال
الافرنجية وقصد افامية وظفر بمدة من الحصون والمعقل الافرنجية وبعدة وافرة
من الافرنج وان صاحب انطاكية جمع الفرنج وقصده على حين غفلة منه فنال
من عسكره واثقاله وكراعه ما اوجبهه الاقدار النازلة وانهزم بنفسه وعسكره
وعاد الى حلب سالماً في عسكره لم يفقد منه الا النفر اليسير بعد قتل جماعة
وافرة من الافرنج واقام بحلب اياماً بحيث جدد ما ذهب له من اليك وما يحتاج
اليه من آلات العسكر وعاد الى منزله وقيل لم يعد .

﴿ ذكر وقعة يغرى وانهزام الفرنج فيها ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة هزم نور الدين محمود بن زنكي الفرنج بمكان
اسمه يغرى (هو ارض في العمق) وكانوا قد تجمعوا ليقصدوا اعمال حلب لينبروا
عليها فعلم نور الدين فسار اليهم في عسكره فالتقوا بيغرى واقتتلوا قتالاً شديداً
اجلت المعركة عن انهزام الفرنج وقتل كثير منهم واسر جماعة من مقدميهم ولم
ينج من ذلك الجمع الا القليل وارسل من الغنيمة والاسارى الى اخيه سيف الدين
والى الخليفة ببغداد والى السلطان مسعود وغيرهم .

قال في الروضتين وفي هذه الوقعة يقول القيسراني من قصيدة اولها

- يا ليت ان الصدود مصدود * اولا فليت النوم مزجود
الى متى تعرض عن مكرم * في خده للسمع اخدود
قالوا عيون البيض بيض الظبي * قلبت ولكن هذه سود
تخاف منها وهي في جفنها * والسيف يخشى وهو مفود
رج الى المدح فقال
- ويب لانتى على عيشنا ال * محمود والسلطان محمود
فليشكر الناس ظلال المنى * ان رواق العدل ممدود
ونيرات الملك وهاجة * وطالع الدولة مسعود
وصارم الاسلام لا يثنى * الا وشلو الكفر مقدود
مناقب لم تك موجودة * الا ونور الدين موجود
مظفر في درعه ضيفم * عليه تاج الملك مقود
نال المعالي مالكا حاكما * فهو سليمان وداود
ترتشف الافواه اسيافه * ان وصاب الغر مورود
وكم له من وثقة يومها * عند ملوك الشرك مشهود
والقوم اما صر هق صرعة * او موثق بالقد مشدود
حتى اذا عادوا الى مثلها * قالت لهم هية عودوا
طالب بشار ضمنتته الظبي * فكل ما يضمن مردود
والكر والفر سجل الوغى * فطارد طوراً ومطرود
وانما الافرنج من بغيها * عادوا وقد عادها هود
قد حصص الحق فاجاهد * في قلبه بأبك مجود

فكل مصر بك مستفتح - وكل ثمر يك مسدود
 وقال ايضاً قصيدة في نور الدين وانشده اياها بظاهر حلب وقد كسر الفرنج
 على يفرأ وهزمهم الى حصن حارم وقد كانت الفرنج هزمت المسلمين اولا بهذا
 الموضع اولها

- تفي بضمائها البيض الحداد * وتقضي دينها السمر الصمد
 وتدرك نارها من كل باغ * فوارس من عزائمها الجلاذ
 ويفشى حومة الهيجا همام * يشذ بضبعه السبع الشداد
 اظن ان نار الحرب نجبو * ونور الدين في يده الزناد
 وجند كالعقور على صقور * اذا قضاوا على الابطال صادوا
 اذا اخفوا مكيدتهم اخافوا * وان ابدوا عداوتهم ابادوا
 ونصرة دولة حاميت عنها * وهل يخشى وانت لها عماد
 وانت تتل القوافي ما تلته * بأنب ما يؤنبها سناد
 جرت بالنصر اقلام العوالي * وليس سوى النجيع لها مداد
 وطالت ارؤس الاعلاج خصباً * فنادي السيف قد وقع الحصاد
 احطت بهم فكان القتل صبراً * ولا طعن هناك ولا طراد
 وللابرنس فوق الرمح رأس * توسد والسنان له وساد
 رجل للسلام ففرسوه * وليس سوى القنائة له جواد
 فضيض المقلتين ولا نعامس * وعارها وليس به شهاد
 فسر واستوعب الدنيا فتوحا * فلا هضب هناك ولا وهاد
 وزر بين الوغى مثنوى حبيب * فمن عن باب مسلمة زياد
 ولا في باب فارس غير تكلى * بفارسها يضيء بها الحداد

لأنطاكية يحمي ذراها وقد دانت لسلطوتك البلاد
واذعنت الممالك واستجابت مليية لدعوتك العباد
ووقعة انب هذه كانت عظيمة وقد أكثر ذلك الشعراء لها وسياً تي ذكرها قريبا
ان شاء الله تعالى . قال في الروضتين قال ابو يعلى التميمي وفي رجب من هذه
السنة ورد الخبر من ناحية حلب بأن صاحبها نور الدين بن اتابك امر بأبطال
خير العمل في اواخر تأذين الغداة والظاهر بسب الصحابة وانكر ذلك انكاراً
شديداً وساعده على ذلك جماعة من اهل السنة بحلب وعظم هذا الأمر على
الأسمايلية واهل التشيع وضانت له صدورهم وهاجوا وماجوا ثم سكنوا
واجمعوا للخوف من السطوة النورية المشهورة والهيبة المحذورة اه اقول قد
تقدم في ترجمة سيف الدولة بن حمدان ان اول الناذين بحمي على خير العمل كان
في ايامه في سنة ٣٤٧ و ذكرنا ثمة ابطال نور الدين لذلك وامره بالأفصار
على الأذان المشروع وان ذلك كان لما فتح نور الدين المدرسة الكبيرة
المعروفة بالحلاوية .

سنة ٥٤٤

قال ابن الأثير في هذه السنة توفي سيف الدين غازي بن اتابك زكي صاحب
الموصل وخلف ولداً ذكراً فرباه عمه نور الدين محمود واحسن تربيته وزوجة
ابنة اخيه قطب الدين مودود فلم تطل ايامه وتوفي في عنفوان شبابه فانقرض
عقب سيف الدين

(ذكر ووقعة انب وقتل البرنس صاحب انطاكية وهزيمة الفرنج)

قال في الروضتين في حوادث هذه السنة فيها انفذ نور الدين محمود الى معين
الدين (صاحب دمشق) يعلمه ان صاحب انطاكية قد جمع افرنج بلادهم وظهر

يطلب بهم الأفساد في الأعمال الخلبية وانه قد برز في عسكره الى ظاهر حلب
للقائه والحاجة ماسة الى معاضدته فنذب معين الدين مجاهد الدين تران بن مامين
في فريق وافر من العسكر الدمشقي للمصير الى جهته وبذل المجهود في طاعته
ومناصحته وبقي معين الدين في العسكر بناحية حوران قال وفي صفر من السنة
وردت البشار من جهة نور الدين بما اولاه الله تعالى وله الحمد على حشد الفرنج
المخدول ولم يفلت منهم الا من اخبر ببوارهم وتمجيل دمارهم وذلك ان نور الدين
اجتمع له من العساكر ستة آلاف فارس مقاتلة سوى الاتباع والسواد فنهض
بهم الى الفرنج في الموضع المعروف بأب وهم في نحو اربعمائة فارس والفرس راجل
فقتلواهم وغنموهم ووجد البرنس مقدمهم صريحا بين جماعته وابطاله فمرف وقطع
رأسه وحمل الى نور الدين وكان هذا من ابطال الفرنج المشهورين بالفروسية
وشدة البأس وقوة الحيل وعظم الخلقه مع اشتهاار الهية وكثرة السطوة والتناهي
في الشر وذلك يوم الاربعاء الحادي والعشرين من صفر ثم نزل نور الدين في
العسكر على باب انطاكية وقد خلت من حماتها والذابين عنها ولم يبق فيها غير
اهلها مع كثرة عددهم وحصانة بلدهم وترددت المراسلات بينه وبينهم في طلب
التسليم اليه وايمانهم وصيانة اموالهم فوقع الأجماع منهم بان هذا الأمر لا يمكنهم
الدخول فيه الا بمد انقطاع آمالهم من الناصر لهم والمعين على من يقصدهم
وحملوا ما امكنهم من التحف والمال ثم استمهلوا فأهلوا ثم رتب نور الدين
بعض العساكر للأقامة عليها والمنع لمن يصل اليها ونهض في بقية العساكر
لنازلتها ومضايقتها فألتمسوا الأمان فأومنوا على انفسهم وسلموا البلاد في ثامن
عشر ربيع الأول وانكفأ نور الدين في عسكره الى ناحية انطاكية وقد انتهى
الخبر بنهوض الفرنج من السواحل الى صوب انطاكية لانجاد من بها فانتضت

الحال مهادة من في انطاكية وموادعتهم وتقرير ان يكون ما قرب من الأعمال الحلبية له وما قرب من انطاكية لهم ورحل عنهم الى جهة غيرهم بحيث كان قد ملك في هذه النوبة مما حول انطاكية من الحصون والقلاع والمعقل وغيرها المغانم الجمة وفصل عنه الأمير مجاهد الدين بران في العسكر الدمشقي وقد كان له في هذه الوقعة ولن في جلته البلاء المشهور والذكر المشكور لما هو موصوف به من الشهامة والبسالة واصابة الرأي والمعرفة بمواقف الحروب . وقال ابن ابي طي حمل اسد الدين على كامل صليب الفرنج وقتله وقتل البرنس صاحب انطاكية وجماعة من وجوه عسكره ولم يقتل من المسلمين من يقوم به وعاد المسلمون بالغنائم والأجرى وكان لأسد الدين في هذه الحرب اليد البيضاء ومدحه بها بعض الشعراء الحلبين بقصيدة يقول فيها .

ان كان آل فرنج ادركوا فلجا * في يوم يغرا ونالوا منية الظفر
ففي الخطيم خطمت الكفر منصلتا * ابا المظفر بالصمصامة الذكر
نالوا يغرا منها بابا وانتهبت لنا * على الخطيم نفوس المعشر البتر
واستقودوا الخيل عريا واستقدت لنا * قوامص الكفر في ذل وفي صفر
وقال ابن الأثير سار نور الدين الى حصن حارم وهو للفرنج فحصره وخرب
ربضه ونهب سواده ثم رحل عنه الى حصن انب فحصره فاجتمعت الفرنج مع
البرنس صاحب انطاكية وساروا اليه ليرجلوه عن انب فلم يرحل بل لقيهم
وتصاف الفريقان واقتتلوا وصبروا وظهر من نور الدين من الشجاعة والصبر في
الحرب على حداثة سنه ما تعجب منه الناس وانجلى الحرب عن هزيمة للفرنج
ذوى التقدم فيهم والملك ولما قتل البرنس خلف اينا صغيرا وهو يميند فبقي مع
امه بانطاكية فزوجهت امه بعوضه بآخره واقام معها بانطاكية يدبر الجيش ويقودهم

ويقاتل بهم الى ان يكبر بيميند ثم ان نور الدين غزا بلد الفرنج غزوة اخرى وهزمهم وقتل فيهم وادبر وكان في الأمرى البرنس الثاني زوج ام بيميند فلما اسره تملك بيميند انطاكية بلد ابيه وتمكن منه وبقى بها الى ان اسره نور الدين بحارم سنة تسع وخمسين وخمسمائة على ما ذكره ان شاء الله تعالى وأكثر الشعراء مدح نور الدين وتهنئته بهذا الفتح وقتل البرنس فمن قال فيه القيسراني الشاعر من قصيدة انشدها اياها يجسر الحديد الفاصل بين عمل حلب وعمل انطاكية اولها

- هذي العزائم لا ما تدعى القضب * وذى المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهمم اللاتي متى خطبت * تعثرت خلفها الأشعار والخطب
صاغت يابن عماد الدين ذروتها * براحة للمساعي دونها تعب
ما زال جدك يبنى كل شاهقة * حتى ابنتى قبة اوتادها الشهب
لله عزمك ما امضى وهمك ما * اقضى اتساعا بما ضاقت به الحقب
ياساهد الطرف والأجفان هاجمة * وثابت القلب والأحشاء تضطرب
اغرت سيوفك بالأفرنج راجفة * فوآد رومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة * اودى بها الصلب وانحطت بها الصلب
قل للطفاة وان صمت مسامها * قولا لصم القنا في ذكره ارب
ما يوم آتب والأيام دائمة * من يوم يفرا بعيد لا ولا كذب
اغركم خدعة الآمال ظنكم * كم اسلم الجهل ظنا غره الكذب
غضبت للدين حتى لم يفتك رضى * وكان دين الهندي مرضاته الغضب
طهرت ارض الأعداى من دماهم * طهارة كل سيف عندها جنب
حتى استطار شرار الزند قاده * فالحروب تصرم والآجال تحتطب
والخيل من تحت قتلاها تقر لها * قوائم خانين الركب والجنب

- والتمع فوق صتمال البيض منعقد * كما استقل دخان تحته لهب
 والسيف هام على هام بمركبة * لا البيض ذو ذمة منها ولا اليب
 والنبيل كالوبل هطال وليس له * سوى القسي وايد فوقها سحب
 وللظبي ظفر حلو مذاقته * كأنما الضرب فيما بينهم ضرب
 وللأسنة عماس في صدورهم * مصادر أفلوب تلك ام قلب
 خانوا فخانوا رماح الطعن ايديهم * فاستسأوا وهي لا تبع ولا غرب
 كذلك من لم يوق الله مهجته * لاقى العدى والقنا في كفه قصب
 كانت سيوفهم اوحى حتوفهم * يارب خائنة منجاتها المطب
 حتى الطوارق كانت من طوارقهم * تارت عليهم بها من تحتها النوب
 اجسادهم في ثياب من دماهم * مسلوبة وكان القوم ما سلبوا
 انباء ملعمة او انبها ذكرت * فيما مضى نسيت ايامها العرب
 من كان ينزرو بلاد الشرك مكتسبا * من الملوك فنور الدين محتسب
 ذو غرة ما سمت والليل معتكر * الا تمزق عن شمس الضحى الحجب
 افعله كاسمه في كل حادثة * ووجهه نائب عن وصفه القلب
 في كل يوم لفكري من وقائمه * شغل فكل مديحي فيه مقتضب
 من باتت الأسد اسرى في سلاسله * هل يأسر القلب الا من له الغلب
 فلكوا سلب الأبرنس قابله * وهل له غير انطاكية سلب
 من للشقي بما لاقت فوارسه * وان يسأرها من تحته قتب
 عجبت للصدرة السمراء مثمرة * برأسه ان أمار القنا عجب
 سما عليها سمو الماء ارهقه * انبوبة في صمود اصلها صبيب
 ما ذارت عذبات التاج مفرقه * الا وهي منه لا تاج ولا عذب

اذا القنائة ابتنت في رأسه نفقا * بدا لتعابها من نحره سرب
 كنا نعد حتى اطرافنا ظفرا * فلكنك الظبي ما ليس نحتسب
 عمت فتوحك بالعدوى معافاها * كان تسام هذا عند ذا جرب
 لم يبق منهم سوى بيض بلا روق * كما التوى بعد رأس الحية الذنب
 فانهض الى المسجد الاقصى بنى لجب * يوليك اقصى النى فالقدس مرتقب
 واذن لوجك في تطهير ساحله * فانما انت بحر لجه لجب
 يامن اعاد ثغور الشام ضاحكة * من الظبي عن ثور زانها الشنب
 ما زلت تلحق عاصيها بطائعا * حتى اقت وانطاكية حلب
 حلت من عقابها ايدى معافاها * فالتجهلت والى ميثاقك الهرب
 وايقنت انها نتاو مراكزها * وكيف يثبت لاجوق ولا طنب
 اجرى من ثغر الاعناق انفسها * جرى الجفون امترها بارح حصب
 وما ركزت القما الا ومك على * جسر الحديد هزبر غيله اشب
 فاسعد بما ناته من كل صالحه * ياوى الى جنة المأوى لها حسب
 ان لا تكن احد الابدال فى فلك الة * قوى فلا تغارى انك القطب
 فلو تناسب افلاك السماء بها * لكان بينكما من عفة نسب
 هذا وهل كان فى الاسلام مكرمة * الا شهدت وعباد الهدى غيب
 وله فيه من قصيدة اخرى

الا لله درك اى در * صريح جاء بالكرم الصريح
 وعسكرك الذى استولى مسيحا * على ما بين فامية وسيح
 ووفعتك التى بنت الهوالى * صوادر عن قتيل او جريح
 بانب يوم ابرزت المذاكى * من النعم الغزاة فى مسوح

غداة كأنما العاصي احمرأوا * من الدم عبرة الجفن القريح
 وقد وافاك بالابرنس حتف * اتبع له من القدر المتبع
 قتلت اشحهم بالنفس اذلا * يحود بنفسه غير الشحيح
 ملأت بهم ضرائحهم فأمسوا * وليس سوى القشاعم من ضريح
 وعدت الى ذرا حلب حميداً * سمو البدر من بعد الجنوح
 فأن جليت بفرتك الليالي * فكم لسناك من زمن مليح
 رويدك تسكن الهيجا فواقا * بحيث تريح من تعب المريح
 فانت وان ارحت الخيل وقتنا * فهمك غير هم المستريح
 وقال احمد بن منير يمدحه ويذكر ظفروه بالبرنس واصحابه وحمل رأسه الى
 حلب وانشده اياها ايضاً يحسر الحديد .

اقوى الضلال واقفرت عرصاته * وعلا الهدى وتبلجت قسامته
 وانتاش دين محمد محموده * من بعد ما غلبت دما عبراته
 ردت على الاسلام عصر شبابه * وثباته من دونه وثباته
 ارسى قواعدهم ومن عماده * صعدا وشيد سوره سوراته
 واعاد وجه الحق ابيض ناصعا * اصلاته وصلاته وصلاته
 لما تواكل حربه وتحاذلت * انصاره وتقاصرت خطواته
 رفعت لنور الدين نار عزيمة * رجعت لها عن طبعها ظلماته
 ملك مجالس لهوه شداته * ومشوقه بين الصفوف شداته
 تغرى بحثثة اليراع بنانه * ان لذ حثثة الكؤوس لداته
 ويروقه تغر العدى قات دما * لا الثغر يعبق في لماه لثاته
 فصبوحة خمر الطلى وغبوقه * نطف النفوس تدبرها نشواته

- فتح تعممت السماء بفخره * وهفت على اغصانها عذباته
سبقت على الأسلام بيض حجوله * واختال في اوضاحها جبهاته
وانهل فوق الابطحين غمامه * وسرت الى سكينها نفحاته
لله بلجة ليلة عصت به * واليوم ذبح وشيه ساعاته
حط القوامص فيه بعد قماصها * ضرب يصلصل في الطلي صعقاته
نبذوا السلاح لضيغم عاداته * فرس الفوارس والقنا غاياته
لمجرب صمرية غضباته * لله معتصمية غزواته
تجيا لضيق صفاده اسراؤه * وتفيض ماء شؤونها نغماته
بين الجبال خواضعا اعناقها * كالزود نابت عن براه حداته
نشرت على حلب عقود بنودهم * حلل الربيع تناسقت زهرانه
روض جناه لها مكر جياده * واستوأرت حمالة حملاته
متساندين على الرحال كما انتشى * شرب امالت هامه قهواته
لم تثبت الآجام قبل رماحه * شجراً فروع اصوله ثمراته
فليحمد الاسلام ما جدحت له * شربات غرس هذه مخباته
وسقى صداك الحيا صوب الحيا * خير الثرى ما كنت انت نبانه
نصب السرير ومال عنه ومهدت * لمقر منصبك السرى سراته
ماضر هذا البدر وهو محلق * ان الكواكب في الذرى ضراته
في كل يوم تستطيل قناته * فوق السماء وتعتلي درجاته
وترى كشمس في الضحى آثاره * مجدأ وألسنة الزمان رواته
ابن الألى ملثوا الطروس زخارفا * عن نرف بحر هذه قطراته
غدقوا باعناق العواطل ماله * من جوهر فأتهم فذاته

- لو فصلوا سمطا ببعض فتوحه * سخرت بما افتعلوا لهم فعلاته
تمسى قنانيه بنات قيونه * فوق القوانس والقنا قيناته
صلتان من دون الملوك تقرها * حركاته وتنيمها يقظاته
قعدت بهم عن خطوه همامهم * وسمت به عن خطوهم همامه
سكنوا مسجفة الحجال واسكنت * زحل الرحال مع السها عزماته
او لاح للطائي غرة فتحه * بآت بجمل تأوه بآته
او هب للطبري طيب نسيمه * لاحتش من تاريخه حشواته
صدم الصليب على صلابه عوده * فتفرقت ايدي سبا خشباته
وسقى البرنس وقد تبرنس ذلة * بالروح مما قد جنت غدراته
فانقاد في خطم النية انفه * يوم الخطيم واقصرت ترواته
ومضى يؤنب تحت انب همه * امست زوافر غيها زفرااته
اسد تبوأ كالغرنف بجاته * فتبوات طرف السنان شواته
دون النجوم منمضا ولطالما * اغضت وقد كرت لها لحظاته
بجلوته تبكي الاصادق تحته * بدم اذا ضحككت له شماته
تمشي القناة برأسه وهو الذي * نظمت مدار النيرين قناته
لو عانق العيوق يوم رفته * لأراك شاهد خفضه اخباته
ما انقاد قبلك انفه بجرامه * كلا ولا همت لها هدراته
طيان خلف السرح طال زثيره * نطق سطاك له فطال صماته
لما بدا مسود رأيك فوقه * مبيض نصرك نكست راياته
ورأى سيوفك كالصوالج طاوحت * مثل الكرين قفلت كثراته
ولى وقد شربت ظباك كمانه * تحت المعجاج واسلمته حماته

ترك الكنائس والكناس لناهب * بالبيض نهب ما حواه عفانه
 غلاب اروع لايميت عداته * داء المطال ولا تعيش عداته
 والآن ملقى بالعرى يقتانه * ما كان قبل يصيده يقتانه
 اليوم ملكك القراع قلاعه * متسنا ما استشرفت شرفانه
 وغدا تحمل لك الحلائل اسهم * متوزعات بينهن نباته
 او طأت اطراف السنايك هامة * فتقاذفت بعنيفها قذفاته
 لازال هذا الملك يشمخ شأنه * ابدا ويلفت في الحضيض وشاته
 ما اخطتتك يد الزمان فدونه * من شاء فتسرع اليه هناته
 انت الذي تحلى الحياة حياته * وتهب ارواح القصيد هبانه

سنة ٥٤٥

قال في الروضتين قال ابن الأثير فيها سار نورالدين الى حصن افامية وهو
 للفرنج ايضا وبينه وبين حماة مرحلة. وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من
 احصن القلاع وامنعها وكان من به من الفرنج ينيرون على اعمال حماة وشيزر
 وينهبونها فاهل تلك الاعمال معهم تحت الذل والصغار فسار نورالدين اليه وحصره
 وضيق عليه ومنع من به القرار ليلا ونهارا وتابع عليهم القتال ومنعهم الأستراحة
 فاجتمعت الافرنج من سائر بلادهم وساروا نحوهم ليزحزحوه عنها فلم يصلوا
 اليه الا وقد ملك الحصن وملاء ذخائر من طعام ومال وسلاح ورجال وجميع
 ما يحتاج اليه فلما بلغه قرب الفرنج سار نحوهم فحين رأوا جده في لقاهم رجعوا
 واجتمعوا ببلادهم وكان قصاراهم ان صالحوه على ما اخذ ومدحه الشعراء واكثروا
 منهم ابو الحسين احمد بن منير حيث قال في مطلع قصيدة
 اسنى المالك ما اطلت منارها * وجعات مرهفة الشفار دثارها

ومنها

في كل يوم من فتوحك سورة * للدين يحمل سفره اسفارها
 ومطيلة قصر المنابر ان غدا ال * خطباء تنثر فوقها تقصارها
 هم تجملت الملوك وراءها * بدم العثار وما اقتفت آثارها
 وعزائم تستوزر الآساد عن * نهش الفرائس ان احس اوارها
 ابدا تقصر طول مشرفة الذرى * بالمشرفية او تطيل قصارها
 فغزت افامية فما فهمته * كوبر اجناها الأران بوارها

ومنها

ماض اذا قرع الركاب لبلدة * القت له قبل القراع ازارها
 واذا مجاقه ركن لصعبة ال * ملقاة اسجد كالجدير جدارها
 ملأ البلاد مواها ومهابة * حتى استرقت آيه احرارها
 يذكي العيون اذا اقام لعينها * ابدأ ويفضي بالظي ابكارها
 اوما الى رمم الندى فاعاشها * وهما لسابقة المنى فأزارها
 نبوي تشبيه الفتوح كأنما * انصاره رجعت له انصارها
 احيا لصرح سلامها سلامها * وامات تحت عمارها عمارها
 ان سار سار وقد تقدم جيشه * رجف يقصع في اللهم دعارها
 اوحل حل حبا القروم بهيبة * سلب البدور بدارها ابدارها
 واذا الملوك تنافسوا درج العلى * اربى بنفس افرعته خيارها
 ونهى اذا هيضت تدل لجيرها * وسطى نذل اذا عنت جبارها
 تهدي لمحمود السجايا كاسمه * لولد فاعلة بها لأبارها
 الفاعل الفعلات ينظم في الدجى * بين النجوم حسودها اسمارها

ساع سما والسابقات وراهه * عنقا فعصر متماه عثارها
ومنها وهي آخرها

لله وجهك والوجوه كأنما * حطت بها اوقار هبت وقارها
والبيض تخنس في الصدور صدورها * هبرا وتكتحل الشفور شفارها
والخيل تدلج تحت ارشية القنا * جذب المواتح غاورت آبارها
فبقيت تستجلى الفتوح عرائسا * متمليا صدر العلى وصدارها
في دولة للنصر فوق لواثها * زبر تنمق في الطلى اسطارها
فالدين مومة رفعت بها الصوى * وحديقة ضمنت يداك ابارها

سنة ٥٤٦

قال في الروضتين ما ملخصه في سنة ٥٤٥ توجه نور الدين الى دمشق وبعد
اخذ ورد بينه وبين صاحبها تقرر في محرم سنة ٥٤٦ الصلح بين نور الدين
واهل دمشق وبذلوا له الطاعة واقامة الخطبة على منبر دمشق بعد الخليفة
والسلطان وكذا السكة ووقعت الأيمان على ذلك ورحل عن مخيمه عائداً الى حلب

ذكر انهزام نور الدين من جوسلين واس جوسلين
بعد ذلك وفتح عين تاب وعزاز ودلوك ومرعش وغير ذلك

قال في الروضتين قال ابن الأثير سار نور الدين الى بلاد جوسلين وهي القلاع
التي شمالي حلب منها تل باشر وعين تاب وعزاز وغيرها من الحصون فجمع
جوسلين الفرنج فارسهم وراجلهم ولقوا نور الدين وكان بينهم حرب شديدة
انجلت عن انهزام المسلمين وظفر الفرنج واخذ جوسلين سلاح داركان
لنور الدين اسيرا واخذ ما معه من السلاح فانفذه الى السلطان مسعود بن قليج

ارسلان السلجوقي صاحب قونية واقصرا وغيرهما من تلك الاعمال وكان نور الدين قد تزوج ابنته وارسل مع السلاح اليه يقول قد انفذت لك سلاح صهرك وسيأتيك بعد هذا غيره فعمظت الحادثة على نور الدين واعمل الحيلة على جوسلين وعلم ان هو جمع المساكر الاسلامية لقصده جمع جوسلين الفرنج وحذر وامتنع فأحضر نور الدين جماعة من التركمان وبذل لهم الرغائب من الأقطاع والأموال ان هم ظفروا بجوسلين اما قتلا واما اسرا فانفق ان جوسلين خرج في عسكره واغار على طائفة من التركمان وسي ونهب فاستحسن من السبي امرأة منهم خلا معها تحت شجرة فعاجله التركمان فركب فرسه ليقاتلهم فأخذوه اسيرا فصانهم على مال بذله لهم فرغبوا فيه واجابوه الى ذلك واخفوا امره عن نور الدين فأرسل جوسلين في احضار المال فأتى بعض التركمان الى نائب نور الدين بجلب (هو ابو بكر بن الداية كما في الكامل) فاعلمه الحال فسير معه عسكرا اخذوا جوسلين من التركمان قهرا وكان نور الدين حينئذ بمحمص وكان اسره من اعظم الفتوح على المسلمين فإنه كان شيطانا عاتيا من شياطين الفرنج شديد العداوة للمسلمين وكان هو يتقدم على الفرنج في حروبهم لما يملون من شجاعته وجودة رأية وشدة عداوته للملة الاسلامية وقسوة قلبه على اهلها واصيبت النصرانية كافة بأسره وعمظت المصيبة عليهم بفقده وخلت بلادهم من حاميتها وتفورم من حافظها وسهل امرهم على المسلمين بعده وكان كثير الغدر والمكر لا يقف على يمين ولا يني بعهد طالما صالحه نور الدين وهادنه فاذا أمن جانبه بالعهود والمواثيق نكث وغدر فقيه غدره وحق به مكره (ولا يحيق المكر السيء الا بأهله) فلما اسر تيسر فتح كثير من بلادهم وقلاعهم فمنها عين تاب وعزاز وقورس والراوندان وحصن الباره

وتلى خالد وكفر لاتا وكفرسوب وحصن بسرفوت يجبل بني عليم ودلوك
 ومرعش ونهر الجوز وبرج الرصاص قال وكان نور الدين رحمه الله اذا فتح
 حصنا لا يرحل عنه حتى يملأه رجلاً وذخائر تكفيه عشر سنين خوفاً من نصرة
 تتجدد للفرنج على المسلمين فتكون الحصون مستعدة غير محتاجة الى شيء وقال
 الشعراء في هذه الحادثة فأكثرها منهم القيسراني قال يمدح نور الدين بعد
 صدوره عن دمشق واستقرار امرها ويذكر قتل البرنس واسر جوسلين واخذ بلاده
 دعا ما ادعى من غره النهى والأمر * فا الملك الا ما جباك به الأمر
 ومن ننت الدنيا اليه عنانها * تصرف فيما شاء عن اذنه الدهر
 ومن راهن الأقدار في صهوة العلي * فان تدرك الشعرى مداه ولا الشعر
 اذا الجد امسى دون غايته المنى * فاذا عسى ان يبلغ النظم والنثر
 ولم لايلي اسنى الممالك مالك * زعيم يحيش من طلائع النصر
 ليهن دمشقاً ان كرسى ملكها * حي منك صدراً ضاق عن همه الصدر
 الى ان قال

وامست عزاز كأسمها بك عزة * تشق على النسرين لو انها الوكر
 فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجة * فبالافق الداجي الى ذا السنا فقر
 كاني بهذا العزم لافل حده * وافصاء بالأقصى وقد قضى الأمر
 وقد اصبح البيت المقدس طاهراً * وليس سوى جارى الدماء له طهر
 وقدادت البيض الحداد فروضها * فلا عهدة في عنق سيف ولانذر
 وصلت بمعراج النبي صوارم * مساجدها شفع وساجدها وتر
 وان يتيم ساحل البحر مالكا * فلا عجب ان يملك الساحل البحر
 وهي طويله جداً اكتفينا منها بهذا المقدار . وفي هذه السنة فارق صلاح الدين

والده وضار الى خدمة عمه اسد الدين بجلب فقدمه بين يدي نور الدين فقبله واقطعه
 اقطاعا حسنا وفي جهادى الأولى كتب احمد بن منير من حماة الى نور الدين قصيدة اولها
 لملائك التأييد والتأميل * ولملكك التأييد والتكميل
 ميهته بوصول الخلع اليه من بغداد من عند الخليفة على يد الشيخ شرف الدين
 ابن ابي عصرون ويصف الفرس الأصفر الأسود القوائم والمعارف والسيف
 العربى وساق في الروضتين القصيدة بتامها
 سنة ٥٤٧ هـ

(ذكر الحرب بين نور الدين وبين الفرنج بدلوك)

قال ابن الأثير في هذه السنة تجمعت الفرنج وحشدت الفارس والراجل وساروا
 نحو نور الدين وهو ببلاد جوسلين ليمنعوه عن ملكها فوصلوا اليه وهو بدلوك
 فلما قربوا منه رجع اليهم وتقيم وجرى المصاف بينهم عند دلوك واقتتلوا اشد
 قتال رآه الناس وصبر الفريقان ثم انهزم الفرنج وقتل منهم واسر كثير وعاد
 نور الدين الى دلوك فملكها واستولى عليها ومما قال في ذلك احمد بن منير الطرابلسي
 اعدت بعصرك هذا الأني * ق فتوح النبي واعصارها
 فواطت يا حبذا احد بها * واسررت من بدر ابدارها
 وكان مهاجرها تابعي * ك وانصار رأيك انصارها
 فجددت اسلام سلمانها * وعمر جدك صمارها
 وما يوم انب الاكذا * ك بل طال بالبوع اشبارها
 صدمت عزيمتها صدمة * اذابت مع الماء احجارها
 وفي تل باشر باشرتهم * بزحف تسور اسوارها

وان دالكتهم دلوك فقد * شدت فصدت اخبارها

سنة ٥٤٩

(استيلاء نور الدين على دمشق وتل باشر)

قال ابن الأثير في هذه السنة في صفر ملك نور الدين محمود بن زنكي مدينة دمشق واخذها من صاحبها عجير الدين اثر بن محمد بن بوري بن طغتكين اتابك ثم ساق السبب الذي دعاه الى ذلك . وفي هذه السنة او التي بعدها ملك نور الدين محمود قلعة تل باشر وهي شمالي حلب من امنع القلاع وسبب ملكها ان الفرنج لما رأوا ملك نور الدين دمشق خافوه وعلموا انه يقوى عليهم ولا يقدر على الانتصاف منه لما كانوا يرون منه قبل ملكها فراسله من بهذه القلعة من الفرنج وبذلوا له تسلميها فسير اليهم الأمير حسان المنبجي وهو من اكابر امرائه وكان اقطاعه ذلك الوقت منبج وهي تقارب تل باشر وامره ان يسير اليها ويتسلمها فسار اليها وتسلمها منهم وحصنها ورفع اليها من الذخائر ما يكفيها سنين كثيرة

(سنة ٥٥٠)

قال في الروضتين في هذه السنة ولي نور الدين صلاح الدين الشحنة والديوان بدمشق فاقام فيه اياماً ثم تركه وصار الى حلب لأجل واقعة صارت بينه وبين صاحب الديوان ابي سالم همام ثم قال نقلا عن ابن ابي طي يحيى بن حميدة الحلبي واستخص نور الدين صلاح الدين والحقه بمخاوصه فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر وكان يفوق الناس جميعا في لعب الكرة وكان نور الدين يحب لعب الكرة قال في المختار من الكواكب المضيئة (كان) بالجزيرة رجل من اهل الدين والصلاح

والخير وكان نور الدين يرأسه ويرجع الى قوله فبلغه عن نور الدين انه يكثر اللعب بالكرة فكتب اليه يقول ما كنت اظن انك تلهو وتلعب وتمتدب الخيل بغير فائدة دينية فكتب اليه نور الدين بخط يده يقول والله ما يحملني على اللعب بالكرة اللهو واللعب انما نحن في تفر العدو ونخشى ان يقع صوت فتربك في الطلب ولا يمكننا ملازمة الجهاد ومتى تركنا الخيل صارت لاقدرة لها على ادمان السفر في الطلب ولا معرفة لها بسرعة الأنمطاف في المعركة فنحن نركبها ونروضها بهذا اللعب اه

— سنة ٥٥١ ذكر حصر حارم —

قال في الروضتين فيها حاصر نور الدين قلعة حارم وهي حصن غربي حلب بالقرب من انطاكية وضيق على اهلها وهي من امنع الحصون واحصنها في محور المسلمين فأجتمعت الفرنج من قرب منها ومن بعد وساروا نحوها لئلا يكتسب بالحصن شيطان من شياطين الفرنج يرجعون الى رأيه فأرسل اليهم يعرفهم قوتهم وانهم قادرون على حفظ الحصن والذب عنه بما عندهم من المدد وحصانة القامة ويشير عليهم بالمطاولة وترك اللقاء وقال لهم ان لقيتموه هزمكم واخذ حارم وغيرها وان حفظتم انفسكم منه اطقنا الأمتناع عليه ففعلوا ما اشار به عليهم وراسلوا نور الدين في الصلح على ان يعطوه حصته من حارم فأبى ان يجيبهم الا على مناصفة الولاية فأجابوه الى ذلك فصالحهم وعاد وانشد ابن منير قصيدة طويلة يهته بالعود من غزاة حارم مطلعها

ما فوق شأوك في الملا مزداد * فعلام يقلق عزمك الأجهاد
هم ضربين على السماء سرادقا * فالشهب اطناب لها وعماد
انت الذي خطبت له حساده * والفضلي ما اعترفت به الحساد

ومنها

- البست دين محمد يانوره * عزا له فوق السها إسآد
 ما زلت تسمكه ببياد القنا * حتى تثقف عوده المياد
 لم يبق مذ ارفقت عزمك دونه * عدد يراع به ولا استعداد
 ان المناير لو تطيق تكلمها * حمدتك عن خطباؤها الأعواد

ومنها

- ورجا البرنس وقد تبرنس ذلة * حرم بحارم والمصاد مصاد
 ضجت تعاليه فأخرس جرسها * بيض تناسب في الحديد حداد
 وسواعد ضربت بهن وبالقنا * من دون ملة احمد الأسداد
 يركزن في حلب ومن افنانها * تجنى فواكه امنها بفداد

وختمها بقواه

- لا ينفع الآباء ما سمكوا من ال * ما ياء حتى ترفع الأولاد
 ملك يقيد خوفه ورجاه * ولقلما تتظافر الأضداد

وقال يهشه بالنصر يوم حارم ايضاً قصيدة اولها (للكك ماتشاء من الدوام) يقول فيها

- حظيت من المعالي بالمعاني * ولاذ الناس بمدك بالأسامي
 عزيز المسمى عالي المراقى * بعيد المرتضى عالي المسامى

وهي طويلة ايضاً قال في الروضتين قال الرئيس ابو يعلى توجه نور الدين الى ناحية حلب في بعض عسكره في رابع والعشرين من صفر عند انتهاء خبر الفرنج اليه بعيشهم في اعمال حلب وافسادهم وصادفه في طريقه المبشر بظفر عسكره الحلبي بالأفرنج المفسدين على حارم وقتل جماعة منهم واسرهم ووصل مع المبشر عدة وافرة من رؤس الفرنج المذكورين وطيف بها في دمشق قال وعاد نور الدين

الى دمشق في بعض ايام رمضان بعد تهذيب حلب واعمالها وتفقد احوالها .
قال في الروضتين في هذه السنة والتي بعدها كثرت الزلازل بالشام [اي بجميع
بلاد الشام] وتواصلت الأخبار من ناحية حلب وحماة بانهدام مواضع كثيرة
وانهدام برج افامية واما شيزر فان الكثير من مساكنها انهدم على سكانه
بحيث قتل منهم العدد الكثير واما كفرطاب فهرب اهلها خوفاً على ارواحهم

(سنة ٥٥٢)

﴿ الزلازل العظمى ﴾

قال في الروضتين فيها ايضا كثرت الزلازل بالشام في صفر وجمادى الأولى
وجمادى الآخرة وترادفت الأخبار من ناحية الشمال بأن هذه الزلازل اثرت
في حلب تأنيراً ازعج اهلها واقلقهم وكذا في حمص وهدمت مواضع فيها وفي
حماة وكفرطاب وافامية وهدمت ما كان بنى من مهدوم الزلازل . وتتابعتم
الزلازل في كثير من البلاد بما يطول به الشرح ووردت الأخبار من ناحية
الشمال بما يسوء سماعه ويرعب النفوس ذكره بحيث انهدمت حماة وقلعتها وسائر
دورها ومنازلها على اهلها من الشيوخ والشبان والاطفال والنسوان وهم العدد
الكثير والجم الفقير بحيث لم يسلم منهم الا القليل اليسير واما شيزر (١) فان
ربضها سلم الا ما كان خرب اولاً واما حصنها المشهور فانه انهدم على واليها
تاج الدولة ابي العساكر بن متقد ومن تبعه الا اليسير ممن كان خارجاً واما
حلب فهدمت بعض دورها وخرج منها اهلها الى ظاهر البلد وكفرطاب

[١] قال الجلال السيوطي في كتاب الصلصلة في الزلزلة . اما شيزر فلم يسلم منها احد
الا امرأة وخادم لها وهلك الباقيون واما كفرطاب فلم يسلم منها احد وساخت قلعتها
ونزل حرب انقسم نصفين فأبدى نوادر وبيوتاً كثيرة في وسطه اه .

واقامية وما والاها ودنا منها وبعد عنها من الحصون والمعاقل . ثم حصلت بحلب ايضا فجاءتها زلزلة هائلة فقلقت من دورها وجدرانها المدد الكثير الى ان قال قال ابن الأثير في سنة اثنتين وخمسين كان بالشام زلزلة شديدة ذات رجفات عظيمة اخربت البلاد واهلكت العباد وكان اشدها بمدينة حماة وحصن شيزر فأنها خربا بالمرّة وكذا ما جاورها كحصن بارين والمعرة وغيرهما من البلاد والقرايا وهلك تحت الهدم من الخلق ما لا يحصيه الا الله تعالى وتهدمت الاسوار والدور والقلاع ولولا ان الله تعالى منّ على المسلمين بنور الدين جمع وحفظ البلاد والا كان دخلها الفرنج بغير حصار ولا قتال . قال ولقد بلغني من كثرة المهلكى ان بعض المعلمين بحماة ذكر انه فارق المكتب لمهم فجاءت الزلزلة فأخربت الدور وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يأت احد يسأل عن صبي كان له في المكتب .

(ذكر ملك نور الدين حصن شيزر بعد خرابها)

قال ابو الفداء ان صاحب شيزر كان قد ختن ولده وعمل دعوة للناس واحضر جميع بني منقذ في داره فجاءت الزلزلة فسقطت الدار والقلعة عليهم فهلكوا عن آخرهم وكان لصاحب شيزر بن منقذ المذكور حصان يحبه ولا يزال على باب داره فلما جاءت الزلزلة وهلك بنو منقذ تحت الهدم سلم منهم واحد وهرب يطلب باب الدار فلما خرج من الباب رفسه الحصان المذكور فقتله . فلما خربت القلعة في هذه السنة بالزلزلة تسلم نور الدين القلعة والمدينة وكان ملكه لها ثالث جمادى الأولى من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة واستولى على كل من فيها لبني منقذ وسلمها الى مجد الدين ابي بكر بن الداية

قال في الروضتين قرأت في ديوان الأمير الفاضل مؤيد الدولة اسامة بن مرشد
ابن مقصد قصيدة يرثى اهله الذين هلكوا بالزلزال بمحصن شيزر منها

- ما استدرج الموت قومي في هلاكهم * ولا تخرمهم متى ووحداننا
فكنت اصبر عنهم صبر محتسب * واحمد الخطب فيهم عز او هانا
واقتدى بالورى قبلى فكم فقدوا * اخا وكم فارقوا اهلاً وجيرانا
لكن سقيت المنايا وسط جمعهم * رغا فغروا على الاذقان اذعانا
وفاجأتهم من الايام قارعة * سقتهم بكؤوس الموت ذيفانا
مانوا جميعاً كرجع الطرف وانقرضوا * هل ما ترى تارك للحي انسانا
اعزز علي بهم من معشر صبروا * على الحفيظة ان ذلوثة لانا
لم يترك الدهر لى من بعد فقدم * قلباً اجشمه صبراً وسلوانا
فلو رأونى لقالوا مات اسعدنا * وعاش اللهم والاحزان اشقانا
لم يترك الموت منهم من يخبرنى * عنهم فيوضح ما قالوه تبياناً
بادوا جميعاً وما شادوا فواعجبا * للخطب اهلك عماراً وعمرانا
هذي قصورهم امست قبورهم * كذلك كانوا بها من قبل سكانا
ويح الزلازل افنت معشرى فاذا * ذكرتهم خلتي في القوم سكرانا
لا التقى الدهر من بعد الزلازل ما * حيث الاكسير القلب حيرانا
اخنت على معشرى الاذنين فاصطامت * منهم كهولا وشباناً وولدانا
لم يحمم حصنهم منها ولا رهبت * بأساً تبادره الاقربان ازمانا
ان افقرت شيزر منهم فم جعلوا * منيع اسوارها بيضاً وخرصانا
محم حوها فلو شاهدتهم وم * بها لشاهدت اسادا وخفانا
ترام في الوغى اسداً ويوم ندى * غيثاً منيها وفي الظلماء رهبانا

بنو ابي وبنو عمى دى دمهم * وان ارونى مناواة وشناأنا
 يطيب النفس عنهم انهم رحلوا * وخلفونى على الآثار عجلاانا
 قال ابن الوردى فى تاريخه فى الكلام على حوادث هذه السنة
 اذا ما قضى الله امراً فن * يرد القضاء الذى يتخذ
 عجبت لشيزر اذ زلزلت * فما لبني منقذ منقذ

﴿ اخبار بنى منقذ اصحاب شيزر ﴾

قال ابو الفدا قال مؤيد الدولة اسامة بن مرشد فى تاريخه وكان المذكور افضل
 بنى منقذ فى سنة ثمان وستين واربعائة بدأ جدى سيد الملك ابو الحسن علي
 بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى بعمارة حصن الجسر وحصر به حصن شيزر
 اقول [القائل ابو الفدا] ويعرف الجسر المذكور فى زماننا بجسر ابن منقذ وهوضع
 الحصن اليوم تل خال من العمارة وهو غربى شيزر على مسافة قريبة منها قال
 ابن الاثير وحصن شيزر قريب من حماة بينها نصف نهار وهو على جبل عال
 منيع لايسلك اليه الا من طريق واحدة .

قال ابو الفداء رجعنا الى كلام ابن منقذ قال وكان فى شيزر وال للروم اسمه ديمترى
 فلما طالت المضايقة لدمترى المذكور راسل جدى هو ومن عنده من الروم فى
 تسليم حصن شيزر اليه باقتراحات اقترحوها عليه منها مال يدفعه الى ديمترى
 المذكور ومنها ابقاء املاك الاسقف الذى بها عليه فانه استمر مقبلاً تحت يد جدى
 حتى مات بشيزر ومنها ان القنطارية وهم رجال الروم يسلفهم ديوانهم لثلاث
 سنين فسلم اليهم جدي ما التمسوه وتسلم حصن شيزر يوم الاحد فى رجب سنة
 اربع وسبعين واربعائة واستمر سيد الملك علي بن منقذ المذكور مالكمها الى ان

توفي فيها في سادس المحرم سنة تسع وسبعين واربعمئة وتولى بعده ولده ابو
 المرهف نصر بن علي الى ان توفي سنة احدى وتسعين واربعمئة وتولى بعده
 اخوه ابو العساكر سلطان بن علي الى ان توفي فيها وتولى ولده محمد بن سلطان الى
 ان مات تحت الردم هو وثلاثة اولاده بالترزلة في هذه السنة المذكورة اعني
 سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة في يوم الاثنين ثالث رجب اهـ

قال في الروضتين ان الأمير ابا المرهف نصر بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ
 بن نصر ابن هشام لما حضره الموت استخلف اخاه الأمير ابا سلامة مرشد بن
 علي وهو والد اسامة فقال والله لا وليتها ولا أخرجن من الدنيا كما دخلتها وكان
 عالماً بالقرآن والأدب كثير الإصلاح فولاهما اخاه ابا العساكر سلطان بن علي
 وكان اصغر منه فاصطحبها اجل صعبة مدة من الزمان فولد ابو سلامة مرشد
 عدة اولاد ذكور فكبروا وسادوا منهم عز الدولة ابو الحسن علي ومؤيد الدولة
 اسامة بن مرشد وغيرهما ولم يولد لأخيه سلطان ولد ذكر الى ان كبر فجاه
 اولاد فحسد اخاه على ذلك فكان كلما رأى صغر اولاده وكبر اولاد اخيه
 وسيادتهم ساء ذلك وخافهم على اولاده وسعى المفسدون بينهما فغيروا كلامها
 على اخيه فكتب الأمير سلطان الى اخيه شعراً يعاتبه على اشيائه بلغته عنه فأجابته
 بأبيات جيدة في معناها وكلمهم كان ادبياً شاعراً فمناها

ظلوم ابت في الظلم الا تماديا * وفي الصد والهجران الاتاميا
 شكت هجرنا في ذلك والذنب ذنبها * فيا عجيباً من ظالم جاء شاكياً
 وطاوعت الواشين في وطالما * عصيت عذولاً في هواها وواشياً
 ومال بها تيه الجمال الى القلا * وهيهات ان امسى لها الدهر قاليا
 ولا ناسيا ما اودعت من عهدها * وان هي ابدت جفوة وتناسيا

ولما اتاني من قريضك جوهر * جئت المعالي فيه لي والمانيا
 وكنت هجرت الشعر حيناً لأنه * تولى برغمي حين ولى شبابيا
 واين من الستين لفظ مفوق * اذا رمت ادنى القول منه عصايا
 وقلت اخي يرعى بني واسرتي * ويحفظ عهدي فيهم وذماميا
 ويجزيهم مالم اكلفه فعله * لنفسى فقد اعدته من تراثيا
 فسالك لما ان حتى الدهر صدقتي * وتلم مني صارما كان ماضيا
 تنكرت حتى صار برك قسوة * وقربك مني جفوة وتنائيا
 فاصبحت صفر الكف مما رجوته * كذا اليأس قد عني سبيل رجائيا
 على اني ما حلت عما عهدته * ولا غيرت هذى السنون وداديا
 فلا غرو عند الحادثات فأنني * اراك يميني والأثام شماليا
 تهن بها عزراء لوقرت بها * نجوم سماء لم تعد دراريا
 تحلت بدر من صفاتك زانها * كما زان منظوم اللآلى النوانيا
 وعش بانيا للوجود ما كان واهنا * مشيدا من الأحسان ما كان واهيا

قال وكان الأمر فيه في حياة الأمير بعض الستر فلما مات سنة احدى وثلاثين
 وخمسة مائة قلب اخوه لأولاده ظهر المجن وباداهم بما يسؤم وتمادت الأيام بينهم
 الى ان قوى عليهم فإخرجهم من شيزر وكان اعظم الأسباب في اخراجهم
 ما حدثت به عن مؤيد الدولة اسامة بن مرشد قال كنت من الشجاعة والإقدام
 على ما علمه الناس فيينا انا بشيزر واذ قد اتاني انسان اخبرني ان بدجلة بغاريها
 اسداً ضارياً فركبت فرسى واخذت سيفي وسرت اليه لأقتله ولم اعلم احداً من
 الناس لثلا امنع من ذلك فلما قربت من الأسد نزلت عن فرسى وربطته ومشيت
 نحوه فلما رأني قصدي ووثب فضربت بالسيف على رأسه فانفلق ثم اجهرت عليه

واخذت رأسه في محلاة فرسي وعدت الى شيزر ودخلت على والدتي والقيت
الرأس بين يديها وحدثتها الحال فقالت يا بنى تجهز للخروج من شيزر فوالله
لا يمكنك عمك من المقام ولا احداً من اخوتك وانتم على هذه الحال من الأقدام
والجرأة فلما كان الغد امر عمى بأخراجنا من عنده والرمنا به الزاماً لامهلة فيه
فتفرقنا في البلاد فقصدوا الملك العادل نور الدين وشكوا اليه ما لقوا من عمهم
فلم يمكنه قصده ولا الأخذ بثارهم واعادتهم الى اوطانهم لاشتغاله بجهاد الفرنج
ولخوفه من ان تسلم شيزر الى الفرنج وبقي في نفسه وتوفي الأمير سلطان وولى
بعده اولاده فبلغ نور الدين عنهم مراسلة الفرنج فأشتمد ما في نفسه وهو ينتظر
الفرصة فلما خربت القلعة بالزلزلة ولم يسلم منها احد كان بالحصن فبادر اليها
وملكها و اضافها الى بلاده وعمرها واسوارها واعادها كأن لم تخرب وكذلك
فعل بمدينة حماة وكل ما خرب بالشام بهذه الزلزلة فعادت البلاد كأحسن
ما كانت

ذكر وصول ولد السلطان مسعود للثزول على انطاكية

﴿ ومجيء العادل نور الدين الى حلب ومرضه وما جرى بسبب ذلك ﴾
قال في الروضتين قال الرئيس ابو يعلى وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة توأصت
الأخبار بوصول ولد السلطان مسعود في خالق كثير للثزول على انطاكية واوجبت
الصورة تقرير المهادنة بين نور الدين وملك الفرنج وتكررت المراسلات بينهما
والأقتراحات والمشاجرات بحيث فسد الأمر ولم يستقر على مصلحة ووصل
نور الدين الى مقر عزه في بعض عسكره واقرب ساقيه ومقدميه مع العرب بأزاء
اعمال المشركين قال وفي ثالث رجب توجه نور الدين الى ناحية حلب واعمالها

لتجديد مشاهدتها وامعان النظر في حمايتها عند ماعاث المشركون فيها وقربت
عساكر ابن مسعود منها قال بعد ذلك وقد تقدم من ذكر نور الدين ونهوضه في عساكره
من دمشق الى بلاد الشام عند انتهاء الخبر اليه بتجمع احزاب الفرنج وقصدهم
لها وطعمهم بحكم ما حدث من الزلازل والرجفات المتتابة لها وما هدمت من
الحصون والقلاع والمنازل في اعمالها وتغورها لحمايتها والذب عنها وايناس من
سلم من اهل حمص وشيزر وكفرطاب وحماة وغيرها بحيث اجتمع اليهم العدد
الكثير والجم الغفير من رجال المعقل والأعمال والتركمان وخيم بهم بازاء جمع
الفرنج بالقرب من انطاكية وحصرهم بحيث لم يقدر فارس منهم على الأقدام
على الفساد فلما مضت ايام من شهر رمضان عرض لنور الدين ابتداء مرض
حاد فلما اشتد به وخاف منه على نفسه استدعى اخاه نصرة الدين امير اميران
محمد واسد الدين شيركوه واعيان الأشراف والمقدمين واوحى اليهم بما اقتضاه رأيه
واستصوبه وقرر معهم كون اخيه نصرة الدين القائم في منصبه من بعده والساد
لثمة فقده لأشتهارد بالشهامة وشدة البأس يكون مقبلا محلب ويكون اسد الدين
الى دمشق لحفظ اعمالها من فساد الفرنج وتواصلت الأراجيف بنور الدين فقلقت
النفوس وازعجت القلوب فتفرقت جموع المسلمين واضطربت الأعمال وطمع الافرنج
فقصدوا مدينة شيزر وهجموها وحصروا فيها فقتلوا واسروا ونهبوا وتجمع
من عدة جهات خلق كثير من رجال الأسماعيلية وغيرهم وظهروا عليهم فقتلوا
منهم واخرجوهم من شيزر واتفق وصول نصرة الدين الى حلب فاغلق والى
القلعة مجد الدين في وجهه الأبواب وعصى عليه فتارت احداث حلب وقالوا
هذا صاحبنا وملكنا بعد اخيه فزحفوا في السلاح الى باب البلد وكسروا
اغلاقه ودخل نصرة الدين في اصحابه وحصل في البلد وقامت الأحداث على

على والى القلعة باللوم والأنكار والوعيد واقترحوا على نصره الدين اقتراحات من جملتها إعادة رسمهم في التأذين بحى على خير العمل ومحمد وعلى خير البشر فأجابهم الى ما رغبوا فيه واحسن القول لهم والوعد ونزل في داره وانفذ والى القلعة اليه والى الحلبيين يقول مولانا نور الدين حى في نفسه وما كان الى ما فعل حاجة فقيل الذنب في ذلك للوالى وصعد الى القلعة من شاهد نور الدين حيا يفهم مايقول وما يقال له فانكر ماجرى وقال انا اصفح للأحداث عن هذا الخطل ولا أوأخذهم بالنزلل وما طلبوا الاصلاح حال اخى وولي عهدى من بعدى وشاعت الأخبار وانتشرت البشائر في الأقطار بمافيتته فأنست القلوب بعد الاستيحاش وابتهجت النفوس بعد القلق والأثزعاج وتزايدت العافية وصرفت المهتم الى مكائبات المقدمين بالعود الى جهات الاعداء وكان نصره الدين قدولى مدينة حران ومااضيف اليها وتوجه نحوها ولما تناصرت الأخبار بالبشائر الى اسد الدين بدمشق بعافية نور الدين واعزامه على استدعاء المساكرا الإسلامية للجهاد سارع بالنهوض من دمشق الى حلب ووصل اليها في خيله فاجتمع بنور الدين فاكرم اقياء وشكر مسعاه وشرعوا في حماية الأعمال من شر من جاورهم من الأعداء اه

قال في الزبد والضرب لما اذن نصره الدين محمد بن زنكى للشيعه ان يزيدوا في في الأذان حى على خير العمل محمد وعلى خير البشر على عاداتهم من قبل مالوا اليه لذلك وثارت فتنة بين السنة والشيعه ونهبت الشيعة مدرسة ابن ابي عصرون وغيرها من آدر اهل السنة ثم ترجع نور الدين الى الصلاح فذهب امير اميران محمد بن زنكى الى حران فلكها . قال الصاحب كمال الدين وسير نور الدين الى قاضى حلب جدى ابي الفضل هبة الله ابن ابي جرادة وكان يلى بها القضاء

والخطابة والامامة وقال له تمضي الى الجامع وتصلي بالناس ويماد الأذان على ما كان عليه فنزل جدي وجلس شمالية الجامع تحت المنارة واستدعى المؤذنين وامرهم بالأذان المشروع على رأي ابي حنيفة فخافوا فقال لهم هاأنا اسفل منكم ولي اسوة بكم فصعد المؤذنون وشرعوا في الأذان فأجتمع تحت المنارة من عوام الشيعة خلق كثير فقام القاضي اليهم وقال يا اصحابنا وفقكم الله تعالى من كان على طهارة فليدخل وليصلي ومن كان محدثا فليجدد وضوءه ويصلي فإن المولى نور الدين بمحمد الله تعالى في عافية وقد تقدم بما يفعل فانصرفوا راشدين فانصرفوا وقالوا ايش نقول لقاضينا ونزل المؤذنون وصلى بالناس وسكنت الفتنة اه

اقول ذكر ابن الأثير خبر مرض العادل نور الدين في حلب ومجيء اسد الدين شيركوه اليه من دمشق في حوادث سنة ٥٥٤ والأصح ان ذلك كان في سنة ٥٥٢ كما قدمناه نقلا عن الروضتين وقد مرض العادل نور الدين في سنة ٥٥٤ ايضا كما سيأتي فأشبهه على ابن الأثير هذه بتلك ونحن نذكر ايضا عبارة ابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٤ لأن فيها زيادة فوائد على ما تقدم

قال في هذه السنة مرض نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب مرضا شديداً ارجف بموته وكان بقلعة حلب ومعه اخوه الأصغر ايران (محمد) فجعم الناس وحصر القلعة وشيركوه وهو أكبر امراء بمحمص فبلغه خبر موته فسار الى دمشق ليتغاب عليها وبها اخوه نجم الدين ايوب فانكر عليه ايوب ذلك وقال اهلكتنا والمصلحة ان تعود الى حلب فإن كان نور الدين حيا خدمته في هذا الوقت وان كان قد مات فأنا في دمشق نقبل ما نريد من ملكها فعاد الى حلب مجدا وصعد القلعة واجلس نور الدين في شباك يراه الناس وكلمهم فلما رأوه حيا تفرقوا عن اخيه امير ايران فسار الى حران فملكها فلما عوفي نور الدين قصد حران

ليخلصها فهرب اخوه منه وترك اولاده بجران في القلعة فللكها نور الدين وسلمها الى زين الدين علي نائب اخيه قطب الدين صاحب الموصل ثم سار نور الدين بمد اخذ حران الى الرقة وبها اولاد اميرك الجاندار وهو من اعيان الأصرء وقد توفي وبقي اولاده فتازلها فشفع جماعة من الأصرء فيهم فغضب من ذلك وقال هلا شفعتم في اولاد اخي لما اخذت منهم حران وكانت الشفاعة فيهم من احب الأشياء الي فلم يشفعهم واخذها منهم اه

سنة ٥٥٣

ذكر استيلاء الفرنج على حارم

قال في الروضتين قال الرئيس ابو يعلى في اوائل المحرم تناصرت الأخبار من ناحية الفرنج المقيمين بالشام بمضايقتهم لحصن حارم ومواظبتهم على رميه بمجارة المجانيق الى ان ضعف وملك بالسيف وتزايد طمعهم في شن الغارات في الأعمال الشامية واطلاق الأيدي في العيث والفساد في معاقلتها وضياعها بحكم تفرق العساكر الإسلامية والخلاف الواقع بينهم باشتغال نور الدين بمقاييل المرض العارض له والله المشيئة التي لاتدفع والأقضية التي لاتمانع وقال رفي صفر ورد الخبر المبشر بنزول نور الدين من حلب للنوجه الى دمشق ووصل اليها وحصل في ثامته سادس ربيع الأول سالما في نفسه وحملته ولقي بأحسن زى وترتيب وتجميل واستبشر العالم بمقدمه المسعود وابتهجوا وبالغوا في شكر الله تعالى على سلامته وعافينه والدعاء له بدوام ايامه وشرع في تدبير امر الأجناد والتأهب للجهاد .

ذكر مرض العادل نور الدين وما جرى بسبب ذلك

قال في الروضتين في هذه السنة عرض لنور الدين مرض تزايد به بحيث اضعف قوته ووقع الأرجاف به من حساد دولته والمفسدين من عوام رعيته وارتاعت الرعايا واعيان الأجناد وضاعت صدور قطان الثغور والبلاد خوفا عليه واشفاقا من سوء يصل اليه لاسيما اخبار الروم والفرنج ولما احس من نفسه بالضعف تقدم الى خواص اصحابه وقال لهم اني قد عزمتم على وصية اليكم بما وقع في نفسي فكونوا لها سامعين مطيعين وبشروطها عاملين اني مشفق على الرعايا وكافة المسلمين ممن يكون بعدى من الولاة الجاهلين والظلمة الجائرين وان اخي نصره الدين اعرف من اخلاقه وسوء افعاله مالا ارتقى معه بتولية امر من امور المسلمين وقد وقع اختياري على اخي قطب الدين مودود متولى الموصل لما يرجع اليه من عقل وسداد ودين وصحة اعتقاد فخلقوا له وانفذ رسله الى اخيه بأعلامه صورة الحال ليكون لها مستعدا ثم تفضل الله تعالى بأبلاله من المرض وتزايد القوة في النفس والحس وجلس للدخول اليه والسلام عليه وكان الأمير مجد الدين النائب في حلب قد رتب في الطرقات من يحفظ السالكين فيها فظفر المقيم في منبج برجل جمال من اهل دمشق ومعه كتب فأنفذ بها الى مجد الدين متولى حلب فلما وقف عليها امر بصلب متحملها وانفذها في الحال الى نور الدين فوجدها من امين الدين زين الحاج ابى القاسم متولى ديوانه ومن عز الدين والى القلعة مملوكه ومن محمد جفرى احد اصحابه الى اخيه نصره الدين امير اميران صاحب حران بأعلامه بوقوع اليأس من اخيه ويحضونه على المبادرة والأسراع الى دمشق

لتسلم اليه فلما عرف نور الدين ذلك عرض الكتب على اربابها فاعترفوا بها فأمر باعتقالهم وكان رابعهم سعد الدين عثمان وكان قد خاف فتهرب قبل ذلك بيومين ووردني الحال كتاب صاحب قلعة جعبر يخبر بقطع نصرة الدين الفرات مجداً الى دمشق فأنهض اسد الدين في العسكر المنصور لرده ومنعه من الوصول فأتصل به خبر عوده الى مقره عند معرفته بعافية اخيه فعاد اسد الدين الى دمشق ووصلت رسل الملك العادل من ناحية الموصل بجواب ما تحمله الى اخيه قطب الدين وفارقوه وقد برز في عسكره متوجها الى ناحية دمشق فلما فصل عن الموصل اتصل به خبر عافيته فاقام بحيث هو وانفذ وزيره جمال الدين ابا جعفر محمد بن علي لكشف الحال فوصل الى دمشق ثامن صفر في احسن زي واهي تجمل وخرج الى لقائه الخاق كثير قال وهذا الوزير قد الهمه الله تعالى من جميل الأفعال وحميد الخلال وكرم النفس وانفاق امواله في ابواب البر والصدقات والصلوات ومستحسن الآثار في مدينة الرسول عليه السلام ومكة ذات الحرم والبيت المعظم شرفه الله تعالى ما قد شاع ذكره وتضاعف عليه حمده وشكره (١) واجتمع مع نور الدين وجرى بينهما من المفاوضات والتقريرات ما انتهى الى عوده الى جهته بعد الأكرام له وتوفيته حقه من الاحترام واصحبه برسم قطب الدين اخيه وخواصه من الملاطفة ما اقتضته الحال الحاضرة وتوجه معه الأمير اسد الدين وقال ابن ابي طي لما وصل الوزير جمال الدين الى حلب تلقاه موكب نور الدين وفيه وجوه الدولة وكبراء المدينة وانزل في دار ابن الصوفي واكرم غاية الأكرام واعيد الى صاحبه شاكرًا عن نور الدين وسير معه الأمير اسد الدين شيركوه رسولا الى قطب الدين بالشكر له والثناء وانفذت معه هدايا سنوية

[١] نظر ترجمته في ابن الاثير في حوادث سنة ٥٥٩ وفي ابن خلدان وفي الروضتين

فسار وعاد الى حلب مكرماً فوجد نور الدين عازماً على الخروج الى دمشق لما بلغه من افساد الفرنج ثم انهض اسد الدين في قطعة من العسكر للأغارة على صيدا فسار ومعه اخوه نجم الدين ايوب واولاده ولم يشعر الفرنج الا وهو قد عاث في بلد صيدا وقتل واسر عالماً عظيماً وغنم غنيمة جليلة وعاد فاجتمع بنور الدين على جسر الخشب قلت وهذا هو ما تقدم ذكره بعد المرضة الأولى وكأن ابن ابي طي جعل المرضتين واحدة بحلب وابو يعلى ذكران الأولى بحلب والثانية بدمشق وهو اصح اه

سنة ٥٥٥

قال في تحف الأنباء في سنة خمس وخمسين وخمسمائة تاسع ذى القعدة سار رينلد ملك انطاكية الى البلاد التي اخذها نور الدين من جوسلين ونهب البلاد التي كانت بها الأرمن والسريان فقط فلما رجع الى انطاكية قبل وصوله اليها خرج اليه مجد الدين نائب حلب وصحبته العساكر وحاربه واخذه اسيراً ووضع في رجليه قيلاً واحضره الى حلب اه

سنة ٥٥٧

ذكر حصن نور الدين حارم

قال ابن الأثير في هذه السنة جمع نور الدين محمود بن زنكي العساكر بحلب وسار الى قلعة حارم وهي للفرنج غربى حلب (قدمنا اخذهم لها سنة ٥٥٣) فحصرها وجد في قتالها فامتنت عليه بمصانتها وكثرة من بها من فرسان الفرنج ورجالهم وشجعانهم فلما علم الفرنج ذلك جمعوا فارسهم ورجالهم من سائر البلاد وحشدوا واستعدوا وساروا نحوه ليرحلوه عنها فلما قاربوه طلب منهم المصاف فلم يجيبوه

اليه وراسلوه وتلطفوا الحال معه فلما رأى انه لا يمكنه اخذ الحصن ولا يجيبونه الى المصاف عاد الى بلاده وممن كان معه في هذه الغزوة مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن منقذ الكنانى وكان من الشجاعة فى الغاية فلما عاد الى حلب دخل الى مسجد شيزر وكان قد دخله فى العام الماضى سائراً الى الحج فلما دخله الآن كتب على حائطه

لك الحمد يامولاي كم لك منة * علي وفضل لا يحيط به شعركى
نزلت بهذا المسجد العام قافلا * من الغزو موفور النصيب من الأجر
ومنه رحلت العيس فى عامي الذى * مضى نحو بيت الله والركن والحجر
فأديت مفروضي واسقطت ثقل ما * تحملت من وزر الشبية عن ظهري

سنة ٥٥٨

ذكر انهزام نور الدين محمود من الفرنج

قال ابن الأثير فى هذه السنة انهزم نور الدين محمود بن زنكى من الفرنج تحت حصن الأكراد [بلدة صغيرة قريبة من طرابلس فوق جبل عال يراها المتوجه من حصن الى طرابلس من بعيد]
وهى الواقعة المعروفة بالبقعة تحت حصن الأكراد محاصراً لها وعازماً على قصد طرابلس ومحاصرتها فبينما الناس يوماً فى خيامهم وسط النهار لم يرعهم الا ظهور الفرنج من وراء الجبل الذى عليه حصن الأكراد وذلك ان الفرنج اجتمعوا واتفق رأيهم على كبسة المسلمين نهارة فأنهم يكونون آمنين فركبوا من وقتهم ولم يتوقفوا حتى يجمعوا عساكرهم وساروا مجدين فلم يشعر بذلك المسلمون الا وقد قربوا منهم فإرادوا منعهم فلم يطيقوا ذلك فأرسلوا الى نور الدين يرفونه الحال

فرهقهم الفرنج بالحملة فلم يثبت المسلمون وعادوا يطلبون معسكر المسلمين والفرنج في
 ظهورهم فوصلوا معا الى المعسكر النورى فلم يتمكن المسلمون من ركوب الخيل واخذ
 السلاح الا وقد خالطوهم فاكثروا القتل والأسر وكان اشدم على المسلمين
 الدوقس الرومى فإنه كان قد خرج من بلاده الى الساحل في جمع كثير من الروم
 فقاتلوا محتسبين في زعمهم فلم يبقوا على احد وقصدوا خيمة نور الدين وقدركب
 فيها فرسه ونجا بنفسه ولسرعتة ركب الفرس والشبعة في رجله فنزل انسان
 كردى قطعها فنجا نور الدين وقتل الكردى فأحسن نور الدين الى مخلفيه
 ووقف عليهم الوقف ونزل نور الدين على بحيرة قدس بالقرب من حمص وبينه
 وبين المعركة اربع فراسخ وتلاحق به من المعسكر وقال له بعضهم ليس من رأى
 ان تقيم ههنا فان الفرنج ربما حملهم الطمع على المجى الينا فتؤخذ ونحن على هذا
 الحال فوبخه واسكته وقال اذا كان معى الف فارس لقيتهم ولا ابالى بهم ووالله
 لا استظل بسقف حتى آخذ بشارى وثار الأسلام ثم ارسل الى حلب ودمشق
 واحضر الاموال والثياب والخيام والسلاح والخيل فأعطى الناس عوض ما اخذ
 جميعه بقولهم فعاد المعسكر كأن لم تصبه هزيمة وكل من قتل اعطي اقطاعه
 لأولاده واما الفرنج فأنهم كانوا عازمين على قصد حمص بعد الهزيمة لأنها اقرب
 البلاد اليهم فلما بلغهم نزول نور الدين بينها وبينهم قالوا لم يفعل هذا الا وعنده
 قوة يمنعنا بها ولما رأى اصحاب نور الدين كثرة خروجه قال له بعضهم ان لك
 في البلاد ادرات وصدقات كثيرة على الفتهاء والفقراء والصوفية والقراء فلو
 استعنت بها في هذا الوقت لكان اصلح فغضب من ذلك وقال والله انى لا ارجو
 النصر الا باولئك فانما تنصرون بضعفائكم كيف اقطع صلوات قوم يقاثلون
 عنى وانا نائم على فراشى بسهام لا تخطى واصرفها الى من لا يقايل عنى الا اذا رآنى

بسهم قد تصيب وقد تخطى وهو لاء القوم لهم نصيب في بيت المال كيف
يحل لي ان اعطيه غيرهم ثم ان الفرنج راسلوا نور الدين يطلبون منه الصلح فلم
يجيبهم وتركوا عند حصن الأكراد من بحميه وعادوا الى بلادهم اه
اقول دعاني الى ذكر هذه الواقعة بالأصالة وان كان مكانها خارجا عن ولاية
الشهباء لأنها كانت السبب للوقعة التي بعدها علي حصن حارم فذكرناها
تمهيدا لتلك

(سنة ٥٥٩)

ذكر فتح حارم

قال في الروضتين قال العماد الكاتب في سنة تسع وخمسين اغتشم نور الدين
خلو الشام من الفرنج وقصدهم واجتمعوا على حارم فضرب معهم المصاف فرزقه
الله تعالى الانتقام منهم فأسرهم وقتلهم ووقع في الأسار ابرنس انطاكية وقومص
طرابلس وابن الجوسلين ودوك الروم وذلك في رمضان وقال في الخريدة كانت
نوبة البقية نوبة عظيمة على المسلمين وافلت نور الدين في اقل من عشرة من
عسكره ثم كسر الفرنج بعد ثلاثة اشهر على حارم وقتل في معركة واحدة منهم
عشرين الفا واسر من نجا واخذ القومص والابرنس والدوقس وجميع ملوكهم
وكان منحا عظيما وفتحنا مبينا قال ابن الأثير والسبب في هذا الفتح ان نور
الدين لما عاد منهزما على ما سبق من غزوة ناحية حصن الاكراد اقبل على الجد
والاجتهاد والاستعداد للجهات والاخذ بثاره وغزو العدو في عقر داره وارتق
ذلك الفتق ويمحو سمة الوهن وبميد رونق الملك فراسل اخاه قطب الدين
بالموصل وفخر الدين قرا ارسلان بالحصن ونجم الدين الي بماردين وغيرهم من

اصحاب الاطراف اما قطب الدين انابك فانه جمع عساكره وسار مجداً وعلى مقدمة عسكره زين الدين نائبه واما فخر الدين قرا ارسلان فإنه بلغني عنه انه قال له خواصه على اي شيء عزمتم فقال على القعود فان نور الدين قد تمشف من كثرة الصوم والصلاة فهو يلقي نفسه والناس معه في المهالك وكلهم واقفه على ذلك فلما كان الغد امر بالبدء في العسكر بالتجهز للغزاة فقال له اولئك ما عدا مما بدا فارقناك بالامس على حال ونرى الآن ضدها فقال ان نور الدين قد سلك معي طريقاً ان لم انجده خرج اهل بلادى عن طاعتى واخرجوا البلاد عن يدي فإنه كاتب زهادها وعبادها المقطمون عن الدنيا يذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنج وما نالهم من القتل والاسر والنهب ويستمد منهم الدعاء ويطلب منهم ان يحثوا المسلمين على الغزاة فقد قعد كل واحد من اولئك ومعه اتباعه واصحابه وهم يقرؤون كتب نور الدين ويبكون ويلعنونني ويدعون علي فلا بد من اجابة دعوته ثم تجهز ايضاً وسار الى نور الدين بنفسه . واما نجم الدين الهي فإنه سير عسكراً فلما اجتمعت العساكر سار نحو حارم فنزل عاينها وحصرها وبلغ الخبر الى من بقى من الفرنج بالساحل انه لم يسر الى مصر فحشدوا وجاؤا ومقدم الفرنج البرنس صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس واعمالها وابن جوساين وهو من مشاهير الفرنج وابطالها والدوك وهو رئيس الروم ومقدمها وجمعوا معهم من الراجل مالا يقع عليه الاحصاء قدملاً والارض وحجبوا بقسطلهم السماء فحرض نور الدين اصحابه وفرق نفائس الاموال على شجبان الرجال فلما قارب الفرنج رحل عن حارم الى ارتاح وهو الى لقائهم مرتاح وانما رحل طمعاً ان يتبعوه ويتمكن منهم اذا لقوه فساروا حتى نزلوا علي عم وهو على الحقيقة تصحيف ما لقوه من الغم ثم تيقنوا انه لا طاقة لهم بقتاله ولا قدرة لهم على نزاله

فعادوا الى حارم وقد حرمتهم كل خير وتبهم نور الدين فلما تقاربوا اصطفوا للقتال وبدأت الفرنج بالحملة على ميمنة الساميين وبها عسكر حلب وصاحب الحصن فخر الدين فبددوا نظامهم وزلزلوا اقدامهم وولوا الأدبار وتبهم الفرنج وكانت تلك الغرة من الميمنة عن افاق ورأى دبروه ومكر بالعدو مكروه وهو ان يبعدوا عن راجلهم فيحيل عليهم من بقي من الساميين ويضعوا فيهم السيوف ويرغموا منهم الانوف فاذا عاد فرسانهم من اثر المهزومين لم ياتوا راجلا ياجون اليه ويعود المهزومون في آثارهم وتأخذهم سيوف الله من بين ايديهم ومن خلفهم فكان الأمر على مادبروا فان الفرنج لما تبعوا المهزومين عطف زين الدين في عسكر الموصل على راجلهم فأفناهم قتلا واسرا وعادت خيالهم ولم يمنعوا في الطلب خوفاً على راجلهم من الطلب فصادفوا راجلهم على الصعيد معقرين وبدمائهم مخرجين فسقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا وخضعت رقابهم وذلوا فلما رجعوا عطف المهزومون اعنتهم وعادوا فبقي العدو في الوسط وقد احرق بهم المسلمون من كل جانب فحيشد حمي الوطيس وحاربوا حرب من ايس من الحياة واتقضت المساكر الإسلامية عليهم اتقضاض الصقور على بغاث الطيور فترقوهم بددا وجعلوهم قددا فالقى الفرنج بأيديهم الى الأسار وعجزوا عن الهزيمة والفرار واكثر المسلمون فيهم القتل وزادت عدة القتلى على عشرة آلاف واما الاسرى فلم يحصوا كثرة ويكفيك دليلا على كثرتهم ان ملوكهم اسروا وهم الذين ذكروا من قبل وسار نور الدين بعد الكسرة الى حارم فلما في الحادي والعشرين من رمضان و اشار اصحابه عليه بالسير الى انطاكية ليملكها لخلوها ممن يحميها ويدفع عنها فلم يفعل وقال اما المدينة فأمرها سهل واما القلعة التي لها فهي منيعة لا تؤخذ الا بعد طول حصار واذا ضيقنا عليهم ارسلوا الى

صاحب القسطنطينية وسلموها اليه ومجاورة بيمند احب الي من مجاورة ملك الروم
وبث سراياه في تلك الأعمال والولايات فنهبوا وسلبوا واوغلوا في البلاد حتى
بلغوا اللاذقية والسويدا وغير ذلك وعادوا سالمين ثم ان نور الدين اطلق بيمند
صاحب انطاكية بمال جزيل اخذه منه واسرى كثيرة من المسلمين اطلقهم وقال
الحافظ ابو القاسم كسر نور الدين الروم والأرمن والفرنج على حارم وكان
عدتهم ثلاثين الفا قال ووقع بيمند في اسره في نوبة حارم وباعه نفسه بمال
عظيم انفق في الجهاد قلت وبلغني ان نور الدين رحمه الله لما التقى الجمعان او
قبيله انفرد تحت تل حارم وسجد لربه عز وجل ومرغ وجهه وتضرع وقال
يارب هؤلاء عبيدك وهم اولياؤك وهؤلاء عبيدك وهم اعداؤك فأنصر اولياؤك
على اعدائك ايش فضول محمود في الوسط يشير الى انك يارب ان نصرت المسلمين
فدينك نصرت فلا تمنعهم النصر بسبب محمود ان كان غير مستحق للنصر وبلغني
انه قال اللهم انصر دينك ولا تنصر محمود من هو محمود الكلب حتى ينصرو جري
بسبب ذلك منام حسن نذكره في اخبار سنة خمس وستين عند رحيل الفرنج
عن دمياط بعد نزولهم عليها وهذا فتح عظيم ونصر عزيز انعم الله به على نور
الدين والمسلمين مع ان جيشه عامئذ كان منه طائفة كبيرة بمصر مع شركوه اه
وقال في حوادث سنة خمس وستين بلغني ان اماما لنور الدين رأى ليلة رحيل
الفرنج عن دمياط في منامه النبي صلى الله وسلم وقال له اعلم نور الدين ان الفرنج
قد رحلوا عن دمياط في هذه الليلة فقال يا رسول الله ربما لا يصدني فاذا كر لي
علامة يعرفها فقال قل له بعلامة ما سجدت على تل حارم وقات يارب انصر دينك
ولا تنصر محمودا من هو محمود الكلب حتى ينصر قال فانتبهت ونزلت الى المسجد
وكان من عادة نور الدين انه كان ينزل اليه بغلس ولا زال يركع فيه حتى يصلي

الصباح قال فتعرضت له فسأني عن امرى فأخبرته بالنام وذكرت له العلامة
الا اننى لم اذكر لفظه الكلب فقال نور الدين اذكر العلامة كلها والح علي في ذلك
فقلتها فبكى رحمه الله وصدق الرؤيا فأرخت تلك الليلة فجاء الخبر برحيل الفرنج
بعد ذلك في تلك الليلة اه

سنة ٥٦٢

عصيان غازي ابن حسان صاحب منبج على نور الدين

قال ابن الأثير في هذه السنة عصى غازي ابن حسان المنبجي على نور الدين
محمود بن زنكي وكان نور الدين قد اقطعه مدينة منبج فأمتنع عليه فيها فسير
عسكراً فحصره واخذوها منه فاقطعها نور الدين اخاه قطب الدين ينال بن
بن حسان وكان عادلاً خيراً محسناً الى الرعية جميل السيرة فبقى فيها الى ان
اخذها منه صلاح الدين يوسف ابن ايوب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة اه
قال في الروضتين في حوادث سنة ٥٦٣ كان ابن حسان صاحب منبج قد ساءت
افعاله فبعث اليه نور الدين من حاصره واتزعاها منه ثم توجه نور الدين اليها
لتهذيب احوالها ومدحه العماد الكاتب بقصيدة منها يقول

بشرى الممالك فتح قلعة منبج * فليهن هذا النصر كل متوج
اعطيت هذا الفتح مفتاحاً به * في الملك يفتح كل باب مرتج
واني يبشر بالفتوح وراه * فلنفض اليها بالجيش وعرج
ابشر فبيت القدس يتلو منبجا * ولنبيج لسواه كالانموذج
ما اعجزتك الشهب في ابراجها * طابا فكيف خوارج في ابرج
ولقدر من يمصيك احقران يرى * اثر العبوس بوجهك المتبلج

لكن تهذب من عصاك سياسة * في ضمنها تقويم كل معوج
 فأنهض الى بيت المقدس غازياً * وعلى طرابلس ونابلس عيج
 قدسرت في الاسلام احسن سيرة * مأتورة وسلكت اوضح منهج
 وجميع ما استقرت من سنن الهدى * جدت منه كل رسم مبهج
 قال العمادوسار نور الدين من منبج الى قلعة النجم وعبر الفرات الى الرها وكان بها
 ينال صاحب منبج وهو سيد الرأي رشيد المهج فقله اليها مطعماً وواليا واقام
 نور الدين بقلعة الرها مدة

سنة ٥٦٣

قال في الروضين في حوادث هذه السنة ذكر العماد ان نور الدين رحل الى حمص
 ثم مضى الى حماة ثم شق في قلعة حلب ومعه الاسد والصلاح ونزل العماد بمدرسة
 ابن العجمي وكتب الى صلاح الدين يوسف ابن ايوب وقد عثر فرسه في
 الميدان وهو يلعب بالكرة رحمه الله تعالى

لا تنكرن لساح عثرت به * قدم وقد حمل الخضم الزاخرا
 القى على السلطان طرفك طرفه * فهو هنالك للسلام مبادرا
 سبق الرياح يجره وكففته * عنها فليس على خلافا قادرا
 ضمنت قواه اذا تذكر انه * في السرج منك يقل ليثا قادرا
 ومتى تطيق الريح طوداً شاغماً * او يستطيع البرق جوناً ماظراً
 فاعذر - قوط البرق عند مسيره * فالبرق يسقط حين يخطف سائراً
 وافل جوادك عثرة ندرت له * ان الجواد لمن يقيل العائرا
 وتوق من عين الحسود وشرها * لا كان ناظره بسوء ناظرا
 واسلم نور الدين سلطان الوردى * في الحادثات ماضداً ومؤآزرا

فأذا صلاح الدين دام لاهله * لم يحدروا للدهر صرفاً ضاراً
اقول قدمنا في حوادث السنة الماضية خبر عصيان غازي بن حسان صاحب منبج
وان نور الدين توجه سنة ٥٦٣ واخذها منه واطعمها اخاه ينال ابن حسان
وتوجه منها الى الرها واقام بها مدة قال في الروضتين وقد مدحه العماد الكاتب
وهو مقيم على الرها في هذه السنة بقصيدة وتحجب له صلاح الدين في عرضها وهي

ادركت من امر الزمان المشتبهى * وبلغت من نيل الأمانى المنتهى
وبقيت في كنف السلامة آمنة * منكوما بالطبع لا متكرها
لازلت نور الدين في فلك الهدى * ذاعزة للعالمين بها البها
ياحبي العدل الذي في ظلمه * من عدله رعت الأسود مع المها
محمودُ محمود من ايامه * لبهاثها ضحك الزمان وقهقهها
مولى الورى مولى الندى على الهدى * مردى العدى مسدى الجدى معطى اللها
آراؤه بصوابها مقرونة * وبمقتضاها دائر فلك النها
متلبس بحصافة وحصانة * متقدس عن شوب مكر او دها
يامن اطاع الله في خلواته * متأوبا من خوفه متأوها
ابدا تقدم في المعاش لوجهه * عملاً يبيض في المهاد الأوجها
كل الأمور وهي وامرك مبرم * مستحکم لانقص فيه ولاوها
ما صين عنك الصين لو حاولتها * والمشرقان فكيف منبج والرها
مالملوك لدى ظهورك رونق * واذا بدت شمس الضحى خفي السها
ان الملوك لهوا وانك من غدا * وبماله والملك منه مالها
شرهت نفوسهم الى دنياهم * وابى لنفسك زهدا ان تشرها
مأمت عن خير ولم يك نائماً * من لا يزال على الجميل منبها

اخملت ذكر الجاهلين ولم تزل * ملكا بذكر العالمين منوها
 ورأيت إرعاء الرعايا واجبا * تغنى فقيرا او تجير مدحا
 لرضاهم متحفظا ولما لهم * منفقدا ولدينهم متفقها
 وبما به امر الآله امرتهم * من طاعة ونهيتهم عما نهى
 عن رحمة لصغيرهم لم تشتغل * عن رافة لكبيرهم إن تشدها
 باليأس عندك أمل لم يمتحن * بالرد دونك سائل إن يجبهها
 اتعبت نفسك كي تنال رفاة * من ليس يتعب لا يعيش صرفها
 فقت الملوك سماحة وحماسة * حتى عد منا فيهم لك مشبهها
 ولك الفخار على الجميع فدوهم * اصبحت عن كل العيوب منزها
 وارك تحمل حين تصبح ساخطا * ويكاد غيرك ساخطا ان يسفها

قال صاحب الروضتين رحم الله العماد فقد نظم اوصاف نور الدين الجليلة
 بأحسن لفظ وارقه (١) وهذا البيت الأخير مؤكدا لما نقلناه في اول الكتاب من
 قول الحافظ ابى القاسم بن عساكر في وصف نور الدين انه لم يستمع منه كلمة
 فحش في رضاه ولا في ضجره وقل من الملوك من له حظ من هذه الأوصاف
 الفاضلة والنعوت الكاملة قال العماد ثم عاد نور الدين الى حلب في شهر رجب
 وضربت خيمته في رأس الميدان الأخضر قال وكان مولعا بفرب الكرة
 وربما دخل الظلام فلمب بها بالشموع في الليلة المسفرة ويركب صلاح الدين
 مبكرا كل بكرة وهو عارف بأدائها في الخدمة وشروطها المعتبرة قال واقطعه
 في تلك السنة ضيعتين احدهما من ضياع حلب والأخرى من ضياع كفرطاب

(١) اقول العماد الكتاب ليس من الشعراء المجيدين ونثره خير من نظمه

سنة ٥٦٤

ذكر ملك نور الدين قلعة جعبر

قال في الروضتين في اول هذه السنة ملك نور الدين رحمه الله قلعة جعبر واخذها من صاحبها شهاب الدين بك ابن علي بن بك العقيلي من آل عقيل من بنى المسيب وكانت بيده ويد آبائه من قبله من ايام السلطان ملكشاه وقد تقدم ذكر ذلك وهي من امنع الحصون واحسنها مطلة على الفرات لا يطمع فيها بحصار وقد اعجز جماعة من الملوك اخذها منه وقتل عليها عماد الدين زنكي والد نور الدين ثم اتفق ان يخرج صاحبها منها يوماً يتصيد فصاده بنو كلب فأخذوه اسيراً واوثقوه وحملوه الى نور الدين فتقربوا به اليه ورغب في الأقطاع والمال ليسلم اليه القلعة فلم يفعل فعدل به نور الدين الى الشدة والعنف وتهده فام يفعل ايضاً فسير اليها عسكرياً مقدمه الأمير فخر الدين مسعود بن ابي علي الرعفراني فحصرها مدة فلم يظفر منها بشيء فأمدم بمسكر آخر وجعل على الجميع الأمير مجد الدين ابا بكر المعروف بأبن الداية وهو اكبر امراء نور الدين ورضيعة ووالى معاقلة فاقام عليها وطاف حواليتها فلم ير له في فتحها مجالاً ورأى اخذها بالحصر متعذراً محالاً فسلك مع صاحبها طريق اللين واثار عليه بأخذ العوض من نور الدين ولم يزل يتوسط معه حتى اذعن على ان يمطى سروج واعمالها والملاحة التي في عمل حلب والباب وزيارة وعشرين الف دينار معجلة فأخذ جميع ماشرطه محسرها في صورة مختار قال ابن الأثير وهذا اقطاع عظيم جداً لكنه لاحظ فيه وتسلم مجد الدين قلعة جعبر وصعد اليها متصفاً المحرم ووصل كتابه الى نور الدين بحاب فسار اليها وصعد القسامة في العشرين من المحرم ثم

سلسها نور الدين الى مجد الدين ابن الداية فولاهها اخاه شمس الدين علي وكان هذا آخر امر بني بلك ولكل امر حد ولكل ولاية نهاية يؤتي الله الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء قال ابن الأثير بلغني انه قيل لشهاب الدين ايما احب اليك واحسن مقاما سروج والشام ام القلعة فقال هذا اكثر مالا والعز بالقلعة فارقتاه اه

وفيها في سابع صفر من هذه السنة توفي بهاء الدين عمر اخو مجد الدين ابن الداية وفيه وفي اخويه يقول العماد الكاتب من قصيدة

انتم محمود كآل محمد * متصادفي الأفعال والاسماء
 يتلوا ابا بكر على حسنانه * عمر المدح في سنا وسناء
 ويليه عثمان المرجى للعلا * وعليّ المأمول في اللأواء
 وتقبل الحسن المجيد مجدم * فهم ذوو الأحسان والنعاء
 فرعت لمجد الدين اخوته الذرى * دون الورى في المجد والعلياء
 من سابق كرما وشمس ساده * شرفا وبدر دجنة وبهاء
 سرج الهدى سحب الندى شهب النهى * اسد الحروب ضراغم الهيجاء

يريد سابق الدين عثمان وشمس الدين علي وبدر الدين حسن وبهاء الدين عمر ومجد الدين هو الأكبر فهم خمسة رحمهم الله تعالى

وفي هذه السنة فتحت الديار المصرية سار اليها اسد الدين شيركوه عم صلاح الدين مرة ثالثة فهزم العدو وقتل شاورا (وزير مصر) وولي الوزارة مكانه ثم مات فوليها صلاح الدين وساق في الروضتين تفاصيل ذلك

قال ابن خلكان توفي اسد الدين شيركوه بالقاهرة ودفن بها ثم نقل الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مدة بوصية منه رحمه الله وقال ابن شداد

في سيرة صلاح الدين ان اسد الدين كان كثير الأكل شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة تتواتر عليه التخم والخوانيق وينجو منها بعد مقاساة شديدة عظيمة فأخذه مرض شديد واعتراه خانوق عظيم فقتله في التاريخ المذكور (ثم قال) وشيركوه لفظ اعجمي تفسيره بالعربي اسد الجبل فشير اسد وكوه جبل . ومن آثاره بحلب (المدرسة الأُسدية) قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة هي الآن متلاشية كغيرها وهي بالقرب من الشميبة اه
ومن آثاره جامع بالحاضر الساجاني ذكره ابن شداد في الأعلام الخطيرة قال ووسع بناءه الأمير سيف الدين علي ابن علم الدين سايجان بن جندر وبني الى جانبه مدرسة وتربة ودفن بها تقام به الخطبة وهذا الجامع خراب وسد باباه قال في الروضتين وفي هذه السنة احترق جامع حلب واسواق البر واخذ نور الدين في عمارته آخر الدية اه

سنة ٥٦٥

ذكر الزلازل بالبلاد الشامية وغيرها

قال ابن الأثير في هذه السنة ايضاً ثاني عشر شوال كانت زلازل عظيمة متتابعة هائلة لم ير الناس مثلاً وعمت أكثر البلاد من الشام والجزيرة والموصل والعراق وغيرها من البلاد واشدها كان بالشام فخرت كثيراً من دمشق وبعليك وحمص وحماة وشيزر وبعمرين وحلب وغيرها وتهدمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على اهلها وهالك منهم ما يخرج عن الحد فلما اتاه الخبر سار الى بعليك ليعمر ما انهدم من سورها وقلعته فلما وصلها اتاه خبر باقي البلاد وخراب اسوارها وقلاعها وخلوها من اهلها فجعل بعليك من بعمرها ويحفظها وسار الى

حصص ففعل مثل ذلك ثم الى حماة ثم الى بعين وكان شديد الحذر على سائر البلاد من الفرنج ثم اتى مدينة حلب فرأى فيها من آثار الزلزلة ما ليس بنيرها من البلاد فأنها كانت قد انت عليها وبلغ الرعب ممن نجوا كل مبلغ وكانوا لا يقدرين بأوون مساكنهم خوفا من الزلزلة فأقام بظاهاها وباشر عمارتها بنفسه فلم يزل كذلك حتى احكم اسوار البلاد وجوامعها واما بلاد الفرنج فأن الزلازل ايضا عمات بها كذلك فاشتغلوا بعمارة بلادهم خوفا من نور الدين عليها فاشتغل كل واحد منهم بعمارة بلاده خوفا من الآخر اه

قال فى الروضتين قال العماد فى هذه السنة عند وصولنا الى حلب فى الخدمة النورية كنت مقرظا للفضائل الشهرزورية وكان الحاكم بها القاضي محى الدين ابا حامد محمد بن قاضى قضاة الشام كمال الدين ابي الفضل محمد بن عبد الله ابن القاسم الشهرزورى وكان كمال الدين قد علق به تنفيذ الأحكام واليه امور الديوان وهو ذو المكانة والأمكان فى بسط العدل والأحسان ومحى الدين ولده ينوب عنه فى القضاء بحلب وبلدانها وبنظر ايضا فى امور ديوانها وجماعة وحصص من بنى الشهرزورى قاضيان وهما حاكمان متحكمان وكان هذا محى الدين من اهل الفضل وله نظم ونثر وخطب وشعر وكانت معرفتى به فى ايام التفقه ببغداد فى المدرسة النظامية منذ سنة خمس وثلاثين والمدرس شيخنا معين الدين سعيد ابن الرزاز وكان مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه بمامه معلما مذهب الطراز وكانت الزلزلة بحلب قد خربت دار محى الدين وسلبت قراره وغلبت اصطبارة وحلبت افكاره فكتب الىه قصيدة مطلعها

لو كان من شكوى الصبابة مشكيا * لعدا على عدوى الصبابة معديا
مات الرجاء فأن اردت حيانه * ونشوره فارح الأمام المحيا

اقصى القضاة محمد بن محمد * من لست منه للفضائل محصيا
 قاض به قضت المظالم نجبها * وغدا على آتاهن معقيا
 ياكاشعا للحق في ايامه * غررا يدوم لها الزمان منطيا
 لم تنعش الشهباء عند عثاها * لو لم تجدك لطود حاكم مرسيا
 رجفت لسطوتك التي ارساتها * نحو الطنأة لحد عزمك ممهيا
 وتظلمت من شرهم فتملمت * عجل اجازتها عليها مبقيا
 انفت من الثقلاء فيها اذمرت * انقالها ورأناك منها ملجيا
 حلب لها حلب المدامع مسبل * ان لافت الخطب الفظيع المبكيا
 وبمدل نور الدين عاود اققها * من بعد غيم النجم جوا مصحيا
 اضحى لبهجتها معيدا بعد ما * ذهبت وللمعروف فيها مبديا
 لامورها متدبرا لشناتها * منأفا لصلاحها متوليا
 فالشرع عاد بعداه مستظهرا * والحق عاد بظله مستذريا
 والدهر لاذ بعفوه مستغفرا * مما جناه مطرقا مستحييا

قال ابن الأثير في هذه السنة في ذي الحجة مات قطب الدين مودود بن زكي
 اخو نور الدين محمود صاحب الموصل بالموصل ولما اشتد مرضه اوصى بالملك
 بعده لأبنة الأكبر عماد الدين زكي وعدل عن ابنة الآخر سيف الدين غازي
 وساق ابن الأثير سبب عدوله

سنة ٥٦٦

ذكر ملك نور الدين الموصل واقرار سيف الدين

قال في الرضتين قال ابن الأثير لما بلغ نور الدين وفاة اخيه قطب الدين وملك

ولده سيف الدين بعده واستيلاء فخر الدين عبد المسيح واستبداده بالأموار وحكمه على سيف الدين انف من ذلك وكبر لديه وشق عليه وكان يبغض عبد المسيح لما يبلغه من خشونته على الرعية والمبالغة في إقامة السياسة وكان نور الدين رحمه الله لينا رفيقا عادلاً فقال أنا أولى بتدبير بني أخي وملكهم ثم سار من وقته فعبير الفرات عند قلعة جمبر أول المحرم وقصد الرقة فامتنع النائب بها شيئاً من الأمتناع ثم سلمها على شيء اقترحه فاستولى نور الدين عليها وقرر أمورها وسار إلى الحابور فلما جئته ثم ملك نصيبين واقام بها يجمع العساكر فإنه كان قد سار جريدة فأناه بها نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن وديار بكر واجتمعت عليه العساكر وترك أكثر عسكره بالشام لحفظ نفوره واطرافه من الفرنج وغيرهم فلما اجتمعت العساكر سار إلى سنجار فحصرها واقام عليها ونصب المجانيق وكان بها عسكر كبير من الموصل فكاتبه عامة الأمراء الذين بالموصل يحثونه على السرعة اليهم ليساموا البلد إليه وأشاروا بترك سنجار فلم يقبل منهم وقام حتى ملك سنجار وسامها إلى ابن أخيه الأكبر عماد الدين زنكي ثم سار إلى الموصل فأتى مدينة باد وعبر دجلة في مخاضة عندها إلى الجانب الشرقي وسار فزل شرقي الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل إلى أن قال وحصر نور الدين الموصل فلم يكن بينهم قتال وكان هوى كل من بالموصل من جندي وعامي معه لحسن سيرته وعدله وكاتبه الأمراء يعامونه على الوثوب على عبد المسيح وتسليم البلد إليه فلما علم عبد المسيح ذلك راسله في تسليم البلد إليه وتقديره على سيف الدين ويطلب الأمان وانقطاعاً يكون له فأجابته إلى ذلك وقال لا سبيل إلى ابقائه بالموصل بل يكون عندي بالشام فأني لم آت لا آخذ البلاد من اولادي وانما جئت لأخلص الناس منك واتولى أنا تربية اولادي

فاستقرت القاعدة على ذلك وسامت الموصل اليه فدخلها ثالث عشر جمادى الاولى
وسكن القلعة واقرب سيف الدين غازى على الموصل وولى بقلعتها خادما يقال
له سعد الدين كمشكين وجعله دزداراً فيها وقسم جميع ماخافه اخوه قطب الدين
بين اولاده بمقتضى الفريضة ولما كان يحاصر الموصل جاءته خلعة من الخليفة
فلبسها فلما دخل الموصل خلعها على سيف الدين واطلق المكوس جميعها من
الموصل وسائر ما فتحه من البلاد وامر ببناء الجامع النوري بالموصل بني واقامت
الصلاة فيه سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة واقام بالموصل نحو عشرين يوماً وسار
الى الشام فقيل له انك تحب الموصل والمقام بها ونراك اسرعت العود فقال قد
تغير قلبي فيها فان لم افارقها ظلمت وبمغنى ايضا اني هاهما اكون مرابطاً للعدو
وملازماً للجهاد ثم اقطع نصيبين والخابور العساكر واقطع جزيرة ابن عمر سيف
الدين غازى ابن اخيه مع الموصل وعاد الى الشام ومعه عبد المسيح فقير اسمه
وسماه عبد الله واقطعه اقطاعاً كثيراً ثم ساق في الروضتين ما ذكره العماد الكاتب
في ملك نور الدين الموصل الى ان قال لما دخل الموصل جدد مناشير اهل المصاب
وتوقيعات ذوى المرائب من القضاء والتقابة وغيرهما وامر بأسقاط جميع المكوس
والضرائب وانشأ بذلك منشورا يقرأ على الناس فيه (قد قنعنا من كثر الأموال
باليسير من الحلال فسحقا للسحت ومحققا للحرام الحقيقي بالمت وبعدا لما يبعد من
رضى الرب ويقصى من غل القرب وقد استخرنا الله وتقربنا اليه وتوكلنا في
في جميع الاحوال عليه وتقدمنا بأسقاط كل مكس وضرية في كل ولاية لن
بعيدة او قريبة وازالة كل جهة مشتبهة مشوبة ومحو كل سنة سيئة شنيعة ونفي
كل مظلمة مظلمة فظيعة واحياء كل سنة حسنة وانتهاز كل فرصة في الخير ممكنة
واطلاق كل ما جرت العادة بأخذه من الأموال المحظورة خوفاً من عواقبها

الرديئة المحذورة فلا يبقى في جميع ولايتنا جور جائر جاريا ولا عمل لا يكون به
الله راضيا ايثار الثواب الآجل على الحطام العاجل وهذا حق لله قضيناه وواجب
علينا اديناه بل هي سنة حسنة سنناها ومعجزة واضحة بيناها وقاعدة محكمة مهداها
وفائدة مغتنمة افدناها اه

ثم قال وعاد نور الدين الى سنجار فأعاد عمارة اسوارها ثم اتى حران وقد
اقتطعها عن صاحب الموصل هي ونصيبين والخابور والمجدل ووصل حلب في
خامس رجب وقال ابن شداد دخل حلب في شعبان وزوج صاحب الموصل ابنته
قال في الروضتين وصل الخبر بموت الأمام المستنجد بالله ابى المظفر يوسف
ابن المقتدى بالله ونور الدين نجيم بشرقى الموصل بتل توبة وكانت وفاته في ربيع
الآخر وبوبع ابنه المستضيء بالله وكانت خلافة المستنجد احدى عشر سنة وهو
الثانى والثلاثون من خلفاء بنى العباس وهذا العدد له بحساب الجمل اللام والباء
وفيه يقول بعض الأُدباء

اصبحت اب بنى العباس كلهم * ان عدت بحساب الجمل الخلفاء
وكان من احسن الخلفاء سيرة مع الرعية وكان عادلا فيهم كثير الرفق بهم واطلق
من المكوس كثيرا ولم يترك بالعراق مكسا وكان شديداً على اهل العيث والفساد
والسعاية بالناس

سنة ٥٦٧

ذكر اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة العبيدية

قال في الروضتين استفتح صلاح الدين ايوب هذه السنة بأقام الخطبة في الجمعة
الأولى منها بمصر لبنى العباس وفي الجمعة الثانية خطب لهم بالقاهرة وانقطع ذكر

خلفاء مصر وتوفي العاضد (آخر الخلفاء العبيديين) بالقصر يوم عاشوراء وانقضت تلك الدولة بانتها ما دام لها من العصر وكان ذلك بأمر من الملك العادل نور الدين محمود وبسط في الروضتين الأخبار في ذلك

ذكر اتخاذ نور الدين الحمام الهوادي

قال في الروضتين في هذه السنة امر الملك العادل نور الدين باتخاذ الحمام الهوادي وهي المناسيب التي تطير من البلاد البعيدة الى اوكارها فاتخذت في سائر بلاده وكان سبب ذلك انه اتسمت بلاده وطالت مملكته فكانت من حد النوبة الى باب همدان لا يتخللها سوى بلاد الفرنج وكان الفرنج ربما نازلوا بعض الثغور فألى ان يصله الخبر ويسير اليهم يكونون قد بلغوا بعض الغرض فحيثذا امر بذلك وكتب به الى سائر بلاده واجرى الجرايات لها ولرببها فوجدتها راحة كبيرة كانت الأخبار تأنيه لوقتها لأنه كان له في كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التي تجاورهم فاذا رأوا او سمعوا امرا كتبوه لوقته وعلقوه على الطائر وسرحوه الى المدينة التي هو منها في ساعة فتقل الرقعة من طائر الى طائر آخر من البلد الذي يجاورهم في الجهة التي فيها نور الدين وهكذا الى ان تصل الأخبار اليه فاتفقت الثغور بذلك حتى ان طائفة من الفرنج نازلوا تغرا له فانه الخبر ليومه فكتب الى العساكر المجاورة لذلك الثغر بالاجتماع والمسير بسرعة وكبس العدو ففعلوا ذلك فظفروا والفرنج قد امنوا لبعث نور الدين عنهم فرحم الله نور الدين ورضي الله عنه فما كان احسن نظره للرعايا وللبلاد .

قال الجلال السيوطي في اوخر تاريخه حسن المحاضرة في فصل (ذكر الحمام الرسائل) وفي سنة احدى وتسعين وخمسةائة اعتنى الخليفة الناصر لدين الله بحمام البطاقة اعتناء

زائداً حتى صار يكتب بانساب الطير المحاضر انه من ولد الطير القلاني وقيل انه بيع طير بألف دينار وقد الف القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في امور هذه الحمام كتاباً سماه تائم الحمام وذكر فيه فصلاً فيما ينبئ ان يفعله المنطق وما جرت العادة به في ذلك (الى ان قال) والذي استقرت قواعد الملك عليه ان طائر البطاقة لا يلهو الملك عنه ولا يغفل ولا يعهل لحظة واحدة فيفوت مهمات لا تستدرك اما من واصل واما من هارب واما من متجدد في الثغور ولا يقلع البطانة من الحمام الا السلطان بيده من غير واسطة احد فأن كان يأكل لا يعهل حتى يفرغ وان كان نائماً لا يعهل حتى يستيقظ بل ينبه . ثم ذكر ما قيل فيها من الشعر وما انشأه القاضي الفاضل وغيره فيها من الرسائل وذكر في الروضتين رسالة العماد الكاتب فيها ثم قال وقد بلغني عن القاضي الفاضل رحمه الله تعالى انه وصفها بالطف من هذه الأوصاف واخصر فقال (الطيور ملائكة الملوك) يشير الى ان نزولها على الملوك من جو الهواء نزول الملائكة على الأنبياء عليهم السلام من السماء مع فرط ما فيها من الأمانة لا يتوهم من جهتها خيانة

وقال في الزبد والضرع انخذ نور الدين الحمام الهوادي في سنة سبع وستين وخمسة وكتب بذلك الى جميع البلاد فاتخذت في الأبراج وكتب منشوراً لأربابها وانذار اصحابها بالتهديد لمن اصطاد شيئاً .

سنة ٥٦٨

ذكر ظفر مليح بن ليون بالروم

قال ابن الأثير في هذه السنة في جمادى الأولى هزم مليح بن ليون الأرمني صاحب بلاد الدروب المجاورة لحلب عسكر الروم من القسطنطينية وسبب ذلك

ان نور الدين كان قد استخدم مليحا المذكور واقطعه اقطاعا سنيا وكان ملازم الخدمة لنور الدين ومشاهداً لحروبه مع الفرنج ومباشراً لها وكان هذا من جيد الرأي وصائبه فان نور الدين لما قيل له في معنى استخدامه واعطائه الأقطاع في بلاد الشام قال استعين به على قتال اهل مله واربح طائفة من عسكري تكون بازائه لتمنعه من الغارة على البلاد المجاورة له وكان مليح ايضا يتقوى بنور الدين على من يجاوره من الأرمن والروم وكانت مدينة آذنة والمصيصة وطرسوس بيد ملك الروم صاحب القسطنطينية فأخذها مليح منهم لأنها تجاور بلاده فسير اليه ملك الروم جيشاً كثيفاً وجعل عليهم بعض اعيان البطارقة من آقاربه فلقبهم مليح ومعه طائفة من عسكري نور الدين فقاتلهم وصدقهم القنال وصابرهم فانهزمت الروم وكثر فيهم القتل والاسر وقويت شوكة مليح وانقطع اهل الروم من تلك البلاد وارسل مليح الى نور الدين من غنائمهم ومن الأسرى ثلاثين رجلاً من مشهورهم واعيانهم فسير نور الدين بعض ذلك الى الخليفة المستضيء بأمر الله وكتب يعتد بهذا الفتح لأن بعض جنده فعلوه .

﴿ ذكر ارسال نور الدين للخليفة يطلب منه تقليدا ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة ارسل نور الدين محمود بن زنكى رسولا الى الخليفة وكان الرسول القاضي كمال الدين ابا الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري قاضي بلاده جميعها مع الوقوف والديوان وحملة رسالة مضمونها الخدمة للديوان وما هو عليه من جهاد الكفار وفتح بلادهم ويطلب تقليدا بما بيده من البلاد مصر والشام والجزيرة والموصل وبما في طاعته كديار بكر وما يجاور ذلك كخلاط وبلاد قلع اربلان وأن يعطى من الأقطاع بسواد العراق ما كان لأبيه زنكى وهو

صريفين ودرج هارون والتمس ارضاً على شاطئ دجلة يبنيتها مدرسة للشافعية ويرقف عليها صريفين ودرج هارون فاكرم كمال الدين اكراماً لم يكرمه رسول قبله واجيب الى ما التمس فمات نور الدين قبل الشروع في بناء المدرسة رحمه الله.

قصد نور الدين بلاد قلعج ارسلان واستيلائه على مرعش

قال في الروضتين قال ابن الأثير وفي سنة ثمان وستين سار نور الدين رحمه الله نحو ولاية الملك عز الدين قلعج ارسلان بن مسعود بن قلعج ارسلان بن سايمان السلجوقي وهي ملطية وسيواس وقونية واقصرا عازماً على حربه واخذ بلاده منه وكان سبب ذلك ان ذالنون بن دانشمند صاحب ملطية وسيواس وغيرهما من تلك البلاد قصد قلعج ارسلان واخذ بلاده واخرجه عنها طريداً فريداً فسار الى نور الدين مستنجراً وملتجئاً الى ظله فاكرم نزله واحسن اليه وحمل له ما يليق ان يحمل للملوك ووعدته النصر والسعي في رد ملكه اليه وكانت عادة نور الدين انه لا يقصد ولاية احد من المسلمين الا ضرورة اما ليستعين بها على قتال الفرنج او للخوف عليها منهم كما فعل بدمشق ومصر وغيرهما فلما قصده ذوالنون راسل قلعج ارسلان وشفع اليه في اعادة ماغلبه عليه من بلاده فلم يجبه الى ذلك فسار نور الدين نحوه فابتدأ بكيسون وبهسنى ومرعش ومرزبان فملكها وما بينها من الحصون وسير طائفة من عسكره الى سيواس فملكوها وكان قلعج ارسلان لما بلغه قصد نور الدين بلاده قد سار من اطرافها التي تلي الشام الى وسطها خوفاً وفرقا وراسل نور الدين يستعطفه ويسأله الصلح والصفح عنه فتوقف نور الدين عن قصده رجاء ان ينصلح الأمر بغير حرب فأتاه من الفرنج ما ازعجه فأجابته الى الصلح وكان في جملة رسالة نور الدين اليه (اننى اريد منك اموراً وقواعد

ومهما تركت منها فلا اترك ثلاثة اشياء احدها ان تجدد اسلامك على يدرسولي حتى يحل لي اقرارك على بلاد الأسلام فأني لا اعنقدك مؤمنا وكان قلاج ارسلان يتهم باعتقاد الفلاسفة والناي اذا طابت عسكريك للفرزة تسيره فأناك قد ملكت طرفا كبيرا من بلاد الأسلام وتركت الروم وجهادهم وهاذنتهم فأما ان تكون تنجدي بعسكريك لأفانل بهم الفرنج واما ان تجاهد من مجاورك من الروم وتبذل الوسع والجهد في جهادهم

والثالث ان تزوج ابنتك لسيف الدين غازي واد اخي وذكر امورا غيرها فلما سمع قلاج ارسلان الرسالة قال ما قصد نورالدين الا الشناعة علي بالزندقة وقد اجبته الى ما طلب انا جدد اسلامي على يدرسوله واستقر الصلح وعاد نورالدين وترك عسكريه في سيواس مع فخر الدين عبد المسيح في خدمة ذي النون فبقى العسكريها الى ان مات نورالدين فرحل العسكري عنها وعاد قلاج ارسلان ملكهااه وقال في الروضتين قبل ذلك وكتب العماد وهو بمرعش مع نورالدين الى صديق له بدمشق وكان سافر عنها مع نورالدين في اطيب فصولها وهو زمن المشمش

كتابي فديتك من مرعش * وخوف نوابها مرعشى
وماصر في طرفها مبصر * صحيح النواظر الا غشى
وما حل في ارضها آمن * من الضيم والضر الا خشى
ترمحنى نشوات الغرا * م كائي من كأسه متشى
اسر واعلن برح الجوى * فقلمي يصر ودمنى يشى
بذلت لكم مهجتي رشوة * فحاصكم جبكم مرثى
وكيف يلد الكرى مغرم * بنار الغرام حشاه حشى
بمرعش ابغى وبلوطها * مضاهاة جلق والمشمش

قال العماد في الخريدة فسارت هذه القطعة ونمى حديثها الى نور الدين فاستنشدنيها
فأنشدته اياها ونحن ساثرون في واد كبير مع بيتين بدعت بهما في الحال وهما
وبالملك العادل استأنست * نجاحا منى كل مستوحش
وما في الأنام ككريم سوا * . فان كنت تنكر ذا فتش

سنة ٥٦٩

وفاة الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكى

قال ابن الأثير في هذه السنة توفي نور الدين محمود بن زنكى بن آقستقر صاحب
الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعاء حادي عشر شوال بعلة الخوانيق ودفن
بقلعة دمشق ونقل منها الى المدرسة التي انشأها بدمشق عند سوق الخواصين ومن
عجيب الاتفاق انه ركب ثاني شوال والى جانبه بعض الأمراء [هو كما في الروضتين
همام الدين مودود والى حلب في اول دولة نور الدين] فقال له الأمير سبجان
من يعلم هل نجتمع هنا في العام المقبل ام لا فقال نور الدين لا نقل هكذا بل
سبجان من يعلم هل نجتمع بعد شهر ام لا فمات نور الدين بعد احد عشر يوماً
ومات الأمير قبل الحول فأخذ كل منهما بما قاله .

ثم قال وكان اسمر طوبل القامة ليس له لحية الا في حنكه وكان واسع الجبهة
حسن الصورة مليح العينين وكان قد اتسع ملكه جداً وخطب له بالحرمين الشريفين
وباليمن لما دخلها شمس الدولة بن ايوب وملكها . وكان مولده سنة احدى عشرة
وخمسةائة وطبق ذكره الأرض بحسن سيرته وعدله .

وقال ابن كثير في وفيات سنة خمسةائة وتسعة وستين ان نور الدين ولد وقت
طووع الشمس يوم الأحد السابع عشر من شوال سنة احدى عشرة وخمسةائة
بحلب ونشأ في كفالة والده صاحب حلب والموصل . وهذا سهو فان والده

رنكى ملك حلب في سنة اثنتين وعشرين كما تقدم ولم تقف على ما يفيد انه اتى حلب في سنة احدى عشر وخمسةائة .

قال في المختار من الكواكب المضية واختلف في تسميته بالشهيد قال بعضهم احب مملوكا وعف فأكده الحب فقتله وقال بعضهم انه مرض وكان مرضه علة الخوانيق فأشار عليه بعض الأطباء بالفصد فامتنع وكان مهيباً فما روجع ومات من هذه العلة بقلعة دمشق فأن كان مقصده في ترك الفصد عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون الفا من امتي يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون الحديث فقد تصدق عليه هذه التسمية وما اظنها الا غلبت عليه كقول الناس في سلاطينهم فلان الشهيد وان كان قد مات على فراشه تفاقوا في حقهم . فأن قلت كيف بقي عليه هذا ولم يبق على غيره قلت لأنه ليس لغيره من الفتوحات كفتوحانه وغزواته وورعه وواقفه وزهده وجميل اوصافه المحودة وطالما اتى نفسه على العدو وجاهد في الله حق جهاده طالبا للشهادة اه

[اقول] السبب الأول يستبعده العقل جداً عن امثال نور الدين فأن التفكير في الجهاد وتجهيز الجيوش وعمارة الأسوار والقلاع وغير ذلك لم يدع في فواده مكاناً خاليا ليسلك اليه الحب ويتمكن منه تمكنا يقضي به على حياته والذي يترجح عندي في سبب تسميته بالشهيد ان والده زنكى كان يدعى الشهيد لأنه قتل على قلعة جعبر كما تقدم فصار يقال لولده محمود نور الدين ابن الشهيد ثم لكثرة الاستعمال حذفت كلمة ابن اختصارا

قال ابن الأثير وقد طالعت سير الملوك المتقدمين فلم ار فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن من سيرته ولا أكثر تحريبا منه للعدل وقد انينا على كثير من ذلك في كتاب الباهر من اخبار دولتهم ولنذكر ههنا نبذة لعل يقف

عليها من له حكم فيقتدي به فمن ذلك زهده وعبادته وعلمه فإنه كان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف الا في الذي يخصه من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة من الأموال المرصدة لمصالح المسلمين ولقد شكت اليه زوجته من الضائقة فأعطاه ثلاث دكاكين في حمص كانت له يحصل له منها في السنة نحو العشرين دينارا فلما استقلتها قال ليس لي الا هذا وجميع ما بيدي أنا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لأجلك وكان يصلي كثيرا بالليل وله فيه اوراد حسنة وكان كما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما احسن المحراب في المحراب
وكان عارفا بالفقه على مذهب ابي حنيفة ليس عنده فيه تعصب وسمع الحديث وسمعه طالبا للأجر واما عدله فإنه لم يترك في بلاده على سعتها مكسا ولا عشرا بل اطلقها جميعها في مصر والشام والجزيرة والموصل . وفي الروضتين وغيره قال له وزيره موفق الدين خالد بن القيسراني الحلبي اني رأيت اني اغسل ثيابك فافكر ساعة ثم امره باسقاط المكوس وقال له هذا تفسير منامك وكتب الى البلاد بذلك وامر الخطباء ان يسألوا الناس ان يحالوه في المدة الماضية وقال لهم ما اخرجناه الا في جهاد اعداء الاسلام يعتذر اليهم بذلك

قال في المختار من الكواكب المضية وفي بعض التواريخ ذكر المكوس التي ازالها وقدرت فأفردت من ذلك حلب ومعاملتها [٩٦] الف دينار ونيّف وفي الروضتين [٥٠] الف دينار سرمين [١٣٦٠] دينار كهرطاب [٢٠٠٠] دينار عزاز [٦٥٠٠] دينار نبل باشر [٢١٠٠٠] دينار عيتاب [٩٠٨٠] دينار الباب وبزاعة [٣٠٠٠] قلعة النجم [٣٠٠٠] دينار قلعة جعبر [٧٦٠٠] دينار الرها [٨٥٠٠] دينار قال في اوائل الروضتين ناقلاً من خط الصاحب كمال الدين 'ي القاسم

عمر ابن احمد بن العديم وسامعا له من لفظه قال قال لى والدى دخل فى ايام نور الدين الى حلب تاجر موسر فمات بها وخلف بها ولداً صغيراً ومالا كثيراً فكتب بعض من مجلب الى نور الدين يذكر له انه قدمات هاهنا رجل موسر وخلف عشرين الف دينار او فوقها وله ولد عمره عشر سنين وحسن له ان يرفع المال الى الخزانة الى ان يكبر الصغير يرضى منه ويمسك الباقي للخزانة فكتب على رفقته اما الميت فرحمه الله واما الولد فانشأه الله واما المال فثمره الله واما الساعي فلعمه الله قال وبلغتني هذه الحكاية عن غير نور الدين ايضاً

ثم قال ناقلاً عنه ايضاً وسمعت صقر بن يحيى بن صقر المعدل يقول سمعت مقلداً يعنى الدولى يقول لما مات الحافظ المرادى وكنا جماعة الفقهاء قسمين العرب والأكراد فنا من مال الى المذهب واردنا ان نستدعى الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون وكان بالموصل ومنا من مال الى علم النظر والخلاف واران ان يستدعى القطب النيسابورى وكان قد جاء وزار البيت المقدس ثم عاد الى بلاد العجم فوقع بيننا كلام بسبب ذلك ووقعت فتنة بين الفقهاء فسمع نور الدين بذلك فاستدعى جماعة الفقهاء الى القلعة مجلب وخرج اليهم مجد الدين ابن الداية عن لسانه وقال لهم نحن ما اردنا ببناء المدارس الا نشر العلم ودحض البدع من هذه البلدة واظهار الدين وهذا الذى جرى بينكم لا يحسن ولا يليق وقد قال المولى نور الدين نحن نرضى الطائفتين ونستدعى شرف الدين ابن ابي عصرون وقطب الدين النيسابورى فاستدعاها جميعا وولى مدرسة ابن ابي عصرون لشرف الدين ومدرسة النفري لقطب الدين

ثم قال ناقلاً عنه ايضاً اخبرنا افتخار الدين عبد المطلب الهاشمى قال كان عند القاضي تاج الدين عبد الغفور بن لقمان الكردري قاضي حلب غلام قد جعله

لمجلس الحكم يدعي سويدا يحضر الخصوم الى مجلس الحكم فحضر بعض التجار وادعى انه له على نور الدين دعوى فقال الكردي لسويد المذكور امض الى نور الدين وادعه الى مجلس الحكم وعرفه انه حضر شخص يطلب حضوره وكان نور الدين في الميدان فجاء سويدا الى باب الميدان فخرج اسماعيل الخرنندار فوجد سويدا فادما اليه قال سيرني تاج الدين يعني القاضي وذكر انه حضر تاجر وذكر ان له دعوى على المولى نور الدين وقد انفذني تاج الدين وقال لي كذا وكذا فضحك اسماعيل الخرنندار ودخل على نور الدين ضاحكا وقال له مستهزئا يقوم المولى فقال الى اين فقال حضر سويدا غلام تاج الدين الكردي وقال ان تاج الدين ارسله يطلب المولى الى مجلس الحكم فانكر نور الدين على اسماعيل استهزائه وقال تستهزئ بطيبي الى مجلس الحكم وقال نور الدين يحضر فرسى حتى نركب اليه السمع والطاعة قال الله تعالى (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا) ثم نهض وركب حتى دخل باب المدينة فاستدعى سويدا وقال له امض الى القاضي تاج الدين وسلم عليه وقل اني جئت الى هاهنا امتثالا لأمر الشرع واحتاج في الحضور الى مجلسه الى ساوك هذه الأتزة وفيها الأطيان وهذا وكيلي يسمع الدعوى وان توجهت علي يمين احضران شاء الله تعالى قال فحضر الوكيل وسمع الدعوى وتوجهت اليمين فقال الكردي قد توجهت اليمين فليحضر فلما بلغ نور الدين ذلك وعلم انه لامندوحة عن حضور مجلسه لليمين استدعى ذلك التاجر واصلاح الأمر فيما بينه وبينه وارضاه اه

وقال في المختار من الكواكب المضية حكى ان نور الدين كان قاعداً بدمشق على طيارة مشرفة على نهر بردا فوصل اليه كتاب من بلد المعرة يذكر ان جماعة من

اهل المعرة تغلبوا على كروم وزيتون واملاك ذكر انها ليست لهم واسنادن في قبضها فن احضر بينة او حجة سلم اليه ما كان بيده وان لم يحضر بقي في ديوان بيت المال فأمر بكتب مرسوم بذلك فشرع الكاتب يكتب فسمع منشداً يقول

اعدلوا ما دام امركم * نافذا في النفع والضرر

احفظوا ايام دولتكم * انكم منها على خطر

انما يبقى لكم ابدا * طيب ما يبقى من الخير

فقال السلطان نور الدين (فمن جاءه موعظة من ربه) الآية ثم امر بأبطال ذلك الكتاب وجعل يبكي اه

وقال في الزبد والضرب عمر باد حلب في زمان نور الدين لعدله وحسن سيرته حتى ارتفعت الأسعار مع كثرة المغلات لكثرة العالم

وقال ابن خلكان في تاريخه في ترجمته كان ملكا عادلاً زاهداً عابداً ورعاً متمسكاً بالشرية ماثلاً الى اهل الخير مجاهداً في سبيل الله كثير الصدقات بنى المدارس

بجميع بلاد الشام الكبار مثل دمشق وحلب وحماة وحمص وبعليك ومنبج والرحبة وبنى بمدينة الموصل الجامع النورى ورتب له ما يكفيه ومجاعة الجامع الذى على

نهر العاصى وجامع الرها وجامع منبج وبيارستان دمشق ودار الحديث بها ايضا وله من المناقب والمآثر والمفاخر ما يستغرق الوصف . وقال ابن الأثير واما

مانعه من المصالح فانه بنى اسوار مدن الشام جميعها وقلاعها فمنها دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعليك وغيرها [ثم قال] وبنى الخانات فى الطرق وبنى

الخاناتكاهات فى جميع البلاد ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة سمعت ان حاصل وقفه كل شهر تسعة آلاف دينار صورى وكان يكرم العلماء واهل الدين ويعظمهم

ويقوم اليهم ويجلسهم معه وينبسط معهم ولا يرد لهم قولاً ويكاتبهم بخط يده

وكان وقورا مهيبا مع تواضعه وبالجملة فحسناته كثيرة ومناقبه غزيرة لا يحتملها هذا الكتاب اهـ

اقول ومن اراد الوقوف على تفاصيل اخباره ومحمود آثاره فعليه بكتاب الروضتين في اخبار الدولتين (النورية والصلاحية فإنه جمع واوعى)

﴿ آثاره الجليلة في حلب ﴾

﴿ المدرسة الحلوية ﴾

قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة [المدرسة الحلوية كانت كنيسة من بناء هيلانة ام قسطنطين وجعلها القاضي ابو الحسن بن الخشاب مسجدا بسبب ما اعتمده الفرنج من بعثرة قبور المسلمين واحراقهم حين حصارهم حلب في سنة ثمان عشرة وخمسةائة وكانت تعرف بمسجد السراجين فلما ملك نور الدين جعلها مدرسة وجددها بها مساكن يأوى اليها الفقهاء وكان مبدأ عمارتها في سنة اربع واربعين [صوابه ثلاث واربعين كما هو مكتوب على جدار بابها] وهي من اعظم المدارس صيتا واكثرها طلبة واغزرها جامكية قال ومن شرط الواقف ان يحمل في كل شهر رمضان من وقفها ثلاثة آلاف درهم للمدارس يضع بها طعاما للفقهاء وفي ليلة النصف من شعبان في كل سنة حلوى معلومة وفي الشتاء ثمن لباس لكل فقيه شيء معلوم وفي ايام شرب الدواء من فصلي الربيع والخريف ثمن ما يحتاج اليه من دواء وفاكهة وفي المواليد ايضا الحلوى وفي الأعياد ما يرتفقون به فيها دراهم معلومة وفي ايام الفاكهة ما يشترون به من انواعها بطيخا ومشمشا وتوتا .

وقال قبل ذلك في باب ذكر المزارات . وشوهد بالمدرسة الحلوية الحنفية

مجلب مذبح من الرخام الملكي الشفاف الذي يقرب الصارى عليه القربان وهو من احسن الرخام صورة اذا وضع تحته ضوء يرى من وجهه فسئل عن ذلك فقيل ان نور الدمحمود بن زكى احضره من افامية سنة اربع واربعين ووضعه في هذه المدرسة وعليه كتابة باليونانية فعمرت فكانت (انه عمل هذا الملك فلطيانس والنسر الطائر في اربعة عشر درجة من برج العقرب) قال فيكون مقدار ذلك ثلاثة آلاف سنة الى ايام نور الدين الشهيد المذكور

وقيل ان نور الدين المذكور كان يحشو القطايف للفقهاء ويملا هذا الجرن ويجمعون عليه ويأكلونها (١) وهذا الجرن هو الآن بالمدرسة الحلاوية (قلت) وقد شاهدت هذه الرخامة لكنها ليست يجرن فأن الجرن الحجر المقور المتخذ للوضوء والوضع فيه وهذه الرخامة بسيطة طويلة عريضة مربعة الى الطول اقرب الا ان لها حافات عالية عنها مقداراً يسيراً نحو اصبعين او ثلاثة (حاشية بين سطور الدر المنتخب) وقال كاتب هذه الأحرف ابو اليمين البتروني وقع على هذا الجرن احد جدران المدرسة فانكسر وصار قطعاً واسف الناس عليه لأنه كان غاية في الحسن اهـ

﴿ مدرسو المدرسة من حين بنائها الى سنة ٦٥٠ تقريباً ﴾

قال ابن شداد ولما فرغ نور الدين من بنائها استدعى لها من دمشق الفقيه

اقزول ولهذا سميت المدرسة الحلوية وقال في الزبد والضرب ان الظاهر في تسميتها بالحلاوية لم تكن لما كان يصنعه من الحلوى ويضعه في الجرن المذكور وانما كان للحلاويين كانوا بجوارها اهاقول انها قبل ان تتخذ مدرسة كانت مسجداً يعرف بمسجد السراجين والظاهر انه سمي بذلك لسراجين كانوا بجانبه ولا يعرف ذلك السوق بسوق الحلاويين وقتئذ فيغلب على الظن في تسميتها بالمدرسة الحلوية ما هو مشهور بين الناس وهو هذه الحلوى التي كانت تصنع للفقهاء وتوضع في هذا الجرن

الأمام برهان الدين احمد بن علي الأصولي الساني ليجعله نائبا عن برهان الدين البلخي فامتنع من القدوم فسير اليه نائبا فأجابه ولم يزل نائبا الى ان مات ولما مات شمت الناس بعلي لموت احمد وتولي تدريسها الإمام الفاضل رضي الدين محمد بن محمد ابو عبد الله السرخسي صاحب المحيط كان قدم حلب فولاه محمود ابن زكي التدريس وكان في لسانه لكمة فتعصب عليه جماعة من الفقهاء الحنفية فصغروا امره عند نور الدين فمات يوم الجمعة آخر جمعة من رجب سنة احدى وسبعين وخمسة فولي مكانه اسماعيل الغزنوي البلخي وكان بالموصل ثم ولي صاحب التصانيف البديعة في احكام الشريعة علاء الدين (١) ثم ولي الإمام افتخار الدين عبدالمطلب بن الفضل الهاشمي صاحب الرواية العالية الفاخرة والدراية الزاهية الزاهرة شرح الجامع الكبير شرحا لطيفا مستوفيا وقام بما شرط ثم تولى العلامة تاج الدين ابو الممالى واستمر مدرسا الى ان مات ثم ولي تدريسها الإمام العلامة جامع اشقات الفضائل المبرز في معلوماته على الأواخر والأوائل المضيف الى عالي الرواية عظيم الدراية الرافر الحظ من حسن الخط كمال الدين ابو القاسم احمد بن عمر بن ابي جرادة المعروف بأبن العديم ولم يزل مدرسا حتى كتب عليه الجلاء مع من كتب من اهل حلب اه

قال ابن الشعنة في الدرالمتخب ولم يزل المدرسون ينتقلون بها الى ان انصلت الى سيدي الوالدرحمه الله تعالى ثم الي خاصة بتوقيع شريف في سنة اربع وعشرين وثمانمائة .

اقول وفي خلال التراجم تجمد اسماء من تولى التدريس في هذه المدرسة والذي يظهر ان امرها كان جاريا على السداد الى اوائل القرن الماضي حينما تولاهما احفاد محمد افندي الطرابلسي مفتي حلب فأهمل امر التدريس فيها لأنهم لم يكونوا

[١] هو صاحب بدائم الصنائع في الفقه الحنفي وستأتيك ترجمته

من اهل العلم وتداعت ابنتها الى الخراب وقد ادركناها والأتربة مائة وسطها
وفي اواخر القرن الماضي كان المتولي عليها الأخوين السيد محمداً اباالفتح والسيد
محموداً ابني السيد عبد الوهاب ابن الشيخ مصطفى الطرابلسي ففرغا التولية سنة
١٢٩٤ الى الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد طلس ولما استلم المدرسة منها كانت
خراباً يباباً وليس فيها من القديم سوى مكان الصلاة والمحراب البديع الذي
في ايوانها . ولم يبق لها من العقارات سوى دارين داخل المدرسة واربع دكاكين
اثنتان عن يمين الداخل الى المدرسة واثنتان عن الشمال .

وللمدرسة اراض محكرة لجماعة معلومين في المحلة المعروفة الآن بالتل كانت تعرف
بمنشر الزبل يؤخذ منها بدل زهيد جداً هو عبارة عن عشرة ارطال زيناً ولما
تولى المدرسة الشيخ مصطفى المذكور وجد ان ذلك اجحاف في حقوق المدرسة
فرفع الامر الى والي الولاية وقتئذ جميل باشا فمد له الوالي يد العاياة الى ان
تمكن من استرداد تلك الاراضي بعد محاکمات دامت سنين ولما تم له ذلك باشر
بتحكيها بأجر مثلها في ذلك الوقت ومن هذه الواردات صار يعمر المدرسة
ويشترى لها بفاضل الغلة عقارات ولما توفي سنة ١٣١٥ جرى ولده الشيخ
محمد الذي صار متولياً عليها على تلك الطريقة وبقي الى ان توفي سنة ١٣٣٣
وآلت التولية الى ولده محمد الذي هو في قيد الحياة الآن واصغر سنه قام بأمر
التولية عنه عمه الشيخ عبد الوهاب افندي فجرى على تلك الطريقة الى ان
عمرت المدرسة جميعها وفرشت بالرخام في اماكنها كافة واصبح فيها من الحجر
اثنا عشرة حجرة للطلاب وعين في هذه السنة وهي سنة ١٣٤٢ لكل طالب
مائتي قرش راجحة . وصار للمدرسة من العقارات اثنان وستون عقاراً وقد اطلعتني
المومي اليه على دفترين احدهما محرر سنة ١٠٧٩ وفيه ذكر العقارات الموقوفة

على المدرسة والاحكار التي كانت تأخذها من كثير من الدور والخوانيت
والبسانين والاراضي وعلى هذا الدفتر امضاء وختم القاضي نقيب زاده السيد
محمد سعيد الحجازي المولى بالمحكمة الشافعية

ودفتر آخر محرر سنة ١٢١٩ وفيه ايضاً ذكر ذلك ومعظم هذه الاماكن
لا تتناول المدرسة اليوم منها شيئاً وقد تغلبت الايدي منذ سنين طويلاً عليها
ولو كانت باقية على حالها لكان المدرسة من الربع مبالغ طائلة والله في خلقه شؤون
-o- المدرسة العسرونية -o-

قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة ان هذه المدرسة كانت داراً لأبي
الحسن علي بن ابي الثريا وزير بني دمر داش فصيرها الملك العادل نور الدين
محمود بن زنكي بعد انتقالها اليه بالوجه الشرعي مدرسة وجعل فيها مساكن
للمرتبين بها من الفقهاء وذلك في سنة خمسين وخمسةائة واستدعى لها من جبل
بناحية سنجار الشيخ الأمام شرف الدين ابا سعد عبد الله بن ابي السرى محمد
ابن هبة الله بن المطهر بن علي بن ابي عصرون بن ابي السرى النيمى الحديثي ثم
الموصلي الشافعي وكان من اعيان فقهاء عصره ولما وصل الى حلب ولي تدريسها
والنظر فيها وهو اول من درس بها فعرفت به وصنف كتباً كثيرة في المذهب
والخلاف والفرائض مشهورة في ايدي الناس اه

اقول اذا كانت المدرسة بنيت سنة ٥٥٠ كما ذكره هنا فيكون قد استدعى من
الشام لامن سنجار لأنه كما في ترجمته في ابن خلكان قدم الى حلب سنة ٥٤٥
وتوجه منها الى الشام في اوائل سنة ٥٤٩ ثم عاد الى حلب وبقي في هذه البلاد
الى سنة ٥٧٠ فتوجه فيها الى الشام وتوفي فيها سنة ٥٨٥
واذا كان بناؤها سنة ٥٤٥ فيكون قد استدعى من سنجار لأنه في هذه السنة

قدم الى حلب كما نقلناه عن ابن خلكان . ويظهر ان الأصح ان بناءها سنة ٥٤٥ لأن ابن ابي عمرو والقطب النيسابوري استدعيا في آن واحد كما قدمناه في ترجمة نور الدين

﴿ المدرسة النفرية وهي المدرسة النورية ﴾

قال في الدر المنتخب المدرسة النفرية لا ادري من المنسوب اليه هذه المدرسة ثم قال المدرسة النورية انشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى في سنة اربع واربعين وخمسة

وقال في المخارم الكواكب المضية ومن جملة اوقافه بحلب المدرسة النورية المعروفة بالنفرية .

وقال في الزبد والضرب لما بنى نور الدين المدرسة النفرية ولاها القطب النيسابوري واسمه كما في ابن خلكان مسعود بن مسعود النيسابوري الطرثيثي الفقيه الشافعي الملقب قطب الدين . وتولي كما في ابن خلكان تدريس المدرسة التي بناها اسد الدين شيركوه وكانت وفاته في دمشق سنة ٥٧٨

﴿ المدرسة الشعبية ﴾

قال في الدر المنتخب كانت هذه مسجدا اول ما اختطه المسلمون عند فتح حلب ويعرف بالفضايري كما تقدم فلما ملك نور الدين حلب وانشأ المدارس بها وصل الشيخ شعيب بن ابي الحسن بن الحسين بن احمد الفقيه الأندلسي فصيرت له مدرسة فعرفت به ولم يزل مدرسا بها الى ان توفي سنة ست وتسعين وخمسة في طريق مكة قلت وهي يومئذ جامع يقام فيه الخطبة اه

اقول هي في محلة باب انطاكية قبالة الباب المذكور يكتنفها من طرف اليمين سوق الصباغين ومن طرف الشمال الزقاق الذي في آخره حمام بزدار وهي الآن

مسجد تقام فيه الصلاة

﴿ خاتقاه القصر ﴾

قال في الدر المنتخب قال ابن شداد خاتقاه القصر وهي تحت القلعة انشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى وسميت بهذا الأسم لأنه كان مكانها قصر من بناء شجاع الدين فانك وكان مبدأ عمارتها في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

﴿ خاتقاه القديم ﴾

قال في الدر المنتخب انشأها نور الدين ايضاً وتولى النظر على عمارتها شمس ابو القاسم الطرسوسى

﴿ البيارستان ﴾

قال في الدر المنتخب البيارستان النورى بناه الملك العادل نور الدين محمود داخل باب انطاكية بالقرب من سوق الهواء [في محلة الجلوم الكبرى في الزقاق المعروف الآن بزقاق البهرمية] يقال ان الملك العادل نور الدين تقدم الى الاطباء ان يختاروا من حلب اصبح بقعة صحيحة الهواء لبناء البيارستان بها فذبحوا خروفاً وقطعوه اربعة ارباع وعلقوها بأرباع المدينة ليلاً فلما اصبحوا وجدوا احسنها رائحة الربع الذي كان في هذا القطر فبنوا البيارستان فيه ووقف عليه قرية معرانا ونصف مزرعة وادي العسل من جبل سمعان وخمس افدنة من مزرعة كفرنايا وثلاث مزرعة الخالدى وطاحونها من المطبخ وثمن طاحون اعربية ظاهر باب الجنان وثمانية افدنة من مزرعة ابو مدايا من عزاز وخمسة افدنة بمزرعة الحميره من المطبخ واثنى عشر فدانا من مزرعة الفوزل من المعرة وثلاث قرية بيت راعل من الغربيات وعشرة دكاكين بسوق الهواء هو الآن معروف بسوق الكمرك منها ثلاثة تمام والباقي شركة الجامع الكبير واحكار ظاهر باب انطاكية وباب

الفرج وباب الجنان اه

اقول هو الآن خراب لم يبق منه سوى بابه وجدران اطرافه ياوي اليه الفقراء من الغرباء ومن الغريب ان معتمد ايطاليا آدولف هولوا عمر فوق باب البيارستان المذكور قنطرة جعل طرفها تحت اطراف قصر داره التي هي تجاه البيارستان المذكور حفظاً للقصر وذلك منذ خمس عشرة سنة وكان ذلك في ليلة واحدة ولم ينتطح لذلك عنزان غايته ان المنولي على البيارستان رفع الأمر الى الحكومة والى المجلس البلدى فلم يلبثت اليه وكان الحادثة لم تكن فله الامر . الا انه بعد ذلك ابتلى بالأمراض والاستقام ولم يطب عيشه الى ان مات

ومن آثاره تجديد بناء الجامع الاعظم والنوسيع فيه

بمجدد بنا قبل الكلام على ذلك ان نذكر تأسيس بناء هذا الجامع وما حصل فيه الى ان نصل الى هذا التاريخ .

قال في كراسة عندي (يظهر انها من كنوز الذهب لأبي ذر) ما ملخصه ان ابا عبيدة لما فتح حلب صالح اهلها على موضع المسجد الجامع فاخطه الصحابة رضي الله عنهم وكان بستاناً للكنيسة التي هي الحلاوية والجب الذي فيه كانت دولاباً للبيستان ثم جدده سليمان بن عبد الملك ولم يذكر ابن العديم في ترجمة سليمان ان سليمان بناه وقال في مكان آخر وبلغنى ان سليمان هو الذي بناه كما رأيت بخطط ابن عشاير وقد كان هذا الجامع يضاهى جامع دمشق في الزخرفة والرخام والفسيفساء وباهى سليمان في بناءه ما عمل اخوه الوليد في جامع دمشق وقيل انما بناه الوليد وانه نقل اليه آلة كنيسة قورص وكانت هذه الكنيسة من عجائب الدنيا يقال ان ملك الروم بذل في ثلاثة اعمدة كانت فيها سبعين الف دينار فلم يسمح الوليد بذلك ويقال ان بني العباس تقضوا ما كان فيه من الرخام

والآلات الى جامع الأنبار لما تقضوا آثار بني أمية من بلاد الشام وعلى باب الحجازية حجر من الرخام الأبيض يقال ان عمر بن عبد العزيز جلس عليه ولا يجلس هناك مهموم في الغالب الا انفرج همه ببركته وهذه الحجر يبلغ طولها نصف ذراع وعرضها اقل من ذلك اقول ولما وسع باب الحجازية وجد الدرج الذي امامه وذلك سنة ١٣٢٦ وقلعت الاحجار التي كانت امام الباب تفتتت هذه فوضعت في كيس من الكتان ومعها زجاجة في داخلها ورقة كتب فيها قصتها وقد وضع ذلك الكيس في البنيان وراء الحجر المقوش فوق باب الحجازية .

قال في الدر المتخبط ولما دخل تقفور حلب في سنة احدى وخمسين وثلاثمائة احرق الجامع والبلد ورحل من حلب وعاد سيف الدولة اليها من قنسرين ورم بعض المسجد ولما مات سيف الدولة وتولى ولده ابو المعالي سعد الدولة شريف بنى فيه قرعويه غلام ابيه قبة الفوارة التي في وسط الجامع وفي هذه القبة جرن رخام ابيض في غاية الكبر والحسن وفي دور حافة الجرن مكتوب [هذا ما امر بعمله قرعويه غلام سيف الدولة في سنة اربع وخمسين وثلاثمائة]

اقول الكتابة كانت قدر نصف ذراع وقد كان اثر النقش باقياً وقد عي هذا الاثر سنة ١٣٠٢ حينما رمم الحوض وذلك في زمن والى الولاية وقتئذ جميل باشا وباليتم ابقوا هذا الاثر وان كان قليلاً

قال في الكراسة . والماء ينصب من هذا الجرن الى بركة مقطعة من الرخام الأصفر ثم يسيل الى بركة من رخام اصفر قطعة واحدة وهي من عجائب الدنيا والعمود الذي في وسط الجامع رؤى النبي صلى الله عليه وسلم يصلى عنده وفي اعلاه صحن من الحديد كان يوضع فيه البخور قديماً ويوضع فيه تارة زيت وحب قطن ليفي على الجامع

واما الشرقية فبناها بنو عماد الدين وكانوا اصحاب طرابلس قديما وكان فيها
آبار لخزن الغلات المتحصلة من ربيع كنيسة هيلانة وهي الخلاوية وشاهدت
جبا في الحجازية الى جانب البركة وانما سميت حجازية لانها منزل اهل الحجاز
(ثم قال) وعلم ان الدخول الى هذا الجامع والصلاة فيه تزيل الكرب وتفرج
المهموم وهذا مشاهد مرثى كيف لا وقد بنى في ايام عمر بن الخطاب رضي الله
عنه كما تقدم وخطب فيه الصالحون والاخيار كعمر بن عبد العزيز وسليمان بن
عبد الملك واخيراً خطب فيه الخطيب ابو يحيى عبد الرحيم الغارقي ابن نبانة
صاحب الخطب المشهورة التي وقع الأجماع انه ما عمل مثلها وقصة رؤياه للنبي
صلى الله عليه وسلم وتقله في فيه مشهورة واقام ثمانية عشر يوماً لا يطعم ولا
يشرب لبركتها

ولأبي بكر الصنوبري الشاعر المشهور شاعر المتنبي قصيدة طويلة يمدح فيها
حلب ذكرها ياقوت في معجمه ومما قاله فيها في مدح هذا الجامع

حلب بدر دجي * انجمها الزهر قراها

حبذا جامعها ال * جامع للنفس تقاها

موطن يرسى ذوو * البر لمرساه جباها

سهوات الطرف فيه * فوق ما كان اشتهاها

قبلة كرمها الله م * بنور وحبهاها

ورآها ذهباً في * لاوزرد من رآها

ومراقى منبر اعظم * شي مرتقاها

وذرى مثذنة طالت * ذرى النجم ذراها

ولفوراته مالا * تراه بسواها

قصعة ماعدت الكعب ولا الكعب عداها
 ابدأ يستقبل السحب بسحب من حشاها
 فهي تسقى الغيث ان لم يستها اوان سقاها
 كنفها قبة يضحك عنها كنفها
 قبة ابداع بانيتها بناء اذ بناها
 ضاهت الوشي نقوشاً فحكته وحكاها
 لو رآها مبتى قبة كسرى ما ابتناها
 فندا الجامع سرو يتناهى من تناها
 حيا السارية الخضراء منه حياها
 قبة المستشرق الأعلى اذا قابلهاها
 حيث يأتي حلقة الآداب منا من اناها
 من رجالات حبا لم يحلل الجهل حباها
 من رآها من سفاهه باع بالعلم السفاها

وهي السارية الخضراء كان يجتمع فيها المشتغلون بالأدب يقرؤون عندها وذهبت في الحريق وما زالت حلقة الأدب لقراءة النحو واللغة معقودة بجامع حلب ليلاً ونهاراً وكذلك لقراءة القرآن العزيز وما فتى على هذه الحالة وكان مشرق العابد يقرأ

فيه الفقه على مذهب الأمام ابي حنيفة وذلك قبل ان تبني المدارس بحلب واعلم ان هذا الجامع كان قديماً يدرس فيه على المذاهب الأربعة ولكل مذهب مكان مخصوص وبه المحدثون وارباب الفتاوى ولهم معالم على ذلك وامره منتظم الى محنة تيمور والآن قد زالت المسميات وبقيت الأسماء كما قال الأول

مدارس آيات خلت من تلاوة * ومهبط وحي مقفر العرصات

قال ابن شداد زاويتان بالجامع المذكور وقفهما العادل نور الدين لتدريس مذهب مالك واحمد وزاوية بالجامع لتدريس الحديث وقفها العادل نور الدين وانما اغفل المذهبين لأنهما كان يدرس فيهما قبل نور الدين وقرأت بخط صاحب مالفظه ابراهيم بن عيسى الفقيه المالكى المغربى يلقب بالحجة فقيه حسن فاضل عارف بالأصول ومذهب مالك قدم علينا حلب قبل الستمائة وولي التدريس بزاوية المالكية بالمسجد الجامع ودام يدرس بها مذهب مالك الى ان توفي بعد الأربعين والستمائة بحلب . ﴿ آثار نور الدين فيه ﴾

قال في الدر المتخبر في الكلام على المسجد الجامع . لما كانت ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شوال سنة اربع وستين وخمسمائة في ايام الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى احرقته الأسماعيلية واحترقت الأسواق التي حوله فاجتهد نور الدين في عمارته وقطع الأعمدة الصفر من بعادين وتقل اليه عمد مسجد قنسرين لأن العمدة الرخام التي كانت فيه كانت قد تفتطرت وتنخرت من حريق النار وسقطت وكانت قواعد العمدة في صحن الجامع مع شيء من الرأس وهى في ارضه فجعلت وبني بعضها فوق بعض في الغربية التي فيه وكان النصف القبلى من الشرقية التي في قبلى الجامع الآن الملاصقة لسوق البر عن يمين الداخل من الباب القبلى سوفا موقوفا على الجامع ولم يكن المسجد على التبريع فأحب نور الدين محمود ان يضيف ذلك الى الجامع فاستفتى في ذلك الفقيه علاء الدين ابا الفتح عبد الرحمن بن محمود النزوى فأفتاه يجوازه فنقض السوق واضافه الى الجامع فأتسع به وحسن في مرأى العين ووقف عليه نور الدين اوقافاً كثيرة

﴿ نواب نور الدين بحلب وآثارهم ﴾

قدمنا ان نور الدين محمود ملك دمشق سنة ٥٤٩ ويظهر من خلال الحوادث انه

في سنة ٥٥٣ او ٥٥٤ اتخذها دار ملكه ومقره وكان يتردد الى الشهباء والى هذه البلاد للغزو والنظر في شؤونها الى حين وفاته وكان ينوب عنه في الشهباء كما تراه في خلال الحوادث الأمير مجد الدين ابو بكر بن الداية وهو رضيعه واكبر امرائه وهذا قد توفي في سنة خمس وستين وخمسمائة وبعد وفاته قام بأمر النيابة بعده اخوه الأمير علي الملقب شمس الدين ولما توفي الملك العادل نور الدين كان هو القابض على زمام الأمور بالشهباء وكان والى القلعة جمال الدين شاذبخت الخادم الهندي عتيق نور الدين

﴿ المدرسة المجدية الجوانية ﴾

قال في الدر المنتخب هذه المدرسة منسوبة الى مجد الدين بن الداية وهي بالقرب من ضريح النبي بلوقيا بمحلة بزى وقد خربت ولم يبق منها عين ولا أثر في سنة ست وثلاثين وتسعمائة

﴿ المدرسة المجدية البرانية ﴾

قال فيه المدرسة المجدية البرانية منسوبة اليه ايضا لكن دثرت بالكلية بحيث لم يبق لها عين ولا أثر ولكن البقعة التي كانت بها تعرف الآن بالمجدية
(دار الحديث)

وقال فيه ومن دور الحديث دار انشأها مجد الدين بن الداية
خانقاه

وقال فيه خانقاه بمرصة الفراتي انشأها مجد الدين ابو بكر محمد بن الداية بن محمد بن نوشتكين وكانت وفاته سنة خمس وستين وخمسمائة

﴿ خانقاه ايضا ﴾

وقال فيه خانقاه انشأها الأمير مجد الدين بن الداية بمقام ابراهيم عليه السلام

— المدرسة الشاذنجية —

قال في الدر المتخبط هذه المدرسة انشأها الامير جمال الدين شاذنجت الخادم الهندي الاتابكي كان نائباً عن نور الدين محمود بحلب واول من درس بها موفق الدين ابو التشاء محمود بن النحاس ثم عمر بن العديم قال ابن الشحنة ولم يزل المدرسون ينتقلون بها الى ان اتصلت الى سيدى الوالد ومن بعده الى بورود توقيع شريف بأسمي بعرض الامير سيف الدين قصروه نائب حلب ولم تزل بيدي حتى نزلت عنها لولدي ابي اليمين محمد وابي محمد عبدالبر مع ما نزلت لهما عنه من الوظائف بحلب عند استقرارى في قضاء الديار المصرية اه

اقول موقع هذه المدرسة في وسط السوق المعروف بسوق الزرب [محرف عن الضرب] وهو يتبدى من آخر سوق العبي ويخرج منه الى تجاه القلعة ومكتوب على بابها

- ١ بسم الله الرحمن الرحيم وقف هذه المدرسة على اصحاب الامام
 - ٢ الاعظم سراج الامة ابي حنيفة رضى الله عنه في ايام
 - ٣ الملك الظاهر غازي بن يوسف عز نصره العبد الفقير الى رحمة
 - ٤ ربه شاذنجت عتيق الملك العادل محمود بن زنكى في سنة تسع وثمانين وخمسمائة
- وفي شمالى المدرسة حجرة كبيرة في وسطها ضريح يقول الناس انه قبر رجل اسمه الشيخ معروف وقد اشتهرت هذه المدرسة الآن باسمه وهو عندنا غير معروف ولهذا الحجرة نافذة كبيرة مطلة على السوق كتب في اعلاها ما كتب على الباب ولها من الأوقاف خمس حوانيت في نفس السوق ونصف دار في محلة ساحتبه وقد اخرج المتولي على المدرسة محمد رضا الخواجكى حانوتين من المدرسة من ايوانها واخبرني ان مجموع ريع هذه الحوانيت مع نصف الدار اربعين ايرة عثمانية ذهابا

وهو يعمر الآن حجرتين صغيرتين عن يسار القبلة وحجرة كبيرة عن يمينها .
 ومحراب القبلة بديع جداً وفيه عمودان من الرخام الابيض وهو يقارب في
 هندسته المحراب الذي في مدرسة الفردوس والمحراب الذي في جامع البهرمية
 وقد كتب على اعلا المحراب (عمل ابي الرجا وعبد الله ابني يحيى رحمه الله)
 وقال في الدر المنتخب (في صحيفة ١٢١) عود الى ما ذكره ابن شداد من
 المدارس الحنفية التي بظاهر حلب (المدرسة الشاذنجية) تقدم لنا اسم بانيتها
 واول من درس بها موفق الدين ابوالثنا محمود بن النحاس باعتبار شرط الواقف
 ان من درس في الجوانية (التي قدمنا ذكرها) كان اليه التدريس في البرانية
 الا ان يرى الواقف ان يفرق بينهما ثم انتقل تدريسها الى كل مدرس الجوانية
 المقدم ذكرهم قلت قد دثرت هذه المدرسة ولم يبق لها عين ولا اثر وباع من
 كان ناظراً عليها من بنى العديم حجارتها لعلم الدين بن الجاني الوزير اه

❦ ذكر ولاية الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين ❦

قال في الروضتين قال ابن الاثير لما توفي نور الدين جلس ابنه الملك الصالح
 اسماعيل بالملك بعده وكان عمره احدى عشر سنة وحلف له الامراء والمقدمون
 بدمشق واقام بها واطاعه الناس في سائر بلاد الشام وصلاح الدين بمصر وخطب
 له بها و ضرب السكة باسمه فيها وتولى تربيته الأمير شمس الدين محمد بن المقدم اه
 قال في الزبد والنربد و الضرب لما توفي نور الدين كان والى قلعة حلب جمال الدين
 شاذنجت الخادم الهندي عتيق نور الدين وهو الذي بنى المدرسة لأصحاب ابي
 حنيفة مجلب فوصله كتاب الطير بوفاة نور الدين فاصر في الحال بضرب الدبابات
 والكوسات والبوقات واحضر المقدمين والاعيان والفقهاء والامراء وقال قد

وصل كتاب الطائر يخبر ان مولانا الملك العادل قد ختن ولده وولاه العهد بعده ومشى بين يديه فاظهروا السرور بذلك وحمدوا الله تعالى فقال تحلفون لولده الملك الصالح كما امر الملك العادل بأن حلب له وان طاعتكم له وخدمتكم كما كانت لأبيه فحلف الناس على اختلاف طبقاتهم ومنزلهم في ذلك اليوم ولم يترك احداً منهم يزول من مكانه ثم قام الى مجلس آخر ولبس ثياب الحداد وخرج اليهم وقال يحسن الله عزاكم في الملك العادل فأن الله تعالى قد نقله الى جنات النعيم فاظهروا الحزن والكآبة والأسف والبكاء واستقر الملك الصالح وتوجه المؤيد بن العميد وعثمان بن زردك وهمام الدين الى حلب في الرابع والعشرين من شوال لأثبات مافي خزائن حلب وختمها بختم الملك الصالح

ذكر ملك سيف الدين صاحب الموصل البلاد الجزرية

قال ابن الاثير كان نور الدين قبل ان يمرض قد ارسل الى البلاد الشرقية وديار الجزيرة وغيرها يستدعي العساكر لحجة الغزاة والمراد غيرها فسار سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زكي صاحب الموصل في عساكره وعلى مقدمته الخادم سعد الدين كمشتكين الذي كان قد جعله نور الدين بقلعة الموصل مع سيف الدين فلما كانوا ببعض الطريق وصلت الاخبار بوفاة نور الدين فاما سعد الدين فانه كان في المقدمة فهرب جريدة واما سيف الدين فأخذ كل ما كان له من برك وغيره وعاد الى نصيبين فلحقها وارسل الشحن الى الخابور فاستولوا عليه واقطعه وسار هو الى حران فحصرها عدة ايام وبها مملوك لنور الدين يقال له قايماز الحراني فامتنع بها واطاع بعد ذلك على ان تكون حران له ونزل الى خدمة سيف الدين فقبض عليه واخذ حران منه وسار الى الرها فحصرها وملكها

وكان بها خادماً خصي أسود لنور الدين فسأها وطلب عوضها قلعة الزعفران من أعمال جزيرة ابن عمر فأعطيتها ثم أخذت منه ثم صار إلى أن يستعطي ما يقوم به ويقوته وسير سيف الدين إلى الرقة فلنكها وكذلك سروج واستكمل جميع بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر فانها كانت منيعة وسوى رأس عين فانها كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خال سيف الدين فلم يتعرض إليها وكان شمس الدين علي بن الداية وهو أكبر الأمراء النورية يجلب مع عساكرها فلم يقدر على العبور إلى سيف الدين لينزعه من أخذ البلاد لفالج كان به فأرسل إلى دمشق يطلب الملك الصالح فلم يرسل إليه خوفاً من أن يطلب على الأمراء كما سيأتي ولما ملك سيف الدين الجزيرة قال له فخر الدين عبد المسيح وكان قد وصل إليه من سيواس بعد موت نور الدين وهو الذي أقر له الملك بعد أبيه فظن أن سيف الدين يرعى له ذلك فلم يحسن ثمرة ما غرس وكان عنده كبيض الأمراء قال له الرأي أن تعبر إلى الشام فليس به مانع فقال له أكبر أمرائه وهو أمير يقال له عز الدين محمود المعروف بزلفندار قد ملكت أكثر ما كان لأبيك والمصلحة أن تعود فرجع إلى قوله وعاد إلى الموصل ليتقي الله امرأ كان مفعولاً اهـ

ذكر ما كان من الأمور بين صلاح الدين وبين أمراء

—*— دمشق بعد وفاة الملك العادل نور الدين —*—

قال في الروضتين قال ابن الأثير لما توفي نور الدين قال الأمراء منهم شمس الدين ابن المقدم وحسام الدين الحسيني بن عيسى الجراحي وغيرهما من أكابر الأمراء قد علمتم أن صلاح الدين من مماليك نور الدين ونوابه والمصلحة أن

نشاوره فيما نفعه ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعة الملك الصالح ويجعل ذلك حجة علينا وهو اقوى منا لأن له مثل مصر ورجلة اخرجنا وتولى هو خدمة الملك الصالح فلم يوافق اغراضهم هذا القول وخافوا ان يدخل صلاح الدين ويخرجوا فقال فلم يرض غير قليل حتى وصلت كتب صلاح الدين الى الملك الصالح يهته بالملك ويعزیه بأبيه وارسل دناير مصرية وعليها اسمه ويعرفه ان الخطبة والطاعة له كما كانت لو المعه فلما سار سيف الدين غازي بن عمه قطب الدين وملك النديار الجزرية ولم يرسل من مع الملك الصالح من الامراء الى صلاح الدين ولا اعلموه الحال كتب الى الملك الصالح يقبته حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده ليحضر في خدمته ويمنعه وكتب الى الامراء يقول ان الملك العادل لو علم ان فيكم من يقوم متمي لو يشق اليه مثلي ثقته بي ليسلم اليه مصر التي هي اعظم ممالكه وولاياته ولو لم يجعل عليه الموت لم يعهد الى احد بتربية ولده والقيام بخدمة مولاي وابن مولاي دوني فسوف اصل الى خدمته واجازي انعام والده بخدمة يظهر أثرها وافابل كلا منكم على سوء صنيعه واهمال امر الملك الصالح ومصالحه حتى اخذ بلاده فاقام الصالح بدمشق ومعه جماعة من الامراء لم يمكنوه من المسير الى حلب لثلا يغلبهم عليه شمس الدين علي بن الداية فانه كان اكبر الامراء النورية وانما تأخر عن خدمة الملك الصالح بعد وفاة نور الدين لمرض لحقه وكان هو واخوته بحلب وامرها اليهم وعسكرها معهم في حياة نور الدين وبعده ولما عجز عن الحركة ارسل الى الملك الصالح يدعوه الى حلب ليمنع البلاد من سيف الدين ابن عمه وارسل الى الامراء يقول لهم ان سيف الدين قد ملك الى الفرات ولئن لم ترسلوا الملك الصالح الى حلب حتى يجمع العساكر ويسترد ما اخذ منه والا عبر سيف الدين الفرات الى حلب

ولا تقوى على منعه فلم يرسلوه ولا يمكنوه من قصد حلب

سنة ٥٧٠

ذكر مجي الملك الصالح الى حلب وما جرى من الأثام

قدمنا ان سيف الدين غازي لما اتى الى البلاد الجزرية كان معه من الأمراء سعد الدين كمشتكين وان هذا لما بلغه وفاة نور الدين هرب بجريدة

قال في الروضتين لما هرب سعد الدين سار الى حلب وتمسك بمخدة شمس

الدين بن الداية واخوته واستقر بينهم وبينه ان يسير الى دمشق ويحضر الملك

الصالح فسار الى دمشق فاخرج ابن المقدم عسكريا لينهبه فعاد منهزما الى حلب

فأخلف عليه شمس الدين ابن الداية ما اخذ منه وجهزه وسيزه الى دمشق

وعلى نفسها تجني براقش فلما وصلها سعد الدين دخلها واجتمع بالملك الصالح

والأمراء واعلمهم ما في قصد الملك الصالح الى حلب من المصلحة فاجابوا الى

تسييره فسار اليها وكان مسير في الثالث والعشرين من ذي الحجة ودخل حلب

يوم الجمعة ثاني محرم سنة سبعين وخمسة وثمانين ولما وصلها وصعد الى قلعتها قبض

الخادم سعد الدين على شمس الدين ابن الداية واخوته وعلى ابن الخشاب رئيس

حلب قال ابن الاثير ولولا مرض شمس الدين لم يتمكن منه ولا جرى من ذلك

الخلف والوهن شني وكان امر الله قدرا مقدورا فاستبد سعد الدين بتدبير امر

الملك الصالح اسماعيل فخافه ابن المقدم وغيره من الأمراء الذين بدمشق وكاتبوا

سيف الدين ليسلموا اليه دمشق فلم يفعل وخاف ان تكون مكيدة عليه ليمبر

الفرات ويسير الى دمشق فيمنع عنها ويقصده ابن عمه من وراء ظهره فلا يمكنه

الثبات فراسل الملك الصالح وصالحه على اقرار ما اخذه بيده وبقي الملك الصالح

بجانب وسعد الدين بين يديه يدبر امره وتمكن منه تمكناً عظيماً يقارب الحجر عليه

[ذكر سبب قبض الخادم سعد الدين على ابناء الداية]

والفتنة بين اهل السنة والشيعة

قال في الروضتين وفي السيرة الصلاحية وفي المختار من الكواكب المضيئة لامات نور الدين كان متولى قلعة حلب شاذ بن محمد الخادم النورى وكان شمس الدين على اخو مجد الدين بن الداية اليه امور الجيش والديوان والى اخيه بدر الدين حسن الشحنة وكان بيده ويد اخوته جميع المعامل التى حول حلب فلما بلغ علياموت نور الدين حدثته نفسه بأمر وصعد الى القلعة وكان مقعدا واضطرب البلد وتحزب الناس بمحلب اهل السنة مع بنى الداية والشيعة مع ابن الخشاب ونهبت الشيعة دار قطب الدين بن المعجمى ودار بهاء الدين ابن امين الملك فانزل الأمير على بن محمد بن الداية والى القلعة جماعة من القلعين وامر اهل السنة ان يرجعوا الى دار ابى الفضل ابن الخشاب رئيس الشيعة فرجموا اليها ونهبوها واختنق ابن الخشاب واتصلت هذه الأخبار بمن فى دمشق من الأمراء فنظروا فى المصلحة فعلموا ان مسيره الى حلب اصلىح للدولة من مقامه بدمشق فارسلوا الى ابن الداية يطلبون ارسال سعد الدين ليأخذ الملك الصالح فجهزه وسيره وعلى نفسها تجني براقش وساروا الى حلب فى الثالث والعشرين من ذى الحجة وسار معه مع الملك الصالح سعد الدين كمشتكين وجرديك واسماعيل الخازن وسابق الدين عثمان بن الداية وقد وكلت الجماعة به وهو لا يعلم وساروا الى حلب وخرج الناس الى لقاءهم وكان حسن بن الداية قد رتب فى تلك الليلة جماعة من الحلبيين ليصبح ويصلبهم فلما خرج الى لقاء الملك الصالح ووقعت عينه

عليه تُرجل ليخدم هو وجماعة من اصحابه فتقدم جرديك واخذ بيده وشتمه وجذبه فاركبه خلفه رديفا وقبض سابق الدين اخوه في الحال وتخطفت اصحابهم جميعهم واحتيط عليهم وساروا مجدين حتى سبقوا الخبر الى القلعة وصعدوا عليها وقبضوا على شمس الدين على ابن الداية من فراشه وحمل الى بين يدي الملك الصالح فاستقبله احد مماليك نور الدين المعروف بالجنفنية فركله برجله ركلة دحاه بها على وجهه فانشقت جبهته ثم صفدوا جميعا في جب القلعة وقبضوا على جميع الأجناد الذين حلفوا لأولاد الداية واخرجوا جميعا من القلعة

ذكر قتل ابي الفضل ابن الخشاب

قال في الروضتين في حوادث سنة ٥٧٠ قال ابن ابي طي في اولها ضمن القطب العجمي ابو صالح وابن امين الدولة لجرديك ان قتل ابن الخشاب ردوا عليه جميع ما نهب له في دار ابن امين الدولة فدخل على الملك الصالح وتحدث معه واخذ خاتمه اماناً لابن الخشاب ونودي عليه فحضر وركب الى القلعة في جمع عظيم فصعد اليها والشعبة تحت القلعة وقوف فقتل وعلق رأسه على احد ابراج القلعة ثم رمى برأسه الى البلد وسكنت الفتنة وبقي الملك الصالح اسماعيل في القلعة

(ذكر مجي السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب)

من مصر الى الشام وحصص وحماة وملكه لهذه البلاد ثم مجيئه الى حلب وحصره لها وعوده عنها

قال في الروضتين قال ابن الأثير لما خاف من بدمشق من الأمراء ان يقصدهم كمشتكين والملك الصالح من حلب فيعاملهم بما عامل به بنى الداية راسلوا سيف الدين غازي ليسلموها اليه فلم يجيبهم فخطبهم الخوف على ان راسلوا صلاح الدين

يوسف بن ايوب بمصر وكان كبيرهم في ذلك شمس الدين ابن المقدم ومن اشبه
اباه فما ظلم فلما اتته الرسل لم يتوقف وسار الى الشام فلما وصل دمشق سلمها
اليه من بها من الأمراء ودخلها واستقر بها ولم يقطع خطبة الملك الصالح وإنما
اظهر اني انما جئت لأخذه واسترد له بلاده التي اخذها ابن عمه وقال
القاضي ابن شداد في السيرة الصلاحية لما تحقق السلطان صلاح الدين وفاة
نور الدين وكان ولده طفلاً لا ينهض بأعباء الملك ولا يستقل بدفع عدو الله
عن البلاد تجهز للخروج الى الشام اذ هو اصل بلاد الاسلام فتجهز بجمع كثير
من العساكر وخلف في الديار المصرية من يستقل بحفظها وحراستها ونظم امورها
وسياستها وخرج هو سائراً مع جمع من اهله واقاربه وهو يكتب اهل البلاد
وأمرائها واختلف كلمة اصحاب الملك الصالح واختلف تدابيرهم وخاف بعضهم
من بعض وقبض على جماعة منهم وكان ذلك سبب خوف الباقيين من فعل ذلك
وسبباً لتغير قلوب الناس عن الصبي فافتقر الحال ان كاتب شمس الدين بن المقدم
السلطان ووصل مطالباً بالملك الصالح ليكون هو الذي يتولى امره وتربية حاله
فيقوم له ما اعوج من امره فوصل دمشق ولم يشق عليه عصا ودخلها بالتسليم
يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر سنة سبعين وتسلم قلعتها وكان اول دخوله الى
دار ابيه واجتمع الناس اليه وفرحوا به وانفق في ذلك اليوم في الناس مالا
طائلاً واظهر الفرح والسرور بالدمشقيين واظهروا الفرح به وصعد القلعة
واستقر قدمه في ملكها اه

قال في الروضتين قال ابن ابي طي لما انصل بمن في حلب حصول دمشق للملك
الناصر وميل الناس اليه وانعكافهم عليه خافوا واشفقوا واجمعوا على مراسته
فحملوا قطب الدين ينال بن حسان رسالة ارعدوا فيها وارقوا وقالوا له هذه

السيوف التي ملكتك مصر بأيدينا والرماح التي حوت بها قصور المصريين على
اكتافنا والرجال التي ردت عنك تلك العسا كرهى تردك وعمما تصديت له تصدك
وانت فقد تعديت طورك وتجاوزت حدك وانت احد غلمان نور الدين وعمن
يجب عليه حفظه في ولده

قال ولما بلغ السلطان ورود ابن حسان عليه رسولاً تلقاه بموكبه وبنفسه وبالغ
في اكرامه والأحسان اليه ثم احضره بعد ثلاثة لسماع الرسالة منه فلما فاه ابن
حسان بتلك الشقاشق الباطلة والتمويهات العاطلة لم يعره السلطان رحمه الله
طرفاً ولا سماعاً ولا رد عليه خفضاً ولا رفعا بل ضرب عنه صفحا وتفاضيا وترك
جوابه احساناً وتجايفاً وجرى في ميدان اريحيته واستن في سنن مرؤته وخاطبه
بكلام لطيف رقيق وقال له يا هذا اعلم انني وصلت الى الشام لجمع كلمة الاسلام
وتهذيب الأمور وحيطة الجمهور وسد الثغور وتربية واد نور الدين وكف
عادية المعتدين فقال له ابن حسان انك انما وردت لأخذ الملك لنفسك ونحن لا
نطاوعك على ذلك ودون ما ترومه خرط القتاد وفت الأكباد وايتام الأولاد
فلم يلتفت السلطان لمقاله وتزايد في احتماله واوماً الى رجاله باقامته من بين
يديه بعد ان كاد يسطو عليه ونادى في عسا كرهه بالأستعداد لقصد الشام الأدنى
[بلاد حلب] ورحل متوجها الى حمص فتسام البلد وقاتل القلعة ولم يرتضيع الزمان
عليها فوكل بها من يحصرها ورحل الى جهة حماة فلما وصل الى الرستن خرج
صاحبها عز الدين جرديك وامر من فيها من العسكر بطاعة اخيه شمس الدين
على وانباع امره وسار جرديك حتى لقي السلطان واجتمع به بالرستن واقام
عنده يوما وليلة وظهر من نتيجة اجتماعه به انه سلم اليه حماة وسأله ان يكون
السفير بينه وبين من يجلب فأجاباه السلطان الى مراده وسار الى حلب وبقي

اخو جرديك بقلة حماة قال وسار جرديك الى حلب وهو ظان انه قد فعل شيئاً وحصل عند من مجلب يدا فاجتمع بالأمرء والملك الصالح وشار عليهم بمصالحة الملك الناصر فاتهمه الأمرء بالمخامرة وردوا مشورته وشاروا بقبضه فامتنع الملك الصالح ولج سعد الدين كمشتكين في القبض عليه فقبض وثقل بالحديد واخذ بالعذاب الشديد وحمل الى الجب الذي فيه اولاد الداية قال ولما قدم جرديك وشد في وسطه الحبل ودلي الى الجب واحس به اولاد الداية قام اليه منهم حسن وشمته اقبح شتم وسبه الأم سب وحلف بالله ان انزل اليهم ليقتلنه فامتنعوا من تدليته فاعلم سعد الدين كمشتكين فحضر الى الجب وصاح على حسن وشمته وتوعده فسكن حسن وامسك وانزل جرديك الجب فكان عند اولاد الداية واسمعه حسن كل مكروه قال وكتب ابى [هو ابوطي وكان من كبار الشيعة] الى حلب حين انصل به قبض اولاد الداية وجرديك وكانوا تعصبوا عليه حتى نفاه نور الدين من حلب قصيدة منها

بنو فلانة اعوان الضلالة قد * قضي بذلم الأفلاك والقدر
واصبحوا بعد عز الملك في صفد * وقعر مظلمة يفتشى لها البصر
وجرد الدهر في جرديك عزيمته * والدهر لا ملجأ منه ولا وزر
قال ولم يزل السلطان مقبلاً على الرستن ثم طال عليه الأمر فسار الى جباب التركان فلقبه احد غلمان جرديك واخبره بما جرى على جرديك من الأعتقال والقهر فرحل السلطان من ساعته عائدا الى حماة وطلب من اخى جرديك تسليم حماة اليه واخبره بما جرى على اخيه ففعل وصعد السلطان الى قلعة حماة واعتبر احوالها وولاها مبارز الدين على ابن ابى الفوارس وذلك مستهل جمادى الآخرة وسار السلطان الى حلب ونزل على اف جبل جوشن فوق مشهد الدكة ثالث الشهر

وامتدت عساكره الى الخناقية والى السعدى وكان من مجلب يظنون ان السلطان لا يقدم عليهم فلم يرعهم الا وعساكره قد نازلت حلب وخيمه تضرب على جبل جوشن واعلامه قد نشرت فحافوا من الحلبيين ان يسلموا البلد كما فعل اهل دمشق فارادوا تطيب قلوب العامة فاشير على ابن نور الدين ان يجمعهم في الميدان ويقبل عليهم بنفسه ويخاطبهم بنفسه انهم الوزر والملجأ فأمر ان ينادى بأجتماع الناس الى ميدان باب العراق فاجتمعوا حتى غص الميدان بالناس فنزل الصالح من باب الدرجة وصعد الخندق ووقف في رأس الميدان من الشمال وقال لهم يا اهل حلب انا ربيكم ونزيلكم واللاجئ اليكم كبيركم عندي بمنزلة الأب وشابكم عندي بمنزلة الأخ وصغيركم عندي يحل محل الولد وخفته العبرة وسبقته الدمة وعلا نحيبه ففتن الناس وصاحوا صيحة واحدة ورموا بمئاتهم وضجوا بالبكاء والمويل وقالوا نحن عبيدك وعبيد ابيك تقاتل بين يديك ونبذل اموالنا وانفسنا لك واقبلوا على الدعاء والترحم على ابيه وكانوا قد اشترطوا على الملك الصالح انه يعيد اليهم شرقية الجامع يصلون فيها على قاعدتهم القديمة وان يجهر بحمي على خير العمل والأذان والتذكير في الأسواق وقدام الجنائز باسماء الأئمة الاثنى عشر وان يصلوا على امواتهم خمس تكبيرات وان يكون عقود الأئمة الى الشريف الطاهر ابي المكارم حمزة ابن زهرة الحسيني [١] وان تكون المصيبة مرتفعة والناموس وازع لمن اراد الفتنة واشياء كثيرة اقترحوها مما كان قد ابطله نور الدين رحمه الله فاجيبوا الى ذلك قال ابن طي فأذن المؤذنون في منارة الجامع وغيره بحمي على خير العمل وصلى ابي في الشرقية مسبلا وصلى وجوه الحلبيين خلفه وذكروا في الاسواق وقدام الجنائز اسماء الأئمة وصلوا على

[١] هو المدفون بجباب المشهد وقبره ظاهر نمة

الأموات خمس تكبيرات واذن للشريف في ان يكون عقود الحلبيين من الامامية اليه وفعلوا جميع ما وقعت الأيمان عليه اه
وقال في الروضتين قال ابن ابي طي وكانت هذه السنة شديدة البرد كثيرة الثلوج عظيمة الامطار هائجة الأهوية وكان السلطان قد جعل اولاد الداية علالة له وسبباً يقطع به السنة من ينكر عليه الخروج الى الشام وقصد الملك الصالح فامتنع كمشتكين فاشتد حينئذ السلطان في قتال البلد وكانت ليالي الجماعة عند الملك الصالح لا تنقضي الا بنصب الحباطل للسلطان والفكرة في مخالته وارسال المكروه اليه فاجموا آرائهم على مراسلة سنان صاحب الحشيشية في ارضاد المتالف للسلطان وارسال من يفك به وضمنوا له على ذلك اموال الائمة وعدة من القرى فأرسل سنان جماعة من فتاك اصحابه لاغتيال السلطان فجاؤا الى جبل جوشن واختلطوا بالمسكر فعرفهم صاحب بوقيدن لأنه كان مشاعراً لهم فقال لهم يا ويلكم كيف تجاسرتم على الوصول الى هذا المسكر ومثلي فيه فخافوا غائلته فوثبوا عليه فقتلوه في موضعه وجاء قوم للدفع عنه فمرحوا بعضهم وقتلوا البعض وبدر من الحشيشية اخدم وبيده سكين مشهورة ليقصد السلطان ويهجم عليه فلما صار الى باب الخيمة اعترضه طغريل امير جاندار فقتله وطلب الباقر فقتلوا بعد ان قتلوا جماعة قال ولما فات من حلب الغرض من السلطان بطريق الحشيشية كاتبوا قض طرابلس وضمنوا له اشياء كثيرة متى رحل السلطان عن حلب وكان في اسر نور الدين منذ كسرة حارم وكان قد بذل في نفسه الاموال العظيمة فلم يقبلها نور الدين فلما كان قبل موت نور الدين سعى له فخر الدين سعود بن الزعفراني حتى باعه نور الدين بمبلغ مائة وخمسين الف دينار وفكالك الف اسير واتفق في اول هذه السنة موت ملك الفرنج صاحب القدس وطبرية

وغيرهما فتكفل هذا القمص بأمر ولده المخدم فمظم شأنه وزاد خطره فأرسل الى السلطان في امر الحلبيين واخبره الرسول ان الفرنج قد تعاضدوا وصاروا يداً واحدة فقال لست ممن يرهب بنائب الفرنج وها انا سائر اليهم ثم انهض قطعة من جيشه وامرهم بقصد انطاكية فغزوا غنيمة حسنة وتعادوا فقصد القمص فنكص راجعاً الى بلاده وحصل الفرض من رحيل السلطان عن حلب ووصل الى حمص فتسلم القاعة ورتب فيها والياً من قبله [ثم قال] ثم ارسل السلطان الخطيب شمس بن الوزير ابي المضاء الى الديوان العزيز [في بغداد] برسالة ضمنها القاضي الفاضل كتاباً طويلاً راثقاً فائقاً يشتمل على تعداد ما للسلطان من الايدي في جهاد الأفرنج في حياة نور الدين ثم فتح مصر واليمن وبلاداً جمّة من اطراف المغرب واقامة الخطبة العباسية بها [ثم ساق الكتاب] ثم قال قال العماد الكاتب ولما فرغ السلطان من حمص وحصنها سار الى بعلبك فتسلمها في رابع شهر رمضان قال ابن ابي طى وكان بها خادم يقال له يمن فلما شاهد كثرة عساكر السلطان اضطرب في امره وراسل من بحلب على جناح طائر فلم يرجع اليه منهم خبر فطلب الأمان وسلم بعلبك الى السلطان

ذكر الحرب بين سيف الدين غازي صاحب الموصل

وبين صلاح الدين وانهزام سيف الدين ومحصنة صلاح الدين حلب والأندلس عليها بينه وبين الملك الصالح اسماعيل نور الدين قال في الروضتين قال ابن ابي طى لما تسلم السلطان بعلبك وازاح عنها عاد الى حمص ونزل بها فاتصل به ورود عن الدين مسعود اخي سيف الدين صاحب الموصل فمجدد للملك الصالح وكان سبب وروده ان جماعة من امراء حلب لما كان

السلطان نازلاً على حلب اجتمعوا آرائهم وكاتبوا سيف الدين والزموه نجدة ابن عمه واخبروه ان السلطان متى ملك حلب لم يكن له قصد الا الموصل وارسلوا بذلك امين الدين هاشماً خطيب حلب وقطب الدين يندال بن حسان وغرس الدين قليج وكان سيف الدين منازل بسنجار وفيها اخوه عماد الدين قد اظهر الانتماء الى السلطان فأنجده السلطان بقطعة من جيشه فكسرهم ونهبهم عماد الدين بهم وبمسكروه فلما وصلت رسالة الحلبيين الى سيف الدين صالح اخاه عماد الدين وحشد عسكره وانفذ يجيبهم مع اخيه عز الدين مسعود فورد حلب بعد رحيل السلطان عنها الى بعلبك فاغتم الحلبيون بعد السلطان عنهم فاحتشدوا وخرجوا جميعاً حتى خيموا على حماة واخذوا في حصارها واتصل بالسلطان ذلك فرحل من بعلبك الى حمص وبلغ عز الدين فعاد عن حماة ونزل قريباً من جباب التركمان الى جهة العاصي الى قريب من شيزر وارسل النائب بحماة علي بن ابي الفوارس يقول له انما وصلت في اصلاح الحال ووضع اوزار القتال وسأله مكانة السلطان فيما يجمع الكلمة ويلم شعث الفرقة فكتب ابن ابي الفوارس بذلك الى السلطان وحسن له الصلح وتلطف في ذلك غاية التلطف وقدم ابو صالح ابن العجمي وسعد الدين كمشكين لطاب الصلح فاجابها السلطان الى ما اراد وتقرر على انه يرد اليهم جميع الحصون والبلاد ويقنع بدمشق وحدها ويكون نائباً للملك الصالح فلما عين سعد الدين اجابة السلطان الى الصلح والنزول عن جميع الحصون التي اخذها حمص وحماة وبعلبك طمع في جانب السلطان وتجاوز الحد في الاقتراح وطلب الرحبة واعمالها فقال هي لابن عمي ولا سبيل الى اخذها فقام سعد الدين من بين يديه ناغرا وكان ذلك برأى ابي صالح ابن العجمي لأنه كان معه فاجتهد السلطان به ان يرجع فلم يفعل وخرج

الى عز الدين مسعود وكان بعد نازلا على حماة وحدثه ما دار بينه وبين السلطان وهون عليه ابو صالح امر السلطان واخبره بقلته من معه وكان السلطان لما كوتب في امر الصلح سار في خوف من اصحابه فلما عادوا بذلك طمعوا في جانبه وعواوا على لقائه وانتهاز الفرصة في امره فكان باق اصحابه واستعد لحربهم وسار الى ان نزل على قرون حماة واخذ في مدافعة الايام حتى يقدم عليه باقي عسكره وراسلهم في الناطف للأحوال فلم ينجح فيهم حال وكانوا في كل يوم يعزمون على لقائه وقتاله فيبطل عزيمتهم بمراسلة يفتعها تسويفاً للاوقات وتقطيعاً للزمان حتى يقدم عليه عسكره وكانت هيئته قد ملأت صدور القوم ولولا ذلك لكانوا قد ناهزوا الفرصة وناولوا منه الغرض قال وفي يوم الاحد تاسع عشر رمضان النقوا ولم يكن بعد قد وصل للسلطان من عسكره احد فتجمع اصحاب السلطان كردوساً واحداً واخذوا يحداون يمة ويسرة ويدافعون الاوقات رجاء ان يتصل بهم بعض العسكر وضرى عسكر حاب والعسكر الموصل على اصحاب السلطان حين شاهدوا قلتهم واجتماعهم وكاد اصحاب السلطان يواون الادبار فوصل تقي الدين عمر عند الحاجة اليه لتمام السعادة للسلطان فانه لو تأخر ساعة لانكسر عسكره فوصل تقي الدين في عسكر مصر وجماعة من الامراء وهم غير عالمين بالحرب وقيامها فلما رأوا الناس في الكر والضرب والهبر حملوا جميعاً بعد ان افرقوا في الميمنة والميسرة فصدوا عسكر الموصل صدمة ضعفتهم وكان السلطان في هذه المدة قد كاتب جماعة من عسكرهم واستفادهم اليه وحمل اليهم الأموال وهذا هو الذي ابطأ بهم الى ان وصلت عساكره والا فلو كان عسكر حلب نصح لم يقدر السلطان على الثبوت ساعة فلما اشتد القتال لم ينصح الجماعة التي كاتبها السلطان بل كانوا مثبطين مخوفين لمن قرب منهم ثم

انهم بعد ذلك انهزموا وتبعهم عسكر السلطان واستباحوا اموالهم وخيامهم وامر السلطان اصحابه ان لا يوغلوا في طلبهم ولا يقتلوا من رأوه منهزما ولا يدفقوا على جريح ورحل حتى نزل في منزلتهم ثم سار من وقته مجدا حتى نزل بمرج قراحصار ولم يزل هناك حتى عيد عيد الفطر فجاءته رسل الملك الصالح يسألونه المهادنة وان يقر الملك الصالح على ما في يده وما هو جار تحت حكمه من الشام الأسفل الى بلد حماة فلم يرض بذلك فجعلوا له مع حماة المعرة وكفرطاب فرضي بذلك وحلف على نسخة رأيتها وعليها خطه قال وكان في جملة اليمين انه متى قصد الملك الصالح عدو حضر بنفسه وجيوشه ودافع عنه وان لا يغير الدعاء له من جميع منابر البلاد التي تحت يد السلطان وولايته وولاية اصحابه وان تكون السكة بأسمه ولما حلف السلطان والملك الصالح وامراؤه عاد السلطان قاصداً دمشق فلما وصل الى حماة وصلت اليه رسل الخليفة المستضيء ومعهم النشريفات الجليلة والأعلام السود وتوقيع من الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام وفي هذه الخلع يقول ابن سعدان الحلبي

يا ايها الملك العزيز فضله * لقد غدوت بالعلي مليا
كفى امير المؤمنين شرفا * انك اصبحت له وليا
طارحك الود على شحط النوى * فكنت ذاك الصادق الوفيا
اولاك من لباسه زخرفة * لم يولها قبلك آدميا
ناسبت الروض سنا وبهجة * حتى حكته روتقا وريا

(سنة ٥٧١)

الحرب بين السلطان صلاح الدين وبين سيف الدين غازي
صاحب الموصل وانهزام هذا منه واستيلاء صلاح علي منبج

ثم اعزاز ثم محاصرته لحلب والصلح بينه وبين الملك الصالح

اسماعيل بن نور الدين واهداه اعزاز الى ابنة نور الدين

قال في الروضتين في حوادث هذه السنة قد سبق ذكر الصلح الذي جرى بين السلطان والحلبيين فلما سمع المواصلة عتبوا عليهم ووبخوهم ونسبوا الى العجلة في ذلك وسلوك غير طريق الحزم فمخلموهم على النقض والنكث وانفذوا من اخذ عليهم الموائيق وتوجه ذلك الرسول منهم الى دمشق ليأخذ للمواصلة من السلطان عهده ويكشف ايضاً ما عنده فلما خلا به طالبه السلطان بنسخة الرأي فغلط واخرج من كبه نسخة يمين الحلبيين لهم وناولها اياه فتأملها واخفى سره وما ابداه واطلع على ما انفقوا عليه ورددها اليه وقال لعلمها قد تبديلت فعرف الرسول انه قد غلط ولم يمكنه تلافي ما فرط وقال السلطان كيف حلف الحلبيون للمواصلة ومن شرط ايمانهم انهم لا يعتمدون امراً الا بمر اجعتهم لنا واستثذناهم وعرف من ذلك اليوم ان العهد منقوض والوفاء مرفوض وشاع الخبر عن المواصلة بالخروج في الربيع فكتب السلطان الى اخيه العادل وهو نائبه بمصر يعلمه بذلك ويأمره ان يأمر العساكر بالاستعداد للخروج في شعبان قلت وفي كتاب فاضلي جايل الى بغداد عن السلطان [يطالع بان الحلبيين والموصلين لما وضعوا السلاح وخفضوا الجناح اقتصرنا بعد ان كانت البلاد في ايدينا على استخدام عسكر الحلبيين في البيكرات الى الكفر وعرضنا عليهم الامانة فحملوها والايمان فبدلوها وسار رسولنا وحلف صاحب الموصل بمحضر من قههاء بلده وامراء مشهده يميناً جعل الله فيها حكماً وضيق في نكثها المجال على من كان حنيفاً مسلماً وعاد رسوله ليسمع منا اليمين فلما حضر واحضر نسختها اوماً بيده ليخرجها فاخرج نسخة يمين كانت بين الموصلين والحلبيين مضمونها الانفاق على حزبنا

والتداعي الى حربنا والتساعد على ازالة خطبنا والاستنفار لمن هو على بعدنا
 وقربنا وقد حلف بها كمشتكين الخادم مجلب وجماعة معه يمينا نقضت الأولى
 فرددنا اليمين الى يمين الرسول وقلنا هذه يمين عن الايمان خارجه وارادت عمراً
 واراد الله خارجه وانصرف الرسول عن بابنا وقد نزهنا الله ان يكون اسمه
 معرّضاً للحنث العظيم والنكث الذميم وعلمنا ان الناقد بصير والآخذ قدير
 والمواقف الشريفة النبوية اعلاها الله مستخرجة الاوامر الى الموصلى اما بكتاب
 مؤكد بان لا ينقض عهد الله من بعد ميثاقه واما ان تكون الفسحة واقعة لنا في
 تضيق خناقه [اه ثم قال ابن شداد [في السيرة الصلاحية] لما وقعت الواقعة
 الأولى مع الحابيين والمواصلة كان سيف الدين صاحب الموصل على سنجار يحاصر
 اخاه عماد الدين يقصد اخذها منه ودخوله في طاعته وكان اخوه قد اظهر الانتماء
 الى السلطان صلاح الدين واعنصم بذلك واشتد سيف الدين في حصار المكان
 وضربه بالمنجنيق حتى انهدم من سورته ثلم كثيرة واشرف على الاخذ فبلغه
 وقوع هذه الواقعة فخاف ان يبلغ ذلك اخاه فيشد امره ويقوى جأشه فراسله
 في الصالح فصالحه ثم سار من وقته الى نصيبين واهتم بجمع العساكر والانفاق
 فيها وسار حتى اتى الفرات وعبر بالبيرة وخيم على جانب الفرات الشامي وارسل
 كمشتكين اليه وجرت مراجعات كثيرة عزم فيها على العود مراراً حتى استقر
 اجتماعه بالملك الصالح وسمحوا به وسار ووصل حلب وخرج الصالح الى لقائه
 بنفسه فالتماه قريب القلعة واعتنقه وضمه اليه وبكى ثم امره بالعود الى
 القلعة فعاد اليها وسار هو حتى نزل بعين المباركة واقام بها مدة وعسكر حلب
 يخرج الى خدمته في كل يوم وصعد جريدة واكل فيها خبزاً ونزل وسار واحلا
 الي تل السلطان ومعه جمع كبير واهل ديار بكر والسلطان رحمه الله قد انفذ في

طلب المساكر من مصر وهو يرقب وصولها وهؤلاء يتأخرون في امورهم وتدابيرهم
 وهم لا يشعرون ان في التأخير تدميرا حتى وصل عسكر مصر فسار رحمه الله حتى
 اتى قرون حماة فبلغهم انه قد قارب عسكرهم فاخرجوا اليك ووجهوا من كشف
 الاخبار فوجدوه قد وصل جريدة الى جباب التركمان وتفرق عسكره يسقى
 فلو اراد الله نصرتهم لقصدوه في تلك الساعة لكن صبروا عليه حتى سقى خياه
 هو وعسكره واجتمعوا وتعبوا تعبىة القتال واصبح القوم على مصاف وذلك
 بكرة الخميس العاشر من شوال فالتقى العسكران وتصادما وجرى قتال عظيم
 وانكسرت ميمنة السلطان بأبن زين الدين بن مظفر الدين فانه كان في ميمنة
 سيف الدين وحمل السلطان بنفسه فانكسر القوم واسر منهم جمعا عظيما من كبار
 الامراء منهم الأمير فخر الدين عبد المسيح فن عليهم واطلقهم وعاد سيف الدين
 الى حلب فاخذ منها خزائنه وسار حتى عبر الفرات وعاد الى بلاده وامسك
 هو رحمه الله عن تتبع العسكر ونزل في بقية ذلك اليوم في خيم القوم فأنهم
 كانوا قد ابقوا الثقل على ما كان عليه والمطابخ قد عملت ففرق الاصطبلات ووهب
 الخزائن واعطى خيمة سيف الدين لعز الدين فرخشاها اه

ثم نقل في الروضتين ما ذكره العماد الكاتب في كتاب البرق الشامى في تاريخ
 الدولة الصلاحية في هذه الواقعة فقال

قال العماد رحلنا في شهر رمضان من دمشق مستأنفين فعبرنا العاصى لله طائعين
 والى المسار مسارعين فاعرجنا على البلد ولا انتظرنا ما وراءنا من مدد ونزلنا
 الغسلة وجزنا حماة وخيمنا في مرج بوقبيس وجاء الخبر انهم في عشرين الف
 فارس سوى سوادهم وما وراءهم من امدادهم [سيأنيك ما فيه نقلا عن ابن
 الأثير] وانهم موعودون من الفرنج بالنجدة وانهم يزيدون في كل يوم قوة

وشدة وما كان اجتمع من عسكرنا سوى الف فارس فرتب السلطان عسكره
 وقوى بقوة قلبه وامد الله بحزب ملائكته حزبه ولما وصل المواصلة الى
 حلب اطلقوا من كان في الأسرى من ملوك الفرنج منهم ارناط ابرنس الكرك
 وجوسلين خال الملك وقرروا معهم ان يدخلوا من مساعدتهم في الدرك فلما
 عيدنا وصل الى السلطان الخبر بوصولهم الى تل السلطان فعبرنا العاصي عند شيزر
 ورتبنا العسكر واعدنا الأتقال الى حماة ثم وصف الواقعة الى ان قال وركب
 السلطان اكتافهم فشل مئيم وآلافهم حتى اخرجهم من خيامهم واشرقهم بمائهم
 ووكل بسرdaq سيف الدين غازي ومضاربه ابن اخيه فرخشاه وركض وراه
 حتى علم انه تعدها ووقع في الأسر جماعة من الأمراء المقدمين ثم من عليهم
 بالخلع بعد ان تقاهم الى حماة واطاعهم ثم نزل في السراوق السيفي فتسلمه بخزائنه
 ومحاسنه واصطبلاته ومطابخه ورواسي عنزه ورواسخه فبسط في جميع ذلك ايدي
 الجود وفرقها على الحضور والشهود وابقى منها نصيبا للرسل والوفود ورأى
 في بيت الشراب في السراوق الخاص طيوراً من القماري والبلابل والهزار والبيغا
 في الأقفاص فاستدعى احد الندماء مظفر الأقرع فأنسه وقال خذ هذه الأقفاص
 واطلب بها الخلاص واذهب بها الى سيف الدين فأوصلها اليه وسلم منا عليه
 وقال له عدالى اللدب بهذه الطيور فهي سليمة لانوقك في مثل هذا المحذور وقال
 ولما كسر القوم ولوا مدبرين الى حلب فلم يقف بعضهم الى بعض وظنوا ان
 المساكرواءهم ركضا وراه ركض فتبعجت خيولهم وتموجت سيولهم وما صدقوا
 كيف يصلون الى حلب وينلقون ابوابها ويسكنون اضطرابها واما سيف الدين
 فإنه ركض في يومه من تل السلطان الى بزاعة وجاوز في سوقه الأستطاعة وفرق
 وفارق الجماعة اه

وقال ابن الأثير في حوادث هذه السنة في اثناء الكلام علي هذه الواقعة . سار صلاح الدين من دمشق الى ناحية حلب ليقب سيف الدين فالتقى العسكران بتل السلطان وكان سيف الدين قد سبقه فلما وصل صلاح الدين كان وصوله العصر وقد تعب هو واصحابه وعطشوا فألقوا نفوسهم الى الأرض ليس فيهم حركة فأشار علي سيف الدين جماعة بقتالهم وهم علي هذا الحال فقال زلفندار ما بنا هذه الحاجة الى قتال هذا الخارجي في هذه الساعة غدا بكرة نأخذهم كلهم فترك القتال الى الغد فلما اصبحوا اصطفوا للقتال فجعل زلفندار وهو المدير للعسكر السيفي اعلامهم في وهداة من الأرض لا يراها الا من هو بالقرب منها فلما لم يرها الناس ظنوا ان السلطان قد انهزم فلم يشبوا وانهزموا لم يلو اخ علي اخيه ولم يقتل بين الفريقين مع كثرتهم غير رجل واحد ووصل سيف الدين الى حلب فزل وترك بها اخاه عز الدين مسعودا في جمع من العسكر ولم يقم هو وعبر الفرات وسار الى الموصل وهو لا يصدق انه ينجو (ثم قال) وقد ذكر العماد الكاتب في كتاب البرق الشامي في تاريخ الدولة الصلاحية ان سيف الدين كان عسكره في هذه الواقعة عشرين الف فارس ولم يكن كذلك انما كان علي التحقيق يزيدون علي ستة الآف فارس اقل من خمسمائة فأنتى وقفت علي جريدة العرض وترتيب العساكر المصاف ميمنة وميسرة وقلبا وجاليشية وغير ذلك وكان المتولي لذلك والكاتب له اخى مجد الدين ابا السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم رحمه الله وانما قصد العماد ان يعظم امر صاحبه بأنه هزم بستة آلاف عشرين الفا والحق احق ان يتبع ثم ياليت شعري كم هي الموصل واعمالها الى الفرات حتى يكون لها وفيها عشرون الف فارس اه

اقول وفي قوله انه لم يقتل سوى رجل واحد نظر لما سيأنيك عن ابن ابي طي

وقال في الروضتين قال ابن ابي طي في وصف هذه الواقعة ان ميسرة سيف الدين انكسرت فتحرك الى جانبها ليكون رداً لها ومددا فظن باقي العسكر انه قد انهزم فانهمزوا فحقق ما كان وهما فصار على وجهه لا يلوى على شيء وتبهم السلطان فهلك منهم جماعة قتلا وغرقا واسر جماعة كثيرة من وجوههم وامراتهم ثم رجع وامر اصحابه برفع السيف على الناس وترك التعرض لمن وجد منهم بقتل او نهب وفرق ما وجد في خزائن سيف الدين وسير جواريه وحظاياه الى حلب وارسل اليه بالأقفاص وقال له عد الى اللعب بهذه الطيور فانها الذ من مقاساة الحرب ووجد السلطان عسكر الموصل كالحانة من كثرة الخمر والبرابط والعيدان والجنوك والمغنيين والمغنيات قال واشتهر انه كان مع سيف الدين اكثر من مائة مغبة وان السلطان ارى ذلك لمساكره واستعاذ من هذه البلية وكان انفذ الأمراء الذين اسرهم الى حماة ثم ردهم وخلع عليهم وارسلهم الى حلب

ثم قال قال ابن ابي طي واما سيف الدين فانه امتدت به الهزيمة الى بزاعة فأقام بها حتى تلاحق به من سلم من اصحابه ثم خرج منها حتى قطع الفرات وصار الى الموصل وصار باقي عسكر حلب الى حلب في سابع شوال (تقدم عن ابن شداد ان الواقعة كانت في عاشر شوال فلعله كانت في ثلثه ووصول المنهزمين الى حلب في سابعه وما في ابن شداد سهو من النساخ) في اقبح حال واسوء عراة حفاة فقراء يتلاومون على تقض الأيمان والعهود وخاف اهل حلب من قصد السلطان لهم فأخذوا في الاستعداد للحصار وجاء السلطان وخيم عليها اياما ثم قال الرأي ان تقصد ما حولها من الحصون والمعقل والقلاع فنفتحها فانا اذا فعلنا ذلك ضعفت حلب وهان امرها فصوبوا رأيه فزلوا على بزاعة

فتسلمها بالأمان وولاها عز الدين خشتين الكردي وكان ذلك في الثاني والعشرين من شوال ثم فتح منبج في التاسع والعشرين منه وكان فيها الأمير قطب الدين ينال بن حسان والسلطان لاينال به احسان بل كان في جر عسكر الموصل اليه اقوى سبب ولا يحاذقه ولا يحفظ معه شرط ادب ويواجهه بما يكره فسلم القلعة بما فيها وقوم ما كان سلمه بثلاثمائة الف دينار منها عين وتقود ومصوغ ومطبوع ومصنوع ومنسوج وغلات. وسامه على ان يخدم فأبى وانف وكبرت نفسه فتعب سره وذهب ما جمعه ومضى الى صاحب الموصل فأقطعه الرقة فبقي فيها الى ان اخذها السلطان منه مرة ثانية في سنة ثمان وسبعين .

ثم قال قال ابن ابي طي لما ملك السلطان منبج وتسلم الحصن صعد اليه وجلس يستعرض اموال ابن حسان وذخائره فكان في جملة امواله ثلثمائة الف دينار ومن الفضة والآنية الذهبية والأسلحة والذخائر ما يناهز الي الف دينار فخان من السلطان التفاتة فرأى على الاكياس والآنية مكتوبا يوسف فسأل عن هذا الأسم فقيل له ولد يحبه ويورثه اسمه يوسف كان يدخر هذه الأموال له فقال السلطان انا يوسف وقد اخذت ماخبي لي فتعجب الناس من ذلك قال ولما فرغ من منبج نزل على اعزاز ونصب عليها عدة مجانيق وجد في القتال وبذل الأموال قال العماد ثم نزل السلطان على حصن عزاز وقطع بين الحلبيين وبين الفرنج الجواز وهو حصن منيع رفيع فحاصره ثمانية وثلاثين يوما وكان السلطان قد اشنق على هذا الحصن من موافقة الحلبيين للفرنج فأن الغيظ حملهم على مهادنة الفرنج واطلاق ملوكهم الذين تعب نور الدين رحمه الله في اسرهم فرأى السلطان ان يحتاط على المعانل ويصونها صون العقائل فتسلمها حادي عشر ذى الحجة بعد مدة حصارها المذكور قال واغار عسكر حلب على عسكرنا

في مدة مقامنا على عزاز فأخذوا على غرة وغفلة ماتمجلوه وعادوا فركب اصحابنا في طلبهم فما ادركوا الا فارسا واحدا فأمر السلطان بقطع يده بمحكم جرده فقلت للمأمور وذلك بمسمع من السلطان تمهل ساعة لعله يقبل مني شفاعة ثم قلت هذا لايجل وقدرك بل دينك عن هذا يجل وما زلت اكرر عليه الحديث حتى تبسم وعادت عاطفته ورحم وامر بحسبه وسرني سلامة نفسه ودخل ناصر الدين بن اسد الدين وقال ما هذا الفشل والونا وان سكتم انتم فما اسكت انسا ودمدم وزمجر وغضب وزأر وقال لم لا يقتل هذا الرجل ولما ذا اعتقل فوعظه السلطان واستعطفه وسكن غضبه وتمطفه وتلا عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى واطلق سراحه وتم في نجاهه نجاهه اه

(ذكر وثوب الحشيشية على السلطان صلاح الدين)

مرة ثانية قصد اغتياله

قال في الروضتين كانت الوثبة الأولى عليه وهو على حلب وقد تقدم وهذه كانت حادى عشر ذى القعدة وهو على اعزاز يجارها وكان للأمير جاولى الأسدى خيمة قريبة من المنجنيقات وكان السلطان يحضر فيها كل يوم لمشاهدة الآلات وترتيب المهات وحض الرجال والحث على القتال ثم قال ابن ابي طي لما فتح السلطان حصن بزاعة ومنبج ايتن من بحلب بمخرج مافي ايد يهم من المعافل والقلاع فعادوا الى عادتهم في نصب الجبائل للسلطان فكانوا سنانا صاحب الحشيشية [هو من الاسماعيلية وكان مقامه في مصيات بلدة صغيرة بالقرب من حماة وهي الآن من اعمالها ولازال سكانها من الاسماعيلية] مرة ثانية ورغبوه بالأموال والواعيد وحملوه على انفاذ من يفتك بالسلطان فارسل لعنه الله من

اصحابه فجاؤا بزى الأجناد ودخلوا بين المقاتلة وباشروا الحرب وابلوا فيها احسن
البلاء وامنرجوا باصحاب السلطان لعلمهم يحدون فرصة يتتهزونها فبينما السلطان
يوماً جالسا في خيمة جاولى [وقد قدما اسباب جلوسه فيها] والحرب قائمة
والسلطان مشغول بالظفر الى القتال اذ وثب عليه احد الحشيشية وضربه بسكين
على رأسه وكان رحمه الله محترزا خائفا من الحشيشية لا يترع التردية عن بدنه
ولا صفائح الحديد عن رأسه فلم تصنع حربة الحشيشي شيئا لمكان صفائح الحديد
واحس الحشيشي بصفائح الحديد على رأس السلطان فد يده بالسكينة الى خد
السلطان فخرحه وجرى الدم على وجهه فتتعتم السلطان لذلك ولما رأى الحشيشي
ذلك هجم على السلطان وضرب رأسه ووضع على الأرض وركبه ليجره وكان
من حول السلطان قد ادركهم دهشة اخذت بعقولهم وحضر في ذلك الوقت
سيف الدين با زكوج وقيل انه كان حاضرا فاخترط سيفه وضرب الحشيشي
فقتله وجاء آخر من الحشيشية ايضا يقصد السلطان فاعترضه الأمير منكلان
الكردي وضربه بالسيف وسبق الحشيشي الى منكلان فخرحه في جبهته وقتله
منكلان ومات منكلان من ضربة الحشيشي بعد ايام وجاء آخر من الباطنية فحصل
في سهم الأمير علي بن ابي الفوارس فهجم على الباطني ودخل الباطني فيه ليضربه
فاخذه علي تحت ابطه وبقيت يد الباطني من ورائه لا يتمكن من ضربه فصاح
علي اقتلوه معي واقتلوني معه فجاء ناصر الدين محمد بن شيركوه فطعن بطن
الباطني بسيفه وما زال يخضخضه فيه حتى سقط مينا ونجا ابن ابي الفوارس وخرج
آخر من الحشيشية منهزماً فاقه الأمير شهاب الدين محمود خال السلطان فنكب
الباطني عن طريق شهاب الدين فقصده اصحابه وقطوه بالسيف واما السلطان
فانه ركب من وقته الى سرادقه ودمه سائل على خده واخذ من ذلك الوقت

في الاحتراس والاحتراز وضرب حول سرادقه برجاً من الخشب كان يجلس فيه
 وينام ولا يدخل عليه الا من يعرفه وبطلت الحرب في ذلك اليوم وخاف
 الناس على السلطان واضطرب العسكر وخاف الناس بعضهم من بعض فألجأت
 الحال الى ركوب السلطان ليشاهده الناس فركب حتى سكن العسكر وعاد الى
 خيمته واخذ في قتال عزاز فقاتلها مدة ثمانية وثلاثين يوماً حتى عجز من كان
 فيها وسألوا الأمان فتسلمها حادي عشر ذي الحجة وصعد اليها واصبح ماتهدم
 منها ثم اقطعها لأبن اخيه تقي الدين عمر وكانت عزاز اولاً للجفنية غلام نور
 الدين فلما ملك السلطان منبج اخذها منه الملك الصالح وقواها لعله يحفظها
 من الملك الناصر فلم يبلغ ذلك ولما فرغ السلطان من امر عزاز حقد على من
 مجلب لما فعلوه من امر الحشيشية فسار حتى نزل على حاب خامس عشر ذي
 الحجة وضربت خيمته على رأس الياروقية فوق جبل جوشن (هي قرية الانصاري)
 وجبى اموالها واقطع ضياعها وضيق على اهائها ولم يفسح لعسكره في مقاتلتها
 بل كان يمنع ان يدخل اليها شيء او يخرج منها احد وكان سعد الدين كمشتكين
 في حارم وكانت اقطاعه في يد نوابه وكان انتزعها من يد اولاد الداية بعد ان
 عصى نائبها وكان سبب خروجه اليها ان السلطان لما نزل على اعزاز خاف
 كمشتكين ان ينتقل منها الى حارم فخرج اليها فلما نزل السلطان على حلب ندم
 كمشتكين على كونه خارجاً في حارم وخاف ان يجري بين السلطان
 وبين الأمراء الحلبيين صلح فلا يكون فيه ذكر ولا اسم فراسل السلطان
 يتلطف معه الحال ويقول لو فسح لي في الدخول الى حلب لسارعت في الخدمة
 واصلحت الأمر على ما يرومه السلطان وراسل ايضا الملك الصالح والأمراء
 مجلب يقول لهم قد حصلت خارجاً وقد بلغتني امور ولا بد من طلبي من الملك

الناصر ليأذن لي في الصيرورة اليكم فأن الذي قد حصل عندي لايمكتي الكلام فيه فراسل الملك الصالح في الأذن له في الدخول الى حلب فأذنوا له وطلبوا الرهائن منه فأنفذ السلطان اليهم رهينة شمس الدين ابن ابى المضا الخطيب والعماد كاتب الأتشاء وانفذوا من حلب الى السلطان رهينة بنصرة الدين بن زكى و العماد الكاتب قال لما حملنا داخل حلب اخذنا برأى العدل ابن المعجمي وجعلنا في بيت ومنع مناغلمانا ولم يحضر لنا طعام ولا مصباح وبتنا في انكدعيش وفي تلك الليلة دخل كمشتكين الى حلب فلما اصبخوا احضرت انا وابن ابى المضا الى مجلس الملك الصالح وكان عنده ابن عمه عزالدين مسعود بن مودود وجماعة من ارباب الدولة وكان صاحب الكلام العدل ابن المعجمي فأخذ يتحدث بثلغته و يترجم بلكتته ويفضرب صفحا نني ويوم الجماعة انى وانى

وما درى الغمر بأنى امرؤ * اميز التبر من الترب

قد عارك الأهوال حتى غدا * بين الورى كالصارم العضب

قد راضه الدهر فلو امه * بخطبه ماريح للخطب

قال وعرضت نسخة اليمين علينا وصرفنا ولم يلتفت اليها فلما صار الى السلطان واخبره بما جرى في حتهما من الهوان علم ان ذلك كان حيلة عليه حتى دخل كمشتكين الى حلب فاطاق نصرة الدين وقاتل اهل حلب ولم يزل منازلنا للحلب الى انسلاخ سنة احدى وسبعين .

سنة ٥٧٢

﴿ ابقاء حلب واعمالها للملك الصالح ﴾

قال في الروضتين دخلت سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة والسلطان مقيم بظاهر

حلب فعرف اهلها ان العقوبة اليمية والعاقبة وخيمة فدخلوا من باب التذلل ولاذوا بالتوسل وخاطبوا في التفضل وطلبوا الصلح فاجابهم وعفا وعف وكفي وكف وابقى للملك الصالح حلب واستقرى كل عثرة لهم واقالها وارادله الاعزاز فرد له عزاز وقال ابن شداد اخرجوا اليه ابنة لنور الدين صغيرة سألت منه عزاز فوهبها اياها قال ابن ابي طي لما تم الصلح وانعدت الأيمان عول الملك الصالح على مراسلة السلطان وطلب عزاز منه فاشار الأمراء عليه بانفاذ اخته وكانت صغيرة فاخرجت اليه فاكرمها السلطان اكراما عظيما وقدم لها اشياء كثيرة واطلق لها قلعة عزاز وجميع ما فيها من مال وسلاح وميرة وغير ذلك وقال غيره بعث الملك الصالح اخته الخاتون بنت نور الدين الى صلاح الدين في الليل فدخلت عليه فقام قائما وقبل الأرض وبكى على نور الدين فسألت ان يرد عليهم عزاز فقال سمعا وطاعة فأعطاها اياها وقدم لها من الجواهر والنحف والمال شيئا كثيرا وانفق مع الملك الصالح ان له من حماة وما فتحه الى مصر وان يطلقوا الملك الصالح اولاد الداية (وقد تقدم ذكر حبسهم في جب القلعة) قال العماد وحلفوا له على كل ما شرطه واعتذروا عما اسخطه وكان الصلح عاماً لهم ولله واصله واهل ديار بكر وكتب في نسخة اليمين انه اذا غدر منهم واحد وخالف ولم يف بما عليه حالف كان الباقيون عليه يداً واحدة وعزيمة متماقدة حتى يفي الى الوفاء والوفاق ويرجع الى مرافقة الرفاق اه ثم توجه السلطان صلاح الدين من حلب الى حصن مصياث وبعد ان اخذ ثاره من سنان الأسماعيلي توجه الى دمشق ثم الى مصر وبسط في الروضتين الكلام في ذلك

ذکر قتل کمشتکین وحصص الفرنج حارم

قال ابن الأثير في هذه السنة قبض الملك الصالح بن نور الدين على سعد الدين كمشتكين وكان المتولى لأمر دولته الحاكم فيها وسبب قبضه انه كان بجلب انسان من اعيان اهلها يقال له ابو صالح بن المعجمي وكان مقدما عند نور الدين فلما مات نور الدين تقدم ايضا في دولة ولده الملك الصالح وصار بمنزلة الوزير الكبير المتمكن لكثرة اتباعه بجلب و صار كل من كان بمسجد كمشتكين انضم الى ابي صالح وقوا جنانه وكثروا سواده وكان عنده اقدماء وجرأة فصار واحد الدولة بجلب ومن يصدر الجماعة عن رأيه وامره فينما هو في بعض الأيام في الجامع وثب به الباطنية فقتلوه ومضى شهيدا وتمكن بمده سعد الدين وقوى حاله فلما قتل احوال الجماعة قتله على سعد الدين وقالوا هو وضع الباطنية عليه حتى قتلوه وذكروا ذلك للملك الصالح ونسبوه الى العجزوانه ليس له حكم وان سعد الدين قد تحكم عليه واحتقره واستصغره وقتل وزيره ولم يزالوا به حتى قبض عليه وكانت حارم لسعد الدين قد افطمه اياها الملك الصالح فامتنع من بها بعد قبضه وتحصنوا فيها فسير سعد الدين اليها تحت الأستظهار ليأمر اصحابه بتسليمها الى الملك الصالح فأمرهم بذلك فامتنعوا فمذب كمشتكين واصحابه يرونه ولا يرحمونه فأت في العذاب واصر اصحابه على الأمتناع والعصيان فلما رأى الفرنج ذلك ساروا الى حارم من حماة في جمادى الأولى على ما نذكره ظنا منهم انهم لا ناصر لهم وان الملك الصالح صبي قليل العسكر وصلاح الدين بمصر فاغتنموا هذه الفرصة ونازلوها واطالوا المقام عليها مدة اربعة اشهر ونصبوا عليها المنجنقات والسلام

فلم يزالوا كذلك الى بذل لهم الملك الصالح مالا وقال لهم ان صلاح الدين واصل الى الشام وربما يسلم القلعة من بها اليه فأجابوه حينئذ الى الرحيل عنها فلما رحلوا عنها سير اليها الملك الصالح جيشا فحصرها وقد بلغ الجهد منهم بمحاصر الفرنج وصادروا كانوا طلائع وكان قد قتل من اهلها وجرح كثير فسلموا القلعة الى الملك الصالح فاستناب بها مملوكا كان لأبيه اسمه سرخك اه

سنة ٥٧٥

ذكر محاصرة قليج ارسلان لرعبان ثم انهزامة من تقي الدين عمر

قل في الروضتين قال ابن ابي طي اتصل بالسلطان صلاح الدين ان قليج ارسلان قد طمع في اخذ رعبان وكيسون فلما دخل دمشق وصله رسوله يطلبها منه ويدعى ان نور الدين بن زنكي اغتصبها منه وان الملك الصالح قد انعم عليه فاعتاظ الساطان وزجر الرسول وتوعد صاحبه فعاد الرسول واخبر قليج ارسلان فغضب وسير عسكريا الى رعبان فحاصرها وسمع السلطان فندب تقي الدين عمر في ثمانمائة فارس فصار فلما قارب رعبان اخذ معه جماعة من اصحابه مقدار مائتي فارس وتقدم عسكريه وسار حتى اشرف على عسكري قليج ارسلان ليلا فرآهم وقد سدوا القضاء وهم قارون آمنون وادعون فقال تقي الدين لأصحابه هؤلاء على ماترون من الطمانينة والأمن والنقطة وقد رأيت ان نحمل الساعة فيهم بعدان نتفرق في جوانب عسكريهم ونصبح فيهم فانهم لا يثبتون لنا فأجابوه الى ذلك فانفذ واحدا من اصحابه الى باقى عسكريه وامرهم ان يتفرقوا اطلابا وان يجعل في كل قلعمة من الكورسات والبورسات فاذا سمعوا الضجة ضربوا

بكوساتهم وبوقلتهم وجدوا في السير حتى يلحقوا به ففعلوا ما امرهم ثم انه حمل في عسكر قليج ارسلان وخرج اصحابه في جوانبه وكان عدة عسكر قليج ارسلان ثلاثة الآف فارس فلما سمعوا الضجة وحس الكوسات والبوقات وشدة وقع حوافر الخيل وجلبة الرجال واصطكاك اجرام الحديد هالمهم ذلك وظنوا ان قد فوجئوا بعالم عظيم فلم يكن لهم الا ان جالوا في كواب خيولهم عربيا وطلبوا النجاة واخذتهم السيوف فتركوا خيامهم واتقاهم بحالها واكثر تقي الدين فيهم القتل والاسر وحصل على جميع ما تركوه فلما اصبح جمع المأسورين ومن عليهم بأموالهم وكراعهم وسرحهم الى بلادهم اه

وقال في الروضتين قال ابن ابي طي وفيها احرق الأسماعيلية اسواق حلب وافنقر اهلها بذلك وكانت احدى الجوائح التي اصاب حلب واهلها اه

سنة ٥٧٦

﴿ ذكر قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الأرمنى ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة قصد صلاح الدين بلد ابن ليون الأرمنى بعد فراغه من امر قليج ارسلان وسبب ذلك ان ابن ليون الأرمنى كان قد استمال قوما من التركان وبذل لهم الأموال فأمرهم ان يرموا مواشيهم في بلاده وهي بلاد حصينة كلها حصون منيعة والدخول اليها صعب لأنها مضايق وجبال وعرة ثم غدر بهم وسبي حريمهم واخذ أموالهم واسر رجالهم بعد ان قتل منهم من حان اجله ونزل صلاح الدين على النهر الأسود وبث الغارات على بلاده فحاصف ابن ليون على حصن له على رأس جبل ان يؤخذ فخر به واحرقه فسمع صلاح الدين بذلك فاسرع السير اليه فادركه قبل ان ينقل ما فيه من ذخائر

واقوات ففتحها وانتفع المسلمون بما غنموه فأرسل ابن ليون يبذل اطلاق من عنده من الأسرى والسبي واعادة اموالهم على ان يعودوا عن بلاده فأجابه صلاح الدين الى ذلك واستقر الحال واطلق الاسرى واعيدت اموالهم وعاد صلاح الدين عنه في جمادى الآخرة اهـ

سنة ٥٧٧

(ذكر وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين)

قال في الروضتين قال ابن شداد كان مرضه بالقولنج وكان اول مرضه في تاسع رجب وفي الثالث والعشرين منه اغلق بلب قلعة حلب اشدة مرضه واستدعى الأمراء واحداً واحداً واستحلفوا لعز الدين صاحب الموصل وفي الخامس والعشرين منه توفي رحمه الله وكان موته وقع عظيم في قلوب الناس. وقال ابن ابي طي كان سبب موته ان علم الدين سليمان بن جندر سقاه سما في عنقود عنب وهو في الصيد وقيل الذي سقاه ياقوت الاسدي في شراب وقيل انه اطعمه خشكنا نكة وهو في الصيد قال ودفن بالمقام الكبير الذي في القلعة وحزن الناس له حزنا عظيما وكان من احسن الناس صورة واليقهم اعطافا قلت وبلغني انه كان يقال ان ان موت الملك الصالح صغيرا كان من كرامات نور الدين رحمه الله فانه سأل الله تعالى ان لا يعذب شيئا من اجزائه بالنار وولده جزؤه فمات قبل ان يطول عمره على احسن سيرة وحالة رحمه الله. قال ابن الأثير ولم يبلغ عشرين سنة ولما اشتد مرضه وصف له الأطباء خيرا تداويا بها فقال لا افعل حتى استفتى الفقهاء وكان عنده علاء الدين الكاساني [صاحب كتاب بدائع الصنائع] الفقيه الحنفي بمنزلة كبيرة يمتد فيه اعتقادا حسنا ويكرمه فاستفتاه فافتاه مجواز شرها فقَالَ

له ياعلاء الدين ان الله سبحانه وتعالى قد قرب اجلي ايؤخره شرب الخمر قال
لا والله قال والله لا لقيت الله تعالى وقد استعملت ما حرمه علي قلت (القائل صاحب
الروضتين) يحتمل انه ذكر له ان من العلماء من ذهب الى جواز ذلك لانه كان
يري ذلك فان مذهبه بخلافه والله اعلم

ثم قال ابن الأثير فلما ايس من نفسه احضر الأمراء كلهم وسائر الأجناد
واستحلفهم لأبن عمه اتابك عز الدين وامرهم بتسليم مملكته جميعها اليه فقال له
بعضهم ان ابن عمك عز الدين له الموصل وغيرها من البلاد من همدان الى الفرات
فلو اوصيت بحاجب للمولى عماد الدين ابن عمك لكان احسن ثم هو تربية والدك
وزوج اختك وهو ايضا عديم المثل في الشجاعة والعقل والتدبير وشرف الأعراف
وطهارة الأخلاق والخلال التي تفرد بها فقال ان هذا لم يغب عني ولكن قد
علمتم تغلب صلاح الدين على عامة بلاد الشام سوى ما بيدي ومعى فبان سلمت
حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها من صلاح الدين فان ملكها صلاح الدين
فلا يبقى لأهلنا معه مقام واذا سلمتها الى عز الدين امكنه ان يحفظها لكثرة
عساكره وبلاده وامواله فاستحسن الحاضرون قوله وعلموا صحته وعجبوا من
جودة رأيه مع شدة مرضه ومن اشبه اباه فما ظلم . وفي مختصر تاريخ الذهبي
كان تدبير امر حلب الى والدة الملك الصالح والى شاذبخت وخالد بن القيدراني
ثم ان الصالح مرض بالقولنج جمعيتين ومات في رجب وتأسفوا عليه واقاموا
عليه المآتم وبالغوا في النوح وكان امراً منكراً . وكان دينا عفيفا عادلا متحيبا
الى العامة متبعا للسنة ولم يبلغ عشرين سنة ذكر العفيف بن سكرة اليهودي وكان
يطبه قال قلت له يمولانا والله شفاؤك في قدح خمر وانا احمله اليك سرا فلانعلم
والدتك ولا اللالا ولا احد فقال كنت اظنك عاقلا . نبينا محمد صلى الله عليه

وسلم يقول ان الله لم يجعل شفاء امي فيما حرم عليها وتقول لا انت . ههنا وما
 يؤمتي ان اشربه واموت وهو في جوفى اه
 زاد في الزبد والضرب بعد العبارة المتقدمة والله لو قال ملك من الملائكة ان
 شفاءك في الحجر لما استعملته

قال ابن العديم في ترجمته كانت وفاته في الخامس والعشرين من رجب وكان موته وقع
 عظيم في قلوب الناس وكان رحمه الله قد ربي احسن تربية وكان ديناً عفيفاً ورعاً كريماً
 محبوباً الى قلوب الرعية لعده وحسن طريقته ولين جانبه لهم قال لي والدي رحمه
 الله ان اليوم الذي مات فيه انقلبت المدينة بالبكاء والضحج ولم ير الا بالك عليه
 مصاب به قال لي ودفن بقطعة حلب ولم يزل قبره بها الى ان ملك الملك الناصر
 حلب وتسلم قلعتها فحول قبره الى الخانقاه التي انشأها والدته تحت القطعة قال ولما
 حول ظهر من الناس من البكاء والتأسف كيوم مات قال ووجد من قبره عند نبشه
 شبيهه براهمة المسك رحمه الله وحكى لي ذلك ايضاً غير والدي وكان رحمه الله على صغر سنه
 كثير الاتباع للسنة والنظر في العواقب توفي وله من العمر ثمان عشرة سنة وقيل تسع عشرة سنة
 قال في الزبد والضرب نقلاً عن ابن شداد انها انشأت الخانقاه المذكورة في سنة
 ثمان وسبعين وخمسمائة وانها بنت الى جانبها تربة دفنت فيها ولدها الملك الصالح
 قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة بعد ان ذكر نظير ما تقدم وجعلت
 ام الملك الصالح بها قراء عميانا ووقفت عليها البستان المعروف بالبقعة غرب حلب
 ولاية عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر

من شعبان الى شوال من سنة ٥٧٧ ثم ولاية عماد الدين

زنكي بن مودود بن زنكي في المحرم من سنة ٥٧٨

قال في الروضتين لما توفي الملك الصالح ارسل دزدار حلب وهو شاذبخت وسائر

الأصمراء الى اتابك عز الدين يدعونه الى حلب ليسلموها اليه فورد الخبر ومجاهد الدين قايماز قد سار الى ماردين لهم فلقى القاصدين عندها فأخبروه الخبر فصار اتابك مجدا فلما وصل الى المنزلة التي بها مجاهد الدين اقام معه وارسل الى حلب يستحضر الأصمراء فحضروا كلام عنده وجددوا اليمين له فسار حيثنذ الى حلب ودخلها وكان يوما مشهودا ولما عبر الفرات كان تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين بمدينة منبج فسار عنها هاربا الى مدينة حماة ونادوا بشعار اتابك وكان صلاح الدين بمصر فأشار عسكر حلب على عز الدين بقصد دمشق واطعموه فيها وفي غيرها من البلاد الشامية واعلوه عجة اهلها للبيت الاتابكي فلم يفعل وقال بينا يمين فلا تغدر به واقام بحلب عدة شهور ثم سار منها الى الرقة فأقام بها وجاءه رسول اخيه عماد الدين يطلب ان يسلم اليه حلب ويأخذ منه عرضها مدينة سنجار فلم يجبه الى ذلك ولج عماد الدين وقال ان سلمتم الي حلب والاسلمت اناسنجار الى صلاح الدين فاشار حيثنذ الجماعة بتسليمها اليه وكان اكبرهم في ذلك مجاهد الدين قايماز فانه لج في تسليمها الى عماد الدين ولم يمكن اتابك عز الدين مخالفته لتمكنه في الدولة وكثرة عساكره وبلاده فوافقوه وهو كاره فسلم حلب الى اخيه وتسلم سنجار وعاد الى الموصل وكان صلاح الدين بمصر وقد ايس من العود الى الشام فلما بلغه ذلك برز من القاهرة الى الشام فلما سمع اتابك عز الدين بوصول صلاح الدين الى الشام جمع عساكره وسار عن الموصل خوفا على حلب من صلاح الدين فاتفق ان بعض الأصمراء الأكابر مال الى صلاح الدين وعبر الفرات اليه فلما رأى اتابك ذلك لم يثق بعده الى احد من امرائه اذ كان ذلك الأمير اوتقهم في نفسه فماد الى الموصل قال ابن شداد لما توفي الملك الصالح سار عوا الى اعلام عز الدين مسعود بن

قطب الدين بذلك وبما جرى له من الوصية اليه وتحليف الناس له فسارع سائرا الى حلب مبادرا خوفا من السلطان فكان اول قادم من امرائه الى حلب بمظفر الدين بن زين الدين وصاحب سروج ووصل معهما من حلف الأمرء له وكان وصولهم في ثالث شعبان وفي العشرين منه وصل عز الدين الى حلب وصعد القلعة واستولى على خزائنها وذخائرهما وتزوج ام الملك الصالح في خامس شوال وعلم انه لا يمكنه حفظ الشام مع الموصل لحاجته الى ملازمة الشيام لأجل السلطان والح عليه الأمرء في طلب الزيادات ورأوا انفسهم انهم قد اختاروه وضاق عطنه وكان صاحب امره مجاهد الدين قايماز وكان ضيق العطن لم يعتد مقاساة امر الشام فرحل من حلب طالب الرقة وخلفه ولده ومظفر الدين ابن زين الدين بها فأتى الرقة ولقيه اخوه عماد الدين عن قرار بينهما واستقر مقايضة بحلب بسنجار وحلف عز الدين لأخيه عماد الدين على ذلك في حادى عشرى شوال وسار من جانب عماد الدين من تسلم حلب ومن جانب عز الدين من تسلم سنجار وفي ثالث عشر المحرم سنة ثمان وسبعين صمد عماد الدين الى قلعة حلب اه. قال في الروضتين قال العماد كان قصد السلطان صلاح الدين اصلاح حال الملك الصالح وانه القائم مقام ابيه فصدده عنه بماليكه فأخذت بلادهم ومرضت دولته لسوء علاجهم فانتنع بحلب الى ان توفي ووصل ابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل الى حلب فجمع ظاهره وباطنه واخذ خزائنه ودفائنه واخلى كنانته ثم عرف انه لا يستقر بها امر فرغب اخاه عماد الدين زكى صاحب سنجار في توييضها له بحلب قال الى بذله ورغب



ذكر حصص صاحب مارددين قلعة البيرة ومسير صاحبها

مع صلاح الدين

قال ابن الأثير كانت قلعة البيرة وهي مطلة على الفرات من ارض الجزيرة لشهاب الدين الأرتقي وهو ابن عم قطب الدين ايلغازي بن البي بن تمر تاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب مارددين وكان في طاعة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فمات شهاب الدين وملك القلعة بعمده ولده وصار في طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل فلما كان هذه السنة ارسل صاحب مارددين الى عز الدين يطلب منه ان يأذن له في حصر البيرة واخذها فأذن له في ذلك فسار عسكره الى قلعة سميساط وهي له ونزل بها وسير العسكر الى البيرة فحصرها فام يظفر منها بطسائل الا انهم لآزموا الحصار فارسل صاحبها الى صلاح الدين وقد خرج من ديار مصر على ما نذكره يطلب منه ان ينجده ويرحل العسكر المازداني عنه ويكون هو في خدمته كما كان ابوه في خدمة نور الدين فأجابته الى ذلك وارسل رسولا الى صاحب مارددين يشفع فيه ويطلب ان يرحل عسكره عنه فلم يقبل شفاعته واشتغل صلاح الدين بما نذكره من امر الفرنج فلما رأى صاحب مارددين طول مقام عسكره على البيرة ولم يلبثوا منها غرضاً امرهم بالرحيل عنها وعادوا الى مارددين فسار صاحبها (ابن شهاب الدين الأرتقي) الى صلاح الدين وكان معه حتى عبر معه الفرات على ما نذكره ان شاء الله تعالى

سنة ٥٧٨ هـ

ذكر خروج السلطان صلاح الدين من الديار المصرية

ومجيئه الى الديار الحلبية واستيلائه على البلاد الجردية

قال في الروضتين لما سمع السلطان في مصر بمرض الملك الصالح اسماعيل بن نور

الدين كتب الى ابن اخيه تقي الدين عمر وهو يتولى له الميرة وحماة وامره بالتأهب للنهوض وكتب الى ابن اخيه عز الدين فرخشاه وهو نائبه بدمشق يأمره بتنفيذ عسكر الى جهة اخيه تقي الدين على اظهار قاعدة النظر في القضية الحادثة بين ديار بكر وابن قرا ارسلان والتوجه لفصلها قال [فيكون ظاهر حركة العسكر لهذا السبب المتقدم وباطنها لهذا السبب المتأخر وقد كوتب الولد تقي الدين ان يتوجه الى منبج على الظاهر والباطن المذكورين وان يحفظ المنازى ويرابط الفرات ويمنع المعابر ولنا بالس وقلعة جمبر ومنبج وتل باشر وهي جمهور الطرق بل كلها وقد اعزنا الى تقي الدين بأن يكون حمام حماة في حلب وحمام دمشق في حماة والى الأجل ناصر الدين بأن يكون حمام دمشق في حمص وحمام حمص في حلب وولدنا عز الدين يؤمر بان يكون حمام بصري في دمشق وقد بعثنا نجابين يكونون منيخين ببصري فأن تحققت الوفاة فنحن اسبق من الجواب قولاً وفعلًا ووعدًا ونجما فالعلة مزاحة والمسكر مستريحة والظهير قد استعد والمصلحة في الحركة ظاهرة وحجج انتقاد المتقدين في هذه القضية ساقطة

ثم قال ولما سمع بوفاته تحرك عزمه وندم على النزوح من الشام مع قرب هذا المرام فكتب الى ابن اخيه تقي الدين عمر وكذلك شحذ عزائم نوابه بالشام بتجديد المكاتبات لهم وبعثهم على الأستعداد وحملهم . وكان الفرنج بانطاكية قد اغاروا على حارم واتوا من السبي والنهب بالمعظم واغار عسكر حلب على الراوندان وهي في عمل صلاح الدين ورسولهم عند الفرنج يستنجدهم ويفرهم به وراسلوا الحشيشية (الباطنية) فكتب السلطان صلاح الدين كتابا الى الخليفة في بغداد يشرح الحال باللفظ العمادى وكان في جملة الكتاب ما معناه ان حلب

من جملة البلاد التي اشتمل عليها قليد امير المؤمنين المستنفي بأمر الله له وانما
 تركها في يد ابن نور الدين لأجل ابيه والآن فيرجع كل الى حقه وليقنع برقه
 ثم كتب اليه في كتاب آخر عند دخول صاحب الموصل حلب واستيلائه عليها
 (كما تقدم) فقال (دخل حلب مستوليا وحصل بها متمديا وعقود الخلفاء لا تحمل
 والسيوف في اوجه اوليائهم لا تسل وانه ان فتح باب المنازعة ادنى من ندامه
 وابعده من سلامه وخرق ما يمس على الراقع وجذب الرداء فلم تنن فيه الا حيلة
 الخانع وليس الأستلاء بحجة في الولايات لطالبيها ولا الدخول في الدار
 بموجب ملك غاصبها الا ان تكون البلاد كالديار المصرية حين فتحها الخادم
 واهله حيث الجمعة مسترية والخلافة في غير اهلها غريبة والعقائد نير الحق
 مستجيبة فتلك الولاية اولى من منعها من فتحها وكان سلطانها من ادخل في
 كان شيطانها واما حلب فان الكلمة فيها عالية والمنابر فيها بالأسم الشريف
 حاله فانما تكون لمن قلدها لا لمن توردها ولن بالحق تسلمها لا لمن بالباطل
 تسلمها ولو كانت حلب كما كانت مصر لدخلها الخادم ولم يشاور ولولجها ولم
 يناظر ولكنه اتى البيوت من ابوابها واستمطر القطار من سحابها (ثم ذكر ان
 المواصلة راسلوا الملاحدة الحشيشية واتخذوهم بطانة من دون المؤمنين وواسطة
 بينهم وبين الفرنج ووعدهم بقلاع من يد الاسلام تقلع وضياع من في المسلمين
 توضع وبتدار دعوة حلب ينصب فيها علم الضلالة فيرفع ويا للجب من الخصم
 يهدم دولة حق وهي تبنيه ومن العبد يبنى ملكها بنفسه وماله وذويه وهي
 تراقب اعلاه فيه ودعواه في رسائلهم وغوائلهم ليست يدعوى لا يقوم شاهدا
 ولا هي بشناعة لا يهتدى فائدها بل هذا رسولهم عند سنان صاحب الملاحدة
 ورسولهم عند القمص ملك الفرنج وهذه الكتب الواصلة بذلك قد سبرت .

ولأستيجاب الولاية طرق اما السبق الى التقليد فللخادم السبق واما العدالة
والعدل فلو وقع الفرق لوقع الحق واما بالانار بالطاعة فله فيها ما لولا معونة
الحاق فيه لقصرت عنه ايدي الخلق ومتى استمرت المشاركة في الشام افضت
الى ضعف التوحيد وقوة الأشتراك وترامت الى اخطار يعجز عنها خواطر
الأستدراك واحوجت قابض الأمنة الى ان يعاينها الجدد ويرساها العراك وطريق
الصالح والمصالحات الأيمان والمشار اليهم (يعني اصحاب الموصل) لا يلتزمون
ربقتها ولا يوجبون صفقتها وكفى بالتجريب ناهيا عن الغرء ولا يلدغ المؤمن
الامرء واذا اجتمعت في الشام ايد ثلاث يد عارية ويد ملحدة ويد كائرة نهض
الكفر بتثليته وقصرت عن الأسلام يد منيئه ولم ينفع الخادم حينئذ تصحيح
حسابه وتصديق حديثه وما يريد الخادم الا من تكون عليه يد الله وهي الجماعة
ولا يؤثر الا ما يتقرب به اليه وهو الطاعة ولا يتوخى الا ما يقوم به الحجة
اليوم ويوم تقوم الساعة) ومن كتاب آخر (قد احاط للعلم بما طالع به اولاً عند
وفاة نور الدين رحمه الله ان التقليد الشريف المستضيئ لما وصله بالبلاذ وكان قد
فتح اكثرها قلاعاً وامصاراً وحصوناً ودياراً ولم يبق الا قصبة حلب وهو على
اخذها عدل ولد نور الدين عن القتال الى النوال وعن النزال الى الاستنزال
وقصد القصد الذي ما اوجبت المحافظة ان يتلقى بالرد فاقره على الولاية فرعا
لا اصلا ونائبا لا مستقلا وسلم اليه البلاذ ويده الغالبة لا المغلوبة وسيوفه السالبة
لا المسلوبة ومشى الامر معه مستقيماً ومائلاً وجائراً وعادلاً الى ان قضى نجبته ولقي
ربه فبدأ من المواصلة نقض الأيمان والابتداء بالمدوان والتعرض للبلاذ والتصرف
فيها بنير حجة يكون عليها الأعماد فطالع الديوان بالقضية واستشهد بدلالات
قوانينه الجليلة في هذا التقليد الذي تهادته المحاضر واشاعته المبار وسيرت الى

الشرق والغرب نسخه وغلّت الأيدي التي تحدث انفسها انها نسخه اه
قال في الروضتين بعد عود السلطان صلاح الدين من الأسكندرية الى مصر وذلك
في ذي القعدة من سنة ٥٧٧ هـ شرع في الاستعداد لسفر الشام فجمع العساكر
والسلاح واستصحب نصف العسكر وابقى النصف الآخر يحفظ ثغور مصر
ولحق قراقوش باتمام الاسوار الدائرة على مصر والقاهرة قال وكان السلطان عشية
توديعه لاهل مصر جالساً في سرادقه ينشده بيناً في الوداع فأخرج احد مؤدبي
اولاده برأسه وانشد مظهراً له فضله ورافعاً به محله

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار
فما سمعته خمد نشاطه وتبدل بالانقباض انبساطه ونحن ما بين مغضب ومغض ينظر
بعضنا الى بعض ولا يقضي العجب من مؤدب ترك الادب فكانه نطق بما هو
كائن في الغيب فإنه ما عاد بعدها الى الديار المصرية حتى لقي بنجح النبي والمنية
قال ابن الأثير وكان مسيره من مصر الى الشام في خامس المحرم وتبعه من التجار
واهل البلاد ومن كان قصد مصر من الشام بسبب الغلاء بالشام وغيره عالم كثير
فما سار جعل طريقه على ايلة فسمع ان الفرنج قد جمعوا له ليحاربوه ويصدوه
عن المسير فلما قارب بلادهم سير الضعفاء والاقبال مع اخيه تاج الملوك بوري
الى دمشق وبقى هو في العساكر المقاتلة لا غير فشن الغارات باطراف بلادهم
واكثر ذلك ببلد الكرك والشوبك فلم يخرج اليه منهم احد ولا اقدم على
الدنونه ثم سار فأتى دمشق فوصلها حادي عشر صفر من السنة واقام بها اياماً
يريح ويستريح هو وجنده ثم سار الى طبرية وجارب من تجمع فيها من الافرنج
فكسروهم وعاد الى دمشق ثم سار عنها الى بيروت وكان قد واعد اسطول مصر
أن يتجهز الى بلاد الساحل فبلغه الخبر انه وصل الى بيروت فبادره السلطان

بعسكره جريدة قبل ان يفوت فلما وصل رأى ان امر بيروت يطول وكان قد سبي الأسطول منها وسلب وظفر من غنيمتها بما طلب فاغار السلطان على تلك البلاد ورجع واعاد فرخشاه الى دمشق ورحل الى بعلبك ومنها الى حمص (١) قال في الروضتين ثم رحل السلطان الى حماة واستصحب معه ابن اخيه تقي الدين فلما قرب من حلب اقبل مظفر الدين كوكوبري بن كوجك صاحب حران حيثند فاجتمع بالسلطان وسار في خدمته من جملة الأعوان و اشار عليه ان يعبر الفرات ويجوز ما وراءها ويترك حلب الى ما بعد ذلك لثلاث تشغله عن غيرها فاستصوب السلطان رأيه وعبر الفرات .

وقال ابن ابى طي في اول السنة اراد مظفر الدين بن زين الدين وكان اليه شحنة حلب الأستيلاء على قلعة حلب بأن يهجمها فلم يتمكن وظهر امره وبعد هذه الوقعة اجتمع الأخوان عز الدين وعماد الدين على الرقة وتحالفوا على بساط واحد وسلم عماد الدين ما كان بيده من سنجار وغيرها الى عز الدين وسلم عز الدين اليه حلب فسار اليها ودخلها فخرج مظفر الدين عنها وصار الى الفرات فلما اتصل به قصد السلطان حلب سار الى خدمته واجتمع به على جباب التركمان و اشار على السلطان بعبور الفرات والأستيلاء على بلاد الشرق وتأخير امر حلب ففعل ورحل عن حلب بعد ان اقام عليها ستة ايام واقام على تل خالد ثلاثة ايام ثم رحل الى البيرة وفيها شهاب الدين محمد بن الياس الأرتقي فنزل اليه وقبل الأرض بين يديه وسأله الصعود الى قلعة البيرة فأجابته وقدم له مفاتيح القلعة فردها اليه ووعدته باستخلاص ما كان صاحب ماردين رده عليه ورحل السلطان الى سروج فنزل اليه صاحبها ابن مالك مستأمناً فأعاده

الى بلده وارسل صاحب ماردين في رد ما كان تغلب عليه من اعمال البيرة ففضل
ثم اخذ الرها ثم الرقة ثم سلم الرها الى ابن زين الدين والرقة الى صاحب الرها
لأنه سأل ان يكون في خدمة السلطان وقال القاضي بن شداد في السيرة الصلاحية
نزل السلطان على حلب في ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين فاقام
ثلاثة ايام ورحل في الحادى والعشرين منه يطلب الفرات واستقر الحال بينه
وبين مظفر الدين ابن زين الدين وكان صاحب حران وكان قد استوحش من
من جانب الموصل وخاف من مجاهد الدين فالتجأ الى السلطان وعبر اليه قاطع
الفرات وقوى عزمه على البلاد وسهل امرها عنده فعبر الفرات واخذ الرها
ونصيبين ومروج ثم شحن على الحابور واقطعه اهـ

قال ابن الأثير لما عبر صلاح الدين الفرات كاتب الملوك اصحاب الأطراف
ووعدهم وبذل لهم البذول على نصرته فأجابه نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب
الحصن الى ما طلب منه لقاعدة احتقرت بينهما لما كان نور الدين عنده بالشام
فأنه استقر الحال ان صلاح الدين يحصر آمد ويملكها ويسلمها اليه وسار صلاح
الدين الى مدينة الرها فحصرها في جمادى الأولى وقاتلها اشد قتال فحدثني بعض
من كان من الجند عد في غلاف رمح اربعة عشر خرقة وقد خرقتة السهام ووالى
الزحف عليها وكان بها جيش منقطع وهو الأمير فخر الدين مسعود الزعفراني
فحيث رأى شدة القتال اذعن الى التسليم وطالب الأمان وسلم البلد وصار في
خدمة صلاح الدين فلما ملك المدينة زحف الى القلعة فسلمها اليه الدزدار الذى
بها على مال اخذه فلما ملكها سلمها الى مظفر الدين مع حران ثم سار عنها على
حران الى الرقة فلما وصل اليها كان بها مقطعا قطب الدين ينال ابن حسان
المنبجى فسار عنها الى عز الدين اتابك وملكها صلاح الدين وسار الى الحابور

قرقيسيا وماكسين وعرابان فلك جميع ذلك فلما استولى على الخابور جميعه سار الى نصيبين فلك المدينة لوقتها وبقيت القلعة فحصرها عدة ايام فلكها ايضا واقام بها ليصلح شأنها ثم اقطعها اميرا كان معه يقال له ابو الهيجاء السمين وسار عنها ومعه نور الدين صاحب الحصن واتاه الخبر ان الفرنج قصدوا دمشق ونهبوا القري ووصلوا الى داريا وارادوا تخريب جامعها فأرسل النائب بدمشق اليهم جماعة من النصارى يقول لهم ان خربت الجامع جددنا عمارته واخر بنا كل بيعة لكم في بلادنا ولا نمكن احدا من عمارتها فتركوه ولما وصل الخبر الى صلاح الدين بذلك اشار عليه من يتمصب لعز الدين بالعود فقال يخربون قري وملك عوضها بلاداً ونعود نعمارها وتقوي على قصد بلادهم ولم يرجع فكان كما قال اه ثم حصر صلاح الدين الموصل ثم سار منها الى سنجار فلكها ثم ملك آمد وسامها الى نور الدين محمد بن قرا ارسلان على ما استقرت القاعدة بينها وبسط ابن الأثير القول في ذلك وكان ملكه لا آمد في العشر الأولى من المحرم سنة ٥٧٨ قال في الروضتين وفي فتح آمد يقول سعيد بن محمد الحريري الحلبي من قصيدة في السلطان

رمى آمدًا بالصافنات فاذعت * له طاعة آكامها ووعورها

فما عن ناديتها ولا اعتاص ثغرها * ولا جاش طاميتها ولا ردسورها

وانزلت بالكره ابن تيسان مخرجا * كما انزل الرباء كرها قصيرها

نهضت لها حتى اذا انقاد صعبها * تقضى على طول الشمالي نفورها

سمحت بها جوداً لمن ظل برهة * يغاورها طوراً وطوراً ينيرها

وملكت ما ملكت منها تمحولا * وكان قليلا في ندادك كثيرها

وان بلاداً انجدتلك ملوكها * لا جدر ان يرجو ندادك فقيرها

وقال ابن سعدان الحلبي يذكر فتح آمد

فيا ساكني الرعاء من سفح آمد * اري عارضاً ينهل بالموت هاطله
لئن غضبت يوماً عليكم عروشها * فهذا ابن ايوب وهذي معاقله
ولو رامها يوماً سواه لقطعت * اباهره من دونها واباجله
وابن تيسان كان مدبر آمد ورئيسها والقائم بأمرها . (وتول بن سعيد وملكت
ماملكت) يشير به الى ما وهبه صلاح الدين من الخزائن والذخائر التي وجدت
بها وكانت شيئاً كثيراً لا يدخل تحت الحصر، الى نورالدين محمد بن قرا ارسلان
الذي سلمه آمد كما تقدم .

(سنة ٥٧٩)

ذكر استيلاء صلاح الدين على تل خالد وعينتاب وحلب

قال في الروضتين ثم رحل السلطان من آمد وعبر الفرات لقصد حلب وولايتها
فتسلم في طريقه تل خالد بالرعب ولم تكن منهم بالقرب فاقر اهلها فيها ثم نزل
على عينتاب فبادر صاحبها ناصح الدين محمد بن خمارتكين الى خدمة السلطان
فاعاده الى مكانه بالأحسان وقال ابن ابي طي تسلم السلطان تل خالد في اربع
عشر المحرم وسلمها الى بدر الدين دلدرم ثم سار الى حلب فنزل عليها في سادس
عشر المحرم وكان اول نزوله في الميدان الأخضر وسير المقاتلة يقاناون ويياسطون
عسكر حلب بياقوسا وباب الجنان غدوة وعشية وفي يوم نزوله جرح اخوه
تاج الملوك وكان عماد الدين زنكي قبل ذلك قد خرج وخرب قلعة اعزاز في
تاسع جمادى الأولى ستة ثمان وسبعمين وخرب حصن كفرلاتا واخذها من
بكمش فإنه كان قد صار مع السلطان وقاتل وباشرفلم يقدر عليها وجرت غارات
من الفرنج في البلاد بحكم اختلاف المساكر . قال ولما نزل السلطان على حلب

استدعى العساكر من الجوانب فاجتمع خلق كثير وقاتلها قتالا شديدا وتحقق
 عماد الدين زنكى انه ليس له به قبل وكان قد ضرس من اقتراح الأمرء عليه
 وجبهم اياه فاشار الى حسام الدين طمان ان يسفر له مع السلطان في اعادة
 بلاده وتسايم حلب اليه واستقرت القاعدة ولم يشعر احد من الرعية ولا من العسكر
 حتم الامر ثم اعلمهم واذن لهم في تدبير انفسهم فانفذوا عنه عز الدين جرديك
 وزين الدين بلك فبقوا عنده الى الليل واستخفوه على العسكر وعلى اهل البلد
 وذلك في سابع عشر صفر وخرجت العساكر الى خدمته الى الميدان الأخضر
 وتمدوا حلب وخلع عليهم وطيب قلوبهم واقام عماد الدين بالقلمة يقضى اشغاله
 وينقل اقشته وخزائنه الى يوم الخميس ثالث عشر صفر. وفيه توفي تاج الملوك
 اخو السلطان من الجرح الذي كان اصابه وشق عليه امر موته وجلس للعزاء
 قلت وكان اصغر اولاد ايوب ذكر ابن القادسي ان مولده سنة ست وخمسين
 في ذي الحجة فيكون عمره اثنتين وعشرين سنة وشيئا وانشد له شعرا وقال العماد
 الكاتب في كتاب الخريدة انه لم يبلغ العشرين سنة وله نظم لطيف وفهم شريف
 ثم قال القاضي ابو المحاسن [هو ابن شداد]

وفي ذلك اليوم نزل عماد الدين الى خدمته وعزاه وسار معه بالميدان الأخضر
 وتقررت بينهما قواعد وانزله عنده بالخيمة وقدم له مقدمة سنية وخيلا جميلة وخلع
 على جماعة من اصحابه وسار عماد الدين من يومه الى قرا حصار سائرا الى سنجار
 واقام السلطان بالخيم بعد مسير عماد الدين غير مكترث بأمر حلب ولا مستعظم
 لشأنها الى يوم الاثنين سابع عشرين صفر ثم صعد في ذلك اليوم قلعه حلب مسرورا
 منصورا ومهل له حسام الدين طمان دعوة سنية وكان قد تخلف لأخذ ما تخلف
 لعماد الدين من قماش وغيره وقال العماد وصل السلطان الى حلب وفيها عماد الدين

زنكى بن مودود الذى كان صاحب سنجار وقد تحصن بكثرة الأجناد والعدد و اراد
 مقابلة السلطان ومقاتلته و اراد السلطان ان يظفر بها دون ذلك من القتال و عداوة
 الرجال لكن الشباب و جهال الأصحاب راموا القتال و احبوا النزال و تقدموا
 و اقدموا و السلطان ينهام فلا ينتهون و كان فيهم تاج الملوك بورى اخو السلطان
 فطعن في فخذه ثم مات بعد ذلك بأيام بعد فتح البلد و كان السلطان قد صنع
 ذلك اليوم وليمة لعماد الدين زنكى و كان السلطان اول ما نزل على حلب نزل في
 صدر الميدان الأخضر و ذلك في زمن الربيع الأنصر ثم رحل و نزل على جبل
 جوشن و نهى عن القتال و قال نحن هاهنا نستغل البلاد و ما علينا من الحصن
 الذى بلغ منه هذا العناد و انفذ رسل الترهيب اليهم ففكر عماد الدين زنكى في
 امره و رأى ان الصواب مصالحة السلطان فانفذ مرأا اليه حسام الدين طمان
 و صالحه و حلفه على ان يسلم اليه حلب و يرد عليه بلده سنجار ففعل و زاده
 الخابور و نصيبين و الرقة و سروج و اشترط عليه ارسال العسكر في الخدمة للغزاة
 و قال ابن الأثير نزل صلاح الدين في الميدان الأخضر و اقام به عدة ايام ثم انتقل
 الى جبل جوشن فنزل بأعلاه و اظهر انه يريد ان يبني مساكن له و لأصحابه
 و عساكره و اقام عليها اياما و القتال بين العسكرين كل يوم و كان عماد الدين
 زنكى و معه العسكر النورى و هم مجدون في القتال فلما رأى كثرة الخرج كأنه
 شح بالمال فحضر يوما عنده بعض اجناده و طلبوا منه شيئا فاعتذر بقله المال عنده
 فقال له بعضهم من يريد ان يحفظ مثل حلب يخرج الأموال و او باع حلي نسائه
 قال حينئذ الى تسليم حلب و اخذ الموضع منها و ارسل مع الأمير طمان الياروق
 و كان يميل الى صلاح الدين انه يسلم حلب و ياخذ عوضها سنجار و نصيبين
 و الخابور و الرقة و سروج و جرت العمين على ذلك و باعها بأوكس الأثمان اعطى

حصنا مثل حلب واخذ عوضها قري ومزارع فنزل عنها ثامن عشر صفر وتسلمها صلاح الدين فعجب الناس كلهم من ذلك وقبحوا ما أتى به حتى ان بعض عامة حلب احضر اجانة وماء وناداه انت لا يصلح لك الملك وانما يصلح لك ان تغسل الثياب واسمعه المكره (هو قولهم يا حمار بعث حلب بسنجار) واستقر ملك صلاح الدين بملكها وكان مزارع لا تثبت قدمه بتسليمها وكان على شفا جرف واذا اراد الله امرأ فلا مرد له اه

قال في الروضتين وفي آخر يوم السبت ثامن عشر صفر نشر سنجق السلطان الاصفر على سور قلعة حلب وضربت له البشارة وفي ذلك الوقت تخفى عماد الدين وخرج من القلعة ليلاً الى المخيم واخذ في اخراج ما كان له بالقلعة من مال وسلاح واثاث وكان استناب الأمير حسام الدين طمان في القلعة حتى توافى رسله بتسليم سنجار ونصييين والخابور الى نوابه واعطى السلطان طمان الرقة لوساطته في امر عماد الدين وكان السلطان شرط انه ما يريد من حلب الا الحجر فقط واذن لعماد الدين في اخذ جميع ما في القلعة وما يمكنه حمله فلم يترك عماد الدين فيها شيئاً وباع في السوق كل ما لم يتمكن من حمله واطلق له السلطان بغالا وجمالاً وخيلا برسم حمل ما يحتاج الى حمله وعمل له يوم الأحد تاسع عشر صفر دعوة عظيمة في الميدان الأخضر واحضرها جميع الأمراء ومقدمي حلب فقال وبينما السلطان على لذته بالدعوة والاخذ والعطاء والأنعام والحباء حضر اليه من عرفه وفاة اخيه تاج الملوك بسبب الضربة التي اصابته على حلب فلم يتغير لذلك ولا اضطرب ولا اقطع عما كان عليه من البشاشة والفرح وبذل الأحسان وامر بستر ذلك وتوعد عليه ان ظهر وكظم حزنه واخفى رزيقه وصبر على مصيبته ولم يزل على طلاقته وبشاشته الى وقت العصر وفي ذلك الوقت انقضت الدعوة

وتفرق الناس فحينئذ قام رحمه الله واسترجع وبكى على اخيه ثم امر به فغسل وكفن وصلى عليه وامر به فدفن بمقام ابراهيم صلى الله عليه وسلم بظاهر حلب ثم عمله بعد ذلك الى دمشق ودفنه بها. قال وكان تاج الملوك شابا حسن الشباب مليح الأعطاف عذب العبارة حلو الفكاهة مليح الرمي بالقوس والظمن بالرمح وكان شجاعا باسلا مقداما على الأهوال وكان قد جمع الى ذلك الكرم واليقين في الأدب وله ديوان شعر حسن متوسط منه

يا هذه وامانى النفس قربكم * ياليتها بلغت منكم امانيتها

ان كانت العين مذفارتكم نظرت * الى سواكم فخاننها امانيتها

قال في المختار من الكواكب المضية نقلا على صاحب قال بعض من كان في صحبته دخلت اليه في صبيحة اليوم الذى جرح فيه فوجدته متكئا على جنبه وبين يديه دواة وقد وضع ورقة بيضاء على الأرض وهو يكتب فيها قال فجلست قليلا فرمى بالورقة الي فاذا فيها

اسكان مصر لعل الزمان * علي بقربكم عائد

اما تذكرون فتى شوقه * الى قربكم ابدأ زائد

جربها طريحا يعل الطيب * ويسأم من سقمه العائد

عجا لركم كان يرجوكم * بآمد لا سقيت آمد

فلمانهيا لقطع الفرات * وعأوده عقله الشارد

واصبح في حلب راجيا * زمانكم ليته عائد

رماه الزمان بأحداته * كأن الزمان له حاسد

قال فقراءتها الى ان وصلت الى قوله رماه الزمان بأحداته آلمني قلبى لقوله بأحداته فقلت يا مولانا اعوذ بالله من احداث الزمان ولقد اشتهدى المملوك ان يعبر هذه

اللفظة فد القلم وكتب . رماه الزمان بريب المنون فتطيرت بها وانصرفت ثم قال . كان صلاح الدين يقول ما اخذنا حلب رخيصة بقتل تاج الملوك بوري وبوري اسم تركي معناه بالعربية ذئب وهو اصغر اولاد ايوب وله ديوان شعر ومن نظمه في مملوك له وقد اقبل من جهة المغرب على فرس اشهب

اقبل من اعشقه راكباً * من جانب الغرب على اشهب
 فقلت سبهجانك يا ذا العلي * اشرفت الشمس من المغرب
 وله يا حياتي حين يرضى * ومماتي حين يسخط
 آه من ورد على * خديك بالمسك منقط
 بين اجفائك سلطان * على ضفني مسلط
 قد تعبرت وان برح * بي الشوق وافرط
 فعلل الدهر يوما * بتلاق منك يغلط

وله

ايا حامل الريح الشبيه بقده * ويا شاهراً من لحظه مرهفا عضبا
 صنع الريح وانعمد ما سللت فرجا * قتلت وما حاولت طعنا ولا ضربا

قال في الروضتين ولما انقضت تنزية السلطان بأخيه خام على الناس في اليوم الرابع وفرق في وجوه الحلبين الأموال وفي سادس عشري صفر ورد اصحاب عماد الدين واحضروا العلام بتسليم سنجار ونصيبين والخابور في ذلك اليوم تسلم قلعة حلب وانزل منها الأمير طمان واصحابه ولما سلمها الى نواب السلطان ركب عماد الدين في وجوه اصحابه وامرائه وخرج الى خدمة السلطان ظاهراً وركب السلطان الى لقائه فاجتمعا عند مشهد الدعاء الذي بظاهر حلب من جهة الشمال فتسالما ولم يترجل احد منهما لصاحبه ثم جاء بعد عماد الدين ولده قطب

الدين فترجل للسلطان وترجل السلطان له. واعتنقه وعادا فركبا وسار هو وابوه في خدمة السلطان الى الخيم بالميدان الأخضر فأجلس السلطان عماد الدين معه على الطراحة وقدم له مقدمة عشرين بقجة صفر فيها مائة ثوب من العنابي والأطلس والمنتق والممرس وغير ذلك وعشرة جلود قنديس وخمس خلع خاص برسمه ورسم ولده ومائة قباء ومائة كمه وحجرتين عربيتين باداتهما وبغلتين مسروجتين وعشرة اكاديش وخمس قطر بنغال وثلاث قطر جمال عربيات وقطار مجت. ولما فرغ السلطان من عرض الهدية قدم الطعام فلما اصاب منه عماد الدين نهض للركوب وخرج السلطان معه وركب لوداعه وسار معه الى قريب من بابلي وودعه وعاد وسار عماد الدين الى بلاده. قال في الروضتين ولأبي الحسن

ابن الساعاتي في مدح السلطان عند ارادة فتح حلب قصيدة منها

ما بعد لقياك للعافين من امل * ملك الملوك وهذي دولة الدول
فانهض الى حلب في كل سابقة * سروجها قلل تغني عن القل
ما فتحها غير اقليد الممالك و ال * ادعى اليه جميع الخلق والممل
وما عصت منعة لئكنه غضب * علام اهملتها اهمال مبتذل
غارت وحقتك من جاراتها فشكت * ما باله فيصاصي غير محتفل

وللقاضي السعيد بن سناء الملك من قصيدة

بدولة الترك عزت دولة العرب * وبأبن ايوب ذلت بيعة الصلب
ان العواصم كانت اي عاصمة * لنفسها بتعاليتها عن الرتب
جليسة النجم في اعلا مراتبه * وطالما غاب عنها وهي لم تغب
ومانعته كمشوق تمنعه * احلى من الشهدا واشهي من الضرب
فر عنها بلا غيظ ولا حنق * وسار عنها بلا حقد ولا غضب

تطوي البلاد واهليها .كتابه * طيا كما طوت الكتاب للكتب
ارض الجزيرة لم تظفر بمالكها * بمالك فطن او سائس درب
ممالك لم يدبرها مدبرها * الا برأى خصي او بعقل صبي
حتي اتاها صلاح الدين فانصلحت * من الفساد كما صحت من الوصب
وقد حواها واعطى بعضها هبة * فهب الذي يهب الدنيا ولم يهب
ومذ رأأت صده عن ربها حلب * ووصاه لبلاد النير بالحلب
غارت عليه ومدت كف مفتقر * منها اليه وابدت وجهه مكثب
واستعطفته فوافتها عواطفه * واكثب الصلح اذ نادته عن كثب
وحل منها بأفق غير منخفض * للصاعدين و برج غير منقلب
فتح الفتوح بلامين وصاحبه * ملك الملوك ومولاها بلا كذب
وقال ابن ابي طي وكان كثيراً من الشعراء يحرضون السلطان على فتح حلب
منهم ابو الفضل بن حميد الحلبي له من قصيدة

يا بن ايوب لا برحت مدى الدهر * رفيع المكان والسلطان
حلب الشام نحو مرآك ولهي * وله الصب ريع بالهجران
وقال ابن سعدان الحلبي من قصيدة
دونك والحسناء ام القرى * ونارها الاشهب والطود الاثم
واركب الى العليا كل صعبة * ابنت لعنا وخلاك كل ذم
وارم فكل الصيد في جوف الفرا * لاصارم السهم ولا نابي الحكم
مد الى اخت السها زورة * لا فرق يعقبها ولا ندم
فيها شاء مشخرة * تطارح البرق وساحات الديم
ايه صلاح الدين شد أزرها * واعزم عليها فالزمان قد عزم

ودونك المنعة من قبائها * وبابها المغلق في وجه الأمم
 قال في الروضتين وفي يوم الاثنين سابع عشر صفر ركب السلطان وصعد قلعة
 حلب وكان صموذه اليها من باب الجبيل وسمع وهو صاعد الى قلعة حلب يقرأ
 (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء) الآية وقال والله ما سررت بفتح
 مدينة كسرورى بفتح هذه المدينة والآن قد تبينت انى املك البلاد وعلمت
 ان ملكى قد استقر وثبت. وقال صعدت يوما مع نور الدين رحمه الله تعالى الى
 هذه القلعة فسمعته يقرأ (قل اللهم مالك الملك) الآية قال ولما بلغ السلطان
 الى باب عماد الدين قرأ (واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها)
 ثم صار الى المقام فصلى ركعتين ثم سجد فأطال السجود ثم خرج ودار في جميع
 القلعة ثم عاد الى الخيم واطلق المكوس والضرائب وسامح باموال عظيمة وجلس
 للهناء بفتح حلب وانشده جماعة من الشعراء منهم يوسف اليراعى له من قصيدة
 شرفت بسامي مجدك الشهباء * وتجللتها بهجة وضياء
 القت اليك قيادها وبها على * كل المارك ترفع وابعاء
 ومنهم سعيد بن محمد الحريرى له من قصيدة وتقدم بعضها
 وصبحت شهباء العواصم مصلتا * قواضب عزم لا يفل شهيرها
 فأعطيت منها غاربا فيك راغبا * وعاد يسيرا في يديك عسيرها
 واوطأت منها اخمصيك تنوفة * يعز على الشعرى العبور عبورها
 ورد اليها روح عدلك روحها * وكان رميا لا يرجى نشورها
 قال وقال والدى ابو طي النجار من قصيدة

حلب شامة الشام وقد زيد * ت جلالا بيوسف وجمالا
 هى اس الفخار من قال أعلا * ها تعالى فخامة وتقالا

وعمل الملاء من حل فيها * تاه كبرا وعزة وجلالا
 من حواها مملكا ملك الأار * ض اقتسارا سهولة وجبالا
 فافترعها مهناً بمحل * سمك الأنجم الوضاء وطالا

قال وحدثني من الحلبيين منهم الركن بن جهبل العدل قال كان الفقيه مجد الدين بن جهبل الشافعي الحلبي قد وقع اليه تفسير القرآن لابي الحكم المغربي فوجد فيه عند قوله تعالى (الم غابت الروم) الآية ان ابا الحكم قال ان الروم يغلبون في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ويفتح البيت المقدس ويصير داراً للأسلام الى آخر الأبد واستدل على ذلك باشياء ذكرها في كتابه فلما فتح السلطان حلب كتب اليه المجد بن جهبل ورقة يبشره بفتح البيت المقدس على يديه ويعين فيه الزمان الذي يفتحه فيه واعطى الورقة للفقيه عيسى فلما وقف الفقيه عيسى عليها لم يتجاسر على عرضها على السلطان وحدث بما في الورقة لمحي الدين ابن الركي القاضي الدمشقي وكان ابن ركي الدين واثقا بمقل ابن جهبل وانه لا يقدم على هذا القول حتى بمحققه ويثق به فعمل قصيدة مدح السلطان بها حين فتح حلب في صفر وقال فيها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر * قضى لكم بافتتاح القدس في رجب

ولما سمع السلطان ذلك تعجب من مقالته ثم حين فتح بيت المقدس خرج اليه المجد بن جهبل مهماً له ففتحه وحدثه حديث الورقة فتعجب السلطان من قوله وقال قد سبق الى ذلك محي الدين بن زكي الدين غير اني اجعل لك حظاً لا يزاحك فيه احد ثم جمع له من في العسكر من الفقهاء واهل الدين ثم ادخله الى القدس بعد ما خرج الفرنج منه وامره ان يذكر درساً من الفقه على الصخرة فدخل وذكر درساً هناك وحظي بما لم يحظ به غيره ..

قال ابن خلكان في ترجمة محمد بن ابي الحسن علي الملقب عبي الدين المعروف بابن زكي الدين لما فتح السلطان صلاح الدين رحمه الله مدينة حلب انشده القاضي عبي الدين المذكور قصيدة بائية اجاد فيها كل الاجادة وكان من جملتها بيت وهو متداول بين الناس وهو

وفتحك القلعة الشهباء في صفر * مبشر بفتوح القدس في رجب
فكان كما قال فان القدس فتحت لثلاث بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسة وقل لمحي الدين من اين لك هذا فقال اخذته من تفسير ابن برجان [١].
ولما وقفت انا على هذا البيت وهذه الحكاية لم ازل اتطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة لكن كان هذا الفصل مكتوبا في الحاشية بخط غير الاصل ولا ادري هل كان من اصل الكتاب ام هو ملحق به وذكر له حسابا طويلا وطريقا في استخراج ذلك حتى قرره من قوله بضع سنين اه
وقال في الروضتين وقد رأيت انا ذلك في كتابه ذكر في تفسير اول سورة الروم ان البيت القدس استولت عليه الروم عام سبع وثمانين واربعمئة واثار انه يبقى بايديهم الى تمام خمسمائة وثلاث وثمانين سنة قال ونحن في عام اثنين وعشرين وخمسة وهذا الذي ذكره ابو الحكم الاندلسي في تفسيره من عجائب ما اتفق لهذه الأمة المرحومة ثم ذكر ما تكلم عليه شيخه ابو الحسن علي بن محمد في تفسيره

(١) تقدم ان الذي وقف على ذلك في تفسير ابن برجان هو الفقيه مجد الدين بن جهيل الشافعي الحلبي وكتب بذلك ورقة الى عيسى الفقيه هذا ولم يوصلها الى صلاح الدين وحدث بما فيها لمحي الدين ابن الزكي في قوله تعالى (الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين)



ذكر فتح صلاح الدين لمحارم

قال ابن الأثير لما ملك صلاح الدين حلب كان بقلمة حارم بعض المماليك النورية واسمه سرخك وولاه عليها الملك الصالح عماد الدين فامتنع من تسليمها الى صلاح الدين فراسله صلاح في التسليم وقال له اطلب من الاقطاع ما اردت ووعدته الاحسان فاشتط في الطلب وترددت الرسل بينهم فراسل الفرنج ليحتمى بهم فسمع من معه من الأجناد انه يرسل الفرنج لخافوا ان يسلمها فوثبوا عليه وقبضوه وحبسوه وراسلوا صلاح الدين يطلبون منه الأمان والانعام فاجابهم الى ما طلبوا وسلموا اليه الحصن فرتب به دزداراً بعض خواصه .

قال في الروضتين قال ابن طي كاتب الوالي بحارم الفرنج واستدعاه اليه مطمئناً لهم في الأستيلاء على حارم بشرط ان يعصوه من الملك الناصر وعلم الاجناد بقلمة حارم بما عزم عليه فنامروا بينهم في القبض عليه وكان هذا الوالي ينزل من القلعة ويصعد اليها في اموره ولذاته فانفق انه نزل منها لبعض شأنه فوثب اهل القلعة لما خرج واغلقوا بابها ونادوا بشعار السلطان وكان السلطان والى حارم وبذل له في تسليم حارم اليه في اشياء كثيرة منها ولاية بصري وضيعة يملكه اياها ودار العفيفى التي كان نجم الدين ايوب والد السلطان يسكنها وحمام العفيفى بدمشق وثلاثون الف دينار عينا ولأخيه عشرة آلاف دينار فاشتط في السوم وتغالى في العوض فانفذ اليه السلطان وتوعدده وتهدهده فكانت الفرنج يطلب نجدتهم وقيل ان تقيب القلعة اراد ان تنفق سوقه عند السلطان ويتحصل منه شيئاً فكانت السلطان بالعمل على الوالي فكتب اليه السلطان بتتيم ذلك ووعدده بأشياء سكنى اليها وجرى الامر على ما ذكرناه من اغلاق الباب في وجه الوالي

وقيل ان القيب واهل القلعة لما اغلقوا الباب في وجهه شنعوا عليه بمكاتبة الفرنج ولم يكن فعل ذلك اقامة لعذرهم وقذفوه بالحجارة ونادوا بشعار السلطان ولما اتصل بالسلطان هذه الأحوال انفذ تقي الدين الى حارم ليتسامها فامتنع القيب واهل القلعة من تسليمها اليه فرحل السلطان اليها بنفسه جريدة فلما اشرف عليها نزل اليه القيب ووجوه القلعين وسلموها اليه في تاسع عشر صفر ولما حضروا عند السلطان حدثوه بكيفية الحال وكان بدر الدين حسن ابن الداية حاضراً فقال للسلطان يا مولانا لا تلتفت الى هؤلاء فانهم آذوا هذا الوالى وكذبوا عليه حتى فوتوه ما كان السلطان وعده به وما قلت هذا الا عن تجربة فأنتي لما كنت متوليا لهذه القلعة جرى من كذبهم في حقي وتخرصهم عليّ امور كدت بها اهلك مع نور الدين وهم كانوا سبب خروجي من هذه القلعة وانا ارى ان السلطان يقرم في القلعة على هذه التجربة فضحك السلطان وامر لهم بما كان وعدم به وافضل عليهم وولى في القلعة ابراهيم بن شرويه وقال لأبن الداية ان بين ايدينا امكنة نريد اخذها وهى لم نف ونجزل العظام لم يثق بنا احد وبات السلطان بقلعة حارم ليلتين وعاد الى حلب في ثالث ربيع الأول ثم اعطى المسا كردستوراً فسار كل منهم الى بلده واقام يقرر قواعد حلب ويدبر امورها ورجفت انطاكية بعد ذلك رعباً وأرسل صاحبها جماعة من اسارى المساهين وانقاد وسارع الى امان السلطان

تقرير الملك صلاح الدين لقواعد حلب وترتيب امورها
وتوليته عليها ولده الملك الظاهر غازي

قال في الروضتين لما عاد صلاح الدين من حارم الى حلب في ثالث ربيع الاول رتبها وقرر ولده الظاهر غازي ساطاناً بها وقرر له في كل شهر اربعة آلاف

درهم وعشرين كمة وقبأ وما يحتاج اليه من الطعام وغيره وجعل معه واليا سيف الدين ازكش الأسدي وولى حسام الدين بميرك الخليفة شحنة حلب وولى الديوان ناصح الدين اسماعيل بن العميد الدمشقي ودار الضرب فضرب الدرهم الناصري الذي سكنه خاتم سليمان ونقل الخطابة من بنى المديم الى ابي البركات ابن الخطيب هاشم بسفارة القاضي الفاضل وولى القضاء لمحي الدين ابن زكي الدين الدمشقي فاستناب فيه ابن عمته ابا البيان بناء البانياسي وولى الجامع والوقوف لأبي علي بن المعجمي وولى قلعتها سيف الدين يازكوج واقرعين تاب على صاحبها واعطى تل خالد وتل باشربدر الدين دلدرم بن بهاء الدولة بن ياروق واعطى قلعة عزاز علم الدين سليمان بن جنندر وكشف السلطان عن حلب المظالم وازال المكوس .

وفي توقيع اسقاط المكوس بحلب من كلام القاضي الفاضل عن السلطان (وانتهو الينا ان بمدينة حلب رسوماً استمرت الأيدي على تناولها والألسنة على تداولها وفيها بالرعاة ارفاق وبالرعايا اضرار ولها مقدار الا عند من كل شيء عنده بمقدار منها ما هو في المعاش المطلوبة وقد رأينا بنعمة الله ان نبتلها ونضعها ونمطلها وندعها ونضرب عليها بأفلامنا ونسلك ما هو اهدي سبيلا ونقول ما هو اقوم قبلا ونكره ما كره الله ونحظر ما حظر الله ونأجره سبحانه فانه من ترك شيئاً لله عوضه الله امثاله واربح متجرة في الرعية اليوم بما يوضع عنهم من اصرها ولنا غداً بمشيئة الله ما يرفع من اجرها فعلى كافة اوليائنا والمتصرفين من قبلنا ان لا يهواوا اليها يداً ولا يردوا ولو بلغ الظم منهم مورداً ولا يثقاواها ميزان المال فتخف ميزان الأعمال ولا يرغبوا في كثير المحرام فان الله يغني عنه بقليل الحلال وليعلم ان ذلك من الأمر المحكم والقضاء المبرم والعزم المتمم .

وفي منشور اهل الرقة بمثل ذلك . ان اشقي الأمراء من سمن كبسه واهزل

الخلق . وابعدهم من الحق من اخذ الباطل من الناس وسماه الحق . ومن ترك لله شيئا عوضه ومن افرض الله قرضا حسنة وفاه ما افرضه . ولما انتهى امرنا الى فتح الرقة اشرفنا منها على سحت يؤكل وظلم مما امر الله به ان يقطع وامر الظالمون ان يوصل فأوجبنا على انفسنا وعلى كافة الولاة من قبلنا ان يضعوا هذه الرسوم بأسرها . ويلقوا الرعايا من بشرأ ايام ملكنا بأسرها . ونعتق بلد الرقة من رقتها . وثبت احكام المعدلة فيها بمحو هذه الرسوم ومحقها . وقد امرنا بأن تسد هذه الأبواب وتعطل . وتنسخ هذه الأسباب وتبطل وستنطر سحائب الخصب بالعدل وتستنزل ويعني خبر هذه الضرائب من الدواوين ويسامح بها جميعها جميع الأغنياء والمساكين مسامحة ماضية الأحكام مستمرة الأيام دائمة الخلود خالدة الدوام تامة البلاغ بالغة التمام موصولة على الاحقاب مسنونة في الاعقاب ملعونا من يطمح اليها ناظره وتتناولها يده ويمسك عنها اليوم على طمع لا يوصله اليه غده .

﴿ الكتب التي ارسلها السلطان صلاح الدين الى الجهات ﴾

يعلم بها استيلائه على حلب

قال في الروضتين ومن كتب فاضلية [اي من انشاء القاضي الفاضل عن لسان السلطان] تسامنا مدينة حلب وقلعتها بسلم وضعت بها الحرب اوزارها وبنانت بها الهمم اوطارها وعوض صاحبها بما لم يخرج عن اليد لأنه مشروط عليه به الخدمة بنفسه وعسكره ومخلط بالجملة فهو احد الأولياء في منفيه ومحضره وعوض عماد الدين عنها من بلاد الجزيرة سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج فهو صرف بالحقيقة اخذنا فيه الدينار واعطينا الدرهم ونزلنا عن

المنيحات واحرزنا العواصم وسرنا انها انجلت والكافر المحارب والمسلم هو المسلم
واشترطنا على عماد الدين الخدمة والمظاهرة والحضور في مواقف الغزو والمصابرة
فانتظم الشمل الذي كان نثيرا واصبح المؤمن بأخيه كثيرا وزال الشغب واخذ اللهب
واتصل السبب واخذت للنزاة الأهب ووصلت الى غاية همه الطلب والألفة
واقعة والمصاحبة جامعة وأشعة انوار الاتفاق شائعة

كتاب آخر

فتحنا مدينة حلب بسام ما كشفت مجرمتها فناعا وتسامنا قلعتهما التي ضمننت ان
تسلم بعدها بمشيئة الله قلاعا وعوض صاحبها من بلاد الجزيرة ما اشترط عليه
به الخدمة في الجهاد بالعدة الموفرة فهي بيدنا بالحقيقة لأن مرادنا من البلاد
رجالها لا اموالها وشوكتها لازهرتها ومناظرتها للعدو لانصرتها وان يعظم في
العدو الكافر نكايتها لا ان تعذق بالولي المسلم ولايتها والأوامر بحلب نافذة
والرايات بأطراف قلعتهما آخذة وجاء اهل المدينة يستبشرون وقد بلغوا ما كانوا
يؤمنون وامنوا ما كانوا يحذرون وعوض صاحبها ببلاد من الجزيرة على ان
تكون العساكر مجتمعة على الاعداء مرصدة للاستدعاء فالبلاد بأيدينا لنامنمها
ولنيرنا مفرمها وفي خدمتنا ما لا نسمع به وهو عسكرنا وفي يده ما لانضن به
وهو درهمنا شرطنا على عماد الدين النجدة في اوقاتها والمظاهرة على العداة
عند ملاقاتها فلم يخرج منا بلد الاعاد اليينا عسكره وانما استنبنا فيه من يحمل عنا
مؤنته ويدبره وتكون عساكره الى عساكرنا مضافة ونتمثل قوله سبحانه وتعالى
(وقالوا المشركين كافة كما يقاثلونكم كافة)

كتاب اخر

نشمير الامير بما من به من فتح مدينة حلب التي هي مفتاح البلاد وتسلم قلعتهما

التي هي احد مارست به الأرض من الأوتاد فله الحمد واين يقع الحمد من هذه
المنة ونسأل الله الغاية المطلوبة بعد هذه الغاية وهي الجنة وصدرت هذه البشرية
والموارد قد امضت مصادرها والأحكام في مدينة حلب نافذة في باديتها وحاضرها
وقلمتها قد اناف لواؤنا على انفها وقبضت على عقبه بكفها واعتذرت من لقائه
امس برشقها ورأينا ان نتشاغل بما بورك لنا فيه من الجهاد وان نوسع المجال
فيما نضيق به قلب الذين كفروا في البلاد .

كتاب اخر حين فتح تل خالد

زلنا تل خالد يوم الثلاثاء ناني عشر المحرم وكان قد تقدمنا الأجل تاج الملوك
اليها واناخ عليها وقابلها وقتلها وعالجها ولو شاء لعاجلها ولما اطلت عليها راياتنا
القى من فيها بيده وانجز النصر صادق وعده وارسلتها حلب مقدمة لفتحها وقد
انعم الله علينا بنعم لا نحصيها تعداداً ولا نستقصيها اعتداداً ولا نستوعبها ولو كان
النهار طرساً والبحر مداداً . ورايتنا المنصورة قد صارت مغناطيس البلاد تجذبها
بطبعها وسيوفنا قد صارت مفاتيح الأمصار تفتحها بنصر الله لا بجدها ولا بقطمها
من كتاب آخر الى الخليفة في بغداد

قال في الروضتين قال العماد ورد على السلطان وهو نازل على حلب بشارتان
احدهما ان الأسطول المصري غزا في خامس عشر المحرم ورجع بعد تسعة ايام
وقد ظفر ببطشة مقاعة من الشام فيها ثلثائة وخمسة وسبعون علجاً من خيالة
وتجار . والثانية ان فرنج الداروم نهضوا فنذر بهم والى الشرقية فخرج اليهم فالتقوا على
ماء يعرف بالمسيلة فاستولى عليهم المسلمون بعد ان كادوا يهلكون عطشاً لأن
الفرنج كانوا قد ملكوا الماء فأرواهم الله بجاء السماء قلت وكتب الفاضل عن
السلطان الى بغداد بهاتين البشارتين وبفتح حلب وحارم كتابا شافيا اوله . ادام

الله أيام الديوان العزيز ولا زالت منازل مملكته منازل التقديس والتطهير والوقوف بأقصى المطارح من ابوابه موجبا للتقديم والتصدير والأمة بمجموعة الشمل بأمامته جمع السلامة لاجمع التكسير. الخادم ينهى ان الذي يفتتحه من البلاد ويتسلمه اما بسكون التعمد او بمحركة مافي الأعماد انما يعده طريقا الى الأستنفار الى بلاد الكفار ومحسبه جناحا يمكنه به المطار الى ما يلبسه الكفار من الاقطار [وبعد ان ذكر البشارتين] ذكر تسلمه حلب وانه لا يؤثر الا ان تكون كلمة الله هي العليا لا غير وتغور المسلمين لها الرعاية ولا ضير ولا نختار الا ان تغدو جيوش المسلمين متحاشدة على عدوها لامتحاسدة بعثوها واو ان امور الحرب تصاحبها الشركة لما عز عليه ان يكون كثير المشاركين ولا اساءه ان تكون الدنيا كثيرة المالكين وانما امور الحرب لا تحتل في التدبير الا الوحدة فاذا صح التدبير لم يحتمل في اللقاء الا العدة فعوض عماد الدين من بلاد الجزيرة سنجار وخابورها ونصيبين والرقه وسروج على ان المظالم تموت فلا ينشر مقبورها والمساكر تنشر راية غزوها فلا يطوى منشورها واجاب الخادم عماد الدين الى ما سأل فيه من ان يصلح المواصلة مهما استقاموا لعماد الدين لأنه لم يثق بهم وان كان لهم اخا ولم يطمئن الى مجاورتهم الى ان يضرب بيته ويبيض من عانيته برزخا فليح الآن عذر الأجنبي اذا لم يثق ولتكن هذه نصيحة من عوتب في شكره بحسن الظن فلم يفتق ومن شرطه على المواصلة المونة بعسكرهم في غزواته والخروج من المظالم فاذا زاد على ان قال سالموا مسلما وحاربوا كافرا واسكنوا لتكون الرعية ساكنة وأظهروا ليكون حزب الله ظاهرا وهذه المقاصد الثلاثة (١) الجهاد في سبيل الله (٢) والكف عن مظالم عباد الله (٣) والطاعة لخليفة الله هي مراد الخادم من البلاد اذا فتحها ومنعها من الدنيا اذا منعها والله العالم

انه لا يقا تل لعيش الين من عيش ولا لغضب بملأ العيان من نرق ولا طيش ولا يريد الاهداه الامور التي قد توسم انها تلترم ولا ينوى الاهداه النية التي هي خير ما يسطر في الصحيفة ويرقم

وكتب الخادم هذه الخدمة بعد ان بات بحلب ليلة وخرج منها الى حارم وكانت استحفظت مملوكا لا يملكه دين ولا عقل غرما هذبته نفس ولا اهل فاعقد ان يسلمها الى صاحب انطاكية يسر الله فتحها اختقادا صرح بفعله وشهره بكتبه ورسله وواطأ على ذلك نفرا من رجال يعرفون بالسيمة ولا يعرفون خالقا الا من عرفوه رازقا ولا يسجدون الا لمن يرونه في نهر النهار ساجوا في بحر الظلام غارقا فشعر به من فيها من الأجناد المسامين فشردوه ومن تابعه على فعله وظفر به المملوك عمر ابن اخيه في ضواحي البلد فأخذه وارسله الى قلعة حلب وسار الخادم اليها فتمسكها ورتب بها حامية ورابطة ولم يعمل على انها للعمل طرف بل انها للمقد واسطة والخادم كما طالع بماضيه الذي حازه الامس المذكور يطالع بمستقبله الذي ينجزه بمشيئة الله الفد المشكور فهو متأهب للخروج نحو الكفسار لا تسأم رايته النصب ولا جبهة سيره الرفع ولا جيشه الجر ولا يصغى الى قول خاطر الراحة الفند لا تنفروا في الحر ولا يجيب دعوة الفراش المهدولا يعرج على الظل الممدد ولا دمية القصر المشيد ولا يعطف على ربحانة فؤاد يفارقه حولا ويلقاء يوما ولا يقيم على زهرة ولد استهل فتى ذكره الفطر على راحته قال اني نذرت للرحمن صوما اه

رجوع السلطان صلاح الدين من حلب الى دمشق

قال في الروضتين قال القاضي ابن شداد لم يتم السلطان في حلب الا الى يوم

السبت الثاني والعشرين من ربيع الآخر وانشأ عزمًا على الغزاة فخرج ذلك اليوم الى الوضيحي مبرزاً نحو دمشق واستنهض المساكر فخرجوا يتبعونه ثم رحل في الرابع والعشرين منه الى حماة فوصلها ثم رحل في بقية يومه ولم يزل يواصل بين المازل حتى دخل دمشق في ثالث جمادى الأولى فأقام بها متأهباً الى السابع والعشرين ثم ذكر غزوته لعين جالوت وبسط القول في ذلك

ذكر تولية السلطان صلاح الدين اخاه الملك العادل

ابا بكر بن ايوب على حلب

قال في الروضتين كان الملك العادل نائباً بمصر فلما فتح السلطان حلب كتب العادل اليه يطلبها منه مع اعمالها ويدع الديار المصرية فكتب السلطان اليه ان يوافيه الى الكرك فإنه سائر الى فتحه فاشار القاضي الفاضل على السلطان ان يستنيب في الديار المصرية موضع اخيه العادل ابن اخيه تقي الدين فاستصحبه السلطان معه في رجب الى الكرك هذه السنة وحاز في طريقه قبل وصوله اليها غنائم وخيم على الربة ثم حصر الكرك ورماه بالمجانيق صباحاً ومساءً وتناوب عليه الأمراء حتى خرج شهر رجب وما حصل منه الطلب لكن عظمت النكاية في الكفار بأخذ اموالهم وتخريب الديار ووصل الخبر ان الفرنج قد استجمعوا وتجمعوا بالموضع المعروف بالواله على قصد المساهين وخلص الكرك من ايديهم ورأى السلطان ان حصره يطول فعول على الرحيل الى دمشق ووصل العادل الى السلطان وهو بعد على الكرك فجهز تقي الدين الى الديار المصرية واليا عليها وقوى عضده بصحبة القاضي الفاضل له وتولى العادل حلب واعمالها ومنبج وجميع قلاعها فسار اليها في رمضان ورجع منها الى دمشق الملك الظاهر ونواب السلطان

قلت وكتب العادل الى الفاضل يستشيريه في التعرض عن مصر بحلب فكتب اليه
الفاضل كتابا فيه

انما انت كغيث ماطر * حينما صرفه الله انصرف

قال ابن ابي طي كان السلطان يعظم الملك العادل ويعمل برأيه في جميع اموره
ويتيمن بمشورته ولا يعلم بأنه اشار على السلطان بأمر فخالفه حدثني قاضي اليمن
جمال الدين قال كان السلطان يجمع الامراء للمشورة فان كان العادل حاضرا سمع
من رأيه وان لم يكن حاضرا لم يقطع امرا في المهمات حتى يكتبه بجملة الأحوال
ثم يسمع رأيه فيها قال وحدثني ابي قال حدثني جماعة قالوا كان السلطان ليس
له غناء عن العادل ولا عن رأيه فلما حصل العادل بمصر وبعد عن السلطان هناك صار
السلطان يتكلف بمكاتبته بالأخبار ويؤخر الأمور الى ان يرد عليه جوابه فيفوته
بذلك كثير من المنافع الحاصلة للدولة وللجهاد فلما حصر الكرك في هذه السنة
كتبه بالحضور اليه بعياله وامواله وجميع اصحابه وولى مصر تقي الدين ولما حصل
العادل عند السلطان وقع في نفسه ان يعرضه عن ولاية مصر ثم حار في ولاية
يوليه اياها قال وحدثني علم الدين قيصر الصلاحى قال انما اقدم السلطان العادل
من مصر لأجل ولاية حلب وبذلك كاتبه ولهذا خرج العادل بأمواله وعياله
وانتقاله قال وحدثني غيره قال لما حصل العادل عند السلطان بأمواله وانتقاله كانت
الأموال قد قلت على السلطان وقد حصلت عنده عساكر عظيمة فأحضر العادل
ليلا وقال اريد ان تقرضنى مائة وخمسين الف دينار الى الميسور فقال السمع
والطاعة ثم قام وخرج من عنده وكتب اليه يقول اموالى جميعها بين يديك
وانا مملوك واشتهى ان احمل هذا المال الى خدمة السلطان ويكون عوضا عنه
مدينة حلب وقلمتها فأجابه السلطان انى والله ما اقدمتك الا لأوليك حلب

واذ قد اقترحت ذلك فقد وافق ما عندي فلما اصبح العادل انفذ وسأل السلطان ان يكتب له بمدينة حلب كتاباً ويجمعه ككتاب البيع والشراء فامتنع السلطان وقال انما تكون حلب اقطاعاً والمال عليّ اه فاعتذر العادل الى السلطان ولما اجتمعا قال له السلطان [اظننت ان البلاد تباع او ما علمت ان البلاد لأهلها المرابطين بها ونحن خزنة للمسلمين ورعاة للدين وحراس لأموالهم] او ما علمت ان السلطان ملك شاه السلجوقي لما وقف طبرية على جامع خراسان لم يحكم به احد من القضاة ولا من الفقهاء. ثم قرر السلطان ولاية العادل لحلب واعمالها الى رعبان الى الفرات الى حماة وكتب له التوقيع وقرر عليه مالاً يجمعه برسم النرد خانات وخزانة الجهاد ورجالة من الحلبيين ورحل السلطان الى دمشق واستدعى ولده الظاهر من حلب فلما حضر امره بالعود الى حلب وتسليمها الى عمه العادل ففعل وعاد الى دمشق وسار العادل الى حلب فالتقيا بالرستن وبانا فيه فكانت ولاية الظاهر بحلب في هذه النوبة نحو ستة اشهر ولما وصل الظاهر الى دمشق اقبل على خدمة والده والتقرب اليه الا ان الأُنكسار لخروج حلب عنه ظاهر عليه وهو مع ذلك لا يظهر شيئاً الا الطاعة لو والده والاقبياد الى مرضاته حدثني ابي عن مجد الدين ابن الخشاب قال حدثني الملك الظاهر قال لما بلغني ان السلطان اعطى حلب للملك العادل جرى عليّ ما قدم وما حدث واصابني من السهم ما لم اقدر على النهوض به ووددت اني لم اكن رأيتها ولا دخلت اليها لأنني قلبي احبها وتبائها وطاب لي هواؤها ولما فارقتها كنت احن اليها واشتاقها قال ودخل العادل حلب في رمضان وخلع على المقدمين والأعيان وكان قد قدم بين يديه كاتبه المعروف بالصنينة لتسلم حلب وقلعتها من الملك الظاهر وولى القلعة صارم الدين بزغش وولى الديوان والأقطاعات شجاع الدين بن البيضاوي صبغ ذقنه وولى

الأنشاء وما يتعلق بأمور السر للصنيعة ابن النعال وكان نصرانيا ثم اسلم على يد
العادل فولى ابن النعال الوظائف لجماعة من النصارى وفي ذلك يقول الشاعر

فماق دين المسيح في دولة العا * دل حتى علا على الأديان

ذا امير وذا وزير وذا وا * لي وذا مشرف على الديوان

وفي البيرة الصلاحية للقاضي ابن شداد قال عاد السلطان صلاح الدين من الكرك
الى دمشق مستصحبا اخاه الملك العادل معه لآياسه عن الكرك بعد نزول
الأفرنج عليها فدخل دمشق في الرابع والعشرين من شعبان واعطى اخاه الملك
العادل حلب بعد مقامه بدمشق الى تاني يوم من شهر رمضان وكان بها ولده
الملك الظاهر ومعه سيف الدين يازكج يدبر امره وابن العميد في البلد وكان
الملك الظاهر من احب الاولاد الى قلبه لما قد خصه الله به من الشهامة والفضيلة
والعقل وحسن السميت والشنف بالملك وظهور ذلك كله وكان ابر الناس بوالده
واطوعهم له ولكن اخذ منه حلب لمصلحة رآها فخرج من حلب لما دخل الملك
العادل هو ويازكج سائرين الى خدمة السلطان فدخل دمشق الثامن عشر من
شوال فأقام في خدمة ابيه لا يظهر الا الطاعة والأتقياد مع انكسار في باطنه
لا يخفى عن نظر والده اه

ومما يجدر ذكره هنا ما ذكره ابن خلكان في ترجمة محمد ابي السعادات المعروف
بالمسعودى قال حكى ابو البركات الهاشمى الحلبى قال لما دخل السلطان صلاح
الدين الى حلب سنة تسع وسبعين وخمسمائة نزل المسعودى المذكور الى جامع
حلب وقعد في خزانة كتبها الوقف (وكان محلها في الشرقية) واختار منها
جملة اخذها لم يمنعه منها مانع ولقد رأيتته وهو يحشوها في عدل اه !

ذكر وصف الرحالة ابي الحسين محمد بن احمد بن جبير
الكنتاني الأندلسي لما مر به من هذه الديار في هذه السنة
قال في وصفه لمدينة حران

بلد لا حسن لديه ولا ظل يتوسط برآديه قد اشتق من اسمه هواه فلا يألف
البرد ماؤه . ولا تزال تنقد بلفح الهجير ساحاته وارجاؤه . لا تجد فيه مقبلا ولا
تنفس منه الا نفساً ثقيلاً . قد نبذ بالعراء . ووضع في وسط الصحراء . فعدم
رونق الحضارة . وتمرت اعطافه من ملابس النضارة . استغفر الله كفى بهذا البلد
شرفاً وفضلاً انها البلدة العتيقة المنسوبة لأبينا ابراهيم صلى الله عليه وسلم وله
بقباياها بنحو ثلاثة فراسخ مشهد مبارك فيه عين جارية كان مأوى له واسارة
صلوات الله عليها ومتعبداً لها . ببركة هذه النسبة قد جعل الله هذه البلدة مقراً
للاصالحين المتزهدين ومثابة للسامحين المتبتلين لقينا من افرادهم الشيخ ابا البركات
حيان بن عبد العزيز حذاء مسجده المنسوب اليه وهو يسكن منه في زاوية بناها
في قبلته وتتصل بها في آخر الجانب زاوية لأبنة عمر قد التزمها واشبه طريقة
ابيه فا ظلم وتعرفت منه شنشنة اعرفها من أخزم فوصلنا الى الشيخ وهو قد
نيف على الثمانين فصالحنا ودعا لنا وامرنا ببقاء ابنه عمر المذكور من رجال
الآخرة ولقينا ايضاً بمسجد عتيق الشيخ الزاهد سلمة فلقينا رجلاً من الزهاد
الإفراد فدعانا وسألنا وودعنا وانصرفنا وبالبلد سلمة آخر يعرف بالكشوف الرأس
لا يغطي رأسه تواضعا لله عز وجل حتى عرف بذلك ووصلنا الى منزله فاعلمنا
انه خرج للبرية سائحاً وبهذه البلدة كثير من اهل الخير واهلها هيئون معتدلون
محبون للغرباء مؤثرون للفقراء واهل هذه البلاد من الموصل لديار بكر وديار

ربيعة الى الشام (١) على هذا السبيل من حب الغرباء واکرام الفقراء واهل قراها كذلك فاجتاج الفقراء الصعاليك معهم زاداً . لهم في ذلك مقاصد في الكرم مأثورة وشأن اهل هذه البلاد في هذا السبيل عجيب والله يتفهم بما هم عليه واما عبادهم وزهادهم والسائحون في الجبال منهم فاکثر من ان يقيدهم الأحصاء والله ينفع المسلمين ببركاتهم ووصالح دعواتهم بمنه وكرمه . ولهذه البلدة المذكورة اسواق حافلة الانتظام محيية الترتيب مسقفة كلها بالخشب فلا يزال اهلها في ظل ممدود فتخترقها كأنك تحترق داراً كبيرة الشوارع قد بني عند كل ملتقى اربع سبک اسواق منها قبة عظيمة مرفوعة مصنوعة من الجص هي كالمفرق لتلك السبک ويتصل بهذه الأسواق جامعها المكرم وهو عتيق مجدد قد جاء على غاية الحسن وله صحن كبير فيه ثلاث قباب مرتفعة على سوارى رخام وتحت كل قبة بئر عذبة وفي الصحن ايضاً قبة رابعة عظيمة قد قامت على عشر سوار من الرخام دور كل سارية تسعة اشبار وفي وسط القبة عمود من الرخام عظيم الجرم دوره خمسة عشر شبراً وهذه القبة من بنيان الروم واعلاها مجوف كأنه البرج المشيد يقال انه كان مخزناً لعدتهم الحربية والله اعلم . والجامع المكرم سقف بجوائز الخشب والحنايا وخشبه عظام طوال لسعة البلاط وسعته خمس عشرة خطوة وهو خمسة ابلطة وما رأينا جامعاً اوسع حنايا منه وجداره المتصل بالصحن الذي عليه المدخل مفتوح كله ابواباً عددهم تسعة عشر باباً تسعة يمينا وتسعة شمالاً والتاسع عشر منها باب عظيم وسط هذه الأبواب يمسك قوسه من أعلى الجدار الى اسفله بهي المنظر جميل الوضع كأنه باب من ابواب المدن الكبار ولهذه الأبواب كلها اعلاق من الخشب البديع الصنعة والنقش تنطبق

(١) كان محيئه من بغداد الى الموصل الى هذه البلاد

عليها على شبه ابواب مجالس القصور فشاهدنا من حسن بناء هذا الجامع وحسن ترتيب اسواقه المتصلة به مرآى عجيبا قل ما يوجد في المدن مثل انتظامه ولهذه البلدة مدرسة ومارستان وهي بلدة كبيرة وسورها متين حصين مبني بالحجارة المنحوتة المرصوص بعضها على بعض في نهاية من القوة وكذلك بنيان الجامع المكرم ولها قلعه حصينة مما يلي الجهة الشرقية منها متقطعة عنها بفضاء واسع بينها ومنقطعة ايضا عن سورها بحفير عظيم يستدير بها قد شيدت حافته بالحجارة المركومة فجاء في نهاية الرثاق والقوة. وسور القلعه وثيق الحصانة ولهذه البلدة نهر مجراه بالجهة الشرقية ايضا منها بين سورها وجبانتها ومصبه من عين هي على بعد من البلد والبلد كثير الخلق واسع الرزق حاصل البركة كثير المساجد جم المرافق على احفل ما يكون من المدن وصاحبه مظفر الدين بن زين الدين (له ذكرني حوادث سنة ٥٧٨) وطاعته الى صلاح الدين وهذا البلاد كلها من الموصل الى نصيبين الى الفرات المعروفة بديار ربعة وحده من نصيبين الى الفرات مع ما يلي الجنوب من الطريق وديار بكر التي تليها في الجانب الجنوبي كآمد وميافارقين وغيرها مما يطول ذكره ليس في ملوكها من يناهض صلاح الدين فهم الى طاعته وان كانوا مستبدين وفضله يبقى عليهم ولو شاء نزع الملك منهم لفعله بمشيئة الله فكان نزولنا ظاهر البلد بشرقيه على نهره المذكور واقام مريحين يوم الاثنين ويوم الثلاثاء منه واثر الظهر منه كان اجتماعا بسلمة المكشوف الرأس الذي فانا لقاءه يوم الاثنين فلقيناه بمسجده فرأينا رجلاً عليه سيما الصالحين وسمت المحبين مع طلاقة وبشر وكرم لقاء وبر فأنسنا ودعانا لنادعنا وانصرفنا حامدين لله عز وجل على ما من علينا من لقاء اوليائه الصالحين وعباده المقربين وفي ليلة الأربعاء التاسع لربيع المذكور كان رحيلنا بعد تهويم

ساعة فأسرينا الى الصباح ونزلنا صريحين بموضع يعرف بتل عبدة وهو موضع صحارة وهذا التل مشرف متسع كأنه المائدة المنصوبة وفيه اثر بناء قديم وبهذا الموضع ماء جار وكان رحيلنا منه عند المغرب وأسرينا الليل كله واجتازنا على قرية تعرف بالبيضاء فيها خان كبير جديد وهو نصف الطريق من حران الى الفرات ويقابلها على اليمين من الطريق في استقبالك الفرات الى الشام مدينة سروج التي شهر ذكرها الحريري بنسبة ابي زيد اليها وفيها البسانين والمياه المطردة حسبا وصفها في مقاماته فكان وصولنا الى الفرات ضحوة النهار وعبرنا في الزواريق المقلدة المعدة للعبور الى قلعة جديدة على الشط تعرف بقلعة نجم وحوها ديار بادية وفيها سويقة يوجد فيها المهم من علف وخبز فأقننا بها يوم الخميس العاشر لربيع الأول المذكور صريحين خلال ما تكمل القافلة بالعبور واذا عبرت الفرات حصلت في حد الشام وسرت في طاعة صلاح الدين الى دمشق والفرات حد بين ديار الشام وديار ربيعة وبكر وعن يسار الطريق في استقبالك الفرات الى الشام مدينة الرقة وهي على الفرات وتليها رحبة مالك بن طوف وتعرف برحبة الشام وهي من المدن الشهيرة ثم رحلنا منها عند مضي ثلث الليل الأول واسرينا ووصلنا مدينة منبج مع الصباح من يوم الجمعة الحادي عشر لربيع المذكور والثاني والعشرين ليونيه

وقال في وصفه لمدينة منبج

بلدة فسيحة الأرجاء صهيحة الهواء يحف بها سور عتيق ممتد الغاية والأنتهاء جوها صقيل ومجتلاها جميل ونسيمها ارج النسر عليل نهارها يندى ظلها وليامها كما قيل فيه سحر كله تحف بغربها وبشرقيها بسانين ملتفة الاشجار مخلفة الثمار والماء يطرد فيها ويتخلل جميع نواحيها وخصص الله داخلها بابا رمعينة شهيدة العذوبة سلسبيلة

المذاق تكون في كل دار منها البثر والبثران وارضها ارض كريمة تستنبط مياهها كلها واسواقها وسككها فسيحة متسعة ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن انساعا وكبرا واعالي اسواقها مسقفة وعلى هذا الترتيب اسواق اكثر مدن هذه الجهات لكن هذه البلدة تعاقبت عليها الأحقاب حتى اخذ منها الخراب كانت من مدن الروم العتيقة ولهم فيها من البناء آثار تدل على عظم اعتنائهم بها ولها قلعة حصينة في جوفها تقطع عنها وتعازل منها ومدن هذه الجهات كلها لا تخلو من القلاع السلطانية واهلها اهل فضل وخير سنيون شافعيون وهي مطهرة بهم من اهل المذاهب المنحرفة والعقائد الفاسدة كما تجده في الأكثر من هذه البلاد فعاملتهم صحيحة واحوالهم مسقيمة وجادتهم الواضحة في دينهم من اعتراض بنيات الطريق سليمة فكان نزوانا خارجها في احد بساينها واقنا يوما صريحين ثم رحلنا نصف الليل ووصلنا بزاعة ضحوة يوم السبت الثاني عشر لربيع المذكور

وقال في وصفه لبلدة بزاعة

بقعة طيبة الثرى واسعة الذرى تصغر عن المدن وتكبر عن القرى بها سوق تجمع بين المرافق السفرية والمتاجر الحضرية وفي اعلاها قلعة كبيرة حصينة رامها احد ملوك الزمن ففاظته باستصعابها فأمر بثلثم بناؤها حتى غادرها عودة منبوذة لعرائها ولهذه البلدة عين معية يخرق مأوها بسياط بطحاء ترف بساينها خضرة ونضارة وتريك برونقها الأنيق حسن الحضارة ويناظرها في جانب البطحاء قرية كبيرة تعرف بالباب بين بزاعة وحلب وكان يعمرها منذ ثمانى سنين قوم من الملاحدة الاسماعيلية لا يحصى عددهم الا الله فطار شرارهم وقطع هذه السبيل فسادهم واضرارهم حتى داخلت اهل هذه البلاد العصبية وحركتهم الأنفة والحمية

فتجمعوا من كل اوب عليهم ووضعوا السيوف فيهم فاستأصلوهم عن آخرهم
وعجلوا بقطع دابرهم وكومت بهذه البطحاء جماجمهم وكفى الله المسلمين عاديتهم
وشرم واحاق بهم مكرهم والحمد لله رب العالمين . وسكانها اليوم قوم سنيون
فاقنا بها يوم السبت ببطحاء هذه البلدة مريجين ورحلنا في الليل واسرينا الى
الصباح ووصلنا مدينة حلب يوم الأحد الثالث عشر لربيع الأول والرابع
والعشرين ليونيه

وقال في وصفه لحلب حرسها الله

بلدة قدرها خطير وذكرها في كل زمان خطير خطاها من الملوكة كبير محلها من
النفوس اثير فكم هاجت من كفاح وسلت عليها من بيض الصفاح لها قلعة
شهيرة الأمتناع بائنة الأرتفاع معدومة الشبه والنظير في القلاع تزهدت حصانة
ان ترام اوتستطاع قاعدة كبيرة ومائدة من الأرض مستديرة منحوته الأرجاء
موضمة على نسبة اعتدال واستواء فسبحان من احكم تقديرها وتديرها وابدع
كيف شاء تصويرها وتدويرها عتيقة في الأزل حديثة وان لم تزل قد طاولت
الأيام والأعوام وشيعت الخواص والموام هذه منازلها وديارها فأين سكانها
قدما وعمارها وتلك دارمملكيتها وفنائها فأين امراؤها الحمدانيون وشعراؤها ،
اجل فنى جيمهم ولم يأن بعد فنائها فيا عجبا للبلاد تبقى وتذهب املاكها ويهلكون
ولا يقضى هلاكها فخطب بدمهم فلا يتعذر ملاكها ونرام فيتيسر بأهون شيء
ادراكها هذه حلب كم ادخلت من ملوكها في خبر كان ونسخت ظرف الزمان
بالمكان انث اسمها فتحلت بزينة النوان ودانت بالغدر فيمن خان ومجلت
عروساً بعد سيف دولتها ابن حمدان هيهات هيهات سيمهرم شبابها ويعدم
خطابها ويسرع فيها بعد حين خرابها وتتطرف في جنبات الحوادث اليها حتى

يرث الله الأرض ومن عليها لا إله سواه سبحانه جلت قدرته وقد خرج بنا الكلام عن مقصده فلنعد الى ما كنا بصدده فنقول ان من شرف هذه القلعة انه يذكر انها كانت قديما في الزمان الأول ربوة يأوى اليها ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والنسائم بغنيات له فيحلبها هناك ويتصدق بلبنها فلذلك سميت حلب والله علم وبها مشهد كريم يقصده الناس ويتبركون بالصلاة فيه ومن كمال خلالها المشترطة في حصانة القلاع ان الماء بها نابع وقد صنع عليه جبانة فهما ينبعان ماء فلا تخاف الظم أبدا الدهر والطعام يصير فيها الدهر كله وليس في شروط الحصانة اهم ولا أكد من هاتين الخلتين ويضيف بهذين الجبلين المذكورين سوران حصينان من الجانب الذي ينظر للبلد ويعترض دونهما خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه والماء ينبع فيه وشأن هذه القلعة في الحصانة والحسن اعظم من ان ننتهي الى وصفه وسورها الأعلى كله ابراج منتظمة فيها العلالى المنيفة والقصاب المشرفة قد تفتحت كلها طيقانا وكل برج منها مسكون وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة الملوكية .

واما البلد فوضعه ضخم جداً حفيل التركيب بديع الحسن واسع الاسواق كبيرها متصلة الانتظام مستطيلة تخرج من سماط صنعة الى سماط صنعة اخرى الى ان تفرغ من جميع الصناعات المدنية وكلها مسقف بالخشب فكانها في ظلال وارفة فكل سوق منها تقيد الأبصار حسنا وتستوقف المستوفز تعجبا واما فيساريتها فحديقة بستان نظافة وجمالاً مطيفة بالجامع المكرم لا يتشوق الجالس فيها مرأى سواها ولو كان من المرأى الرياضية وأكثر حوانيتها خزائن من الخشب البديع الصنعة قد اتصل السماط خزانة واحدة وتخللها شرف خشبية بديعة النقش وتفتحت كلها حوانيت فجاء منظرها اجمل منظر وكل سماط منها يتصل بباب من ابواب

الجامع المكرم . وهذا الجامع من احسن الجوامع واجملها قد اطاف بصحنه الواسع بلاط كبير متسع مفتوح كله ابواباً قصرية الحسن الى الصحن عددها ينيف عن الخمسين باباً فيستوقف الابصار حسن منظرها . وفي صحنه بئران معيستان والبلاط القبلي لامقصورة فيه فجاء ظاهر الانساع رائق الانسراح وقد استفرغت الصنعة القرنصية جهدها في منبره فما أرى في بلد من البلاد منبراً على شكله وغرابة صنعته واتصلت الصنعة الخشبية منه الى المحراب فتجالت صفحانه كلها حسناً على تلك الصفة الغربية وارتفع كالتاج العظيم على المحراب وعلا حتى انصل بسمك السقف وقد قوس اعلاه وشرف بالشرف الخشبية القرنصية وهو مرصع كله بالعاج والآبنوس وانصل الترصيع من المنبر الى المحراب مع ما يليها من القبلة دون ان يبتنى بينهما انفصال فتجتلي العيون منه ابداع منظر يكون في الدنيا وحسن هذا الجامع المكرم اكثر من ان يوصف

ويتصل به من الجانب الغربي مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسناً واتقان صنعة فيها في الحسن روضة تجاوراً اخرى وهذه المدرسة من احفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة ومن اطرف ما يلاحظ فيها ان جدارها القبلي مفتوح كله بيوتاً وغرفاً لها طيقات يتصل بعضها ببعض وقد امتد بطول الجدار عريش كرم منمر عنبا فحصل لكل طاق من تلك الطيقات قسطها من ذلك العنب متديلاً امامها فيمد الساكن فيها يده ويحتنيه متكئاً دون كلفة ولا مشقة

ولبلدة سوى هذه المدرسة نحو اربع مدارس او خمس ولها مارستان وامرها في الاحتفال عظيم فهي تليق بالخلافة وحسنها كله داخل لا خارج لها الانهير مجري من جوفها الى قبايها ويشق ربضها المستدير بها فان لها ربضاً كبيراً فيه من

الخانات مالا يحصى عدده وبهذا النهر الارحاء وهي متصلة بالبلد وقائمة وسط
ربضه وبهذا الربض بعض بساين تتصل بطوله وكيفما كان الأمر فيه داخلاً
وخارجاً فهو من بلاد الدنيا التي لانظير لها والوصف فيه يطول فكان نزولنا
بربضه في خان يعرف بخان ابي الشكر فاقمنا فيه اربعة ايام ورحلنا ضحوة يوم
الخميس السابع عشر لربيع المذكور والثامن والعشرين ليونية ووصلنا (قنسرين)
قبيل العصر فارحنا بها قليلاً ثم انتقلنا الى قرية تعرف (بتل تاجر) فكان مبيتنا
بها ليلة الجمعة الثامن عشر منه .

﴿ كلامه على قنسرين والمعرة ﴾

قال وقنسرين هذه هي البلدة المشهورة في الزمان لكنها خربت وعادت كأن
لم تكن بالأمس فلم يبق الا آثارها الدارسة ورسومها الطامسة ولكن قراها عامرة
منتظمة لأنها على محرث عظيم مد البصر عرضاً وطولاً وتشبهها من البلاد
الأندلسية جيان ولذلك يذكر ان اهل قنسرين عند استفتاح الأندلس نزلوا
جيان تأنسا بشبه الوطن وتعللوا به مثل ما فعل في أكثر بلادها حسب ما هو معروف
ثم رحلنا من ذلك الموضع عند الثلث الماضي من الليل فأسرنا وسرنا الى ضحوة
من النهار ثم نزلنا مريحين بموضع يعرف بياقدين في خان كبير يعرف بخان التركمان
وثيق الحصانة وخانات هذا الطريق كأنها القلاع امتناعاً وحصانة وابوابها حديد
وهي من الوثاقفة في غاية ثم رحلنا من هذا الموضع وبتنا بموضع بتمني في خان
وثيق على الصفة المذكورة ثم اسهرنا منه يوم السبت التاسع عشر لربيع الأول
المذكور وهو آخر يوم من يونية

ورأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين يوم الجمعة المذكور بلاد (المعرة) وهي
سواد كلها بشجر الزيتون والبن والفتق وانواع الفواكه ويتصل التفاف

بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقا
 ذكر مجي الخلع من الخليفة الى السلطان صلاح الدين

ونزول عسكر الموصل على اربل

قال القاضي ابن شداد في السيرة الصلاحية في شهر جمادى الآخرة وصل رسول
 الخليفة ومعه الخلع فلبسها السلطان والبس اخاه الملك العادل (كان عنده بدمشق)
 وابن اسد الدين خلعا جاءت لهم وفي الرابع عشر من هذا الشهر خلع السلطان
 خلعة الخليفة على ابن قره ارسلان واعطاه دستورا واعطاه العساكر

وفي هذا التاريخ وصلت رسل ابن زين الدين مستصرخا الى السلطان يخبر ان
 عسكر الموصل وعسكر قنزل نزلوا مع مجاهد الدين قايماز على اربل وانهم نهبوا
 واحرقوا وانه نصر عليهم وكسروهم

(سنة ٥٨١)

ذكر مجي السلطان الى حلب وتوجهه الى حران ثم قصده

نواحي الموصل

قال القاضي ابن شداد ولما سمع السلطان ذلك رحل من دمشق يطلب البلاد
 وتقدم الى العساكر فتبعه وسار حتى اتى حران على طريق البيرة والتقى مع مظفر
 الدين بالبيرة في الثاني عشر من محرم سنة احدى وثمانين وتقدم السلطان الى
 سيف الدين المشطوب ان يسير في مقدمة العساكر الى رأس العين ووصل
 السلطان الى حران الثاني والعشرين من صفر وفي السادس والعشرين منه قبض
 على مظفر الدين بن زين الدين لشيء كان قد جرى منه وحديث كان بلغه عنه
 رسوله ولم يقف عليه وانكره فأخذ منه قلعة حران والرها ثم افام في الاعتقال

تأديبا الى مستهل ربيع الأول ثم خلع عليه وطيب قلبه واعاد اليه قلعة حران
وبلاده التي كانت بيده واعاده الى قانونه في الأكرام والأحترام ولم يتخلف
له سوى قلعة الرها ووعد به بها ثم رحل السلطان تانى ربيع الأول الى رأس العين
ووصله في ذلك رسول قليج ارسلان يخبره ان ملوك الشرق بأسرهم قد اتفقت
كلمتهم على قصد السلطان ان لم يعد عن الموصل وماردين وانهم على ضرب المصاف
معه ان اصر على ذلك فرحل السلطان يطلب دنيسر فوصله تامن ربيع الأول
عماد الدين بن قره ارسلان ومعه عسكر نور الدين صاحب ماردين فالتقاهم
واحترمهم ثم رحل من دنيسر حادى عشر نحو الموصل حتى نزل موضعا يعرف
بالأسماعليات قريب الموصل بحيث يصل من العسكر كل يوم نوبة جديدة يحاصر
الموصل فبلغ عماد الدين بن قره ارسلان موت اخيه نور الدين فطلب من
السلطان دستورا طمعا في ملك اخيه فأعطاه دستورا . اه

قال في الروضتين قال العماد دخلت سنة احدى وثمانين والسلطان مخيم بظاهر
حماة فسار الى حلب وتلقاه اخوه الملك العادل واجتمعت له بها العساكر فخرج
منها في صفر لقصد الموصل فسار وقطع الفرات واقام العسكر ثلاثة ايام للعبور
بها وكان السلطان قد سير الى معانل الفرات وقلاعه ونواحيه وضياعه وامر
اهلها بعمارة كل سفينة في الفرات وزورق ومركب وجمعها من كل مشرق
ومغرب ثم وصل الى حران وفيها مظفر الدين بن زين الدين وهو اخو زين
الدين يوسف صاحب اربل وقد كان اول من دخل في خدمة السلطان واول
ما قصد تلك البلاد في المرة الأولى واقتدى به اخوه وغيره من اصحاب الاطراف
في الأثناء الى السلطان وحضر معه حصار عدة بلاد كالموصل وسنجار وآمد
وحلب واظهر من المودة فوق ما كان في الحساب وكان كثير الحث للسلطان

على المسير الى الموصل هذه المرة برسوله وكتابه وقال رسوله للسلطان اذا عبرتم
الفرات فان مظفر الدين يستدرك كل ما فات ويقوم بكل ما يحتاج اليه
في تلك البلاد من النفقات والفرامات والازواد ويقدم يوم الوصول الى حران
خمسين الف دينار وكتب خطه بذلك فلما وصل السلطان الى حران لم ير منه
ما التزمه الرسول فارتاب وظن انه مال مع المواصلة ووشت الأعداء فيه بذلك
وان نيته قد تغيرت فحلف للسلطان انه لم يتنير وان ما التزمه الرسول لم يكن
بأمره وهو ابن ماهان فانزل عنده عن مرتبته وهان قبض السلطان على
مظفر الدين ليتبين امره وشاور فيه اصحابه فاشار بعضهم بأبلافة وبعضهم
باستبقائه واستثلافة فعفا السلطان عنه على ان يسلم اليه قلعتي الرها وحران
ففعل ذلك وهو مسرور ببقاء نفسه ثم اعيدت اليه القلعتان في آخر السنة لما
رأى السلطان من حركانه المستحسنة اه

ثم بسط في الروضتين الكلام على محاصرته للموصل ثم رحيله عنها الى ميافارقين
ومحاصرتها الى ان ملكها ثم رحيله منها الى خلاط ثم عوده الى الموصل ونزوله
بموضع قريب منها يقال له كفرزمار

قال ابن شداد ومرض السلطان بكفرزمار مرضا شديداً خاف من غائله
فرحل طالباً حران وهو مريض وكان يتجلد ولا يركب شفته فوصل وهو شديد
المرض وبلغ الى غاية الضعف وايس منه وارجف بموته ووصل اليه اخوه العادل
من حلب ومعه الأطباء .

وكان ذلك سبباً للصلح مع المواصلة وبسط في الروضتين ما تقرر بينه وبينهم
من الأمور قال ولما امتد زمان مرضه امر ببناء دار عند سرادقه فبنيت في
اربعة او خمسة ايام ثم آذن الله بالشفاء وسمى هذه الديار دار العافية للبرء فيها

من سقامه ثم اخلاها لمن ينزل بها ضيقاً وجعلها للآوين اليها وقفا

سنة ٥٨٢

﴿ ذكر عود السلطان من حران الى حلب وتوجهه ﴾

منها الى دمشق

قال القاضي ابن شداد ولما وجد السلطان نشاطاً من مرضه رحل يطلب جهة حلب وكان وصوله اليها رابع عشر محرم سنة اثنتين وثمانين وكان يوماً مشهوداً لشدة فرح الناس بعافيته ولقائه فأقام بها اربعة ايام ثم رحل نحو دمشق

(ذكر نقل ملك العادل من حلب الى مصر)

وتولية حلب للملك الظاهر غازي وشرح اسباب ذلك

قال القاضي ابن شداد وفي سابع عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وصل الملك الأفضل على (ابن السلطان صلاح الدين ونائبه بمصر) الى دمشق ولم يكن قد رأى قبل ذلك الشام وكان السلطان رأى رواح الملك العادل الى مصر فإنه كان آنس بأحوالها من الملك المظفر فما زال يفاوضه بذلك وهو على حران مريض وقد حصل ذلك في نفس الملك العادل فإنه كان يحب الديار المصرية فلما عاد السلطان الى دمشق ومن الله بعافيته سير يطلب الملك العادل الى دمشق فأقام بها في خدمة السلطان فحرت بينهما احاديث ومراجعات في قواعد تقرر الى جمادى الآخرة واستقرت القاعدة على عود الملك العادل الى مصر وتسليم حلب الى الظاهر وكان الملك الظاهر والملك العزيز بدمشق في خدمة والدهما فلما استقرت على ان يكون انابك الملك العزيز وسامه والده يرث امره وسام الملك العادل حلب الى الملك الظاهر وقد قال لي الملك العادل انه لما استقرت عليه

هذه القاعدة واجتمعت بخدمة الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما قلت
 للملك العزيز يا مولاي ان السلطان قد امرني ان اسير في خدمتك الى مصر وانا
 اعلم ان المفسدين كثير وغدا فما نخلو بمن يقول مالا يجوز عني ويخوفك مني فان
 كان لك عزم تسمع ققل لي حتى لا اجي فقال لا اسمع وكيف يكون ذلك ثم التفت
 وقلت للملك الظاهر انا اعرف ان اخاك ربما سمع في اقوال المفسدين وانا فمالي الا
 انت وقد قنعت منك بمنبيج متى ضاق صدري من جانبه فقال مبارك وذكر كل خير
 ثم ان السلطان سير ولده الظاهر الى حلب واعادها اليه وكان رحمه الله يعلم ان
 حلب هي اصل الملك وجرثومته وقاعدته ولهذا دأب في طلبها ذلك الدأب ولما
 حصلت له اعرض عما عداها من بلاد الشرق وقنع منهم بالطاعة والمعونة على الجهاد
 فسالما اليه علما منه بمذاقته وحزمه وحفظه فسار حتى اتى العين المباركة وسير في
 خدمته الشحنة حسام الدين بشارة وواليا شجاع الدين عيسى بن بلاشوا
 فنزل يوم الجمعة بعين المباركة وخرج الناس الى لقائه في بكرة تاسع جمادى
 الآخرة وصعد القلعة ضحوة نهار وفرح الناس به فرحا شديداً ومد على الناس
 من جناح عداه وافاض عليهم وابل فضله. قال ابن الأثير في حوادث هذه السنة
 وقد بلغني من خبير بأحوال صلاح الدين انه انما حمله على اخذ حلب من العادل
 واعادة تقي الدين الى الشام ان صلاح الدين لما مرض بمجران على ما ذكرناه ارجف
 بمصر انه قد مات فجرى من تقي الدين حركات من يريد ان يستبد بالملك فلما عوفي
 صلاح الدين بلغه ذلك فارسل الفقيه عيسى الهكاري (١) وكان كبير القدر عنده
 مطاعاً في الجند الى مصر وامره بأخراج تقي الدين والمقام بمصر فسار سجدا فلم

(١) عيسى هذا له ترجمة في ابن خلكان وهو فقيه وامير كان بلبس ثياب الاجناد ويتعمم

عمامة الفقهاء وقد ذكره القاضي ابن شداد في السيرة الصلاحية في صحيفه ٨٢

يشمر تقي الدين الاوقد دخل الفقيه عيسى الى داره بالقاهرة وارسل اليه يأمره بالخروج منها فطلب ان يمهل الى ان يتجهز فلم يفعل وقال تقيم خارج المدينة وتجهز فخرج واظهر انه يريد الدخول الى الغرب فقال له اذهب حيث شئت فلما سمع صلاح الدين الخبر ارسل اليه يطلبه فسار الى الشام فأحسن اليه ولم يظهر له شيئاً مما كان لأنه كان حاجباً كريماً صبوراً رحمه الله. واما اخذ حلب من العادل فإن السبب فيه انه كان من جملة جندها امير كبير اسمه سايمان ابن جندر بينه وبين صلاح الدين صحبة قديمة قبل الملك وكان صلاح الدين يعتمد عليه وكان عاقلاً ذا مكر ودهاء فاتفق ان الملك العادل لما كان مجلب لم يفعل معه ما كان يظنه وقدم غيره عليه فتأثر بذلك فلما مرض صلاح الدين وعوفي سار الى الشام فسايره يوماً سايمان ابن جندر فخرى حديث مرضه وكان صلاح الدين قد اوصى لكل واحد من اولاده بشيء من البلاد فقال له بأي رأي كنت تظن ان وصيتك تمضي كأنك كنت خارجاً الى الصيد فلا يخالفونك بالله ما نستحي يكون الطائر اهدى منك الى المصلحة قال وكيف ذلك وهو يضحك قال اذا اراد الطائر ان يعمل عشاً لفراخه قصد اعالي الشجرة ليحتمي فراخه وانت سلمت الحصون الى اهلك وجعلت اولادك على الأرض هذه حلب وهي ام البلاد بيد اخيك وحماة بيد ابن اخيك تقي الدين وحمص بيد ابن شيركوه وابنك العزيز مع تقي الدين بمصر يخرجهم اي وقت اراد وهذا ابنك الآخر مع اخيك في خيمة يفعل به ما اراد فقال له صدقت واكتم هذا الأمر ثم اخذ حلب من اخيه واخرج تقي الدين من مصر ثم اعطى اخاه العادل حران والرها وميافارقين ليخرجه من الشام ومصر لتبقى لأولاده فلم ينفعه ما فعل . لما اراد الله تعالى نقل الملك عن اولاده على ما نذكره . هـ . . . كانت وفاة الملك العادل سنة ٦١٥ كما ذكرها الأثر في حوادث

هذه السنة وكان عمره خمسا وسبعين سنة وقال انه كان عاقلا ذا رأي شديد ومكر شديد وخديعة صبوراً حلماً ذا اناة يسمع ما يكره ويفض عليه حتى كأنه لم يسمعه كثير المخرج وقت الحاجة لا يقف في شيء واذا لم تكن حاجة فلا وملك دمشق سنة ٥٩٢ من الافضل ابن اخيه وملك مصر منه سنة ٥٩٦ وقسم الملك في حياته بين اولاده وبسط ابن الأثير ذلك وقال ابن خلكان في ترجمته ما خلاصته هو ابو بكر محمد بن ابي الشكر ايوب بن شادي بن مروان الملقب بالملك العادل سيف الدين ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية كان ينوب في حال غيبته في الشام ويستدعى منه الأموال للانفاق في الجند وغيرهم

ولما ملك السلطان مدينة حلب في صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة اعطاها لولده الظاهر غازي ثم اخذها منه واعطاها للملك العادل فانتقل اليها وقصد قلعها يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة ثم نزل عنها للملك الظاهر غازي بن السلطان لمصلحة وقع الانفاق عليها بينه وبين اخيه صلاح الدين وخرج منها في سنة اثنين وثمانين وخمسمائة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول ثم اعطاه السلطان قلعة الكرك وتنقل في الممالك في حياة السلطان وبعد وفاته وآخر الأمر انه استقل بمملكة الديار المصرية وخطب له بحلب يوم الجمعة حادي عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وملك معها البلاد الشامية والشرقية وصفت له الدنيا ثم ملك بلاد اليمن في سنة اثنتي عشرة وستائة وكان ملكاً عظيماً ذا رأي ومعرفة تامة قد حنكته التجارب حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل حازماً في الأمور صالحاً محافظاً على الصلوات في اوقاتها متبعاً لارباب السنة مائلاً الى العلماء حتى صنف له فخر الدين الرازي كتاب تأسيس التقديس وذكر اسمه في خطبته وسيره اليه من بلاد خراسان وكان بالغالب

يصف بالشام لأجل الفواكه والتلج والمياه الباردة ويشتهي في الديار المصرية لاعتدال الوقت فيها وقلة البرد وعاش في ارغد عيش وكان يأكل كثيراً خارجاً عن المعتاد حتى يقال انه كان يأكل وحده خروفاً لطيفاً مشوياً وكان له في النكاح نصيب وافر وحاصل الامر انه كان ممتعا في دنياه وكانت ولادته بدمشق سنة اربعين وخمسة و توفى سنة خمس عشرة وستائة ودفن بالقلعة ثاني يوم وفاته ثم نقل الى مدرسته المعروفة به (هي التي اتخذها الآن المجمع العلمي العربي بدمشق مقراً له واسر فيها مكتبة ومتحفاً) ودفن في التربة التي بها وقبره على الطريق يراه المجتاز من الشباك المركب هناك رحمه الله

سنة ٥٨٣

ذكر فتح البيت المقدس وحمل المنبر اليه من حلب

في هذه السنة في رجب فتح السلطان صلاح الدين رحمه الله البيت المقدس وقد كان اخذ من المسلمين سنة اثنين وتسعين واربعمائة فيكون مدة بقائه في ايديهم احدى وتسعين سنة وبسط ابن الاثير وصاحب الروضتين الاخبار في ذلك قال ابن الاثير وصلى المسلمون فيه الجمعة ومعهم صلاح الدين وصلى في قبة الصخرة وكان الخطيب والامام محي الدين محمد بن ابي الحسن ابن الزكي قاضي دمشق (١) ثم رتب فيه صلاح الدين خطيباً واماماً برسم الصلوات الخمس وامر ان يعمل له منبر فقيل له ان نور الدين محموداً كان قد عمل مجلب منبراً امر الصنيع بالمباغة في تحسينه واتقانه وقال هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدس فعمله النجارون في عدة سنين لم يعمل في الأسلام مثله فأمر بأحضاره فحمل من حلب ونصب بالقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة وكان هذا من كرامات

(١) وخطبته مذكورة في الروضتين وفي ابن خلكان في ترجمة ابن الزكي وهي طويلة بديعة

نور الدين وحسن مقاصده رحمه الله اه

وقال في الروضتين تقلاعن العماد الكاتب ما خلاصته انه كان مجلب نجار يعرف بالأختريني من ضيعة تعرف بأخترين لم يلف له في براعته وصنفته قرين فأمره نور الدين بعمل منبر لبيت الله المقدس وقال له اجتهد ان تأتي به على النعت المهندم والنعت المهندس فجمع الصانع واحسن الأبداع واتمه في سنين واستحق بحق احسانه التحسين وانفق ان جامع حلب في الأيام النورية احترق فاحتيج الى منبر ينصب فنصب ذلك المنبر وحسن المنظر وتولى حينئذ النجار عمل المحراب على الرقم وشابه المحراب المنبر في الرسم ومن رأى حلب شاهد منه على مثال المنبر القدسي الأحسان. وفي كراسة عندي تكلم فيها على الجامع الأعظم (ويظهر انها من كنوز الذهب لأبي ذر) قال فيها قرأت في تاريخ الإسلام [للذهبي] وقد كان نور الدين انشأ منبرا برسم الأقصى قبل فتح بيت المقدس طمعا في ان يفتحه ولم تزل نفسه تحدته بفتحه وكان مجلب نجار فائق الصنعة فعمل لنور الدين هذا المنبر على احسن نعت وابدعه فاحترق جامع حلب فنصب فيه ثم عمل النجار المذكور ويعرف بالأختريني منبرا آخر شبه ذلك المنبر فلما افتتح السلطان بيت المقدس امر بنقل المنبر فنصب الى جانب محراب الأقصى انتهى وقال قبل نقل كلام الذهبي واما المنبر الذي هو الآن به فعمل في أيام السلطان الملك الناصر محمد وصانعه محمد بن علي الموصلى بتولى محمد بن عثمان بن الحداد (١) وهذا المنبر غير المنبر الذي كنت سمعت ان صانعه كان فلاحا من قرية الأخترين من قرى حلب وانه مات قبل تركيبه وعجز الناس عن تركيبه

(١) والملك الناصر محمد تولى الملك في الديار المصرية ثلاث مرات والمرة الثالثة كانت

سنة ٧٠٩ وبقى الى سنة ٧٤١

فرآه ولده في النوم فقال له عجزتم عن تركيبه قال نعم فأراهم كيفية التركيب
فأصبح ولده وركبه اه

اقول وقد تقدم في حوادث سنة ٥٨٠ وصف ابن جبير للمنبر القديم وهذا
قد احترق حينما دخل صاحب سبب الى الجامع واحرق الجانب القبلي منه وذلك سنة
٦٨٤ كما سيأتي وبقي الى ان جدد في ايام الملك الناصر محمد في اوائل القرن الثامن
وهو الموجود الى الآن وهو من خشب الآبنوس بديع الصنعة قد تحلل اجزائه
قطع رفاق صفار من العاج يدلك على براءة صانعه ورقى تلك الصنعة في ذلك العهد
لكنه على مقتضى وصف ابن جبير له لم يأت مثل المنبر القديم

ومكتوب على تاج بابه (عمل في ايام مولانا السلطان الملك الناصر ابي الفتح
محمد عز نصره) وتحت ذلك (عمل العبد الفقير الى الله محمد بن علي الموصلي)
وعلى مصراعي البواب (بتولى العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن عثمان الحداد)
وكتب وراء المنبر في اعلا الجدار (امر بعمله المقر العالى الأمير الشمسي قراستقر
الجوكندار الملكى المنصورى عز نصره)

واما المنبر الذي حمل الى القدس الذي هو نظير المنبر السابق فإنه لم يزل باقيا
فيها الى وقتنا هذا وعزمت على اخذه بالمصور الشمسي واثباته هنا لتعلم منه صنعة ذلك
المنبر فلم يتسهل لى ذلك وقد كتب لى بالواسطة ما هو مكتوب على ذلك المنبر
قال مكتوب في الجهة الشرقية عن يسار المنبر في اطرافه الأربعة بعد البسطة
(امر بعمله العبد الفقير الى رحمة الشاكر لنعمة المجاهد في سبيله المرابط لأعلاء
دينه العادل نور الدين ركن الأسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين
ابو القاسم محمود بن زنكى بن ايوب ناصر امير المؤمنين عز الله انصاره وادام
اقتداره واعلامنا في الخائفين الويته واعلامه واعز اولياء دواته واذل كفار نعمته

وفتح له وعلى يديه واقرب بالنصر والنزلة عيناه (هكذا كتب لي) برحمتك
يارب العالمين وذلك في شهور اربعة وستين وخمسمائة .

ومكتوب على المصراع الأيمن من الباب (عمله سليمان معالي رحمه الله) وعلى المصراع
الأيسر (عمله حميد بن ظافر رحمه الله)

ومكتوب على الجهة الغربية وهي اليمنى في اطرافه الأربع (ان الله يأمر بالعدل
والأحسان) الخ الآية وقوله تعالى (واوفوا بعهدهم الله) الى قوله (ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة)

ومكتوب على تاج المنبر في الجهة اليمنى في اطرافه الأربع بعد البسملة (في بيوت
اذن الله) الخ الآية وفي الجهة اليسرى اى الملاصقة للمحراب في الأطراف
الأربع ايضا بعد البسملة (انما يهيمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام
الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله) الخ الآية . وكتب ثمة (صنعه حميد بن
ظافر الحلبي رحمه الله . وصنعه فضائل وابو الحسن ولدي يحيى الحلبي رحمه الله)
ويظهر ان الكتابة على طرفي الناج والكاتب لم يوضع لي ذلك

(سنة ٥٨٤)

(اتصال القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد)
بالسلطان صلاح الدين وفتح جبلة واللاذقية

قال القاضي في السيرة الصلاحية المسماة بالوادرايوسفية في فصل نزول السلطان
على كوكب . اني كنت حججت سنة ثلاث وثمانين ثم اتفق لي العود من
الحج على الشام لقصد القدس وزيارته والجمع بين زيارة النبي صلى الله عليه وسلم
وزيارة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوصات الى دمشق ثم خرجت الى القدس

فبلغه خبر وصولي فظن اني وصلت من جانب الموصل [لأنه موصلي الأصل] في حديث فاستحضرني عنده وبالغ في الأكرام والأحترام ولما ودعته ذاهبا الى القدس خرج لي بمض خواصه وابلغني تقدمه اليّ بأن اعود أتمثل في خدمته عند العود من القدس فظننت انه يوصيني بهم الى الموصل وانصرفت الى القدس يوم رحيله عن كوكب الى دمشق وكان دخوله اليها سادس ربيع الأول وفي ذلك اليوم اتفق دخولي اليها عائداً من القدس فأقام رحمه الله في دمشق خمسة ايام وكان له غائباً عنها اربعة عشر شهرا وفي اليوم الخامس بلغه خبر الأفرنج انهم قصدوا جببلا واغتالوها فخرج مسرعاً ساعة بلوغه الخبر وكان قد سير الى العساكر يستدعيها من سائر الجوانب وسار يطلب جببلاً فلما عرف الأفرنج بمخروجه كفوا عن ذلك وكان بلغه وصول عماد الدين زنكي وعسكر الموصل ومظفر الدين الى حلب قاصدين الخدمة للفرقة فصار نحو حصن الأكراد في طلب الساحل الفوقاني . ولما كان مستهل ربيع الآخر نزل على تل قبالة حصن الأكراد ثم سير الى الملك الظاهر (ولده) والملك المظفر ان يجتمعا وينزلا بتبرين قبالة انطاكية ليحفظ ذلك الجانب وسارت عسكر الشرق حتى اجتمعت بخدمة السلطان في هذه المنزلة ووصلت اليه رحمه الله بهذه المنزلة على عزم المسير الى الموصل متجهزاً لذلك فلما حضرت عنده فرح بي واكرمني وكنت قد جمعت له كتاباً في الجهاد (١) بدمشق مدة مقامي فيها يجمع آدابه واحكامه فقدمته بين يديه فأعجبه وكان يلزم مطالعته وما زلت اطلب دستوراً في كل وقت وهو يدافني عن ذلك ويستدعيني للحضور في خدمته في كل وقت ويبلغني على السنة الحاضرين ثناءه علي وذكره اياي بالجليل ثم سير الي مع الفقيه عيسى

وكشف لي انه ليس في عزبه ان يمكثني من العود الى بلادى وكان الله قد اوقع في قلبي محبته منذ رأيتة ووجه الجهاد فأحبيته لذلك وخدمته من تاريخ مستهل جمادى الأولى سنة اربع وثمانين وهو يوم دخوله الساحل وجميع ما حكيتة قبل انما هو روايتى عن ائق به ممن شاهده . ومن هذا التاريخ ما سطرت الا ما شاهدته او اخبرني به من ائق به خبراً يقارب العيان . ثم ذكر خبر فتحه الى انطرسوس وما حولها ثم قال وسار يريد جبلة وكان عرض له ولده الملك الظاهر في اثناء طريق جبلة فإنه طلبه وامره ان يحضر معه جميع العساكر التي كانت بتبرين ووصل الى جبلة في الثامن عشر من جمادى الأولى وما استتم نزول العسكر حتى اخذ البلد وكان فيه مسلمون مقيمون فيه وقاض يحكم بينهم وكان قد عمل على البلد فلم يمتنع وبقيت القلعة ممتنعة ونزل العسكر محققاً بالبلد وقد دخله المسلمون واشتغل بقتال القلعة فقاتلت قتالاً يقيم عندها لمن كان فيها وسامت بالأمان في التاسع عشر واقام عليها الى الثالث والعشرين وسار عنها يطلب اللاذقية وقال ابن الأثير في حوادث هذه السنة لما اقام صلاح الدين تحت حصن الأكراد اتاه قاضي جبلة وهو منصور بن ثبيل يستدعيه اليه وكان هذا القاضي عند بيمند صاحب انطاكية وجبلة مسموع الكلمة له الحرمة الوافرة والمزلة العالية وهو يحكم على جميع المسلمين بجبلة ونواحيها وعلى ما يتعلق بالبيمند فحملته الغيرة للدين على قصد السلطان وتكفل له بفتح جبلة واللاذقية والبلاد الشمالية فسار صلاح الدين معه رابع جمادى الأولى فنزل بانطرسوس (ثم ذكر خبر اخذها وخرابها) قال ورحل عنها وانى مرقية وقد اخلاها اهلها ورحلوا عنها وساروا الى المرقب وهي من حصونهم التي لا ترام ولا تحدث احداً نفسه بملكه لعاهه وامتناعه وهو للاسبتار والطريق تحتة فيكون الحصن على يمين المجتاز الى جبلة والبحر عن يساره

والطريق مضيق لا يسلكه الا الواحد بعد الواحد فاتفق ان صاحب صقلية من الفرنج قد سير نجده الى فرنج الساحل في ستين قطعة من الشواني وكانوا بطرا بلس فلما سمعوا بمسير صلاح الدين جاؤا ووقفوا في البحر تحت المرقب في شوانيهم ليمنعوا من يجتاز بالسهم فلما رأى صلاح الدين ذلك امر بالطارقيات والجفتيات فصفت على الطريق مما يلي البحر من اول المضيق الى آخره وجل وراءها الرماة فمنعوا الفرنج من الدنو اليهم فاجتاز المسلمون عن آخرهم حتى عبروا المضيق ووصلوا الى جيلة ثامن عشر جمادى الأولى وتسلمها وقت وصوله وكان قاضيها قد سبق اليها ودخل فلما وصل صلاح الدين رفع اعلامه على سورها وسلمها اليه وتحصن الفرنج الذين كانوا بها تحصنا واجتمعوا بقلعتها فما زال قاضي جيلة يخوفهم ويرغبهم حتى استزلهم بشرط الأمان وان يأخذ رهائنهم يكونون عنده الى ان يطلق الأفرنج رهائنهم من المسلمين من اهل جيلة وكان بيمند صاحبها قد اخذ رهائن القاضي ومسلمي جيلة وتركهم عنده بانطاكية فاخذ القاضي رهائن الأفرنج وجاء رؤساء اهل الجبل الى صلاح الدين بطاعة اهله وهو من امنع الجبال واشقها مسامكا وفيه حصن يعرف بيكسرايل بين جيلة ومدينة حماة فللكه المسلمون وصرار الطريق عليه في هذا الوقت من بلاد الأسلام الى المسكر وكان الناس يلتمون شدة في سلوكه وقرر صلاح الدين احوال جيلة وجمل فيها لحفظها الأمير سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر وسار عنها اه

ذكر فتح اللاذقية

قال القاضي بن شداد سار السلطان عن جيلة يطلب اللاذقية وكان نزوله عليها في الرابع والعشرين وهي بلد مليح خفيف على القلب غير مستور وله ميناء

مشهورة وله قلعتان متصلتان على تل مشرف على البلد فنزل صدقا بالبلد واخذ
العسكر منازلهم مستديرين على القلعتين من جميع نواحيها الامن ناحية البلد واشتد
القتال وعظم الزحف وارتفعت الأصوات وقوي الضجيج الى آخر اليوم المذكور
واخذ البلد دون القلعتين وغنم الناس منه غنيمة عظيمة فإنه كان بلد التجار
ففرق بين الناس الليل وهجومه واصبح يوم الجمعة مقانلا مجتهدا في اخذ
القوب واخذت القوب من شمالي القلاع وتمكن منها القوب حتى بلغ طوله على
ما حكى لى من ذرعه ستين ذراعا وعرضه اربعة اذرع واشتد الزحف عليهم حتى
صعد الناس الجبل وقاربوا السور وتواصل القتال حتى صاروا يتحاذفون بالحجارة
باليد فلما رأى عدو الله ما حل بهم من الصغار والبوار استنثاوا بطلب الامان
عشية الجمعة الخامس والعشرين من الشهر وطلبوا قاضي جبلة يدخل اليهم ليقرر
لهم الأمان فأجيبوا الى ذلك وكان رحمه الله متى طلب منه الامان لا يبخل به
رفقا فعاد الناس عنهم الى خيامهم وقد اخذ منهم التعب فبانوا الى صبيحة السبت
ودخل قاضي جبلة اليهم واستقر الحال معهم على انهم يطلقون بنفوسهم وذرايرهم
خلا البغال والذخائر وآلات السلاح والدواب واطلق لهم دواب يركبونها الى
مأمنهم ورقى عليها العلم الاسلامى المنصور فى بقية ذلك اليوم واقمنا عليها الى
السابع والعشرين اه

قال ابن الاثير وكانت عمارة اللاذقية من احسن الأبنية وأكثرها زخرفة مملوءة
بالرخام على اختلاف انواعه فخرّب المسلمون كثيرا منها ونقلوا رخامها وشمثوا
كثيراً من بيعها التي قد غرم على كل واحدة منها الاموال الجايمة المقدار وسلمها
الى ابن اخيه تقي الدين عمر فعمرها وحصن قلعتها حتى اذا رآها اليوم من
رآها ينكرها فلا يظن ان هذه تلك وكان عظيم الهمة فى تحصين القلاع والغرامة

ذكر فتح صهيون

قال القاضي ابن شداد رحل السلطان عن اللاذقية طالباً صهيون واستدارت العساكر بها من سائر نواحيها في التاسع والمشرين من جمادى الاولى ونصب عليها ست حجابيق وهي قلعة حصينة منيعة في طرف جبل خنادقها اودية هائلة واسعة عميقة وايس لها خندق محفور الا من جانب واحد مقدار طوله ستون ذراعا او اكثر وهو تفر في حجر ولها ثلاثة اسوار . سور دون ربضها وسور دون القلعة وسور القلعة وكان على قلعتها علم منصوب فحين اقبل العسكر الاسلامي شاهده قد وقع فاستبشر المسلمون بذلك وعلموا انه النصر والفتح واشتد القتال عليها من الجوانب فصرها بمنجنيق الملك الظاهر صاحب حلب وكان نصب منجنيقا قريباً من سورها فقطع الوادي وكان صاحب الحجر فلم يزل يصرها حتى هدم من السور قطعة عظيمة يكن المساعد في السور اترقى اليه منها ولما كان بكرة الجمعة ثاني جمادى الآخرة عزم السلطان وتقدم وامر المنجنيقات ان تتوالى بالضرب وارتفعت الاصوات وعظم الضجيج بالتكبير والتهيل وما كان الا ساعة حتى رقى المسلمون على الاسوار التي للرض واشتد الزحف وعظم الامر وهجم المسلمون الربض ولقد كنت اشاهد الناس وهم يأخذون القدور وقد استوى فيها الطعام فيأكلونها وهم يقاثلون وانضم من كان في الربض الى القلعة ويحملون ما امكنهم ان يحموا من اموالهم ونهب الباقي واستدارت المقاتلة حول اسوار القلعة ولما عاينوا الهلاك استغاثوا بطاب الامان ووصل خبرهم الى السلطان فبذل الامان وانعم عليهم على ان يسلموا بانفسهم واموالهم ويؤخذ من الرجل منهم عشرة دنانير ومن المرأة خمسة وعن الصنير ديناران وسلمت القلعة واقام السلطان

عليها حتى سلم عدة قلاع كاعيد وفيحه وبلاطينوس وغيرها من القلاع والحصون تسلمها النواب اه

وقال ابن الأثير رحل صلاح الدين عن اللاذقية في السابع والعشرين من جمادى الاولى وتصد قلعة صهيون وهي قلعة منيعة شاهقة في الهواء صعبة المرتقى على قرنة جبل يطيف بها واد عميق فيه ضيق في بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الا ان الجبل منصل بها من جهة الشمال وقد عمالوا لها خندقا عميقا لا يرى تعمره وخمسة اسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونصب عليه المنجنيقات ورماها وتقدم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادي ونصب عليه المنجنيقات ايضا فرمى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبيين كثير وهم في الشجاعة بالذلة المشهورة ودام رشق السهام من قسي اليد والجرح والزنبورك والزيار فجرح أكثر من بالحصن وهم يظهرون التجلد والأمتناع وزحف المسلمون اليهم ثانی جمادى الآخرة فتعلقوا بقرنة من ذلك الجبل قداغفل الفرنج احكامها فتسلقوا منها بين الصخور حتى النحوا بالسور الاول فملكوا منها ثلاثة وغنموا ما فيها من ابقار ودواب وذخائر وغير ذلك واحتتمى الفرنج بالقلعة التي للقلعة فقاتلهم المسلمون عليها فنادوا وطلبوا الأمان فلم يجبههم سلاح الدين عليه فقررروا على انفسهم مثل قطيعة البيت المقدس وتسلم الحصن وسلمه الى امير يقال له منكورس صاحب قلعة ابي نميس فخصنه وجعله من احصن الحصون ولما ملك المسلمون صهيون تفرقوا في تلك النواحي فملكوا حصن بلاطينوس وكان من به من الفرنج قد هربوا منه وتركوه خوفا ورعبا وملك ايضا حصن العيد وحصن الجماهرتين فانسدت المملكة الإسلامية بتلك الناحية الا ان الطريق اليها من البلاد الإسلامية على

عقبة بكسراثيل شاق شديد لأن الطريق السهلة كانت غير مسلوكة لأن بعضها بيد الأسمايلية وبعضها بيد الفرنج اهـ

ذكر فتح بكاس والشجر وسرمانية

قال القاضي بن شداد ثم رحل وسرنا حتى اتينا سادس جمادى الآخرة بكاس وهي قلعة حصينة على جانب العاصي ولها نهر يخرج من تحتها وكان المنزل على شاطيء العاصي وصعد السلطان جريدة الى القلعة وهي على جبل يطل على العاصي فأحرق بها من كل جانب وقابلها قتالا شديدا بالمنجنيقات والزحف المضايق الى تاسع الشهر ويسر الله فتحها عنوة واسر من فيها بعد قتل من قتل منهم وغنم جميع ما كان فيها وكان له قليعة تسمى الشجر وهي في غاية المنعة ليس اليها طريق فسلطت عليها المنجنيقات من الجوانب ورأوا انهم لا ناصر لهم فطابوا الامان في الثالث عشر وسأوا ان يؤخروا ثلاثة ايام لاستئذان من بانطاكية فاذن له في ذلك وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني عليها يوم الجمعة سادس عشر ثم عاد السلطان الى النقل وسير ولده الملك الظاهر الى قلعة سرمانية فقاتلها قتالا شديدا وضايقتها مضايقة عظيمة وتسلمها يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر فانفتحت فتوحات الساحل على جبهة الى سرمانية في ايام الجمع وهي علامة قبول دعاء الخطباء المسلمين وسعادة السلطان حيث يسر الله لنا الفتوح في اليوم الذي يضاعف فيه ثواب الحسات وهن من نوادر الفتوحات في الجمع المتوالية ولم يتفق مثلها في تاريخ اهـ

وقال ابن الأثير سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الآخرة فوصل الى قلعة بكاس فرأى الفرنج قد اخلوها وتمحصنوا بقلعة الشجر فلك قلعة بكاس بنير

قتال وتقدم الى قلعة الشفر وهي وبكاس على الطريق السهل المسلك الى اللاذقية وجبله والبلاد التي افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الإسلامية فلما نازلها رآها منيعة حصينة لا ترام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الا انه امر بمزاحفتهم ونصب المنجنيق عليهم ففعلوا ذلك ورمى بالمنجنيق فلم يصل من احجاره الى القلعة شي الا القليل الذي لا يؤذي فبقى المسلمون اياما لا يرون فيه طمعا واهله غير مهتمين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرق اليهم وبلاء ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده اصحابه وهم في ذكر القلعة واعمال الحيلة في الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فما استطاعوا ان ان يظهره وما استطاعوا له نقبا فقال صلاح الدين او يأتي الله بنصر من عنده وفتح فينهم في هذا الحديث اذ قد اشرف عليهم فرنجي ونادى بطلب الامان لرسول يحضر عند صلاح الدين فأجيب الى ذلك ونزل رسول وسأل انظارهم ثلاثة ايام فان جاءهم من يمنهم والا سلموا القلعة بما فيها من ذخائر ودواب وغير ذلك فأجابهم اليه واخذ رهائنهم على الوفاء به فلما كان اليوم الثالث سلموها اليه واتفق انه يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة وكان سبب استمهالمهم انهم ارسلوا الى البيمند صاحب انطاكية وكان هذا الحصن له يعرفونه انهم محصورون ويطلبون منه ان يرحل عنهم المسلمون فان فعل والا سلموها وانما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله تعالى في قلوبهم والا فلو قاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم احد ولا بلغ المسلمون منه غرضنا فلما تسلم صلاح الدين الحصن سلمه الى امير يقال له قلعج وامره بممارته ورحل عنه ولما كان صلاح الدين مشغولا بهذه القلاع والحصون سير ولده الظاهر غازي صاحب حلب فحضر سرمينية وضيق على اهله واستنزلهم على قطعة قررها

عليهم فلما ازلهم واخذ منهم المقاطعة هدم الحصن وعفي اثره وعالي بنيانه
 وكان فيه في هذه الحصون من اسارى المسلمين الجم الفير فأطلقوه واعطوا
 كسوة ونفقة وكان فتحه في يوم الجمعة الثالث والعشرين ن جمادى الآخرة
 وانفق ان فتح هذه المدن والحصون جميعها من جيلة الى سرمانية مع كثرتها
 كان في ست جمع مع انها في أيدي اشجع الناس واشدهم عداوة للمسلمين فسبحان
 من اذا اراد ان يسهل الصعب فعل وهي جميعها من اعمال انطاكية ولم يبق لها
 سوى القصير وبفراس ودر ب ساك وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى اه

ذكر فتح برزية

قال ابن الأثير رحل صلاح الدين من قلعة الشفر الى قلعة برزية وكانت قد وصفت
 له وهي تقابل حصن افامية وتنافسها في اعمالها وبينهما بحيرة تجتمع من ماء العاصي
 وعيون تتفجر من جبل برزية وغيره . قال القاضي ابن شداد ثم سير السلطان
 جريدة الى قلعة برزية وهي قلعة حصينة في غاية القوة والمنعة على سن جبل
 شاهق يضرب بها المثل في جميع بلاد الفرنج والمسلمين تحيط بها اودية من
 سائر جوانبها وذرع علوها كان خمسمائة ذراع ونيفا وسبعين ذراعا ثم جدد عزمه
 على حصارها بعد رؤيتها واستدعى الثقل وكان نزول الثقل وبقية العسكر تحت
 جبلها في الرابع والعشرين من الشهر وفي بكرة الخامس والعشرين منه صعد
 السلطان جريدة مع المقاتلة والمنجنقات وآلات الحصار الى الجبل فأحدثت
 بالقلعة من سائر نواحيها وركب القتال من كل جانب وخرب اسوارها بالمنجنقات
 المتواترة الضرب ليلا ونهاراً وفي السابع والعشرين قسم المساكر ثلاثة اقسام
 ورتب كل قسم يقاتل شطراً من النهار ثم يستريح ويسلم القتال للقسم الآخر بحيث

لا يفتر القتال عنها وكان صاحب النوبة الأولى عماد الدين صاحب سنجار فقاتلها قتالاً شديداً حتى استوفى نوبته وضرس الناس من القتال وتراجعوا واستلم النوبة الثانية السلطان بنفسه وركب وتحرك خطوات وصاح في الناس فحملوا عليها حملة الرجل الواحد وصاحوا صيحة الرجل الواحد وقصدوا السور من كل جانب فلم يكن إلا بعض ساعة حتى رقي الناس على الاسوار وهجموا القلعة واخذت القلعة عنوة فاستغاثوا الأمان وقد تمكنت الأيدي منهم فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ونهب جميع ما فيها واصر من فيها وكان قداوى اليها خلق عظيم وكانت من قلاعهم المذكورة وكان يوماً عظيماً وعاد الناس الى خيامهم غائمين وعاد السلطان الى الثقل فرحاً مسروراً واحضر بين يديه صاحب القلعة وكان رجلاً كبيراً منهم وكان هو ومن اخذ من اهله سبعة عشر نفساً فن عليهم ورق لهم وانفذهم الى صاحب انطاكية استمالة له فأنتهم كانوا يتعلقون به ومن اهله اه

وبسط ابن الأثير خبر فتحها باكثر من ذلك وقال في الآخر واما صاحب برزية فإنه اسره هو واصحابه وامرأته واولاده ومنهم بنت له معها زوجها فتفرقهم العسكر فأرسل صلاح الدين في الوقت وبحت عنهم واشترام وجمع شمل بعضهم ببعض فلما قارب انطاكية اطلقهم وسيرهم اليها وكانت امرأة صاحب برزية اخت امرأة بيمند صاحب انطاكية وكانت ترسل صلاح الدين وتعلمه كثيراً من الأحوال التي تؤثر فاطلق هؤلاء لأجلها اه

ذكر فتح درب ساك

قال ابن الأثير لما فتح صلاح الدين حصن برزية رحل عنه من الغد فأتى جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من انطاكية فاقام عليه حتى وافاه من تخلف عنه من عسكره ثم سار عنه الى قلعة درب ساك فنزل عليها ثامن رجب وهي

من معقل الداوية الحصينة وقلاعهم التي يدخرونها لحماياتهم عند نزول الشدائد فلما نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمي بالحجارة فهدمت من سورها شيئاً يسيراً فلم يبال من فيه بذلك فامر بالزحف عليها ومهاجمتها فبادرها العسكر بالزحف وقاندوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدم النقبون فنقبوا منها برجاً وعلقوه فسقط واتسع المكان الذي يريد المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثم باكروا الزحف من الغد وكان من فيه قد ارسلوا الى صاحب انطاكية يستنجدونه فصبروا واظهروا الجلد وهم ينتظرون جوابه اما بأنجادهم وازاحة المسلمين عنهم واما بالنخلى عنهم ليقوم عذرهم في التسليم فلما علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليها واخذهم بالسيف وقتلهم واسرهم ونهب اموالهم طلبوا الأمان فأمنهم على شرط ان لا يخرج احد الا بشيابه التي عليه بغير مال ولا سلاح ولا اثاث بيت ولا دابة ولا شئ مما بها ثم اخرجهم منه وسيرهم الى انطاكية وكان فتحه تاسع عشر رجب

وقال القاضي ابن شداد كان فتحها في الثاني والعشرين منه واعطاها علم الدين ساچان بن جندر وسار عنها في الثالث والعشرين منه اهـ

ذكر فتح بغراس

قال ابن الأثير ثم سار عن درب ساك الى قلعة بغراس فحصرها بعد ان اختلف اصحابه في حصرها فمنهم من اشار ومنهم من نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكية ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج ان يكون اكثر العسكر في اليزك مقابل انطاكية فاذا كان الأمر كذلك قل المناولون عليها ويتعذر الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل اكثر عسكره يزكا مقابل انطاكية ينيرون على اعمالها وكانوا حذرين من الخوف من

اهلها ان غفلوا لقربهم منها وصلاح الدين في بعض اصحابه على القلعة يقا تلها ونصب المنجنيقات فلم يؤثر فيها شيئاً لعلوها وارتفاعها فقلب على الظنون تعذر فتحها وتأخر ملكها وشق على المسلمين قلة الماء عندهم الا ان صلاح الدين نصب الحياض وامر بجمل الماء اليها فحفف الأمر عليهم فبينما هو على هذه الحال اذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان فأجيب الى ذلك فأذن له في الحضور فحضر وطلب الامان لمن في الحصن حتى يساموه اليه بما فيه على قاعدة درب ساك فأجابهم الى ما طلبوا فعاد الرسول ومعه الأعلام الأسلامية فرفعت على رأس القلعة ونزل من فيها وتسلم المسلمون القلعة بما فيها من ذخائر واماوالم وسلاح وامر صلاح الدين بتخريبه فخرّب وكان ذلك مضرّة عظيمة على المسلمين فأن ابن ليون صاحب الأرمن خرج اليه من ولايته وهو مجاوره فجدد عمارته واتقنه وجعل فيه جماعة من عسكره يغيرون منه على البلاد فتأذى بهم السواد الذي لحلب وهو الآن بأيديهم اه

﴿ ذكر الهدنة بين صلاح الدين وصاحب انطاكية ﴾

قال القاضي بن شداد كان فتح بغراس ثاني شعبان وفي بقية ذلك اليوم عاد السلطان رحمه الله الى المخيم الأكبر وراسله اهل انطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر وقوة قلق عماد الدين صاحب سنجار في طلب الدستور وعمد الصلح بيننا وبين انطاكية من بلاد الفرنج لاغير على ان يطلقوا جميع اسارى المسلمين الذين عندهم وكان الى سبعة اشهر فأن جاءهم من ينصرهم والا ساموا البلد الى السلطان ورحل يطلب دمشق فسأله ولده الملك الظاهر ان يجاز به فأجابه وسار حتى اتى حلب حادي عشر شعبان واقام بقلعتها ثلاثة

ايام وولده يقوم بالضيافة حق القيام ولم يبق للمسكر الا من ناله من نعمته منال
واكثر ظني انه اشفق عليه والده وسار من حلب يريد دمشق فاعترضه ابن اخيه
المالك المظفر تقي الدين واصعده الى قلعة حماة واصطنع له طعاما حسنا واحضر
له سماع الصوفية ولبات فيها ليدة واحدة واعطاه جبلة واللاذقية وسار على
طريق بعلبك حتى اتاها واقام بمرجها ودخل الى حمامها ثم اتى دمشق فاقام بها
حتى دخل شهر رمضان وما كان يرى تخلية وقته عن الجهاد معها امكنه وكان
قد بقى له القلاع القريبة من حوران التي يخاف عليها من جانبها وصفد وكوكب
فراى ان يشغل الوقت بفتح المكاين في الصوم

وقال ابن الأثير بعد ان ذكر خبر الهدنة على نحو ما قدمناه واما صلاح الدين
فأنه عاد الى حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرق العساكر
الشرقية كما دالدين زكي ابن مودود وصاحب سنجار والخابور وعسكر الموصل
وغيرها ثم رحل من حلب الى دمشق وجعل طريقه على قبر عمر بن عبد العزيز
فزاره وزار الشيخ الصالح ابا زكريا المغربي وكان مقبلا هناك وكان من عباد الله
الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع صلاح الدين الأمير عز الدين ابو
الفليته قاسم بن المهنا العاوي الحسيني وهو امير مدينة النبي صلى الله عليه وسلم
كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهدته وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبرك
برؤيته وتيمن بصحبته وكان يكرمه كثيرا وينبسط معه ويرجع الى قوله في اعماله
كلها ودخل دمشق اول شهر رمضان فاشير عليه بتفريق العساكر فقال ان
العمر قصير والأجل غير مأمون وقد بقي بيد الفرنج هذه الحصون كوكب
وصفد والكرك وغيرها ولا بد من الفراغ منها فانها في وسط بلاد الإسلام
ولا يؤمن شر أهلها وان اغفلناهم ندمنا فيما بعد اه

(سنة ٥٨٧)

﴿ ذكر وفاة الأمير حسام الدين ﴾

قال في الروضتين في هذه السنة توفي الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ابن اخت السلطان صلاح الدين بدمشق تاسع عشر رمضان ودفن بالتربة الحسامية المنسوبة اليه

آثاره بحلب

قال في الدرالمتخب المنسوب لأبن الشحنة [المدرسة الحدادية] انشأها الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن اخت صلاح الدين وهي من الكنائس الأربع التي تقدم ذكرها التي صيرها ابن الخشاب مساجد فهدمها وبنها بناء وثيقا فلم يزل يتولاها المدرسون الى ان وصلت الي ونزلت عنها لولدي وهي الآن بيدهما وقال بعده انها الآن معطلة . قال ابن شداد اول من درس بها الفقيه الأمام الحسين بن محمد بن اسعد ثم تولاها فخر الدين يوسف ولم يزل الى ان قتله التتر عند استيلائهم على حلب

﴿ ذكر وفاة الأمير علم الدين ﴾

قال في الروضتين وفي هذه السنة في اواخر ذى الحجة توفي الأمير علم الدين سايمان بن جندر من اكابر امراء حلب وكان في خدمة السلطان في القدس وهو شيخ الدولة وكبيرها وظهيرها ومشيرها وهو الذي اشار بتخريب عسقلان لتتوفر العناية والأهتمام بالقدس ثم مرض بالقدس وطلب المسير الى الوطن فأدركته المنية بقرية غباغب على مرحلة من دمشق

سنة ٥٨٨

وصية السلطان صلاح الدين لولده الملك الظاهر غازي

عند عوده الى حلب بعد عقد الهدنة بين السلطان والفرنج

في بلاد الساحل والأذن بعود العساكر الى اوطانهم

قال ابن الأثير في العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت بين المسلمين والفرنج هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر وساق سبب الصلح قال القاضي ابن شداد ولما افضى هذا الأمر واستقرت القواعد اعطى السلطان دستوراً في عود العساكر الإسلامية الى اوطانهم (وكان من جملة عساكره ولده الملك الظاهر غازي) قال ولما كانت بكرة التاسع والعشرين من رمضان توجه الملك الظاهر عز نصره بعد ان ودعه نزل الى الصخرة فصلى عندها وسأل الله تعالى ماشاء ثم ركب وركبت في خدمته فقال لي تذكرت امراً احتاج فيه الى مراجعة السلطان مشافهة فأنفذ من اسنادن له العود الى خدمته فأذن له في ذلك فحضر واستحضرتني واخلى المكان ثم قال موميا لولده

اوصيك بتقوى الله تعالى فانها رأس كل خير وأمرك بما امر الله به فإنه سبب نجاك واحذر من الدماء والدخول فيها والنقلدها فإن الدم لا ينام واوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر في احوالهم فانت اميني وامين الله عليهم واوصيك بحفظ قلوب الأمراء وارباب الدولة والأكابر فما بلغت ما بلغت الا همدارة الناس ولا تحقد على احد فإن الموت لا يبقى على احد واحذر ما بينك وبين الناس فإنه لا يغفر الا برضاهم وما بينك وبين الله يغفر الله بتوبتك اليه فإنه كريم. وكان ذلك بعد ان انصرفنا من خدمته ومضى من الليل ما شاء الله ان يمضي

وهذا ما أمكنتى حكايته وضبطه ولم يزل بين يديه الى قرب السحر ثم اذن له في الأنصراف ونهض له ليودعه فقبل وجهه ومسح على رأسه وانصرف في دعة الله ونام في برج الخشب الذي للسلطان وكنا نجلس عنده في الأحيان الى بكرة وانصرفت في خدمته الى بعض الطريق وودعته وسار في حفظ الله اه ثم قال بعد ذلك وعاد السلطان بعد الفراغ من تصفح احوال القلاع الساحلية باسرها الى دمشق وكان دخوله اليها في السادس والعشرين من شوال

سنة ٥٨٩

ذكر وفاة السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى

كان ابتداء مرضه سادس عشر صفر وذكر القاضي بن شداد في السيرة الصلاحية تفاصيل ذلك (ثم قال) وكانت وفاته بدمشق بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة ولما وصل القارى الذي كان يقرأ عنده الى قوله تعالى (لا اله الا هو عليه توكلت) تبسم وتهلل وجهه وسلمها الى ربه . وكان يوماً لم يصب الأسلام والمسلمون بمثله منذ فقدوا الخلفاء الراشدين وغشى القلعة والبلد والديار من الوحشة ما لا يعلمه الا الله تعالى وبالله لقد كنت اسمع من بعض الناس انهم يتمنون فداءه بنفوسهم وما سمعت هذا الحديث الا على ضرب من التجوز والترخص الا في ذلك اليوم فأنى علمت من نفسي ومن غيرى انه لو قبل الفداء لفدي بالنفس ثم جلس ولده الملك الافضل للعزاء في الايوان الشمالي وحفظ باب القلعة الا عن الخواص والامراء والمعممين وكان يوماً عظيماً وقد شغل كل انسان ما عنده من الحزن والأسف والبكاء والاستغاثة من ان ينظر الى غيره وحفظ المجلس عن ان ينشد فيه شاعراو يتكلم فيه فاضل وواعظ ثم اشتغل بتفسيه وتكفينه فما أمكننا ان ندخل في تجهيزه ما قيمته حبة واحدة

الا بالقرض حتى في ثمن التبن الذي بات به الطين وغسله الدولى الفقيه ونهضت الى الوقوف على غسله ولم تكن لى قوة تحمل ذلك المنظر واخرج بعد صلاة الظهر فى تابوت مسجى بثوب فوط وكان ذلك وجميع ما احتاج اليه من الثياب فى تكفينه قد احضره القاضى الفاضل من وجه حل عرفه وارتفعت الاصوات عند مشاهدته وعظم من الضجيج والعيول ما شغلهم عن الصلاة فصلى عليه الناس ارسالاً وكان اول من ام بالناس القاضى محى الدين ابن الزكى ثم اعيد الى الدار التى فى البستان وكانت ممرضاتها ودفن فى الصفة الغربية منها قال فى الروضتين ما خلاصته لما توفى السلطان رحمه الله دفن بالقاعة فى منزله وما زال الأفضل بن صلاح الدين يتروى موضع ينقله اليه ثم استقرأ حدود الجامع ليجمع التربة فيها فوفى امدار كانت لبعض الصالحين وهى فى حد المكان الذى زاده الأجل الفاضل فى المسجد فاشتراها منه وامر بعمارتها قبة فعمرت وتقل اليها السلطان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وتسعين. ثم قال تقياً عن محمد بن القادسى المؤرخ انه دفن معه سيفه الذى كان معه فى الجهاد وكان ذلك برأى الفاضل ومن كلام بعضهم فى وفاة السلطان اغلت الشمس عند الصباح وذهبت روح الدنيا الذى ذهب بندهاها كثير من الأرواح وتلك الساعة ظلت لها الالباب حائرة وتمثلت فيها السماء ماثرة والجبال ساثرة وانعمد سيف الله الذى كان على اعدائه دائم التجريد وخفت الارض من جبلها الذى كان يمنعها ان تميد واصبح الاسلام وقد فقد ناصره ثاكلاً لوحيد فهو اعظم فاقد لأعظم قعيد وايس احد الا وقد حم عن الخبر واصيب فى سواد القلب والبصر اه

ترجمته

هو ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شاذى الملقب الملك الناصر صلاح الدين

صاحب الديار المصرية والشامية والعراقية واليمينية . قال ابن خلكان في ترجمته اتفق اهل التاريخ على ان اباہ واهله من دوين [بضم الدال وكسر الواو] وهي بلدة في آخر عمل اذربيجان من جهة اران وبلاد الكرج وانهم اكراد روادية [بفتح الراء وكسر الدال] وهي قبيلة كبيرة من الأكراد وقال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من اهل دوين ان على باب دوين قرية يقال لها اجدانقان وجميع اهلها اكراد روادية ومولد ايوب والد صلاح الدين بها

وشاذي (جد صلاح الدين) اخذ ولديه نجم الدين ايوب واسد الدين شيركوه وخرج بهما الى بغداد وهناك خدم ولداه مجاهد الدين بهروز بن عبدالله النياي شحنة العراق فرأى مجاهد الدين في نجم الدين ايوب عقلاً ورأياً حسناً وحسن سيرة فجعله دزدار تكريت [١] فسار اليها هو ووالده واخوه اسد الدين ومات ابوه شاذي بها وعلى قبره قبة داخل البلد

ثم حصلت وقعة بين الأمام المسترشد وبين مسعود بن محمد ملكشاه السلجوقي ومحمد الدين زنكي صاحب الموصل فأرسل المسترشد الى قراجا الساق وهو صاحب بلاد فارس وخوزستان يستنجده فأتاه وكبس عسكرهما وانهمزما بين يديه فوصل زنكي الى تكريت فخدمه نجم الدين ايوب واقام له السفن فمبر دجلة هناك وتبعه اصحابه فأحسن نجم الدين اليهم وبلغ ذلك مجاهد الدين بهروز فسير اليه وانكر عليه وقال له كيف ظفرت بعدونا فأحسنت اليه واطلقته ثم ان اسد الدين قتل انسانا بتكريت لكلام جرى بينهما فأرسل مجاهد الدين اليهما فأخرجهما من تكريت فقصدا عماد الدين زنكي وكان اذ ذلك صاحب الموصل

(١) قال ابن خلكان دزدار بضم الدال وسكون الزاي وفتح الدال وهو لفظ اعجمي معناه حافظ القلعة وهو الوالي ودز بالمعجمي القلعة ودار الحافظ .

فأحسن اليها وعرف لها خدمتها واقطم لها اقطاعاً حسناً وصارا من جملة جنده
فلما فتح عماد الدين زنكى بعلبك وذلك في اوائل سنة اربع وثلاثين وخمسمائة
جعل نجم الدين دزدارها

ثم قال اتفق ارباب التواريخ ان صلاح الدين مولده سنة اثنتين وثلاثين
وخمسمائة بقلعة نكرت لما كان ابوه وعمه بها والظاهر انهم ما قاموا بها بعد ولادة
صلاح الدين الا مدة يسيرة . ولما قتل زنكى حصر صاحب دمشق مجير الدين ارتقى
بن بورى بعلبك فأرسل نجم الدين ايوب الى سيف الدين غازى ابن زنكى
صاحب الموصل وقد قام بالملك بعد والده ينهى اليه الحال ويطلب منه عسكرياً
اي رحل صاحب دمشق عنه وكان سيف الدين في ذلك الوقت في اول ملكه
وهو مشغول بأسلح ملوك الأطراف المجاورين له فلم يتفرغ وضاق الامر على من في
بعلبك من الحصار فلما رأى نجم الدين ايوب الحال وخاف ان تؤخذ قهرا ارسل
في تسليم القلعة وطلب اقطاعاً ذكره فأجيب الى ذلك وحلف له صاحب دمشق
عليه وسلم له القلعة ووفى له صاحب دمشق بما حلف عليه من الاقطاع والتقدم
وصار عنده من اكبر الامراء واتصل اخوه اسد الدين بخدمة نور الدين محمود
بن زنكى صاحب حلب فقربه نور الدين واقطعه وكان يرى منه في الحرب آثاراً
يمعز عنها غيره لشجاعته وجراته فصارت له حصص والرحبة وغيرهما وجعله
مقدم عسكرياً

ولما ملك نور الدين محمود بن زنكى دمشق وذلك سنة تسع واربعين وخمسمائة
لازم نجم الدين خدمته وكذلك ولده صلاح الدين وكانت مخايل السمادة عليه
لائحة والنجابة تقدمه من حالة الى حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ومنه تعلم
صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في امور الجهاد حتى تجهز

للمسير مع عمه شيركوه الى الديار المصرية وذلك سنة ثمان وخمسين وخمسمائة
ثم توجه اليها سنة اربع وستين وصار اليها بنفسه وماله واخوته واهله ورجاله
ومعه ابن اخوه صلاح الدين وهو كاره للخروج مع عمه ولم يخرج معه باختياره
(وعسى ان تكرر هو شيئاً وهو خير لكم) ولما علم الفرنج بوصول اسد الدين الى
مصر على انفاق بينه وبين اهلها رحلوا راجعين على اعقابهم ناكسين واقام اسد
الدين بها يتردد اليه شاور (وزير مصر) في الأحيان ثم تحقق اسد الدين انه
لا سبيل لاستيلائه على البلاد مع بقاء شاور فاعمل الحيلة في القبض عليه وقتله
تلك السنة وصار وزير مصر بدله والسلطان صلاح الدين يباشر الأمور مقرراً
لها لمكان كفايته ودرايته وحسن رأيه وسياسته وفي الثاني والعشرين من
جمادى الآخرة من السنة المذكورة مات اسد الدين وكانت مدة وزارته شهرين وخمسة
ايام ولما مات اسد الدين استوزر العاضد صاحب مصر صلاح الدين يوسف واستقرت
الأمور بعده وتمهدت القواعد ولما تم له ذلك سير بطلب والده نجم الدين
ايوب ليتم له السرور وتكون قصته مشاكلة لقضية يوسف الصديق عليه السلام
فوصل والده اليه في جمادى الآخرة سنة خمس وستين

وفي المحرم من سنة سبع وستين وخمسمائة قطعت خطبة العاضد صاحب مصر
وخطب فيها للأمام المستضيء بأمر الله امير المؤمنين وكان السبب في ذلك
ضعف امر العاضد وتفرق العساكر في اهلهم وكان نور الدين محمود قد كتب
له يأمره بذلك وفي اثناء ذلك توفي العاضد آخر ما لك العبيدين فاستولى صلاح
الدين على قصره وامواله وذخائره وكان فيه من الجواهر والأعلاق النفيسة ما لم
يكن عند الملوك قد جمع على طول السنين وممر الدهور فبه القضيبة الرمرد طوله
نحو قصبة ونصف والحبل الياقوت وغيرهما ومن الكتب المنتخبة بالخطوط

المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة الف مجلد وباع السلطان صلاح الدين جميع ذلك . واستقل حينئذ صلاح الدين بأمر مصر ومهد امورها وجرى امره فيها على السداد ولما توفي الملك العادل نور الدين بدمشق كما تقدم وعلم صلاح الدين ان ولده الملك الصالح صبي لا يستقل بالأمر ولا ينهض بأعباء الملك واختلفت الأحوال بالشام فنهض حينئذ اليها واستولى عليها وعاد الى مصر سنة اثنين وسبعين وخمسة مائة ثم خرج منها الى الشام في سنة ثمان وسبعين واستمر على الجهاد في سبيل الله الى ان توفي في التاريخ المتقدم رحمه الله

وقال القاضي ابن شداد في القسم الاول من كتابه السيرة الصلاحية الذي ذكر فيه فيه مولده وولده ونشأه وخصائصه ووصافه واخلاقه المرضية ما خلاصته : اتفق لوالده الانتقال من تكريت الى الموصل وانتقل ولده المذكور معه واقام بها الى ان ترعرع ثم اعطي بعلبك واقام بها مدة فقل ولده اليها واقام بها في خدمة والده يتربى تحت حجره ويرتضع ندي محاسن اخلاقه حتى بدت منه امارات السعادة ولاحت لوائح التقدم والسيادة فقدمه الملك العادل نور الدين محمود رحمه الله وعول عليه ونظر اليه وقربه وخصه ولم يزل كلما تقدم قدما تبدر منه اسباب تقضى تقديمه الى ما هو اعلى منه

وكان رحمه الله حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى قد اخذ عقيدته على الدليل بواسطة البحث مع مشايخ اهل العلم واكابر الفقهاء وكان قد جمع له الشيخ قطب الدين النيسابوري عقيدة تجمع جميع ما يحتاج اليه في هذا الباب وكان من شدة حرصه بعلمها للصغار من اولاده حتى ترسخ في اذهانهم في الصغر وكان شديد المواظبة على الصلاة حتى انه ذكر يوما ان له سنين ما صلى الا جماعة وكان ان مرض يستدعي الأمام وحده ويكلف نفسه القيام ويصلي جماعة وكان يواظب على

السنن الرواتب وكان له صلوات يصلها اذا استيقظ في الليل والا اتى بها قبل صلاة الصبح . ولقد رأيتته قدس الله روحه يصلى في مرضه الذي مات فيه قائماً وما ترك الصلاة الا في الأيام الثلاثة التي تغيب فيها ذهنه واما الزكاة فإنه مات رحمه الله ولم يحفظ ما تجب عليه به الزكاة . واما صدقة النفل فأنها استرقت جميع ما ملكه من الأموال فإنه ملك ما ملك ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة الا سبعة واربعين درهماً ناصرية جرماً واحداً ذهباً ولم يخلف ملكاً لاداراً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا قرية ولا مزرعة ولا شيئاً من انواع الأملاك وكان رحمه الله تعالى يحب سماع القرآن العظيم ويستجيد امامه ويشترط ان يكون عالماً بعلم القرآن العظيم متقناً لحفظه . وكان يستقرئ من يحرسه في الليل وهو في برجه الجزئين والثلاثة والأربعة وهو يسمع وكان رحمه الله خاشع القلب رفيقه غزير الدمة اذا سمع القرآن يخشع قلبه وتدمع عينه في معظم اوقاته وكان رحمه الله شديد الرغبة في سماع الحديث وكان يأمر الناس بالجلوس عند سماع الحديث اجلاً لاله . وان كان ذلك الشيخ ممن لا يطرق ابواب السلاطين ويتجافى عن الحضور في مجالسهم سعى اليه وسمع عليه وتردد الى الحافظ الأصفهاني بالاسكندرية وروى عنه احاديث كثيرة . وكان يجب ان يقرأ الحديث بنفسه وكان يستحضرني في خلوته ويحضر شيئاً من كتب الحديث ويقرأها هو فإذا مر بحديث فيه عبرة رق قلبه ودهمت عينه

وكان رحمه الله كثير التعميم لشعائر الدين يقول بيث الأجسام ونشورها ومجازاة الحسن بالجنة والمسيء بالنار مصداقاً يجمع ما وردت به الشرائع منسرحاً بذلك صدره مبنفضاً للفلاسفة والممثلة ومن يماند الشريعة

ولقد كان رحمه الله عادلاً رؤوفاً رحماً ناصراً للمؤمنين على القوى وكان يجلس

للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء
ويفتح الباب للمتحامين حتى يصل اليه كل احد من كبير وصغير وعجوز هرمة
وشيخ كبير وكان يفعل ذلك سفراً وحضراً . على انه كان في جميع زمانه قابلاً
لجميع ما يعرض عليه من القصص في كل يوم ويفتح باب العدل ولم يرد قاصداً
للحوادث والحكومات

وكان يجلس مع الكاتب ساعةً اما في الليل او في النهار ويوقع على كل قصة بما
يجريه الله على قلبه ولم يرد قاصداً ابدأ ولا متعللاً ولا طالب حاجة وهو مع ذلك
دائم الذكر والمواظبة على التلاوة

وكرمه قدس الله روحه كان اظهر من ان يسطر واشهر من ان يذكر وكان
يعطى في وقت الضيق كما يعطى في حال السعة وكان نواب خزائنه يخفون منه
شيئاً من المال حذراً ان يفاجئهم مهم لعلهم بأنه متى علم به اخرجهم . وسمعته يقول
في معرض حديث جرى : يمكن ان يكون في الناس من ينظر الى المال كما ينظر
الى التراب فكأنه اراد بذلك نفسه رحمه الله

وكان يعطى فوق ما يؤمل الطالب فما سمعته قط يقول اعطينا وكان يعطى الكثير
ويبسط وجهه للعطاء بسطه لمن لم يعطه شيئاً ، واكثر الرسائل كانت تكون في
ذلك على لمانى ويدي وكنت اخجل من كثرة ما يطلبون ولا اخجل منه من كثرة
ما اطلبه لهم لعلهم يعدم مؤاخذته ذلك وما خدمه احد الا واغناه عن سؤال غيره
وقد سمعت من صاحب ديوانه يقول لي قد تجارينا عطاياء فحصرنا عدة ما وهب
من الخيل بمرج فكا فكان عشرة آلاف فرس ومن شاهد مواهبه يستقل هذا القدر
وكان رحمه الله من عظماء الشجعان قوي النفس شديد البأس عظيم الثبات
لا يهواه امر ولقد رأيت به يعطي دستوراً في اوائل الشتاء ويبقى في شردمة بسيرة

في مقابلة عددهم الكثير. وكان لا بد له من ان يطوف حول العدو في كل يوم مرة او مرتين اذا كنا قريباً منهم ولقد وصل في ليلة واحدة منهم نيف وسبعون مركباً على عكا وانا اعدتها من بعد صلاة العصر الى غروب الشمس وهو لا يزداد الا قوة نفس

وكان اذا اشتد الحرب يطوف بين الصفين ومعه صبي واحد على يده جنينة ومخرق العساكر من الميمنة الى اليسرة ويرتب الأطلاب ويأمرهم بالتقدم والوقوف في مواضع يراها وكان يشارف العدو ويجاوره

ولقد قرئ عليه جزآن من الحديث بين الصفين وذلك اني قلت له قد سمع الحديث في جميع المواطن الشريفة ولم يتقل انه سمع بين الصفين فان رأى المولى ان يؤثر عنه ذلك كان حسناً فأذن في ذلك فأحضر جزءه كما احضر من له به سماع ققرأ عليه ونحن على ظهور الدواب بين الصفين نمشى تارة وتقف اخرى

ومارأيته استكثر العدو اصلاً ولا استعظم امرهم وكان مع ذلك في حال الفكر والتدبير تذكر بين يديه الأقسام كلها ويرتب على كل قسم بمقتضاه من غير حدة ولا غضب يعتريه ولقد انهزم المسلمون في يوم المصاف الأكبر بمرج عكا حتى القلب ورجاله ووقع الكؤوس والعلم وهو رضي الله عنه ثابت القدم في نفر يسير حتى انماز الى الجبل يجمع الناس ويردمهم ويخجلهم حتى يرجعوا ولم يزل كذلك حتى نصر عسكر المسلمين على العدو

ولقد كان رحمه الله شديد المواظبة على الجهاد عظيم الأهتمام به ولو حلف حالف انه ما اتفق بعد خروجه الى الجهاد ديناراً ولا درهما الا في الجهاد وفي الأرفاد لصدق وبر في يمينه ولقد كان حبه للجهاد والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاءً عظيماً بحيث ما كان له حديث الا فيه ولا نظر الا

في آتته ولا كان له اهتمام الا برجاله ولا ميل الا الى من يذكره ويحبه عليه واتقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله اهله واولاده ووطنه وسكنه وسائر بلاده وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب فيها الرياح يمنة ويسرة ولقد وقعت عليه الخيمة في ليلة ريحية على مرج عكا فاو لم يكن في البرج لقتلته ولا يزيد ذلك الا رغبة ومصابرة واهتماماً

ولقد رأيت له ليلة على صفد وهو يحاصرها وقد قال لا تمام الليلة حتى تنصب لنا خمسة سجاويق ورتب لكل منجنيق قوماً يتولون نصبه وكنا طول الليل في خدمته في الذمفاكهة وارغد عيش والرسائل تتواصل تخبره بأن قد نصب من المنجنيق الملائي كذا ومن المنجنيق الفلاني حتى اتى الصباح وقد فرغ منها ولم يبق الا تركيب جازيرها عليها وكانت من اطول الليالي واشدها برداً ومطراً

وكان حسن المشورة لطيف الأخلاق طيب الفكاهة حافظاً لأسباب العرب ووقائهم عارفاً بسيرهم واحوالهم حافظاً لأسباب خيلهم عالماً بمعائب الدنيا ونواذرها بحيث كان يستفيد محاضره منه ما لا يسمع من غيره

وكان طاهر المجلس لا يذكر بين يديه احد الا بخير وطاهر السمع فلا يجب ان يسمع عن احد الا الخير وطاهر اللسان فما رأيت له ولع بشتم قط. وكان حسن العهد والوفاء فما احضر بين يديه يتهم الا وترحم على مخالفيه وجبر قلبه واعطاه وجبر مصابه وان كان له من اهله كبير يعتمد عليه سلمه اليه والا ابقى له من الخير ما يكفي حاجته وسلم الى من يعتني بتربيته ويكملها

فهذه نبذة من محاسن اخلاقه ومكارم شيمه انتصرت عليها خوف الأطالة اه افول وقد اختصرت كثيراً مما ذكره القاضي ابن شداد في السيرة الصلاحية من احواله ولو ذكرت الجميع لطال الكلام جداً ومن احب الاستزادة من احوال

هذا الرجل العظيم فعليه بهذا الكتاب وبكتاب الروضتين وقد ذكر ابن خلكان في آخر ترجمته ما بناه في مصر والقدس والشام من المدارس والخانقاهات وغير ذلك ولم ار فيما رأيت ان له شيئاً من الآثار في حلب ويظهر ان السبب في ذلك انه لم يقم هنا مدة يتسنى له فيها تشييد شئ من المدارس او غيرها بل كانت اقامته فيها في قدمانه اليها اياماً فلائله رحمه الله

ذكر حال اولاد صلاح الدين بعده

قال ابن الأثير لما مات صلاح الدين كان معه بها ولده الأكبر الأفضل نور الدين علي وكان قد حلف له العساكر جميعهم غير مرة في حياته فلما مات ملك دمشق والساحل والبيت المقدس وبعبك وصرخد وبصرى وبانياس وهونين وتبنين وجميع الاعمال الى الداروم وكان ولده الملك العزيز عثمان بمصر فاستولى عليها واستقر ملكه بها .

وكان ولده الظاهر غازي بحلب فاستولى عليها وعلى جميع اعمالها مثل حارم وتل باشر واعزاز وبرزية ودرج ساك ومنبج وغير ذلك وكان بحماة محمود بن تقي الدين عمه فاطاعه وصار معه وكان بمحمص شيركوه بن محمد بن شيركوه فاطاع الملك الأفضل .

سنة ٥٩٠

ذكر الحاق جبلتة واللاذقية بمملكة حلب

قال ابن الاثير في هذه السنة وصل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وهو صاحب مصر الى مدينة دمشق فحصرها وبها اخوه الأكبر الملك الأفضل علي ابن صلاح الدين وكنت حينئذ بدمشق فنزل بنواحي ميدان الحص فأرسل الأفضل

الى عمه الملك العادل ابي بكر بن ايوب وهو صاحب الديار الجزرية يستنجده
 وكان الأفضل غاية الوائق به والمعتمد اليه وقد سبق ما يدل على ذلك فسار
 الملك العادل الى دمشق هو والملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب
 وناصر الدين محمد بن تقي الدين صاحب حماة واسد الدين شيركوه بن محمد
 بن شيركوه صاحب حمص وعسكر الموصل وغيرها كل هؤلاء اجتمعوا بدمشق
 واتفقوا على حفظها علما منهم ان العزيز ان ملكها اخذ بلادهم فلما رأى العزيز
 اجتماعهم علم انه لا قدرة له على البلد فترددت الرسل حيثئذ في الصلح فأستقرت
 القاعدة على ان يكون البيت المقدس وما جاوره من اعمال فلسطين للعزيز وتبقى
 دمشق وطبرية واعمالها النور للأفضل على ما كانت عليه وان يعطي الأفضل
 اخاه الملك الظاهر جبلة واللاذقية وان يكون الملك العادل بمصر اقطاعه الأول
 وانفقوا على ذلك وعاد العزيز الى مصر ورجع كل واحد من الملوك الى بلده

سنة ٥٩٥ و ٥٩٦

ذكر وفاة الملك العزيز صاحب مصر وحصر الأفضل

والظاهر عمهما العادل في دمشق ثم رجوعهما وملك

العادل مصر والصلح بين الظاهر وعمه العادل

قال ابو الفداء ليلة السابع والعشرين من المحرم توفي الملك العزيز عماد الدين عثمان
 ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر وكان الغالب على دولة
 الملك العزيز فخر الدين جهاركس فأقام في الملك ولد الملك العزيز المنصور
 محمد واتفقت الأمراء على احضار احد من بنى ايوب ليقوم بالملك وعملوا مشورة
 بحضور القاضي الفاضل فاشار بالملك الأفضل وهو حيثئذ بصرخد فارسوا اليه

فسار محثاً ووصل الى مصر على انه اتابك الملك المنصور بن الملك العزيز وكان
 صهر الملك المنصور حيثئذ تسع سنين وشهوراً ولما وصل الى بليس لقيه اخوته
 وجماعة الأمراء المصرية وجميع الأعيان فاتفق ان اخاه الملك المؤيد مسعودا
 صنع له طعاماً وصنيع له فخر الدين جهار كس مملوك ابيه طلعماً فابتدأ بطعام
 اخيه لمين حلقها اخوه انه يبدأ به فظن جهار كس انه فعل هذا انحرافاً عنه وسوء
 اعتقاد فيه فتغيرت نيته [هذان السطران من ابن الاثير] وفارقه وتبعه عدة
 من المسكر وساروا الى الشام وكاتبوا الملك العادل وهو محاصر ماردین وارسل
 الملك الظاهر الى اخيه الملك الافضل يشير عليه بقصد دمشق واخذها من
 عمه الملك العادل وان يتهمز الفرصة لاشتغال العادل بحصار ماردین فبرز الملك
 الافضل من مصر وسار الى دمشق وبلغ الملك العادل مسيره الى دمشق فترك
 على حصار ماردین ولده الملك الكامل وسار العادل وسبق الافضل ودخل دمشق
 قبل نزول الافضل عليها بيومين ونزل الملك الافضل على دمشق ثالث عشر
 شعبان من هذه السنة وزحف من القد على البلد وجرى بينهم قتال وهجم بعض
 عسكرة المدينة حتى وصل الى باب البريد ولم يدم العسكر فتكأثر اصحاب الملك
 العادل واخرجوهم من البلد ثم تحاذل العسكر فتأخر الافضل الى ذيل عقبة الكسوة
 ثم وصل الى الملك الافضل اخوه الظاهر صاحب حلب فعاد الى مضايقة دمشق
 ودام الحصار عليها وقتل الأتوات عند الملك العادل وعلى اهل البلد واشرف
 الافضل والظاهر من الخلف وخرجت السنة وهم على ذلك
 ثم دخلت سنة ٥٩٦ والمكان الافضل والظاهر محاصران لمدينة دمشق
 واتفق وقوع الخلف بين الاخوين الافضل والظاهر وسيبه انه كان للملك
 الظاهر مملوك يحبه اسمه ايبيك ففقد ووجد عليه الملك الظاهر وجداً عظيماً وتروم انه

دخل دمشق فأرسل من تكشف خبره وأطلع الملك العادل وهو محصور على القضية فأرسل إلى الظاهر يقول له إن محمود بن الشكري أفسد مملوكك وخمله إلى الأفضل أخيك فقبض الظاهر على ابن الشكري فظهر المملوك عنده فتنير الظاهر على أخيه الأفضل وترك قتال العادل وظهر الفشل في العسكر فتأخر الأفضل والظاهر عن دمشق وأقاما بمرج الصفر إلى أواخر صفر ثم سارا إلى رأس الماء ليقبلا به إلى أن ينسلخ الشتاء ثم انتفى عزمهما وسار الأفضل إلى مصر والظاهر إلى حلب على القرينين ولما تفرقا خرج الملك العادل من دمشق وسار في أثر الأفضل إلى مصر ولما وصل الأفضل إلى مصر تفرقت عساكره في بلادهم لأجل الربيع فادركه عمه العادل فخرج الأفضل بمن بقي عنده من العسكر وضرب معه مصافا بالسباح فانكسر الأفضل وانهمزم إلى القاهرة ونازل العادل القاهرة ثمانية أيام فأجاب الأفضل إلى تسليمها على أن يعوض عنها ميافاقرين وحاني وسميساط فأجابه العادل إلى ذلك ولم يفله به (ثم قال) ولما استقرت المملكة للملك العادل أرسل إليه الملك المنصور صاحب حماة يعتذر إليه مما وقع منه بسبب أخذه بعرين من ابن المقدم فقبل الملك العادل عذره وأمره برد بعيرين إلى ابن المقدم فاعتذر الملك المنصور عنها بقرها من حماة ونزل عن منبج وقلعة نجم لأبن المقدم عوضاً عن بعيرين فرضي ابن المقدم بذلك لأنها خير من بعيرين بكثير وتسلما عن الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم وكان له أيضاً فامية وكفرطاب وخمس وعشرون ضيعة من المعرة

وكذلك كاتب الملك الظاهر عمه الملك العادل وصالحه وخطب له مجلب وبلادها وضرب السكة بأسمه واشترط الملك العادل على صاحب حلب أن يكون خمسمائة فارس من خيار عسكر حلب في خدمة الملك العادل كلما خرج إلى البيكار والتزم

سنة ٥٩٧

ذكر اخذ الظاهر منبج وافامية وغيرها

قال ابو الفداء لما دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة كان بالديار المصرية الملك العادل وعنده ابنه الملك الكامل محمد وهو نائبه بها وبحلب الملك الظاهر وهو سجد في تحصين حلب خوفا من عمه الملك العادل وبدمشق الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل نائب ابيه بها وبالشرق الملك ابراهيم ابن الملك العادل وبميفارقين الملك الأوحى نجم الدين ايوب ابن الملك العادل (وفي هذه السنة) توفي عز الدين ابراهيم بن محمد بن المقدم وصارت البلاد بعده وهي منبج وقلعة نجم وفامية وكفرطاب لأخيه شمس الدين عبد الملك ولما استقر شمس الدين بمنبج سار اليها الملك الظاهر صاحب حلب وحصرها وملك منبج وعصي عبد الملك بن المقدم بالقلعة فحصره ونزل عبد الملك بالأمان فأعتقه الملك الظاهر وملك قلعة منبج وبعد ان فرغ من منبج سار الى قلعة نجم وبها نائب ابن المقدم فحصرها وملكها في آخر رجب من هذه السنة وارسل الملك الظاهر الى الملك المنصور صاحب حماة يبذل منبج وقلعة نجم على ان يصير معه على الملك العادل فاعتذر صاحب حماة باليمن التي في عنقه للملك العادل فلما أيس الملك الظاهر منه سار الى المعرة واقطع بلادها واستولى على كفرطاب وكانت لابن المقدم ثم سار الى فامية وبها قراقوش نائب ابن المقدم وارسل الملك الظاهر احضر عبد الملك بن المقدم من حلب وكان معتقلا بها واحضر معه اصحابه الذين اعتقلهم وضر بهم قدام قراقوش ليسلم فامية فامتنع قراقوش فأمر الملك الظاهر

بضرب عبد الملك بن المقدم فضرب ضرباً شديداً وبقي يستنيث فأصر فراقوش
 فضربت القنارات على قلعة فامية لثلاثين يوماً ولم يسلم القلعة
 فرحل عنها الملك الظاهر وتوجه إلى حماة وحاصرها ثلاثين يوماً من شعبان
 من هذه السنة ونزل شمالاً البلد وشعث التربة التقوية وبعض البساتين وزحف
 من جهة الباب الغربي وقاتل قتالاً شديداً ثم زحف في آخر شعبان من الباب
 الغربي والباب القبلي وباب العميان وجري فيه قتال شديد وجرح الملك الظاهر
 بسهم في ساقه واستمرت الحرب إلى أيام من رمضان فلما لم يحصل على غرض
 صالح الملك المنصور على مال يجمعه إليه قيل أنه ثلاثون ألف دينار صورية ثم
 رحل الملك الظاهر إلى دمشق وبها الملك المعظم بن الملك العادل فنازلها الملك
 الظاهر هو وأخوه الملك الأفضل وانضم إليهما فارس الدين ميمون القصري
 صاحب نابلس ومن وافقه من الأمراء الصلاحية واستقرت القاعدة بين الأخوين
 الأفضل والظاهر أنهما متى ملكا دمشق يتسلمها الملك الأفضل ثم يسيران
 ويأخذان مصر من الملك العادل ويتسلمها الملك الأفضل وتسلم دمشق حينئذ
 إلى الملك الظاهر صاحب حلب بحيث تبقى مصر للملك الأفضل ويصير الشام
 جميعه للملك الظاهر وكان قد تخلف من أكابر الأمراء الصلاحية عنهما فخر الدين
 جيهانكس وزين الدين قراجه فأرسل الملك الأفضل وسلم صرخد إلى زين الدين
 قراجه وتقل الملك الأفضل والدته وأهله إلى حمص عند شيركوه وبلغ الملك
 العادل حصار الأخوين دمشق فخرج بمساكر مصر وأقام بنابلس ولم يحسر على
 قتالها واشتدت مضايقة المالكين الأفضل والظاهر لدمشق وتعلق النقابون
 بسورها فلما شاهد الملك الظاهر ذلك حسد أخاه الملك الأفضل على دمشق
 وقال له أريد أن تسلم إلى دمشق الآن فقال له الأفضل أن حريمي حريمك

وم على الأرض وليس لنا موضع تقيم فيه وهب هذه البلدة لك فأجعله
لي الى حين تملك مصر وتأخذه فامتنع الظاهر من قبول ذلك وكان قتال العسكر
والامراء الصلاحية انما كان لاجل الأفضل فقال لهم الأفضل ان كان قتالكم
لأجلي فاتركوا القتال وصالحوا الملك العادل وان كان قتالكم لأجل اخي الملك
الظاهر فأنتم واياء فقالوا انما قتالنا لأجلك وتخلوا عن القتال (قال ابن الأثير)
وكان الناس كلهم يريدون الأفضل فقالوا ما يزيد سواك والعادل احب اليينا
من اخيك فأذن لهم في العود فهرب فخر الدين جهاركس ووزين الدين قراجا
الذي اعطاه الأفضل صرخد فنهم من دخل دمشق ومنهم من عاد الى اقطاعه فلما
انفسخ الأمر عليهم عادوا الى تجديد الصلح مع العادل فترددت الرسل بينهم
واستقر الصلح على ان يكون للظاهر منبج وافامية وكهرطاب وقرى معينة من
المعرة ويكون للأفضل سميساط وسروج ورأس العين وحملين ورحلوا عن دمشق
اول المحرم سنة ثمان وتسعين

سنة ٥٩٨

قال ابو الفداء في هذه السنة بعد رحيل الملك الافضل والظاهر عن دمشق كما
ذكرنا قدم اليها الملك العادل وكان قد سار ميمون القصري مع الملك الظاهر
فاقطعه اعزاز وفيها ضرب الملك الظاهر قلعة منبج خوفا من انتزاعها منه
واقطع منبج بعد ذلك عماد الدين احمد بن سيف الدين علي بن احمد المشطوب (١)
وفيها ارسل قراقوش نائب عبد الملك بن محمد بن عبد الملك بن المقدم بفامية الى

[١] قال ابن الوردي في تنمة المختصر وكان ذلك بواسطة وزيره بمنبج البرهان ابن ابي
شيبه وعمل موضع القلعة مارستانا وحمامين متلاصقتين وخان سبيل فقال اهل منبج
عنه هتك الحرم وصان الحرام

الملك الظاهر يبذل له تسليم فامية بشرط ان يعطى شمس الدين عبد الملك ابن المقدم اقطاعا يرضاه فاقطعه الملك الظاهر الراوندان وكفرطاب ومفردة المعرة وهو عشرون ضيعة معينة من بلاد المعرة وتسلم فامية ثم ان عبد الملك عمى بالراوندان فسار اليه الظاهر واستنزله منها وابعده فلحق عبد الملك بالملك العادل فأحسن اليه .

وفيها سار الملك العادل من دمشق ووصل الى حماة ونزل على تل صفرون وقام الملك المنصور صاحب حماة يجمع وظائفه وكلفه وبلغ الظاهر صاحب حلب وصول عمه الملك العادل الى حماة بنية قصده ومحاصرته حلب فاستعد للحصار بحلب وراسل عمه ولاطفه واهدى اليه ووقعت بينهما مراسلات ووقع الصلح وانزعت منه مفردة المعرة واستقرت للملك المنصور صاحب حماة واخذت من الملك الظاهر ايضا قلعة نجم وسلمت الى الملك الافضل وكان له سروج وسميساط وسلم الملك العادل حران وما معها لولده الملك الأشرف مظفر الدين موسى وسيره الى الشرق وكان بميافارقين الملك الاوحد ابن الملك العادل وبقلعة جعبر الملك الحافظ نور الدين ارسلان شاه ابن الملك العادل ولما استقر الصلح بين الملك العادل والظاهر رجع الملك العادل الى دمشق واقام بها وقد انتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلها في سلك ملكه وخطب له على منابرها وضربت السكة فيها باسمه

(سنة ٥٩٩)

﴿ ذكر اخذ الظاهر قلعة نجم من اخيه الافضل ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة اخذ الظاهر غازي قلعة نجم من اخيه الافضل وكانت في جملة ما اخذ من العادل لما صالحه سنة سبع وتسعين فلما كان هذم

السنة اخذ العادل من الأفضل سروج وحمين ورأس العين وبقي بيده سميساط وقلعة نجم فأرسل اليه الظاهر يطلب منه قلعة نجم وضمن له انه يشفع الى عمه العادل في اعادة ما اخذ منه فلم يعطه فتهدده بأن يكون الباطن عليه ولم تنزل الرسل تتردد حتى سلمها اليه في شعبان وطلب منه ان يعوضه قرى او مالا فلم يفعل وهذا من اقبح ما سمع عن ملك يراحم اخاه في مثل قلعة نجم مع خستها وحقارتها وكثرة بلاده هو وعدمها لأخيه واما العادل فإنه لما اخذ سروج ورأس العين من الأفضل ارسل والدته اليه لئسأل في ردعها فلم يشفعها وردها خائبة واتقد عوقب البيت الصالحى بما فعله ابوه مع البيت الأتابكى فإنه لما قصد حصار الموصل سنة ثمانين وخمسمائة ارسل صاحب الموصل والدته وابنة عم نور الدين يسأله ان يعود فلم يشفعها فجري لأولاده هذا وردت زوجته خائبة كما فعل ولما رأى الأفضل عمه واخاه قد اخذا ما كان بيده ارسل الى ركن الدين سليمان بن قلاج ارسلان صاحب ملطية وقونية وما بينهما من البلاد يبذل له الطاعة وان يكون في خدمته ويخطب له بيده ويضرب السكة بأسمه فأجابه ركن الدين الى ذلك فأرسل له خلعاً فلبسها الأفضل وخطب له بسميساط في سنة ستماية وصار في جملة اه

(سنة ٦٠٠)

قال ابو الفدا في هذه السنة نازل بن لاوون ملك الأرمن انطاكية فتحرك الملك الظاهر صاحب حلب ووصل الى حارم فرحل ابن لاوون من انطاكية على عقبه اه

(سنة ٦٠٢)

﴿ ذكر الغازة من ابن ليون على اعمال حلب ﴾

قال ابن الأثير في هذه السنة توالى الغارة من ابن ليون الأرمنى صاحب الدروب

على ولاية حلب فذهب وحرق واسر وسبي فجمع الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب عساكره واستنجد غيره من الملوك فجمع كثيرا من الفارس والراجل وسار عن حلب نحو ابن ليون وكان ابن ليون قد نزل في طرف بلاده مما يلي بلد حلب فليس اليه طريق لأن جميع بلاده لا طريق اليها الا من جبال وعرة ومضايق صعبة فلا يقدر غيره على الدخول اليها لاسيما من ناحية حلب فان الطريق منها متعذر جداً فنزل الظاهر على خمسة فراسخ من حلب وجعل على مقدمته جماعة من عسكره مع امير كبير من مماليك ابيه يعرف بميمون القصري ينسب الى قصر الخلفاء العلويين بمصر لأن اياه منهم اخذه فأخذ الظاهر ميرة وسلاحا الى حصن ايه مجاور ابلاد ابن ليون اسمه دربساك وانفذ الى ميمون ايرسل طائفة من العسكر الذين عنده الى طريق هذه الذخيرة ليسيروا معها الى دربساك ففعل ذلك وسير جماعة كثيرة من عسكره وبقي في قلة فبلغ الخبر الى ابن ليون فجد فوافاه وهو مخف من العسكر فقاتله واشتد القتال بينهم فأرسل ميمون الى الظاهر يعرفه وكان بعيدا عنه فطالت الحرب بينهم وحمى ميمون نفسه واثقاله على قلة من المسلمين وكثرة من الأرمين فانهزم المسلمون ونال العدو منهم قتل واسر وكذلك ايضا فعل المسلمون بالأرمين من كثرة القتل وظفر الأرمين باثقال المسلمين فغنموها وساروا بها فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الذخائر الى دربساك فلم يشعروا بالحال فلم يرعهم الا العدو وقد خالطهم ووضع السيف فيهم فاقتتلوا اشد قتال ثم انهزم المسلمون ايضا وعاد الأرمين الى بلادهم بما غنموا واعتصموا بمجالهم وحصونهم اهـ



(سنة ٦٠٥)

(قدوم الأشرف الى حلب متوجهاً الى بلاد الشرقية)

قال ابو الفدا في هذه السنة توجه الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل (ابن عم الظاهر) من دمشق راجعاً الى بلاده الشرقية ولما وصل الى حلب تلقاه صاحبها الملك الظاهر وانزله في القلعة وبالغ في اكرامه وقام للأشرف ولجميع عسكره بجميع ما يحتاجون اليه من الطعام والشراب والحلوى والعلوفات وكان يحمل اليه في كل يوم خلعة كاملة وهي غلالة وقباء وسراويل وكمة وفروة وسيف وحصان ومنطقة ومنديل وسكين ودلكش وخمس خلع لأصحابه واقام على ذلك خمسة وعشرين يوماً وقدم له مقدمة وهي مائة الف درهم ومائة بقجة مع مائة مملوك فيها عشر بقج في كل واحدة منها ثلاثة اثواب اطلس وثوبان خطاي وعلى كل بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة منها عشرة اثواب عتابي خوارزمي وعلى كل بقجة جلد قندس كبير ومنها عشر في كل واحدة خمسة اثواب عتابي بغدادى وموصلي وعليها عشرة جلود قندس صغار ومنها عشرون في كل واحدة خمس قطع صرسوسى وديبقي ومنها اربعون في كل واحدة منها خمسة اقية وخمس كمام وحمل اليه خمس حصن عربية بعديتها وعشرين اكديشا واربعة فطر بنال وخمس بفلات فائقات بالسروج واللجم المكفنة وقطارين من الجمال وخلق على اصعباه مائة وخمسين خلعة وقاد الى اكثرهم بفلات واكاديش ثم سار الأشرف الى بلاده اه

وفي هذه السنة وصل غياث الدين كينغسروا بن قليج ارسلان السلجوقى صاحب بلاد الروم الى صرغش لقصد بلاد ابن لاوون الأرميني وارسل اليه الملك الظاهر

نجدة فدخل كيخسرو الى بلاد ابن لاوون وعات فيها ونهب وفتح حصنا
يعرف بفرقوس اه

الكلام على نهر حلب المسمى بقويق وعلى قناة حلب
واصلاح مجراها من حيلان الى حلب في هذه السنة

قال ابو الفداء وفي هذه السنة امر الملك الظاهر صاحب حلب بأجراء القناة
من حيلان الى حلب وغرم على ذلك اموالاً كثيرة وبقي البلد يجرى الماء فيه اه
ويحذر ان تتكلم هنا على نهر حلب واصل منبعه وتتبع ذلك بالكلام على قناتها
ثم نذكر تفاصيل الأعمال التي قام بها الملك الظاهر غازي في اجراء القناة من
حيلان الى حلب في هذه السنة فنقول

قال في الدر المنتخب قال ابن شداد اما نهرها فاسمه نهر قويق وله مخرجات
شاهدتها وبين حلب وبينها اربعة وعشرون ميلاً احدهما في قرية يقال لها
الحسينية بالقرب من اعزاز يخرج الماء منها من عين كبيرة فتجرى في نهر
ويخرج بين جبلين حتى يقع في الوطاة التي قبل الجبل المعتد من بلد اعزاز شرقاً
وغرباً والمخرج الأخير يجتمع من عيون ماء من سنياب ومن بعض قرى حولها
من بلد الراوندان فتجمع مياه تلك الاعين وتجرى في نهر خارج من قم فبح
سنياب فيقع في الوطاة المذكورة ويجتمع النهران فيصيران نهرًا واحداً في بلد
اعزاز وهو نهر قويق ثم يجرى الى دابق ويمر بمدينة حلب ويمده عيون قبل
وصوله اليها وتدور به الأرحاء بقرية مالد من شمالي حلب ثم يمده عيون اخر
بمد ان يتجاوز حلب ايضاً منها عين المباركة فيقوي بها ويزيد ويسقي في طريقه
مواضع كثيرة حتى ينتهي الى قنبرين ثم يمر في المطح فيفيض في الأجم وحكى

جماعة ان نهر قويق يفيض في المطخ ويخرج الى بحيرة افامية وان قويقا اذا مد في الشتاء احمر ماء افامية فاستدلوا بذلك على ما ذكروه والمسافة بين مفيضه وافامية مقدار اربعة عشر ميلا

قال وقال ابو الحسين بن المناري في كتابه المسمى بالحافظ مخرج قويق نهر حلب من قرية تدعى سنياب على سبعة اميال من دابق يمر الى حلب ثمانية عشر ميلاً ثم الى قنسرين اثني عشر ميلاً ثم الى المرج الأحمر اثني عشر ميلاً ثم يفيض في الأجمة فن مخرجه الى مفيضه اثنان واربعون ميلا والمرج الأحمر هذا هو المعروف الآن بمرج تل السلطان وانما عرف بذلك لأن السلطان البارسلان السلجوقي خيم به مدة فنسب اليه

وقال ابن الخطيب ان نهر حلب كان يجري في الشتاء والربيع ويتقطع في الصيف ومنبعه من بلاد عينتاب وغوره في المطخ قلت (القائل ابن الشحنة) ورأيت له نبعاً بقرية يقال لها ارقيق بين حلب وعينتاب والظاهر انه من منابع كثيرة وقال ياقوت قويق نهر مدينة حلب مخرجه من قرية تدعى سبتات (صوابه سنياب كما تقدم) وسألت عنها بجلب فقالوا لا نعرف هذا الاسم انما مخرجه من سناذر قرية على ستة اميال من دابق ثم يمر في رسائيق حلب وبعد ان ذكر ما قاله ابو الحسين المناري قال وماؤه اعذب ماء واصحبه (على قوله) الا انه في الصيف ينشف فلا يبقى الا نزر قليلة واما في الشتاء فهو حسن المنظر طيب الخبر وقد وصفه شعراء حلب بما الحتموه بنهر الكوثر ومن امثال عوام بغداد يفرح بفلس مطلي من لم ير ديناراً وقد احسن القيسراني محمد بن صغير في وصفه في قوله

رأيت نهر قويق * فسأني ما رأيت

فلو ظمئت واصقي * ت ماء ما رويت

ولو بكيت عليه * بقدره ما اشتفت

وقال في السالنامة هذا النهر ينبع من قرية يقال لها جاغدينين من اعمال عيتاب ويجري الى حلب وقبل وصوله اليها بنحو ثلاث ساعات عند قرية تعرف بحيلان اقتطع منه قدر ثاشيه واتخذ له مجرى مخصوص بقناة منقطة وادخل الى البلدة . وبعد حيلان يتصل بالبقية الباقية من النهر عين يقال لها عين التل وعين يقال لها عين البيضاء ويسقي الجميع بساتين حلب وما فضل منه يمر بقرية يقال لها خان طومان وبعد ذلك يفيض في اراضي المطخ

وفي زمن الشتاء حين كثرة الماء وقيضانه تجتمع المياه بعد قرية يقال لها تل الطوكان وهي بعد قرية خان طومان وتشكل هناك بحيرة ومتى اقبل الصيف تجف. واسم هذا النهر في القديم شالوس. وسبب تسميته بقويق ان احد رؤساء عشائر التركمان واسمه قويق من اهل القرن الرابع اصلح مجاري هذا النهر في حال متعددة فنسب اليه (١)

الكلام على قناة حلب

قال في الدر المنتخب وهذه القناة تأتي من حيلان قرية شمالي حلب وفيها عين جمع ماؤها وسيق الى المدينة وقيل ان الملك الذي بني حلب وزن ماءها الى وسط المدينة وبني المدينة عليها وهي تأتي الى مشهد العافية تحت باديين وتركب بعد ذلك على بناء محكم رفع لها لانخفاض الأرض في ذلك الموضع ثم تمر الى ان تصل الى قرية بابلي وهي ظاهرة في مواضع ثم تمر في جباب قد حفرت لها الى ان تنتهي الى باب القناة وتظهر في ذلك المكان ثم تمضي تحت الأرض الى ان تدخل باب الأربين وتنقسم في طرق متعددة الى البلد (قال) ولأهل

[١] سيأتي في حوادث سنة ٧٣١ ذكر اتصال نهر الساجور بنهر حلب

حلب صهاريج في دورهم يأتي اليها الماء من القناة الا ما كان من الأماكن المرتفعة من البلد كالقبة وقلعة الشريف فأن صهاريجهم من المطر وكان الذي حفرها اجراها الى الكنيسة التي جددتها هيلانة التي هي المدرسة الحلاوية قال وقيل ان هذه القناة دثرت وان عبدالمك بن مروان جدها في ولايته والذي ادخلها الى حلب الشيخ الأمين ابن العيص الذي تغلب على قنسرين ولم يدخلها داره حتى لا يقال عنه انه فعل ذلك لحظ نفسه وقيل ان هذه القناة اسلامية والصحيح انها رومية وكانت لا تدخل في قديم الزمان الا الى الجامع فقط . قال ابن شداد وفي ايام نور الدين محمود ابن زكي اخرج منها قطعة الى المطهرة التي هي غربي الجامع بسوق السلاح قلت (القائل ابن الشحنة) هذا السوق الآن سوق امتعة وجانبه الغربي وقف على المدرسة الحلاوية وجانبه الشرقي وقف على الجامع قال وعمل منها قسطل الى رأس الشعبية واخرج نور الدين قطعة اخرى منها الى الخشابين وساق منها الى الرحبة الكبيرة داخل باب قنسرين ثم انقطع ذلك كله بعد وفاة نور الدين ولم ندرك من القناة شيئاً سوى قسطل الخشابين فقط . قال وكان يدخل الى حلب قناة من جهة باب قنسرين ولما عمل الشيخ منتخب الدين بن الأسكافي المصنع الذي في المسجد الذي هو شمالي مسجد المحصب رأيت هذا الطريق وقد نسيتم فاستدلت بذلك على صحة ما قيل ورأيت جماعة من الصناع يقولون ان القناة اسلامية جلبها الى حلب ابن العيص حين حبس في حلب وكانت هذه القناة قد سد طريقها لطول المدة ونقص مناسبع عيونها فكثرها الملك الظاهر وحرر طريقها الى البلد وسد مخارج الماء منها فكثرت ماؤها وجري في القنوات والقساظر

اصلاح الملك الظاهر غازى لجرى قناة حلب

قال لما كانت سنة خمسة وستائة سير الملك الظاهر غياث الدين غازى الى دمشق فاحضر صناعاً وخرج بنفسه ووقفهم على اصل هذه القناة التي تخرج من حيلان وامرهم باعتبار الماء الخارج منها واعتبار ما يصل منه الى حلب فاخبروا ذلك فراءوا ان مقدار الخارج من اصل القناة مائة وستون اصبعاً بمقدار الداخل الى حلب عشرون اصبعاً لا غير وضمنوا له ان يكفوا جميع سكان حلب وشوارعها ودورها ومدارسها وربطها وحماماتها ويفضل منه كثير يصرف الى البساتين والأراضي فشرع الملك الظاهر في ذلك وبدأ اولاً بأصلاح الجرى من حيلان الى حلب وباشر ذلك بنفسه واحضر اليها جميع الأمراء فضربوا خيامهم على حافتها ثم امر بذرعها من حيلان الى باب حلب فكانت المسافة خمسة وثلاثين الف ذراع بذراع النجارين وهو ذراع ونصف قلت (اقائل ابن الشحنة) ولعله كان في ذلك الحين كذلك واما الان فهو ذراع وسدس قال ثم قسم ذلك قطعاً على الأمراء وعين امير صناعاً وفلمة وحمل اليهم الكلس والزيت والأحجار والآجر فاصلحت جميعها وجدد طريقها الى البلد وكلس مخارج الماء فيه فكثر وكانت منكشفة لاسقف لها فقطع لها الطوابق من الصخور الصلبة وطبقها جميعها الا مواضع جعلها بردهم تنقيتها وشرب الماء منها واجرى جميع الجرى الى باب حلب في ثمانية خمسين يوماً ولما اتصلت بالبلد امر ببناء القساطل واجرى الماء فيها حتى عمت أكثر البلد واتخذ البرك في الدور ووصل ماء القناة في ايامه الى مواضع من البلد لم يسمع بوصولها اليها حتى انها سيقت الى الحاضر الساجاني (الكلاسة والمغاير وما بينهما وما كان عامراً في تلك النواحي) فقال ابو المظفر محمد بن محمد الواسطي المروفي بأبن سنينيرة يمدحه لما فعل من هذه المكرمة التي

عم نفعها وشاع برها وصنعها

روي ترى حلب فعادت روضة انفا وكانت قبله تشكو الظما
احيا موات ترابها فكأنه عيسى بأذن الله احي الأظما
لاغرو ان اجري القناة جداولاً فلطالما بتمنائه اجري الدما

ذكر القساطل التي بنيت في حلب على اثر ذلك

قال ابن شداد لما اتصلت القناة بالبلد امر ببناء القساطل فأول قسطل بني القسطل الذي بباب الأربعين تحت الرباط الذي بناه شهاب الدين طغرل الانابك من رأس خندق الروم وصورته حوض طوله عشرون ذراعاً ورأساه المشرق والمغرب فبتان وفيه انبوبان مقدار الأصبع ثم ساق هذه القناة الى باب النصر وعمل حوضاً كبيراً قريباً من عشرين شبراً بثلاث انابيب ومن القسطل الى مجسيتا وعمل فيها نسطين وهناك تنتهي الى المعقبة ثم ساق من اصل القناة من باب الأربعين الى الطريق الآخذ الى مدرسة ابن ابي عمرو وجامع الحيات. فسم يأخذ الى السويقة وقدم يأخذ الى البلد وما يليه وهذا الطريق الآخذ الى بلاط فيه قسطل في رأس العقبة قدام درب الملك ثم يسير الى رأس درب الديلم وهناك قسطل ثم الى الدرب المعروف بالبازيار ثم الى رأس درب بني الزهرة والطيورين وهناك قسطل ثم الى درب شراويل وهناك قسطل ثم الى عند حمام اوران وهناك قسطل (الظاهر موغان وهي حمام البيلوني التي خربت سنة ١٣٣٥ لتعريض الجادة) ثم الى وسط اسدالله وهناك قسطل ثم الى باب الجنان الى عند مسجد القصير وهناك قسطل ثم يعود الى الطريق الآخذ الى السويقة اليهود ثم الى باب النصر وعمل حوضاً كبيراً يفيض ثم الى السويقة عند دار الصبغ وعمل قسطل وبني

المسجد المعلق وهناك انتهى

ثم ساق من اصل الماء من المقسم الذي تحت القلعة ثم الى اسواق حلب وقصبة
البلد مصنعة في الأرض وجعل ماء القناة جميعها تجتمع في تلك المصنعة ثم جعل
فيها مقاسم يخرج الماء على السوية فيتفرق في حلب على السواء فأخرج منها طريقاً
الى الجامع وما يضاف اليه وطريقاً الى كتاب الاسود وما يليه وطريقاً الى باب
العراق وما يليه وطريقاً الى القطيعة (لعله القصيبة) وما يليها

واما طريق الجامع فبنى عليه في رأس دار العدل قسطلاً ثم الى رأس الصاغة
تحت المسجد المعلق قسطلاً واخذ منه الى حمام العفيف التي عند حبس الدلبة ثم
اخذ من قسطل راس الصاغة الى رأس سوق النطاعين ثم الى شرق الجامع وبني هناك
قسطل وفيه يتقسم الماء ثلاثة اقسام

قسم منه فوارة الجامع وقسم يشق وسط الجامع ويصير الى المطهرة الغربية وما
يتصل بها وقسم ياخذ الى باب قنسرين وما يليه فإنه يخرج الى رأس سوق العطارين
العتيق ورأس المربعة ويتقسم هناك قسمين قسم يأخذ الى الخشابين وقسم يأخذ الى
الدركاه فأما قسم الدركاه فيصير الى المطهرة الصغيرة المعروفة بتل نيروز ورأس
سوق العطر

واما قسم باب قنسرين فينقسم الى الزجاجين فيصير الى رأس درب اسد الدين
الآخذ شمالي سوق الاساكة والبرز وهناك قسطل ثم الى عند مسجد المجن ثم الى
درب البيارستان وهناك قسطل يفيض فيه ثلاث انابيب ايلاً ونهاراً

واما طريق باب قنسرين فيصير الى رأس درب ابن ابى الأسود وهناك قسطل
ثم يصير الى عند المسجد المعروف بأبن الاسكافي وهناك قسطل ثم يصير الى
الرحبة التي عند المسجد المحصب وهناك قسطل

ثم يتقدم الماء هناك ثلاثة اقسام قسم يأخذ الى الطيريرة قدام المسجد المعروف بصني الدين طارف (قبل جامع الرومي) في رأس درب الماسيخ (لعله المسالخ) وهناك قسطل وهو آخر هذا الطريق وقسم يأخذ الى باب قنسرين وقسم يأخذ الى جرن الأصفر عند المسجد وهناك قسطل (١) .

واما القسم الذي يأخذ الى باب قنسرين قسطل يفيض الماء منه بثلاثة انابيب ثم يخرج منه الماء الى ظاهر البلد تحت برج الفهم مقابل سوق الأعلى وهو بعد عدة قساطل وهو آخر الطريق ثم يدخل منه هناك الى درب البنات وهناك قسطل وهو آخر هذا الطريق اهـ (٢)

قال ابن الخطيب ان الملك الظاهر وقف عليها اوقافاً لعمارتها واصلاحها ولكن هذا الوقف لا يعرف اليوم . (قال) . وسيتى الماء منها في زماننا الى خارج باب المقام الى القرب من المدرسة الجمالية وانقطع بعد الفتنة التيمورية او قبلها بقليل قلت وقد اجرته انا الى بركة آشق عمر في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة اهـ

(سنة ٦٠٩)

قال ابو الفداء في سنة ثمان وستمائة ارسل الملك الظاهر القاضي بهاء الدين بن شداد الى الملك العادل فاستعطف خاطره وخطب ابنته ضيفة خاتون ابنة الملك العادل فزوجها من الملك الظاهر وزال ما كان بينها من الأحن وفي هذه السنة في المحرم عقد الملك الظاهر العقد وكان المهر خمسين الف دينار وتوجهت من دمشق

(١) رفع هذا القسطل سنة ١٣٣٨ حينما بني خان آل الحلبي وله حجرتان كبيرتان من الحجر الاصفر طول الواحدة ازيد من ذراعين ونصف وعرضها ذراع لم يزل املقتانين على قارة الطريق (٢) بعض هذه الاسماء قد تغيرت الآن انما بالتأمل القليل تعرف اما كنها

في المحرم الى حلب فاحتفل الملك الظاهر لملتقاها وقدم لها اشياء كثيرة نفيسة

(سنة ٦١٠)

ذكر بناء باب اليهود وتسميته باب النصر

قال في الزبد والضرب وفي سنة عشر وستمائة اتم الملك الظاهر بناء باب اليهود بحلب وكان قد شرع في هدمه وحفر خندقه وتوسعته وبناه بناء حسناً وغيره عن صورته التي كان عليها وبني عليه برجين عظيمين وسماه باب النصر قلت وقد ذكر ابن شداد انه كان يعرف قديماً بباب اليهود لأن اليهود تجاوزوه بدورهم ومنه يخرجون الى مقابرهم

وفيهما في خامس عشر ذي الحجة ولد له الملك العزيز محمد من ابنة عمه الخاتون ضيفة خاتون قضرت البشار وزينت حلب وعقدت القباب اه

قال ابو الفداء في هذه السنة في رمضان توفي بحلب فارس الدين ميمون القصري وهو آخر من بقي من كبراء الأُمراء الصلاحية وهو منسوب الى قصر الخلفاء بمصر كان قد اخذه السلطان صلاح الدين من هناك اه

(سنة ٦١١)

قال ابو الفداء في هذه السنة توفي دلدرم بن ياروق صاحب تل باشر وولي تل باشر بعده ابنه فتح الدين

(سنة ٦١٣)

ذكر وفاة الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين

قال الصلاح الصفدي في تاريخه المرتب على السنين في حوادث هذه السنة فيها توفي الملك الظاهر غازي بن يوسف بن ايوب صاحب حلب مولده بالقاهرة

سنة ثمان وستين وخمسمائة وكان ملكاً مهيباً له سياسة وفطنة ودولته معمورة بالعلماء والفضلاء مزينة بالملوك والأمرء وكان محسناً إلى الرعية وحضر معظم فتوحات والده وكان محباً للعلماء مجيزاً للشعراء اعطاه والده مملكة حلب سنة اثنين وثمانين وخمسمائة ودفن بقلعه حلب ثم بنى له الطواشي طنبريل مدرسة تحت القلعة وعمر فيها تربة ونقله إليها اهـ

وقال ابن الأثير في حوادث هذه السنة فيها في جمادى الآخرة توفي الملك الظاهر غازي وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشام وكان مرضه اسهالاً وكان شديد السيرة ضابطاً لأمواره كلها كثير الجمع للأموال من غير جهاتها المعتادة عظيم العقوبة على الذنب لا يرى الصفع وله مقصد يقصده كثير من أهل البيوتات من اطراف البلاد والشعراء وأهل الدين وغيرهم فيكرمهم ويحرم عليهم الجارية الحسن ولما اشتدت علته عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمد ولقبه الملك العزيز غياث الدين عمره ثلاث سنين وعدل عن ولد كبير لأن الصغير كانت أمه ابنة عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر ودمشق وغيرهما من البلاد فعهد بالملك له ليبقي عمه البلاد عليه ولا ينازعه فيها ومن اعجب ما يحكى ان الملك الظاهر قبل مرضه ارسل رسولاً إلى عمه العادل بمصر يطلب منه ان يحلف لولده الصغير فقال العادل سبحان الله اي حاجة إلى هذه اليمين الملك الظاهر مثل بعض اولادي فقال الرسول قد طلب هذا واختاره ولا بد من اجابته اليه فقال العادل كم من كبش في المرعى وخروف عند القصاب وحلف فانفق في تلك الأيام ان توفي الملك الظاهر والرسول في الطريق ولما عهد الظاهر إلى ولده بالملك جعل انابكه ومربيه خادماً رومياً اسمه طنبريل ولقبه شهاب الدين وهو من خيار عباد الله كثير الصدقة والمعروف ولما توفي

الظاهر احسن هذا شهاب الدين السيرة في الناس وعدل فيهم وازال كثيرا من السنن الجارية واعاد املاكا كانت قد اخذت من اربابها وقام بتربية الطفل احسن قيام وحفظ بلاده واستقامت الأمور بحسن سيرته وعدله وملك ما كان يتعذر على الظاهر ملكه فمن ذلك تل باشر كان الملك الظاهر لا يقدر ان يتعرض اليه فلما توفي ملكها كيكارس السلجوقي ملك الروم كما نذكره انتقلت الى شهاب الدين وما اقيح بالملوك وابناء الملوك ان يكون هذا الرجل الغريب المنفرد احسن سيرة واعف عن اموال الرعية واقرب الى الخير منهم ولا اعلم اليوم في ولاية امور المسلمين احسن سيرة منه فالله يبقيه ويدفع عنه فلقد بلغني عنه كل حسن وجميل اه

وقال ابو الفداء لما كانت صبيحة يوم السبت وهو الخامس والعشرون من جمادى الأولى من هذه السنة ابتداء الملك الظاهر المذكور حى حادة ولما اشتد مرضه احضر القضاة والأكابر وكتب نسخة يمين ان يكون الملك بعده لولده الصغير الملك العزيز ثم بعده لولده الكبير الملك الصالح صلاح الدين احمد بن غازي وبعدهما لابن عمها الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين وحلف الأمراء والأكابر على ذلك وجعل الحكم في الأموال والقلاع الى شهاب الدين طغريل الخادم واعذق به جميع امور الدولة وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة اقطع الملك الظاهر خضر المعروف بالمستمر كفر سودا واخرج من حلب في ليلة بالتوكيل واخرج علم الدين قيصر مملوك الملك الظاهر الى حارم نائبا وفي خامس عشر جمادى الآخرة اشتد مرض الملك الظاهر ومنع الناس الدخول اليه وتوفي في ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة وكان مولده بمصر في نصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسةائة فكان عمره اربعا واربعين

سنة وشهورا وكان فيه بطش واقدام على سفك الدماء ثم اقصر عنه وهو الذي جمع شمل البيت الناصري الصلاحي وكان ذكيا فطنا اه

وقال ابن خلكان في ترجمته كان الظاهر يكنى ابا الفتح و ابا منصور ايضا ويلقب بنيات الدين وكان ملكا مهيبا حازما متيقظا كثير الاطلاع على احوال رعيته واخبار الملوك عالي المهمة حسن التدبير والسياسة باسط العدل عجا للعلماء مجزا للشعراء اعطاه والده مملكة حلب في سنة اثنين وثمانين وخمسمائة بعد ان كانت لعمه الملك العادل فنزل عنها وتعرض عنها غيرها كما قد شهر . ويحكى عن سرعة ادراكه اشياء حسنة منها انه جلس يوما لمرض المسكر وديوان الجيش بين يديه وكان كلما حضر احد من الأجناد سأله الديوان عن اسمه لينزوه حتى حضر واحد فسألوه عن اسمه فقبل الارض فلم يفتن احد من ارباب الديوان لما اراد فماودوا سؤاله فقال الملك الظاهر اسمه غازي وتأدب الجندي ان يذكر اسمه لما كان موافقا لاسم الساطان وعرف هو مقصوده وله من هذا الجنس شي كثير لاحاجة الى التطويل فيه .

وفي التزبد والضرب لما مات الظاهر كتم خبر موته حتى دفن في الحجرة التي جنب داره الكبيرة التي انشأها بالقلعة وكان له في كل دار مجلب ماتم وعزاء والس ماتمهم عليه واحد * في كل دار أنة وزفير

قال ابن خلكان ورتناه شاعره الشرف راجح بن اسماعيل بن ابي القاسم الاسدي الحلبي وكنيته ابو الوفاء بهذه القصيدة ومدح ولديه السلطان الملك العزيز محمد واخاه الملك الصالح صاحب عين تاب وما قصر فيها وهي

سل الخطب ان اصغى الى من يخاطبه * بمن عقلت انيابه ومخالبه

نشدتك عاتبه علي نائباته * وان كان ينأى السمع عن يعاتبه

- لي الله كم ارمى بطرفي ضلالة * الى افق مجد قد تهاوت كواكبه
 فالي ارى الشهباء قد حال صباحها * على دجي لا تستير غياها به
 احقاهى الغازى الغياث بن يوسف * ابيع وعادت خائبات مواكبه
 نعم كورت شمس المدائح وانطوت * سماء العلى والنجح صانفت مذاهبه
 فن مخبرى على ذلك الطود هل وهت * قواعده ام لان للخطب جانبه
 اجل ضعضت بعد الثبات وزعزعت * بريح المنايا العاصفات مناكبه
 وغيض ذلك البحر من بعد ما طمت * وطمت لغيبان البلاد غواربه
 فشلت يمين الخطب اي مهند * برغم العلى سلت وقلت مضاربه
 لئن حبس الغيث الغياثي قطاره * فقد سحبت في كل قطر سحائبه
 فاني يلذ العيش بعد ابن يوسف * اخوامل اكدت عليه مطالبه
 فلا ادركت نيل العلا طالبانه * ولا بركت في ارض يمن ركائبه
 ولا انتجعت الا بعيش حقيبه * من الجذب لانتنى عليه حقائبه
 مضى من اقام الناس في ظل عدله * وآمن من خطب تدب عقاربه
 فكم من حمي صعب اباحت سيوفه * ومن مستباح قد حتمته كنايبه
 اري اليوم دست الملك اصبح خاليا * اما فيكم من مخبر اين صاحبه
 فن سائلي عن سائل الدمع لم جرى * لعل فوآدي بالوجيب يحاوبه
 فكم من ندوب في قلوب نضيجه * بنار كروب اججتها نوادبه
 اسلم ولم يحطم صدور رماحه * بذب ولم يثلم بضرب قواضيه
 ولا اصطدمت عند الحتوف كمانه * ولا ازدمت بين الصفوف جنايبه
 ولا سيم اخذ النار يوم كرهية * بشق منار النقم فيها سلاهيه
 فيا ملبسي ثوباً من الحسن مسبلاً * يحسن بي ان التسلي سالبه

- خدمتك روض المجد تصفو ظلالة * على و حوض الجود تصفو مشاربه
 وقد كنت تدنيني وترفع مجلسي * لمفروض مدح ما تمداك واجبه
 فما بال اذني قد تمادى ولم يكن * اذا جئت يشيني عن الباب حاجبه
 ارى الشمس اخفت يوم فقدك نورها * فلا كان يوما كاشف الوجه شاحبه
 فكيف نبا سيف اعزمالك او كبا * جواد من الحزم الذي انت راكبه
 فن ليتهاي يا غياث يغيثهم * اذا الغيث لم يقع صدى العام ساكبه
 ومن ملوك كنت ظلا عليهم * ظللا اذا ما الدهر نابت نوابه
 ايا تاركي القي العدو مسالما * متى ساءنى بالجد قت الاعبه
 سقت فبرك الفرانوادى وجاده * من الغيث ساريه الماث وساربه
 فان يك نور من شهابك قد خبا * فيا طالما جلى دجى الليل ثاقبه
 فقد لاح بالملك العزيز محمد * صباح هدى كنا زمانا نراقبه
 فتى لم يفته من ابيه وجده * اباء وجد غالباً من يغالبه
 ومن كان في المسعى ابوه دليله * تدانى له الشأو الذي هو طالبه
 وبالصالح استعلى صلاح رعية * لها منه رعي ليس يقطع راتبه
 فحسب الورى من احمد ومحمد * مليكان من عاداهما ذل جانبه
 هما احرزاه علياه غازي بن يوسف * وما ضيعا المجد الذي هو كاسبه
 فأفق الورى لولاهما كان مظانما * مشارقه من بعده ومغاربه
 ستحمي على رغم الليالى حاهما * عوالى قنا تردى الاسود تعالبه
 فكم من ملم جل موقع خطبه * فساءت مباديه وسرت عواقبه
 فيا قمرى سعدا ظلا على الدجا * فولى وما الوى على الأرض هاربه
 ايمكت في الشهباء عبد ابيكما * ومادحه ام تستقل نجائبه

فأن شتما بعد الغياث اغثما * مصاب سهام فوقتها مصائبه
 كان لم اف اجلو التهاني امامه * وتضحك في وجه الأمانى مواهبه
 فهبتها ما نلما وبقيتما * لأعلاء ملك ساميات مراتبه

آثار الملك الظاهر غازي بجلب

المدرسة الظاهرية وهي المشهورة بالسلطانية

قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة المدرسة الظاهرية وهي المعروفة
 الآن بالسلطانية تجاه القلعة مشتركة بين الشافعية والحنفية وكان الملك الظاهر
 قد أسسها وتوفي سنة ثلاث عشرة وستائة ولم تتم وبقيت مدة بعد وفاته حتى
 شرع فيها شهاب الدين اتابك الملك العزيز فعمرها وكملها سنة ثلاثين وستائة
 ومنقوش على بابها أنها وقف على الطائفتين الشافعية والحنفية اه
 قال ابن شداد درس بها القاضي بهاء الدين بن شداد وهو اول مدرس بها وولى
 نظرها القاضي زين الدين ابو محمد عبد الله الأسدي قاضي القضاة بجلب وكان
 يدرس بها المذهبين اه

المكتوب على بابها

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستدين هذه المدرسة قد امر بعمارها وانشائها في
 ايام السلطان الملك العزيز غياث الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المظفر
 غازي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين متقد بيت الله المقدس من
 ايدي الكافرين اسكنه محال رضوانه وفسأخ جنازه وخذ سلطان الملك العزيز
 والممه المدل والأنصاف وانشأها تكية وتربة ولي امره وكافل دولته القائم
 بقوانين حفظه العبد الفقير الى رحمة ربه الجليل شهاب الدين ابو سعيد طغرل

بن عبد الله الملكى الظاهري عنى الله عنه وجعلها مدرسة للفريقين ومقرناً
 للمشتغلين بعلاوم الشريعة من الطائفتين الشافعية والحنفية والمجتهدين فى الأشتغال
 السالكين طريقة الأخيار الأمثال الذين يعينهم المدرس بها من الفريقين مشتملة
 على مسجد لله تعالى ومشيد فيه مدفن السلطان الملك الظاهر قدس الله روحه
 ليناله ثواب قراءة العلم ودراسته وبركة القرآن وتلاوته فجزاه الله افضل
 الأجر عليه وشرط فيها اثابه الله تعالى ان يكون المدرس بها شافعي المذهب
 والأمام للصلاة فى مسجدها شافعي المذهب وكذا يؤذن غفر الله لهم اجمعين
 سنة ستماية وعشرين

حالتها الحاضرة

لم يزل باب المدرسة قائماً على حاله وعليه الكتابة المتقدمة وفوق الباب منارة
 صغيرة طولها نحو اربعة اذرع والدرج الذى يصعد به اليها خرب وموقف المؤذن
 كذلك وعن يمين الباب ويساره خمس حجر صغيرة بعضها جدد فى اوائل هذا
 القرن ورمت جميعها منذ ثلاث سنوات يسكنها الآن بعض فقراء المناربة
 وكان عن يمين المدرسة ويسارها حجر المطلة علوية وسفلية ادركناها وهي مشرفة
 على الخراب والآن قد خربت بالكلية والحائط الشرقى خرب بتساقط وصار
 الناس يدخلون الى المدرسة منه ومنذ ستين صار بعض اهل الطريقة الرشيدية
 يقيمون الذكر فى قبيلة المدرسة فجمعوا من بعضهم ومن بعض اهل الخير نحو ثلاثين المأ
 اقاموا فيه هذا الحائط من انقاض المدرسة واصلاحوا الدرج الذى ينزل منه الى باب
 المدرسة لأنه اصبح منخفضاً لتلمية الأرض التى حول المدرسة
 وكان فى وسط المدرسة حوض مركب من ثمانية احجار بديع الشكل وقد خرب
 وبعض احجاره لم تزل ملقاة فى ارض المدرسة . واما القبيلة فقد كان جدارها

المشرف على صحن المدرسة اصابه الوهن فاهتم جميل باشا منذ اربعين سنة في اصلاحه .

ومحراب المدرسة بديع جداً وهو مؤلف من ثلاث عشرة حجرة من الرخام الملون وفي طرفي المحراب عامودان من الرخام الأزرق ويطو المحراب احجار ملونة مشتبكة ببعضها على اجمل وضع قد استفرغت فيه الصنعة جهدها ولسان حال هذا المحراب ناطق بما وصل اليه فن العماراة في ذلك العصر من الأتقان وهذا المحراب لم يزل على حاله كأن بانيه قد فرغ منه الآن وهو من اهم الآثار العربية القديمة في حلب

وعن يمين القبلة حجرة واسعة اعلمها كانت موضع الفاء الدروس . وعن يسارها حجرة واسعة ايضاً وهناك في وسطها اربعة قبور يتلو بعضها بعضاً اثنان يعلوان عن الأرض شبراً والآخران بعض اصابع . وأحد هذه القبور قبر السلطان الملك الظاهر غازى . لكن لا يعلم اي قبر هو كما انى لم اقف على اسم من دفن في القبور الثلاثة

وللتربة باب من صحن الجامع ولها شباك كان واحد للجهة الشرقية وواحد للجهة الجنوبية وقد سد الآن لتعمية الأرض حول المدرسة كما قدمنا ومكتوب على باب التربة وعلى هذين الشباكين

هذه تربة السلطان الملك الظاهر غازى بن الملك الناصر صلاح الدين متقدبيت المقدس من ايدي الكافرين قدس الله روحهما ورحم من ترحم عليهما واوقاف هذه المدرسة كانت كثيرة لكنها ذهبت وتغابت عليها الأيدي وليس لها الآن من المقارنات المقيدة في دائرة الأوقاف سوى دكان واحدة في محلة القصيلة وارداتها نحو ايرة ونصف عثمانية ذهباً . وارض تحت القلعة

وتنوى الآن دائرة الأوقاف ان تعيد بناء الحجر التي كانت عن اليمين والشمال
وتسكن فيها الطلبة وتفرش ارضها بالرخام وتعيد اليها بهجتها الأولى حتى
الله ذلك

المسجد الكبير في القلعة

ومن آثاره المسجد الكبير بالقلعة وهو قريب من المنارة ومكتوب عليه (بسم الله
امر بعمله مولانا السلطان الملك الظاهر العالم العادل المجاهد المؤيد المظفر المنصور
غياث الدنيا والدين ابو المظفر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف
ابن ايوب خلد الله ملكه سنة ٦١٠)

وللملك الظاهر غير ذلك من الآثار في القلعة خصوصاً في ابوابها . ومكتوب على
وسط بابها الأول المصفتح بالحديد (امر بعمارته مولانا الملك الظاهر غازي بن
يوسف سنة ثمان وستمائة) ومثل ذلك على الباب الرابع غير ان تاريخ هذا سنة
٦٠٦) وحروف الكتابة من حديد ولها مسامير ادخلت في الخشب ودقت من
الطرف الآخر ولو تأمل فيها اهل ذاك العصر قليلا لاهندوا منها الى فن الطباعة
المدرسة الظاهرية

قال في الدر المنتخب في الكلام على مدارس الشافعية التي بظاهر حلب اولها
المدرسة الظاهرية انشأها السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف
ابن ايوب صاحب حلب وانتهت عمارتها في سنة ستة عشر وستمائة (اي بعد وفاته)
وانشأ الى جانبها تربة ارضها ليدفن بها من يموت من الملوك والأمراء اه
قال ابن شداد بعد العبارة المتقدمة وفوض النظر في المدرسة الى القاضي بهاء الدين
ابن شداد وشرف الدين ابى طالب المعجمي وحضر السلطان يوم درس بها وعمل
دعوة عظيمة حضرها الفقهاء اه

افول وهذه المدرسة الآن خربة وحجرها التي كانت عن اليمين والشمال تهدمت
وعواميدها العظيمة مع كثير من اقباضها ملقاة في ارض المدرسة ولم يبق من آثار
عمرانها سوي محرابها مع عمودين من الرخام وليس على بابها شئ من الكتابة
وفي وسطها حوض مشمن بديع الصنعة . وحالتها الحاضرة تعرب عن عظمة
شأنها وجلالة قدر بانيتها واذا أجلت النظر في اطرافها ونظرت اليها نظر معتبر
سالت مك العبرات واشتعلت في فؤادك نيران الحسرات واو كانت هي الخربة
وحدها لهان الأمر لكن تجد خارج باب المقام كثيراً من المدارس والرباطات
والخاتقات قد اخنى عليها الزمان وجارت عليها الأيام واصبحت اطلاقاً
ورسوماً وكلها تنبيك عن تقدم العمران في ذلك العصر وتدلك على ارتقاء العلم
في الشهباء ورواج سوقه وانها كانت محط الرحال ومنتهى الآمال

ولاندري هل يسمح الزمان في عمران ما هنالك من الآثار القديمة من مدارس
وغيرها على شكل تستفيد منه الأمة ولا ريب ان ذلك خير من ان تبقى على
هذه الحالة المؤدية الى ذهاب تلك الآثار بتاننا فان اهل تلك المحلة افتروهم قد
تسلطوا على احجار تلك الآثار وهم يسرقون منها شيئاً بعد شئٍ واذا طال الحال
ولم يتلاف ذلك تصبح هذه الأماكن التي هي مفاخر الآباء والاجداد اثراً بمدعين
المدرسة الهروية

قال في الدر المنتخب المدرسة الهروية انشأها الشيخ ابو الحسن علي ابن ابي بكر
الاروي السامح قبلي حلب ولم تزل الى ان كانت فتنة النتر فدمر بمضها ولم يبق
بها ساكن وخرب وقفها لأنه كان سوقاً بالحاضر اه

افول نسبة انشائها الى الهروي سهو والذي انشأها انما هو الملك الظاهر غازي
ففي تاريخ ابن خلكان في ترجمة ابي الحسن علي الهروي المذكور ان ابا الحسن

كان فيه فضيلة وله معرفة بعلم السيمياوبه تقدم عند الملك الظاهر غازي صاحب حلب واقام عنده وكان كثير الرعاية له وبني له مدرسة بظاهر حلب وفي ناحية منها قبة وهو مدفون فيها وفي تلك المدرسة بيوت كتب على باب كل بيت منها ما يليق به ورأيته كتب على باب الميضاة بيت المال في بيب الماء ورأيت في قبنة معلقا عند رأسه غصنا وهو حلقة خلقية ليس فيه صنعة وهو اعجوبة وقيل انه رآد في بعض سياحاته فاستصعبه واوصى ان يكون عند رأسه ليعجب منه من يراه اقول هي الآن خربة كما قال ولم يبق من المدرسة سوى احجار بابها والمكان المدفون فيه ابو الحسن المذكور وحجرة بجانبه متوهنة والمدرسة داخل كرم ايضا ومكتوب على احجار القبر (لله مافي السموات) الخ الآية والكتابات التي كانت عليها ذهب اكثرها والمكان كان قد خرب واعيد بصورة بسيطة وبنوا بعضا من الكتابات في اماكن من الجدر كيفما اتفق فتشوهت وذهب رونقها وجميع المكان مشرف الآن على الخراب

سنة ٦١٥

ذكر قصد كيكوس حلب وطاعة صاحبها للاشرف
وانهزام كيكوس

قال ابن الأثير في هذه السنة سار عز الدين كيكوس ابن كيخسرو ملك الروم الى ولاية حلب قصداً للتغلب عليها ومعه الأفضل بن صلاح الدين يوسف وسبب ذلك انه كان مجلب رجلا فيهما شر كثير وسعاية بالناس فكانا يتقلان الى صاحبها الملك الظاهر بن صلاح الدين عن رعيته فاوغرا صدره فلقى الناس منها شدة فلما توفي الظاهر وولي الأمر شهاب الدين طغرل ابعدهما وغيرهما

من يفعل فعلها وسد هذا الباب على فاعليه ولم يطرق اليه احد من اهله فلما رأى الرجلان كساد سوقهما لزمما بيوتهما وتار بهما الناس وأذوهما وتهددوهما لما كانا اسلفاه من الشر فخافا ففارقا حلب وقصدا كيكوس فأطعماه فيها وقررا في نفسه انه متى قصدها لا يثبت بين يديه وانه يملكها ويهون عليه ملك ما يمددها فلما عزم على ذلك اشار عليه ذوو الرأي من اصحابه وقالوا له لا يتم لك هذا الا بأن يكون معك احد من بيت ايوب ليسهل على اهل البلاد وجندها الاتقياد اليه وهذا الأفضل بن صلاح الدين هو في طاعتك والمصلحة انك تستصعبه معك وتقرر بينكما قاعدة فيما تفتحانه من البلاد فمتى كان معك اطاعك الناس وسهل عليك ما تريد فاحضر الافضل من سيمسأط اليه وحمل اليه شيئا من الخيل والحيام والسلاح وغير ذلك واستقرت القواعد بينهما ان يكون ما يفتحه من حلب واعمالها للأفضل وهو في طاعة كيكوس والخطبة له في ذلك اجمع ثم يقصدون ديار الجزيرة فما يفتحونه مما بيد الملك الأشرف مثل حران والرها من البلاد الجزرية تكون لكيكوس وجرت الأيمان على ذلك . وجمعوا العساكر وساروا فلكوا قلعة رعبان فتسلمها الأفضل فال الناس حينئذ اليها ثم سار الى قلعة تل باشر وفيها صاحبها ابن بدر الدين دادرم الياروقي فحصره وضيقوا عليه وملكوها منه فأخذها كيكوس لنفسه ولم يسلمها الى الافضل فاستشعر الافضل من ذلك وقال هذا اول الغدر وخاف انه ان ملك حلب يعمل به هكذا فلا يحصل الا ان يكون قد قلع بيته لغيره فقترت نيته واعرض مما كان يفعله وكذلك ايضا اهل البلاد فكانوا يظنون ان الأفضل يملكها فيسهل عليهم الأمر فلما رأوا ضد ذلك وقفوا . واما شهاب الدين اتابك ولد الظاهر صاحب حلب فانه ملازم قلعة حلب لا ينزل منها ولا يفارقها البتة وهذه كانت عادته مذمات الظاهر

خوفاً من تأثر يشور به فلما حدث هذا الأمر خاف ابن مجصروه وربما سلم
اهل البلد والجند المدينة الى الأفضل ليطلب اليه فأرسل الى الملك الأشرف بن
الملك العادل صاحب الديار الجزرية وخلاط وغيرها يستدعيه لتكون طاعتهم
له ويخطبون له ويحمل السكة باسمه ويأخذ من اعمال حلب ما اختار ولأن ولد
الظاهر ابن اخته فاجاب الى ذلك ولسر اليهم في عساكره التي عنده وارسل
الى الباقين يطلبهم اليه وسره ذلك للمصلحة العامة لجيهم واحضر العرب من
طبي وغيرهم ونزل بظاهر حلب ولما اخذ كينكاوس تل باشر كان الأفضل يشير
بمما جلة حلب قبل اجتماع العساكر بها وقبل ان يجتاطوا ويتجهنوا فعاد عن
ذلك وصار يقول الرأي اننا نقصد منبج وغيرها لثلا يبقى لهم وراء ظهورنا
شيء قصداً للهادي ومرور الزمان في لاشي فتوجهوا من تل باشر الى جهة منبج
وتقدم الأشرف نحوهم وسارت العرب في مقدمته وكان طائفة من عسكر كينكاوس
نحو الف فارس قد سبقت مقدمة له فالتقواهم والعرب ومن معهم من العسكر
الأشرفي فانتلوا فانهزم عسكر كينكاوس وعادوا اليه منهزمين وأكثر العرب
الأسر منهم والنهب لجودة خيلهم ودبر خيل الروم فلما وصل اليه اصحابه
منهزمين لم يثبت بل ولى على اعتابه يطوى المراحل الى بلاده خائفاً يترقب
فلما وصل الى اطرافها اقام وانما فعل هذا لأنه صبي وغيره لا معرفة له بالحرب
والا فالعساكر ما برحت تقع مقدماتها بعضها على بعض فسار حينئذ الأشرف
فلك رعبان وحصر تل باشر وبها جمع من عسكر كينكاوس جعلهم في دار واحرقها
عليهم فهلكوا فعظم ذلك على الناس كافة واستعجبوه واستضعفوه لا جرم لم
يمهله الله تعالى وعجل عقوبته للؤم قدرته وشدة عقوبته ولعدم الرحمة في قلبه
ومات عقيب هذه الحادثة وسلم الأشرف تل باشر وغيرها من بلد حلب الى

شهاب الدين اتابك صاحب حلب وكان غازماً على اتباع كيكائوس ويدخل
بلاده فاتاه الخبر بوفاة ابيه الملك العادل فاقتضت المصلحة العود الى حلب لأن
الفرنج بديار مصر ومثل ذلك السلطان العظيم اذا توفي ربما جرى خلل في البلاد
لا تعرف العاقبة فيه فعاد اليها وكفى كل منها اذى صاحبها
زيادة بيان لهذه الحوادث

قال ابو الفدا لما مات الملك الظاهر صاحب حلب واجلس ابنه العزيز في المملكة
وكان طفلاً طمع صاحب بلاد الروم كيكائوس في الاستيلاء على حلب فاستدعى
الملك الأفضل صاحب سميساط واتفق معه كيكائوس ان يفتح حلب وبلادها
ويسلمها الى الملك الأفضل ثم يفتح البلاد الشرقية التي بيد الملك الأشرف
ابن الملك العادل ويتسلمها كيكائوس وتحالفا على ذلك وسار كيكائوس الى جهة
حلب ومعه الملك الأفضل ووصلا الى رعبان واستولى عليها كيكائوس وسلمها
الى الملك الأفضل فالت اليه قلوب اهل البلاد لذلك ثم سار الى تل باشر وبها
ابن دلدرم ففتحها ولم يسلمها الى الملك الأفضل واخذها كيكائوس لنفسه فنفر
خاطر الملك الأفضل وخواطر اهل البلاد بسبب ذلك ووصل الملك الأشرف
ابن العادل الى حلب لدفع كيكائوس عن البلاد ووصل اليه بها الامير مانع ابن
حديثه امير العرب في جمع عظيم وكان قد سار كيكائوس الى منبج وتسلمها
لنفسه ايضاً وسار الملك الأشرف بالجموع التي معه ونزل وادي بزاعا ووقع بعض
عسكره مع مقدمة عسكر كيكائوس فانهزمت مقدمة عسكر كيكائوس واخذ من
عسكر كيكائوس عدة اسرى فأرسلوا الى حلب ودقت البشار لها ولما بلغ ذلك
كيكائوس وهو بمنبج ولى منهزماً مرعوباً وتبعه الملك الأشرف يتخطف اطراف
عسكره ثم حاصر الأشرف تل باشر واسترجعها وكذلك استرجع رعبان وغيرها

وتوجه الملك الأفضل الى سميساط ولم يتحرك بعدها في طلب ملك الى ان مات
سنة اثنين وعشرين وستمائة على ما سنذكره ان شاء الله تعالى وعاد الملك
الأشرف الى حلب وقد بلغه وفاة ابيه اه

سنة ٦١٩

قال ابو الفداء وفي هذه السنة فوض الاتابك طغريل الخادم مدبر مملكة حلب
الى الملك الصالح احمد ابن الملك الظاهر امر الشمر وبكاس فسار الملك الصالح
من حلب واستولى عليها واطاف اليه بسروج ومعرفة مصرين

عجائب المخلوقات

قال ياقوت في معجم البلدان في الكلام على كلز جرى في هذه الناحية في ايامنا هذه
شيء عجيب كنت قد ذكرت مثله في أخبار سد يأجوج وما جوج وكنت مرتابا فيه
ومقلداً لمن حكاه فيه حتى اذا كان في اواخر ربيع الآخرة سنة ٦١٩ شاع بحلب
وانا كنت بها يومئذ ثم ورد بصحته كتاب والى هذه الناحية انهم رأوا هناك
تينا عظيماً في طول المنارة وغلظها اسود اللون وهو ينساب على الأرض والنار
تخرج من فيه ودبره فما مر على شيء الا واحرقه حتى انه اتلف عدة مزارع واحرق
اشجاراً كثيرة من الزيتون وغيره وصادف في طريقه عدة بيوت وخركاها
لتركان فأحرقها بما فيها من الماشية والرجال والنساء والأطفال ومر كذلك نحو
عشرة فراسخ والناس يشاهدونه من بعد حتى اغاث الله اهل تلك النواحي
بسحابة اقبلت من قبل البحر وتددت حتى اشتملت عليه ورفعته وجعلت تعلو
قبل السماء والناس يشاهدون النار تخرج من قبله ودبره وهو يحرك ذنبه ويرتفع
حتى غاب عن اعين الناس قالوا واتقد شاهدناه والسحابة ترفه وقد لف بذنبه كاباً
بجمل الكلب ينبع وهو يرتفع وكان قد احرق في ممره نحو اربعمائة شجرة لوزوزيتون

وفاة الملك الأفضل علي بن صلاح الدين بسيمساط

ونقله الى مدينة حلب

قال ابن الأثير في هذه السنة في صفر توفي الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب فجأة بقلمه سيمساط وكان عمره نحو سبع وخمسين سنة وقد ذكرنا سنة تسع وثمانين وخمسة عند وفاة والده رحمه الله ملكه مدينة حلب ودمشق والبيت المقدس وغيرها من الشام وذكرنا سنة اثنتين وتسعين اخذ الجميع منه ثم ذكرنا سنة خمس وتسعين ملكه ديار مصر وذكرنا سنة ست وتسعين اخذها منه وانتقل الى سيمساط واقام بها ولم يزل بها الى الآن فتوفي بها وكان رحمه الله من نحاسن الزمان لم يكن في الملوك مثله كان خيراً عادلاً فاضلاً حليماً قل ان عاقب على ذنب ولم يمنع طالبا وكان يكتب خطا حسنا وكتابة جيدة وبالجملة فاجتمع فيه من الفضائل والمنافب ما تفرق في كثير من الملوك لا جرم حرم الملك والدنيا وعاداه الدهر ومات بموته كل خلق جميل وفعل حميد فرحمه الله ورضي الله عنه ورأيت من كتابته اشياء حسنة فما بقي على خاطري منها انه كتب الى اصحابه لما اخذت دمشق منه كتابا من فصوله واما اصحابا بدمشق فلا علم لي بأحد منهم وسبب ذلك اني

اي صديق سألت عنه فني * الذل وتحت الخمول في الوطن

واي ضد سألت حاله * سمعت مالا تحبه اذني

فتركت السوأل عنهم وهذا غاية الجودة في الاعتذار عن ترك السوأل عنهم ولما مات اختلف اولاده وعمهم قطب الدين موسى ولم يقو احد منهم على الباقيين

ليستبد بالأمر اهـ

وقال ابن خلكان في ترجمته كان الأفضل أكبر اولاد ابيه واليه كانت ولاية عهده وفيه فضيلة ومعرفة وكتابة ونباهة وكان يحب العلماء ويمظم حرماتهم سمع بالاسكندرية من الأمام ابي الطاهر اسماعيل بن مكي بن عوف الزهري وبمصر من العلامة ابي محمد عبد الله بن بزري النحوى واجاز له ابو الحسن احمد بن حمزة ابن علي السلمى وابو عبد الله محمد بن علي بن صدقة الحراني وغيرهما من الشاميين واجاز له ابو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود وابو عبد الله محمد بن احمد بن حامد وغيرهما من المصريين وله شعر فن المنسوب اليه انه كتب الى الأمام الناصر يشكو من عمه العادل ابي بكر واخيه العزيز عثمان لما اخذا منه دمشق

مولاي ان ابا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق علي

وهو الذي كان قد ولاء والده * عليها فاستقام الأمر حين ولي

فخالفاه وحلا عقد بيئته * والأمر بينهما والنص فيه جلي

فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي * من الأواخر ما لاقى من الاول

بجاءه جواب الأمام الناصر وفي اوله وكان الناصر يتشيع

وافي كتابك يا ابن يوسف معلنا * بالود يخبر ان اصلك طاهر

غصبا عليا حقه اذ لم يكن * بعد النبي له بيثرب ناصر

فابشر فان غدا عليه حسابهم * واصبر فناصرك الأمام الناصر

قال ابو الفدا ومن شعره يعرض الى سوء حظ قوله

يامن يسود شعره بخضابه * لعساء من اهل الشيبية يحصل

ها فاختضب بسواد حظى مرة * ولك الأمان بأنه لا ينصل

ثم قال ابن خلكان وكانت ولادته سنة ست وقيل خمس وستين وخمسةائة بالقاهرة

ووالده يومئذ وزير المصريين وتوفي في صفر سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة بخاء
بسميساط رحمه الله تعالى وتقل الى حلب ودفن بتربة بظاهر حلب بالقرب من
مشهد الهروى

اقول هذه التربة غربي الكرم الذي فيه ضريح الهروي بينهما الطريق وهناك
قبليّة لاصحن لها وهى مشرفة على الخراب وامام القبليّة قبر لا ادري ان كان
هو قبر الملك الافضل على او قبر امه اذ لا كتابة عليه . ومكتوب على جدار
القبليّة من الخارج في الجهة الجنوبية والجهة الغربية بعد البسطة
هذه تربة العبدّة الفقيرة الى رحمة ربها (جهة) مولانا الغازي المجاهد المرابط
المناع العادل الزاهد الملك الناصر صلاح الدنيا والدين منقذ القدس من ايدي
المشركين مظهر قبور الأنبياء والمرسلين . من دحض الكافرين مسانع الطراز
الاخضر من بنى الاصفى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب والدة
ولده المولى الملك الافضل علي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وكان الفراغ
في شعبان سنة احدى وعشرين وسبعمائة اهـ

وسميساط بضم السين المهملة وفتح الميم وهى قلعة في بر الشام على الفرات في
ناحية بلاد الروم بين قلعة الروم وملاطية اهـ

(ذكر وفاة الأمير سيف الدين علي بن الأمير علم الدين سليمان بن جندر)
قال ابن كثير في تاريخه في حوادث هذه السنة وتوفي فيها الأمير سيف الدين
علي ابن الأمير علم الدين سليمان بن جندر وكان من اكابر الأمراء بحلب وله
الصدقات الكثيرة ووقف بها مدرستين احدهما على الشافعية والاخرى على
الحنفية وبني الخانات والقناطر وغير ذلك من سبل الخيرات وغزا غزوات اهـ

آثاره مجلب تقيلاً عن الدر المتخبط

قال فيه (المدرسة السيفية) انشأها الأمير سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جنندر انتهت سنة سبع عشرة وستمئة مشتركة بين الشافعية والحنفية وهي خراب دائر وفيه في باب ذكر ما مجلب من مدارس المالكية والحنابلة [مدرسة] انشأها الأمير سيف الدين علي تحت القلعة لتدريس مذهبي مالك واحمد بن حنبل وهذه المدرسة كانت قد نسيت واغلق بابها ففتحتة وما ادري ما فعل الله بها بعد خروجي من حلب وقال في باب الخانقاهات والربط [رباط] انشاء الأمير سيف الدين علي بالرحبة الكبيرة وكانت في دار تعرف بيدر الدين محمود بن شكري الذي خنقه الملك الظاهر غازي اه

ومن آثاره جامع خارج عملة الكلاسة قال بيشوف مكتوب عليه . بسم الله انشأ هذا المسجد المبارك في ايام مولانا السلطان الملك الظاهر غازي خلد الله ملكه العبد الفقير الى رحمة ربه علي بن سليمان بن جنندر غفر الله له ولوالديه سنة ٦٠٦

سنة ٦٢٤

قال ابن الأثير فيها ظفر جمع من التركمان كانوا بأطراف اعمال حلب بفارس مشهور من الفرنج الداوية بانطاكية قتلوه فعلم الداوية بذلك فساروا وكبسوا التركمان فقتلوا منهم واسروا وغنموا من اموالهم فبلغ الى انابك المتولي لأمر حلب فراسل الفرنج وتهدهم بقصد بلادهم واتفق ان عسكر حلب قتلوا فارسين كبيرين من الداوية ايضا فاذعنوا بالصالح وردوا الى التركمان كثيرا من اموالهم وحريرهم واسراهم اه

قال ابن كثير في حوادث هذه السنة وممن توفي فيها من الأعيان جنكزخان

ملك التتار وجد ملوكهم وساق له ترجمة طويلة حافلة تدل على حسن سيرته وعدله في رعيته ومما جاء فيها انه اهدى له رجل جام زجاج من معمول حلب فأستحسنه جنكرخان فوهن امره عنده بعض خواصه وقال خوند هذا زجاج لا قيمة له فقال اليس قد حمله من بلاد بعيدة حتى وصل اليها سالماً اعطوه ما نبي بالس اه

سنة ٦٢٦

(وصف ياقوت لحلب في هذه السنة في كلاًه على حلب في كتابه معجم البلدان) قال شاهدت من حلب واعمالها ما استدلت على ان الله تعالى خصها بالبركة وفضائها على جميع البلاد فمن ذلك انه يزرع في اراضيها القطن والسهم والبطيخ والخيار والدخن والكرم والذرة والشمس والتين والتفاح عذيا لا يسقى الا بماء المطر ويحيى مع ذلك رخصا غضا طريا ويفوق ما يسقى بالمياه والسيح في جميع البلاد وهذا لم اره فيما طوفت من البلاد في غير ارضها . ومن ذلك ان مسافة ما بيد مالكمها في ايامنا هذه وهو الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر يوسف بن ايوب ومدبر مملكته والفائم بجميع اموره شهاب الدين طغرل وهو خادم رومي زاهد متعبد حسن العدل والرافة برعيته لا نظير له في ايامه في جميع اقطار الأرض حاشا الامام المستنصر بالله ابى جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر لدين الله [الخليفة في بغداد] من المشرق الى المغرب مسيرة خمسة ايام ومن الجنوب الى الشمال مثل ذلك وفيها ثمانمائة ونيّف وعشرون قرية مشتركة بين الرعية والسلطان اوقفنى الوزير صاحب القاضى الأكرم جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي وهو يومئذ وزير صاحبها ومدبر دواوينها على الجريدة بذلك واسماء القرى واسماء ملاكها وهي

بعد ذلك تقوم برزق خمسة آلاف فارس مزاحي العلة موسع عليهم . قال لى
الوزير الأكرم لو لم يقع اسراف في خواص الأمراء وجماعة من اعيان
المفاريذ لقامت بأرزاق سبعة آلاف فارس لأن فيها من الطواشية المفاريذ ما
يزيد على الف فارس يحصل للواحد منهم فى العام من عشرة آلاف درهم الى خمسة
عشر الف درهم ويمكن ان يستخدم من فضلات خواص الأمراء الف فارس . وفي
اعمالها احدى وعشرون قلعة يقام بذخاؤها وارزاق مستحفظها خارجا عن جميع
ما ذكرناه وهو جملة اخرى كثيرة ثم يرتفع بعد ذلك كله من فضلات الأقطاعات
الخاصة بالسلطان من سائر الجبايات الى قلعتها عينا وحبوبا ما يقارب فى كل
يوم عشرة آلاف درهم وقد ارتفع اليها فى العام الماضى وهو سنة ٦٢٥ من جهة
واحدة وهي دار الزكاة التى يجي فيها العشور من الأفرنج والزكاة من المسلمين
وحق البيع سبعمائة الف درهم مع العدل الكامل والرفق الشامل بحيث لا يرى
فيها متظلم ولا متهمضم ولا مهتهمم وهذا من بركة العدل وحسن النية
واما قلعتها فيها يقرب المثل فى الحسن والحصانة لان مدينة حلب فى وطاء من
الارض وفى وسط ذلك الوطاء جبل عال مدور صحيح التدوير مهندم بتراب
صح به تدويره والقلعة مبنية فى رأسه ولها خندق عظيم وصل بحفره الى الماء
وفى وسط هذه القلعة مصانع تصل الى الماء المين وفيها جامع وميدان وبساتين
ودور كثيرة وكان الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب قد
اعتنى بها بهمة العالية فعمرها عادية وحفر خندقها وبني رصيفها بالحجارة
المهندمة فجاءت عجبا للناظرين اليها لكن حالت المنية بينه وبين تمتتها . ولها فى
ايامنا هذه ثمانية ابواب باب الأربين وباب اليهود وكان الملك الظاهر قد
جدد عمارته وسماه باب النصر وباب الجنان وباب انطاكية وباب قنسرين وباب

العراق وباب النيرب وما زال فيها على قديم الزمان وحديثه ادباء وشعراء
ولأهلها عناية باصلاح انفسهم وتسمير الأموال فقل ما ترى من نشتها من لم
يتقبل اخلاق آباءه في مثل ذلك فلذلك فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة
ويتوارثونها ويحافظون على حفظ قديمهم بخلاف سائر البلدان. وقد أكثر الشعراء
من ذكرها ووصفها والحين اليها وانا اقتنع من ذلك بقصيدة لأبي بكر محمد
بن الحسن بن مراد الصنوبري وقد اجاد فيها ووصف منزهاتها وقرأها القرية فقال

احبسا العيس احبساها * واستلا الدار استلاها

واستلا اين ظباء ال * دار ام اين مهاها

اين قطان محام * ريب دهر وشهاها

وهي طويلة جداً وقد تقدم منها وصفه لجامع حلب الأعظم

سنة ٦٢٧

قال ابو الفداء فيها ولد الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب اه

سنة ٦٢٨

قال ابن الاثير في هذه السنة قلت الأمطار بديار الجزيرة والشام لاسيما حلب
واعمالها فأنها كانت قليلة بالمرّة ونقلت الاسعار بالبلاد وكان اشدها غلاء حلب
الا انه لم يكن بالشديد مثل ما تقدم في السنين الماضية فاخرج اتابك شهاب
الدين وهو والى الأمر بحلب والمرجع الى امره ونهيه وهو المدبر لدولة سلطاتها
الملك العزيز ابن الملك الظاهر والمربي له من المال والغلات كثيرا وتصدق
صدقات دارة وساس سياسة حسنة بحيث لم يظهر للغلاء أثر بخزاه الله خيرا
وفيها قصد الفرنج الذين بالشام مدينة جبلة وهي بين جملة المدن المضافة الى
حلب ودخلوا اليها واخذوا منها غنيمة واسرى فسير اتابك شهاب الدين

اليهم العساكر مع اميركان اقطعها فقاتل الفرنج وقتل منهم كثيرا واسترد الاسرى
والغنيمة . اهـ (١)

سنة ٦٢٩

ذكر استقلال الملك العزيز بالملك

قال ابن خلكان في ترجمة القاضي ابن شداد في اول سنة تسع وعشرين توجه
القاضي ابن شداد الى الديار المصرية لأحضار ابنة الملك الكامل ابن الملك العادل
للملك العزيز صاحب حلب وكان قد عقد نكاحه عليها وجاء بها في رمضان من
السنة ولما وصل كان قد استقل الملك العزيز بنفسه ورفعوا عنه الحجر ونزل
الاتابك طغرل من القلعة الى داره تحت القلعة واستولى على الملك العزيز جماعة من
الشبان الذين كانوا يعاشره ويجالسونه فاشتغل بهم ولم ير القاضي ابو المحاسن
وجها يرتضيه فلازم داره الى حين وفاته اهـ

سنة ٦٣٠

ذكر استيلاء الملك العزيز محمد بن الظاهر صاحب

﴿ حلب على شيزر ﴾

قال ابو الفداء وكانت شيزر بيد شهاب الدين يوسف بن مسعود بن سابق الدين
عثمان بن الداية وكان سابق الدين عثمان بن الداية المذكور واخوته من اكابر
اصراء نور الدين محمود بن زنكي ثم اعتقل الملك الصالح اسماعيل بن نور الشهيد
سابق الدين عثمان بن الداية وشمس الدين اخاه فانكر السلطان صلاح الدين
عليه ذلك وجعله حجة لقصد الشام وانزاعه من الملك الصالح اسماعيل فاتصل

اولاد الداية بخدمه السلطان صلاح الدين وصاروا من اكبر امرائه وكانت شيزر
اقطاع سابق الدين المذكور فأمره السلطان صلاح الدين عليها وزاده ابا قيس لما
قتل صاحبها حمار دكن ثم ملك شيزر بعده ولده مسعود بن عثمان حتى مات
وصارت لولده شهاب الدين يوسف المذكور الى هذه السنة فسار الملك العزيز
صاحب حلب بأمر الملك الكامل وحاصر شيزر وقدم اليه وهو على حصارها
الملك المظفر محمود صاحب حماه مساعدا له فسلم شهاب الدين يوسف شيزر الى
الملك العزيز ونزل الى خدمته فتسلمها في هذه السنة وهنى الملك العزيز يحيى بن
خالد بن القيسراني بقوله

يامالكاعم اهل الارض نائله وخص احسانه الداني مع القاصي

لما رأت شيزر آيات نصرك في ارجائها القت العاصي الى العاصي

ثم ولي الملك العزيز على شيزر واحسن الى الملك المظفر محمود صاحب حماة ورحل
كل منها الى بلده

وفاة الملك المعظم مظفر الدين كوكبورى صاحب اربل

قال ابو الفداء في حوادث هذه السنة وفيها توفي مظفر الدين كوكبورى بن زين
الدين على بكك

آثاره وآثار ابيه بجلب

قال في الدر المتخبط خاتماه الملك المعظم مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين
على كوجك صاحب اربل بالسهيبة وهي الآن معروفة بسويقة حاتم بالقرب
من الجامع الكبير اه

اقول موقع هذه الخاتماه في اوائل الزقاق المعروف الآن بزقاق القرن وهي عن يمينك

إذا قدمت من جهة الجامع الكبير داخل بوابة طويلة ينزل إليها بعدة درجات ولذا قل من يعرفها . ولها قبيلة صغيرة امامها قبو وامام القبو صحن طوله مع القبو تسعة امتار وعرضه ثمانية . وفي الجهة الشرقية ثلاث حجرفي داخل الوسطى منهن حجرة صغيرة فيها قبر لم اعلم صاحبه وفي الجهة الشمالية حجرة مستطيلة وفي الغربية حجرتان والجميع مقبو ومنذ سنين غير معلومه تغلب الجيران فبنوا فوق هذه الحجر بيوتا ومطابخ حتى فوق القبالية وقد كان المكان المنخفض من البوابة ممثلاً ترابا الى باب الخانقاه بحيث سد الباب فسمى منذ ١٥ سنة الشيخ عمر ابن الشيخ عبد الرؤف الكيالى وازال تلك الأتربة وفتح باب الخانقاه ورمم بعضها وصار يسكنها بعض الفقراء لكنها لاتصاح لشئ لانك لاتجد في هذه الحجر ولا في القبالية الابيض المافذ والشمس لانعرفنا مطلقاً . وقد تمكنت بعد عشاء من قراءة الكتابة التي على بابها وهي

(البسملة) جدد في دولة مولانا الملك الظاهر

غياث الدنيا والدين ابو المظفر الغازى ابن
الملك الناصر يوسف بن ايوب خلد الله ملكه
وقدس روح الواقف الامير الكبير المجاهد
زين الدين على بن بكتكين وابقا واده الملك المعظم
مظفر الدين ادم الله ايامه في سنة (الاربعمائة)

وذلك بتولى الجابى الفقير الى ربه محمد بن سلجان النيزينى رحمه الله

من هذه الكتابة ومما قاله في الدر المنتخب ظهر لى ان الباني الاول هو زين الدين على بن بكتكين المتوفى سنة ٥٦٣ والمجدد هو ولده الملك المعظم مظفر الدين كوكبورى المتوفى في هذه السنة وهي سنة ٦٣٠ وليس لهذه الخانقاه شئ

من الاوقاف سوى بعض اراض عشرية .

ترجمة الباني الاول

قال ابن الاثير في حوادث سنة ثلاث وستين وخمسة . في هذه السنة فارق زين الدين علي بن بكتكين النائب عن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى اربل وكان هو الحاكم في الدولة واكثر البلاد بيده منها اربل وفيه بيته واولاده وخزائنه ومنها شهرزور وجميع القلاع التي معها وجميع بلاد الهكارية وقلاعه منه العمادية وغيرها وبلد الحميدية وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل هو بها وكان قد اصابه طرش وعمي ايضاً فلما عزم على مفارقة الموصل الى بيته بأربل سلم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وبقي معه اربل ولم يزل بها الى ان مات بهذه السنة

وقال ابن خلكان هو زين الدين علي المعروف بكجك صاحب اربل رزق اولاداً كثيرة وكان قصيراً ولهذا قيل له كجك واصله من التركمان وملك اربل وبلاداً كثيرة في تلك النواحي وفرقها على اولاد ابابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل ولم يبق له سوى اربل ويقال انه جاوز مائة سنة وعمي في آخر عمره وانقطع بأربل الى ان توفي في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وخمسة ودفن في تربته المعروفة به المجاورة للجامع العتيق داخل البلد . وكان موصوفاً بالقوة

المفرطة والشهامة وله بالموصل اوقاف كثيرة مشهورة من مدارس وغيرها قال في الروضتين وكان خيراً عادلاً حسن السيرة جواداً محافظاً على حسن العهد واداء الامانة قليل العذر بل عديمه وكان اذا وعد بشيء لا يبدل له من ان يفعله وان كان خطيراً وكان حاله من اعجب الاحوال بينما يبدو منه ما يدل على سلامة صدره وغفلته حتى يبدو منه ما يدل على افراط الذكاء وغلبة الدهاء بلغني

انه اتاه بعض اصحابه بذنب فرس ذكر انه نفق له فأمر له بفرس فأخذ ذلك
الذنب ايضاً غيره من الاجناد فأخضره وذكر انه نفق له دابة فأمر له بفرس
وتداول ذلك الذنب اثنا عشر رجلاً كلهم يأخذ فرساً فلما اخضره آخرهم قال
لهم اما تسحيون مني كما استحي انا منكم قد اخضر هذا عدى اثنا عشر رجلاً
وانا انما فل اثلا يخجل احدكم انظرون اني لا أعرفه بلى والله وانما اردت ان
يصلكم عطائي بغير من ولا تكدير فلم تتراكوني

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتعالي

قال وكان يعطي كثيراً ويخلع عظيمًا وكان له البلاد الكثيرة فلم يخلف شيئاً بل
انفذه جميعه في العطايا والانعام على الناس وكان يلبس الغليظ ويشد على وسطه
كل ما يحتاج اليه من سكين ودوفش ومطرقة ومسلة وخيوط ودسترك وغير
ذلك . وكان اشجع الناس ميمون التقيية لم يهزم له راية وكان يقوم المقام
الخطير فيسلم منه بحسن نيته . وكان تركيا اسم اللون خفيف العارضين قصيرا
جداً . وبني مدارس وربطاً بالموصل وغيرها وبلغني انه مدحه الحيص بيص
فاما اراد الأنشاد قال له انا لا ادري ما تقول لكن اعلم انك تريد شيئاً فأمر له
بخمسة دینار واعطاه فرساً وخلماً وثياباً يكون مجموع ذلك الف دينار

(ترجمة ولده الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل المجدد لبناء هذه الخانقاه)
قال ابن خلکان ابو سعيد كوكبوري بن ابى الحسن علي بن بكتكين الملقب الملك المعظم
مظفر الدين صاحب اربل ولما توفي والده ولي موضع ابيه وعمره اربع عشرة
سنة وكان اتابكه مجاهد الدين قايماز فأقام مدة ثم تعصب مجاهد الدين
عليه وكتب محضراً انه ليس اهلاً لذلك وشاور الديوان العزيز (اى الخليفة
في بغداد) في امره واعتقله واقام اخاه زين الدين ابا المظفر يوسف مكانه وكان

اصغر منه ثم اخرج مظفر الدين من البلاد فتوجه الى بغداد فلم يحصل له بها مقصود فانتقل الى الموصل ومالكها يومئذ سيف الدين غازي بن مودود فاتصل بخدمته واقطعه مدينة حران فانقل اليها وافام بها مدة ثم انصل بخدمة السلطان صلاح الدين وحظي عنده وتمكن منه وزاده في الأقطاع الرها في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة واخذ صلاح الدين الرها من ابن الزعفراني واعطاها مظفر الدين مع حران واخذ الرقة من ابن حسان واعطاها ابن الزعفراني ثم اعطاه سميساط وزوجه اخته الست ربيعة خانون بنت ايوب وشهد مع صلاح الدين موافق كثيرة وابان فيها عن نجدة وقوة نفس وعزرة وثبت في مواضع لم يثبت فيها غيره على ما تضمنه تواريخ العماد الأصفهاني وبهاء الدين بن شداد وغيرها وشهرة ذلك تغني عن الأطالة فيه ولو لم يكن الا وقعة حطين لكفته فإنه وقف هو وتقي الدين صاحب حماة وانكسر المسكر بأسره ثم لما سمعوا بوقوفهما تراجعوا حتى كانت النصرمة للمسلمين وفتح الله سبحانه عليهم . ثم لما كان السلطان صلاح الدين منازلًا عكا بعد استيلاء الفرنج عليها وردت عليه ملوك الشرق تنجده وتخدمه وكان في جملتهم زين الدين يوسف اخو مظفر الدين وهو يومئذ صاحب اربل فأقام قليلاً ثم مرض وتوفي سنة ست وثمانين وخمسمائة بالناصرية فلما توفي اتمس مظفر الدين من السلطان ان ينزل عن حران والرها وسميساط ويعوضه اربل فأجاب به الى ذلك وضم اليه شهرزور فتوجه اليها في هذه السنة هذه خلاصة امره

سيرته وآثاره (اقرأ وتأمل)

قال واما سيرته فلقد كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع ان احداً فعل في ذلك ما فعله . لم يكن في الدنيا شيئاً احب اليه من الصدقة كان له كل يوم قناطر

مقنطرة من الخبز يفرقها على المحاويج في عدة مواضع من البلد يجتمع في كل يوم خلق كثير ويفرق عليهم في اول النهار . وكان اذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع عند الدار جمع كثير فيدخلهم اليه ويدفع لكل واحد كسوة على قدر الفصل من الشتاء والصيف او غير ذلك ومع الكسوة شيئ من الذهب من الدينار والأثنين والثلاثة وامل واكثر . وكان قد بنى اربع خانقاهات للزمنى والعميان وملاها من هذين الصنفين وقرر لهم ما يحتاجون اليه كل يوم وكان يأتيهم بنفسه في كل عصرية اثنين وخميس ويدخل عليهم ويدخل الى كل واحد في بيته ويتفقده بشي من النفقة ويسأله عن حاله وينتقل الى الآخروهكذا حتى يدور على جميعهم وهو ببساطهم ويمرح معهم ويجبر قلوبهم وبنى داراً للنساء الأراامل وداراً للصغار الأيتام وداراً للملاقيط ورتب بها جماعة من المراضع وكل مولود يلتقط يحمل اليهن فيرضعنه . وأجرى على اهل كل دار ما يحتاجون اليه في كل يوم وكان يدخل اليها في كل وقت ويتفقده احوالهن ويعطيهم النفقات زيادة على المقرر لهن وكان يدخل الى البيمارستان ويقف على مريض مريض ويسأله عن مبيته وكيفية حاله وما يشتهييه وكان له دار مضيف يدخل اليها كل قادم على البلد من فقيه او فقير او غيرهما وعلى الجملة فما كان يمنع منها كل من قصد الدخول اليها ولهم الراتب في الدار في الغذاء والعشاء واذا عزم الأناسان على السفر اعطوه نفقة على ما يلقى بمثله .

وبنى مدرسة رتب فيها فقهاء الفريقين من الشافعية والحنفية وكان كل وقت يأتيها بنفسه ويعمل الساط ويبيت بها ويعمل السماع واذا طاب خلع شيئاً من ثيابه وسير للجماعة بكرة شيئاً من الأنعام ولم يكن له لذة سوى السماع فإنه كان لا يتماطى المنكر ولا يمكن من ادخاله الى البلد . وبنى للصوفية خانقاهين

فيهما خلق كثير من القيمين والواردين ويحتمع في ايام المواسم فيها من الخلق ما يعجب الأنسان من كثرتهم ولهما اوقاف كثيرة بجميع ما يحتاج اليه ذلك الخلق ولا بد عند سفر كل واحد من نفقة يأخذها . وكان ينزل بنفسه اليهم ويعمل عندهم الساعات في كثير من الأوقات . وكان يسير في كل سنة دفتين جماعة من امنائه الى بلاد الساحل ومعهم جملة مستكثرة من المال يفتك بها اسرى المسلمين من ايدي الفرنج فأذا وصلوا اليه اعطى كل واحد شيئاً . وان لم يصلوا فالأمناء يعطونهم بوصية منه في ذلك . وكان يقيم في كل سنة سبيلاً للحاج ويسير معه جميع ما ندعو حاجة المسافر اليه في الطريق ويسير صحبته امينامه خمسة او ستة آلاف دينار ينفقها بالحرمين على المحاويج وارباب الرواتب وله بمكة حرسها الله تعالى آثار جميلة وبعضها باق الى الآن وهو اول من اجرى الماء الى جبل عرفات ليلة الوقوف وغرم عليه جملة كثيرة وعمر بالجبل مصانع للماء فأن الحاج كانوا ينضردون من عدم الماء وبني له تربة ايضاً هناك

احتفاله بولد النبي الكريم

قال واما احتفاله بولد النبي صلى الله عليه وسلم فأن الوصف يقصر عن الأحاطة به لكن نذكر طرفاً منه . وهو ان اهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه فكان في كل سنة يصل اليه من البلاد القريبة من اربل مثل بغداد والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحي خاق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ولا يزالون يتواصلون من المحرم الى اوائل شهر ربيع الأول وينقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة اربع او خمس طبقات ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر منها قبة له والباقي للأمرء واعيان دوله لكل واحد قبة فأذا كان اول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة

الفاخرة المتجملة وقعد في كل قبة جوق من الأغاني وجوق من ارباب الخيال
ومن اصحاب الملاهي ولم يتركوا طبقة من تلك الطبقات حتى رتبوا فيها جوقاً
وتبطل معاش الناس في تلك المدة وما يبقى لهم شغل الا التفرج والدوران
عليهم وكانت القباب منصوبة من باب القلعة الى باب الخانقاه المجاورة للميدان
فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة قبة الى آخرها
ويسمع غناءهم ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه في القباب ويبيت في الخانقاه
ويعمل السماع فيها ويركب عقيب صلاة الصبح يتصيد ثم يرجع الى القلعة قبل
الظهر هكذا يعمل كل يوم الى ليلة المولد وكان يعمل سنة في ثامن الشهر وسنة
في ثاني عشره لأجل الاختلاف الذي فيه . فأذا كان قبل المولد بيومين أخرج
من الأبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف وزفها بجميع عنده من
الطبول والأغاني والملاهي حتى يأتي بها الى الميدان ثم يشرعون في نحرها وينصبون
القدور ويطبخون الألوان المختلفة فأذا كان ليلة المولد عمل الساعات بعد ان
يصلى المغرب في القلعة ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شئاً كثيراً وفي
جملتها شمعتان من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها
رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهي الى الخانقاه فإذا كان
صبيحة المولد انزل الخلع من القلعة الى الخانقاه على ايدي الصوفية على يد كل
شخص منهم بقجة وهم متتابعون كل واحد وراء الآخر فينزل من ذلك شئاً
كثير لا تحقق عدده ثم ينزل الى الخانقاه وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة
من بياض الناس وينصب كرسي للوعاظ وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له
شبابيك الى الموضع الذي فيه الناس والكرسي وشبابيك اخر للبرج ايضاً الى
الميدان وهو ميدان كبير في غاية الأنساع ويجتمع فيه الجند ويعرضهم ذلك

النهار وهو تارة ينظر الى عرض الجند وتارة الى الناس والوعاظ ولا يزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم فعند ذلك يقدم السباط في الميدان للصعاليك ويكون سباطاً عاماً فيه من الطعام والخبز شيئاً كثيراً لا يحد ولا يوصف ويمد سباطاً في الخائفة للناس المجتمعين عند الكرسي وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ يطلب واحداً واحداً من الأعيان والرؤساء والوافدين لأجل هذا الموسم ممن قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ويخلع على كل واحد منهم ثم يعود الى مكانه . فإذا تكامل ذلك حضروا السباط وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل الى داره ولا يزالون على ذلك الى العصر او بعدها ثم يبيت تلك الليلة هناك ويعمل الساعات الى بكرة هكذا دأبه في كل سنة . وقد لخصت صورة الحال فإن الأسنقصاء يطول فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل انسان للود الى بلده فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة وقد ذكرت في ترجمة الحافظ ابي الخطاب بن دحية في حرف العين وصواه الى اربل وعمله لكتاب التنوير في مولد السراج المنير لما رأى من اهتمام مظفر الدين به وانه اعطاه الف دينار غير ما غرم عليه مدة اقامته من الأقامات الوافرة (ثم قال) وكان كريم الأخلاق كثير التواضع حسن العقيدة سالم البطانة شديد الميل الى اهل السنة والجماعة لا ينفق عنده من ارباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين ومن عداهما لا يعطيه شيئاً الا تكلفاً . وكذلك الشعراء لا يقول بهم ولا يعطيهم الا اذا قصدوه فما كان يضيع قصدهم ولا يخيب امل من يطلب بره وكان يميل الى علم التاريخ وعلى خاطره منه شيء يذاكر به ولم يزل رحمه الله تعالى مؤيداً في مواقفه ومصافاته مع كثيرها لم ينقل انه انكسر في مصاف قط ولو اسنقصيت في تعداد خاسنه لطال الكتاب وفي شهرة معروفه غنية عن الأطالة (ثم قال) وكانت ولادته بقلعة الموصل سنة

تسع واربعين وخمسة و توفى في رمضان سنة ثلاثين وستمائة بداره في البلد ثم نقل الى قلعة اربل ودفن بها ثم نقل الى الكوفة ودفن بالقرب من المشهد رحمه الله .

سنة ٦٣١

ذكر وفاة الاتابك شهاب الدين طغريل الخادم

قال الصلاح الصفدى في تاريخه المرتب على السنين في حوادث هذه السنة فيها توفى اتابك طغريل مملوك الملك الظاهر غازى صاحب حلب كان صالحاً عفيفاً زاهداً كثير الصدقات والأحسان وكان واسطة خير يجب الصالحين ولما توفى الظاهر قام بأمر ولده العزيز احسن قيام واستمال الأشرف وحفظ عليه البلاد وكان قد طهر حلب من الفسق والفجور والمكوس والخمور وكان الأشرف يقول ان كان الله تعالى ولي في الأرض فهو هذا الخادم فلما كبر العزيز ابن الظاهر تحدث عليه اقوام قصدوا اذى الخادم وقالوا له قد رضيت لنفسك ان تكون تحت حجر هذا الخادم وكان له تل باشر فاخذها منه وازال الحجر عنه واقام الانابك لا ينفذ له امر فرض ومات في هذه السنة ودفن بباب الأربعين اه وذكره العلامة ابن خلكان في آخر ترجمة القاضي بهاء الدين بن شداد قال وتوفى الانابك شهاب الدين طغريل ليلة الاثنين الحادى عشر من محرم سنة احدى وثلاثين وستمائة بحلب ودفن بمدرسة الحنفية خارج باب الأربعين وكان خادماً ارمني الجنس ابيض حسن السيرة محمود الطريقة وحضرت الصلاة عليه ودفنه رحمه الله تعالى

آثاره بحلب

المدرسة الانابكية

قال في الدر المنتخب (المدرسة الانابكية) انشأها شهاب الدين طغريل عتيق

الملك الظاهر غياث الدين غازي نائب السلطنة بالقلعة الحلبية ومدير الدولة بعد وفاة معتقه انتهت عمارتها في سنة ثمان عشرة وستمائة واول من درس بها الشيخ الامام العالم جمال الدين خليفة بن سايمان بن خليفة القرشي الحواري الأصل ولم يزل بها الى ان خرج من حلب فراراً من ايدي التتر اسوة من خرج من اهل بلده مع من كتب عليه الجلاء من اهل حلب واحرقت في زمن التتر وهي دائرة الآن (قلت) رمت بعد ذلك وكملت عمارتها واستقر في تدريسها العلامة شهاب الدين احمد ابن البرهان وكان مجتهد في مذهب ابي حنيفة ولم تزل بيده الى ان نزل عنها الجدي العلامة كمال الدين ابي الفضل محمد بن الشحنة وهي الآن بأسم ولدي المشار اليهما (هما ابو اليمين وعبد البر) ولكن ليس لها وقف الا حصة كمنون ومتحصلاهما يسير جداً لا يقوم بمعلوم القائم والأمام وهي ملاصقة لدارنا من جهة القبلة قال ابو اليمين البتروني في حواشي الدر المنتخب . هذه المدرسة لانكاد تذكر الآن اعني في سنة خمس وثلاثين والف ولكن اخبرني بعض الناس انها المدرسة الدائرة التي لدورها رمها بعض الفقراء وجعلها مسكناً للكائنة بالقرب من الجامع الحادث المعروف بالعامادية بالجانب الشرق منه قبلي الخان الموقوف على الجامع المذكور وبين الخان المذكور وبينها زقاق كما ان بينها وبين الجامع المذكور زقاق والآن قد صارت مسكناً يسكنها بعض الناس وقد سد بابها وجعل له باب آخر يدخل منه اليها ودور ذرية المصنف (اي بنى الشحنة) قريبة اليها الا ان الدور المذكورة في الجانب الشرق من الزقاق الذي بينها وبين المدرسة وهي الآن بيد ولد اخي وهو مولانا القاضي عبد الرحمن بن شيخ الأسلام ابي الجود افندي تولاهما بعد ان عزل عن قضاء حماة والذي ادركناه من قرية كمنون انها جميعها وقف المدرسة ولها حصول وافرا اه

اقول قبلي الخان المذكور المسمى الآن بخان الفرايين وامام باب جامع العادلية وباب قارساية العلية عرصه واسعة نصفها الشمالي او اكثر من النصف هو هذه المدرسة ودور بني الشحنة . المدرسة من جهة الغرب امام باب الجامع والدور من جهة الشرق . وقد حضر منذ عهد قريب امام شاييك الحمام المعروفة بمحام ميخان فوجد ارباب كبير وقد رأيتته ويغلب على الظن انه باب المدرسة وهي آخذة الى الشمال وبين هذا الباب ومدفن كوهر ملك شاه السلطنة الواقع قبلي العرصه مقدار ستة اذرع

﴿ المدرسة الأتابكية ايضا ﴾

قال في الدرالمتخب [المدرسة الأتابكية] انشأها الانابك شهاب الدين طغريل الظاهري المقدم ذكره وتمت في سنة عشرين وستمائة واول من درس بها صفي الدين عمر الحموي وبعده نظام الدين محمد بن محمد بن عثمان البلخي الأصل ولم يزل بها الى ان توفي بحلب فوليها بعده ولده تقي الدين احمد ولم يزل بها الى ان قتل في فتنة النتر ثم وليها في الأيام الظاهرية الفقيه فخر الدين عبد الرحمن بن ادريس ثم خرج عنها الى ديار مصر اه وقال ايضاً خانقاه انشأها خارج باب الأربعين بالجبل . اقول موقع هذه المدرسة والخانقاه في محلة الجبيلة في الرقاق الكائن عن يسار الداخل من باب الحديد وهما متلاصقتان على مكان مرتفع ولهما بابان بجانب بعضهما بينهما اربعة اذرع مكتوب على باب المدرسة

هذا ما تقدم بأنشائه العبد الفقير الى رحمة الله وكرمه الشاكر لما افاض عليه رحمانه ابو سعيد طغرل بن عبد الله الملكى الظاهري تقبل الله منه واثابه مشهد لله تعالى تقام فيه الصلوات الخمس في اوقاتها ويسكنه المدرس والفقهاء الحنفية على ما شرطه في كتاب للوقف وان قدر الله وفسانه خارج مدينة حلب يدفن فيه في

الموضع المعد له يلازمه القراء وملازمته للقرآن العظيم على ما شرطه فلا يجمل الأخذ بغيره عما وضع له ومن بدله بعد ما سمعه فأما أمه على الذين يبدلونه وذلك في شهور سنة عشرين وثمانية .

وفي صدر المدرسة قبلية في طرفها الأيمن ايوان في وسطه ضريح هو قبر الواقف طغرل والكتابة التي كانت على الباب الآخر وهو باب الخانقاه محيية وعليه الآن كتابة حديثة كتبت سنة ١٢٨٦ خلاصتها انه جدد هذا المكان بأشارة الألهام الشيخ الهمام مربى المريدين الشيخ محمد بن احمد المكي القرشي من خلفاء محمد جان النقشبندی .

والذي تحقق عندي ان هذا الرجل من اهالي مرعش كان حضر الى حلب قبل التاريخ المتقدم بقليل وتوجه منها الى مكة وبقي فيها مدة وجيزة ثم عاد الى حلب وهو على زي اهل مكة من العمامة والجبّة وادعى انه مكّي قرشي . وكان في الخانقاه في جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والشمالية حجر صغيرة ويسكن هناك رجل مصري كفيف حافظ لكتاب الله تعالى فسعى في اخراجه وسكن هو وكتب ما كتب على باب الخانقاه وصار يقيم الذكر في قبلية المدرسة وصار بعض موظفي الأتراك يترددون اليه ويعتقدون عليه ويبرونه وكان باب القبيلة متوهنا فسعى في تجديده في سنة ١٣٠٢ وكتب على جداره هذا المقام للسيد علي جواد ابن سيدنا الإمام الباقر رضي الله عنه وقد اتخذ هذه الكتابة وسيلة لجر مغمم اليه خصوصا من النساء وهذا محض افتراء منه لأن الضريح الذي في ايوان القبلية هو ضريح الواقف رحمه الله كما تقدم لك نقله عن الصلاح الصفدي وابن خلكان . ثم انه لم يقف عند هذا الحد بل خرب الحجر الصغيرة التي في الخانقاه وبني موضعها بيتين وصارت الخانقاه على هيئة دار وطين باب الخانقاه

لتخفي الكتابة التي كتبها على الباب وادعى حينئذ ان الدار له وحاول تسجيلها في الحكومة على انها ملكه فعندئذ قام اهل المحلة ورفعوا الأمر للمحكمة الشرعية واخيرا ازيلت يده واخرج من المكان

ومنذ عشرين سنة وضعت دائرة المعارف يدها على المدرسة والخانقاه ورفعت الجدار الذي كان بينهما ولم يزل اثره باقياً الى الآن وصار المكانان مكاناً واحداً وبنيت فيه تحت وفوق غرفاً للطلبة واتخذته مدرسة ابتدائية تسمى الآن مدرسة النجاة والباقي في المدرسة من الحجر القديمة التي كانت للطلاب هي الحجر الثلاث الشرقية كما يظهر لك بالأمل قليلا

والقبليّة محتاجة الى الترميم جداً يتوالى نزول الأتربة من سقفها وسألت عن سبب بقائها مشعثةً فعلمت ان دائرة الاوقاف مهملة لشأنها الوضع دائرة المعارف يدها على المكان جميعه واتخاذها مدرسة وتقول دائرة المعارف ان امر القبليّة يرجع الى دائرة الأوقاف وهكذا ضاع هذا المكان بين هاتين الدائرتين والله الأمر والباقي لهذا المكان من الأوقاف اراض عشرية يبلغ ريعها ثلاثين ايرة عثمانية ذهباً وقد فقد الكثير من اوقافها

ذكر بناء قلعة المعرة

قال ابو الفداء وفي هذه السنة استتم بناء قلعة المعرة وكان قد اشار سيف الدين علي ابن ابي علي الهذباني على الملك المظفر صاحب حماة ببنائها فبناها وتمت الآن وشحنها بالرجال والسلاح ولم يكن ذلك مصلحة لأن الحلبيين حاصروها فيما بعد واخذوها وخربت المعرة بسببها اه



ذكر وفاة الملك الزاهر داود صاحب البيرة

قال ابو الفداء في هذه السنة توفي الملك الزاهر داود صاحب البيرة ابن السلطان صلاح الدين وكان قد مرض في العسكر الكاملى فحمل الى البيرة مريضاً وتوفي بها وملك البيرة بعده ابن اخيه الملك العزيز محمد صاحب حلب وكان الزاهر المذكور شقيق الظاهر صاحب حلب اه

وقال الصلاح الصفدي في حوادث هذه السنة بعد ان ذكر وفاته مولده سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وكان فاضلاً اديباً وشاعراً مجيداً ومن شعره رحمه الله

ياراحين ولم يقدموا * لقد بان صبرى مذ بنتم
 وعدتم بأن تبعثوا طيفكم * فهلا وفيتم بما قام
 وفارقتمنى على انكم * تعودون نحوى فما عدتم
 فشوقى شديد الى قربكم * وصبرى ضعيف ولم تعلموا
 يجد دلى كل يوم بكم * غرام فأظهر ما اكنتم
 واذكر عصرًا مضى وانقضى * وقد نلت فيه المنى منكم
 وارقب البرق من نحوكم * واسأل ربح الصبا عنكم
 بحرمة ما بيننا سالفنا * من العهد الا تعطفتم
 فأين موثيق تلك العهود * وانتم على العهد ما ختمتم

ذكر استيلاء كيقباز بن كينخسرو على حران والرها

قال ابو الفداء وفيها لما تفرقت العساكر الكاملة فصد كيقباز بن كينخسرو صاحب بلاد الروم حران والرها وحاصرهما واستولى عليهما وكانا للسلطان

الملك الكامل اه

ذكر وفاة القاضي بهاء الدين بن شداد

قال ابو الفداء وفي هذه السنة توفي القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد في صفر وكان عمره نحو ثلاث وتسعين سنة وصحب السلطان صلاح الدين وكان قاضي عسكره ولما توفي صلاح الدين كان عمر القاضي المذكور نحو خمسين سنة ونال القاضي بهاء الدين المذكور من المنزاة عند اولاد صلاح الدين وعند الانابك طغريل ما لم نليها احد واصله من الموصل وكان فاضلا دينيا وكان اقطاعه على الملك العزيز ما يزيد على مائة الف درهم في السنة اه (اقول) وهو مؤلف السيرة الصلاحية المسماة بالنوادر اليوسفية وهي مطبوعة في مصر وقدمر بك نقول كثيرة عنها وصاحب الروضتين قداتي على معظمها . وقد ذكرناه في القسم الثاني بأبسط من هذا

سنة ٦٣٣

قال ابو الفدا وفي هذه السنة سار السلطان الملك الكامل من مصر الى البلاد الشرقية واسترجع حران والرها من يد كيقباد صاحب بلاد الروم وامسك كيقباد ونوابه الذين كانوا بهما وقيدهم وارسلهم الى مصر فلم يستحسن ذلك منه

سنة ٦٣٤

ذكر وفاة الملك العزيز محمد صاحب حلب

وولاية ابنه الملك الناصر يوسف

قال ابو الفدا وفي هذه السنة كان قد خرج الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الى حارم للصيد ورمي البندق

واغتسل بماء بارد فخم ودخل الى حلب وقد قويت به الحمى واشتد مرضه وتوفي في ربيع الأول من هذه السنة وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة وشهوراً وكان حسن السيرة في رعيته ولما توفي تقرر في الملك بعده ولده الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد وعمره نحو سبع سنين وقام بتدبير الدولة شمس الدين لولو الارمني وعز الدين عمر بن مجلي وجمال الدولة اقبال الخاتوني والمرجع في الأمور الى والدة الملك العزيز ضيفة خانون بنت الملك العادل اه

وقال صلاح الدين الصفدي في تاريخه المرتب على السنين في حوادث هذه السنة فيها توفي الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي ولد في ذى الحجة سنة تسع وستائة وتوفي والده وهو طفل ونشأ في حجر شهاب الدين طغريل الخادم فرتب اموره احسن ترتيب وقام بدولة القيام العجيب الى ان ترعرع واستقل بالأمر وفك عن نفسه الحجر توفي بحلب ودفن بالقلعة وكان حسن الصورة كريماً عفيفاً ولم يبلغ اربعاً وعشرين سنة وملك حلب بعده ولده الملك الناصر الذي قلته التتر رحمهما الله تعالى

وقال في التبريد والضرب دفن بالقلعة ودفنت والدته بالحجرة تجاه الصفة التي دفن فيها ولدها الملك العزيز اه وفي المختار من الكواكب المضية نقلاً عن العلامة الذهبي في تاريخ الإسلام انه دفن في مشهد الفردوس شمالي قبة الشيخ علي الهروي وغربي جبانة الصالحين وقبلي جبانة القلميين وهو مشهد مبارك تقام فيه الجمعة اه (اقول) لعله بعد ان دفن في القلعة نقل الى مشهد الفردوس

ذكر توجه عسكر حلب مع توارنشاه لمحاصرة بغراس

قال ابو الفداء في هذه السنة توجه عسكر حلب مع الملك المعظم توارنشاه عم الملك العزيز لخاصروا بغراس وكان قد عمرها الداوية بعد ما فتحها السلطان

صلاح الدين وخرابها واشرف عسكر حلب على اخذها ثم رحلوا عنها بسبب الهدنة مع صاحب انطاكية ثم ان الفرنج اغاروا على ربض درب ساك وهي حيثند لصاحب حلب فوقع بهم عسكر حلب وولى الفرنج منهزمين وكثر فيهم القتل والأسر وعاد عسكر حلب بالأسرى وروؤس الفرنج وكانت هذه الواقعة من اجل الوقائع اه

سنة ٦٣٥

ذكر استيلاء الحلبيين على المعرة وحصارهم حماة

قال ابو الفداء في هذه السنة توفي الملك الكامل محمد بن الملك العادل ابي بكر بدمشق ولما بلغ الحلبيين موت الكامل انفقت اراؤهم على اخذ المعرة ثم اخذ حماة من الملك المظفر صاحب حماة لواقفته الملك الكامل على قصدهم ووصل عسكر حلب الى المعرة وانتزعوها من يد الملك المظفر صاحب حماة وحاصروا قلعتها وخرجت المعرة حيثند عن ملك الملك المظفر صاحب حماة ثم سار عسكر حلب ومقدمهم المعظم توراشاه بن صلاح الدين الى حماة بعد استيلائهم على المعرة ونازلوا حماة وبها صاحبها الملك المظفر ونهب العسكر الحلبي بلاد حماة واستمر الحصار على حماة حتى خرجت هذه السنة.

ذكر الخطبة بحلب الى كيخسرو بن كيقباز بن كيخسرو

قال ابو الفداء وفي هذه السنة عقد سلطان الروم غياث الدين كيخسرو بن كيقباز بن كيخسرو العقد على غازية خانون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب وهي صغيرة حيثند وتولى القبول عن ملك الروم قاضي دوقات ثم عقد للملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز صاحب حلب العقد على اخت كيخسرو

وهي ملكة خاتون بنت كيقباذ بن كيخسرو بن قليج ارسلان وام ملكة خاتون المذكورة بنت الملك العادل ابي بكر بن ايوب وقد كان زوجها الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بكيقباذ المذكور وخطب لغيث الدين كيخسرو بحلب اه

سنة ٦٣٦

ذكر عود العساكر الحلبية عن محاصرة حماه

قال ابو الفداء في هذه السنة نزل الملك الحافظ ارسلان شاه ابن الملك العادل ابي بكر ابن ايوب عن قلعة جعبر وبالس وسامها الى اخته ضيفة خاتون صاحبة حلب وتسلم عوض ذلك اعزاز وبلاداً معها تساوى ما نزل عنه وكان سبب ذلك ان الملك الحافظ المذكور اصابه فالج وخشي من اولاده وتغلبهم عليه ففعل ذلك لأنه كان يبلاد قريية الى حلب لا يمكنهم التعرض اليه اه

ذكر عيث الخوارزمية في البلاد الحلبية والقتال بينهما

قال ابو الفداء في هذه السنة كثر عيث الخوارزمية القاطنين في بلاد حران وفسادهم بعد مفارقة الملك الصالح ايوب البلاد الشرقية وساروا الى قرب حلب فخرج اليهم عسكر حلب مع الملك المعظم تورانشاه ابن صلاح الدين ووقع بينهم القتال فانهزم الحلبيون هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير منهم الملك الصالح ابن الملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين واسر مقدم الجيش الملك المعظم المذكور واستولى الخوارزميون على ائصال الحلبيين واسروا منهم عدة كثيرة ثم كانوا يقتلون بعضهم ليشتري غيره نفسه منهم بماله فأخذوا بذلك شيئاً كثيراً ثم نزل الخوارزمية بعد ذلك على حيلان وكثر عيثهم وفسادهم ونهبهم في بلاد حلب وجفل اهل الحواضر والبلاد ودخلوا مدينة حلب واستعد اهلها للحصار وارتكب

الخوارزمية من الفواحش والقتل ما ارتكبه النتر ثم سارت الخوارزمية الى منبج وهجموها بالسيف يوم الخميس لتسع بقين من ربيع الأول من هذه السنة وفعلوا من القتل والنهب مثل ما تقدم ذكره ثم رجعوا الى بلادهم وهي حران وما معها بعد ان اخرجوا بلد حلب

ثم ان الخوارزمية رحلوا من حران وقطعوا القرات من الرقة ووصلوا الى الجبوا ثم الى تل عزاز ثم الى سرمين ثم الى المعرة وهم ينهبون ما يجدونه فأن الناس جفلوا من بين ايديهم وكان قد وصل الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص ومعه عسكر من عسكر الصالح اسماعيل المستولي على دمشق نجدة للحلبين فاجتمع الحلبيون مع صاحب حمص المذكور وقصدوا الخوارزمية واستمرت الخوارزمية على ما هم عليه من النهب حتى نزلوا على شيزر ونزل عسكر حلب على تل السلطان ثم رحلت الخوارزمية الى جهة حماة ولم يتعرضوا الى نهب لانحاء صاحبها الملك المظفر الى الملك الصالح ايوب ثم سارت الخوارزمية الى سلمية ثم الى الرصافة طالبين الرقة وسار عسكر حلب من تل السلطان ولحقهم العرب فأرمت الخوارزمية ما كان معهم من المكاسب وسيبوا الاسرى ووصلت الخوارزمية الى الفرات في اواخر شعبان في هذه السنة ولحقهم عسكر حلب وصاحب حمص ابراهيم قاطع صفين فعمل لهم الخوارزمية ستار ووقع القتال بينهم الى الليل فقطع الخوارزمية الفرات وساروا الى حران فسار عسكر حلب الى البيرة وقطعوا الفرات منها وقصدوا الخوارزمية والنقوا قريب الرها لتسع بقين من رمضان هذه السنة فولى الخوارزمية منهزمين وركب صاحب حمص وعسكر حلب اقفيتهم يقتلون ويأسرون الى ان حال الليل بينهم ثم سار عسكر حلب الى حران فاستولوا عليها وهربت الخوارزمية الى بلد عانة وبادر بدر الدين اولو صاحب الموصل

نصيبين ودارا وكانتا للخوارزمية فاستولى عليهما وخلص من كان بهما من الأسرى وكان منهم الملك المعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين اسيرا في بلدة دارا من حين اسروه في كسرة الحلبيين فحمله بدر الدين لولو الى الموصل وقدم له ثياباً وتحفاً وبعث به الى عسكر حلب واستولى عسكر حلب على الرقة والرها وسروج ورأس عين وما مع ذلك واستولى صاحب حصن المنصور ابراهيم على بلد الخابور ثم سار عسكر حلب ووصل اليهم نجدة من الروم وحاصروا الملك المعظم ابن الملك الصالح ايوب بأمد وتسلهوها منه وتركوا له حصن كيفا وقلعة الهيثم ولم يزل ذلك بيده حتى توفي ابوه الملك الصالح ايوب بمصر وسار اليها المعظم المذكور على ما سنذكره ان شاء الله تعالى وبقي ولد المعظم وهو الملك الموحد عبد الله ابن المعظم توران شاه ابن الصالح ايوب مالكا لحصن كيفا الى ايام النتر وطالت مدته بها اه

سنة ٦٣٩

وفاة الملك الحافظ ارسلان صاحب اعزاز ونقله الى حلب قال ابو الفداء في هذه السنة في ذي الحجة توفي الملك الحافظ نور الدين ارسلان شاه ابن الملك العادل بن ايوب بأعزاز وهي التي تعوضها عن قلعة جعبر ونقل الى حلب فدفن في الفردوس وتسلم نواب الملك الناصر يوسف صاحب حلب قلعة اعزاز واعمالها اه

سنة ٦٤٠

ذكر القتال بين الحلبيين والخوارزمية وانتهز ام الخوارزمية قال ابو الفداء وفي هذه السنة كان بين الخوارزمية ومعهم الملك المظفر غازي

صاحب ميفارقين وبين عسكر حلب ومعهم المنصور ابراهيم صاحب حمص مصاف قريب الحابور عند المجدل يوم الخميس لثلاث بقين من صفر هذه السنة فولى المظفر غازي والحوارزمية منهزمين اقبح هزيمة ونهب منهم عسكر حلب شيئا كثيرا ونهبت وطاقات الحوارزمية ونساؤهم ايضا ونزل الملك المنصور ابراهيم في خيمة الملك المظفر غازي واحتوى على خزائنه ووطاقه ووصل عسكر حلب وصاحب حمص الى حلب في مستهل جمادى الأولى مؤيدين منصورين

﴿ ذكر وفاة الملكة ضيفة خاتون صاحبة حلب ﴾

قال ابو الفداء وفي هذه السنة في ليلة الجمعة لأحد عشر ليلة خلت من جمادى الأولى توفيت ضيفة خاتون بنت الملك العادل ابي بكر بن ايوب وكان مرضها قرحة في مرق البطن وحمى ودفنت بقلعة حلب وكان مولدها سنة احدى او اثنين وثمانين وخمسةائة بقلعة حلب حين كانت حلب لأبيها الملك العادل قبل ان يتزعمها منه اخوه السلطان صلاح الدين ويعطيها ابنه الظاهر غازي فاتفق مولدها ووفاتها بقلعة حلب ولما ولدت كان عند ابيها الملك العادل ضيف فساها ضيفة فكانت مدة عمرها نحو تسع وخمسين سنة وكان الملك الظاهر صاحب حلب قد تزوج قبل ضيفة خاتون باختها غازية وتوفيت فلما توفيت غازية تزوج بأختها ضيفة خاتون المذكورة وكانت ضيفة خاتون قد ملكت حلب بعد وفاة ابنها الملك العزيز وتصرفت في الملك تصرف السلاطين وقبامت بالملك احسن قيام وكانت مدة ملكها نحو ست سنين ولما توفيت كان عمر ابنها الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز نحو ثلاث عشرة سنة فاشهد عليه انه بلغ وحكم واستقل بمملكة حلب وما هو مضاف اليها والمرجع في الامور الى جمال الدين اقبال الاسود

الخصي الخاتوني اه

وقال في التبريد والنصب دفنت في الحجرة بالقلمة تجاه الصفة التي دفن فيها ولدها
الملك العزيز

٥* ❦ آثارها بحلب ❦ *٥-

خاتناه داخل باب الأربين تجاه مسجد الشيخ المحافظ عبد الرحمن ابن الأستاذ
(در المنتخب)

٥- ❦ الفردوس ❦ -٥

هي خارج باب المقام قال في التبريد والنصب جعلتها تربة ومدرسة ورباطا
وربيت فيه خلقا من القراء والصوفية والفقهاء وهي معدودة في تاريخ ابن شداد
من مدارس الشافعية وهاهو اسمها مكتوب عليها في سطر حسن الخط جدا وما
احسن ما قيل في هذا المكان

في باب فردوس حلب * سطر من الخط عجب

فيه صحاف من ذهب * هن صحاف من ذهب

يشير الشاعر بما ذكره الى ما كتب هناك من الآية التي فيها ذكر صحاف الذهب
التي يطاق بها على اهل الجنة

اقول هذه المدرسة لم تزل عامرة الى الآن بل هي المدرسة الوحيدة التي حفظتها
لنا الأيام في الجملة في تلك الاماكن وفي زماننا هذا لا قراء فيها ولا فقهاء غايته
انه تقام فيها الجمعة ويكثر المصلون فيها يوم الجمعة ايام الربيع. اما محرابها وعموداه
وما فوقه فهو مما يستوقف الناظر اليه لحسن صنعته وبداعة هندسته واحكام
بنائه ولعله اعظم اثر عربي موجود في الشهباء ويتجلى لك فيه ما وصل اليه
فن البناء في ذلك العصر من الرقي .

وعن يمين القبيلة حجرة واسعة فيها ثمانية قبور لم تعلم اصحابها على التعيين لأن الكتابة التي على الواح القبور كادت تكون ممحوة وقد تقدم وسيأتى لنا ذكر اشخاص من ملوك بني ايوب وغيرهم قلنا انهم دفنوا في الفردوس . وعن يسار القبيلة حجرة كذلك وفي وسطها ضريحان يجانب بعضهما وعلى احدهما ستار اخضر كتب عليه هذا قبر علي بن ابي طالب نقله الى هنا سيف الدولة بن حمدان وهذا كذب لا اصل له ولا ادري من كتبه ولا زمن ذلك فأن قبر علي كرم الله وجهه في الكوفة في قصر الأمانة في مكان لا يعرف على التحقيق ولم نر مؤرخاً قال ان علياً رضي الله عنه نقل الى حلب مع شدة اعتناء المؤرخين خصوصاً الشيعة بأخبار علي وآله رضي الله عنهم اجمعين . وارى ان من الواجب على دائرة الأوقاف ان تمحو هذه الكتابة

وفي صحن المدرسة حوض مركب من ثمانية احجار كبيرة بديعة الصنعة جداً غير ان الماء لا يأتيه في هذه الأزمنة وفيه عواميد ضخمة جداً خمسة منها لم تزل مرفوعة وثلاث منها وهي عواميد الجهة الغربية ملقاة على الارض مع عدة قواعد لها وعن يمين الصحن ويساره بيتان كبيران قد امتلئا من القبور ثلاث منها او اربع قديم والباقي حادث ولا نعلم اصحابها والذي علمته ان المتولين على هذه المدرسة من اهل تلك المحلة كانوا يدفنون هناك مع بعض اهلهم وذرائعهم حتى ملثوا المكائين على سعتها ويظهر انها محل الرباط قديماً

وفي شمالها ايوان كبير جداً مبني بالحجارة الضخمة كتب على عيونه فوق مدخل المدرسة بسم الله الرحمن الرحيم لله در اقوام اذا جن عليهم الليل سمعت لهم انين والحان واذا اصبحوا رأيت عليهم تغير الوان . اذا ما الليل اقبل [وداخل الأيوان من الأيمن] كابدوه . ويسفر عنهم وهم ركوع . اطار الشوق نومهم فقاموا .

واهل الأمن في الدنيا هجوع . اجسادهم تصبر على التعب و اقدامهم ليلها
 تقيم على التهجد لا يرد لهم صوت ولا دعاء تراهم في ليلهم سجداً ركعاً قد ناداهم
 النادى واطربهم الشادي . يارجال الليل (وفى صدره) جدوا . رب صوت لا يرد .
 ما يقوم الليل الا . من له حزم وجد . لو ارادوا في ليلهم ساعة ان يناموا القهم
 الشوق اليه فقاموا وجذبهم الوجد والغرام فهاموا وانشدتم بريد الحضرة
 وبشهم وحملهم على المناجاة وحثهم . حثوا مطاياكم وجدوا . ان كان لى في
 القلوب وجد . قد آن ان تظهر الحبا (وفى يساره) يا . وتنشر الصحف فاستعدوا .
 الفرش مشنقة اليهم والوسائد . مأسفة عليهم النوم قرم الى عيونهم والراحة
 مرتاحة الى جنوبهم الليل عندهم اجل الاوقات في المراتب ومسامرهم عندتهجده
 يرعي الكواكب وزارني طيفك حتى [وفى الجانب الأيسر خارج الأيوان] اذا .
 اراد ان يمضي تعلقت به . فليت ليلى لم يزل سرمداً والصبح لم انظر الى كوكبه .
 هجروا الملام في الظلام وتلذذوا بطول المقام وناجوا ربهم بأطيب كلام . [وفى
 الجدار الغربى] وأنسوا بقرب الملك العلام لو احتجبوا عنه في ليلهم لذابوا ولو
 تغيبوا عنه لحظة لما طابوا يديمون النهجد الى السحر ويتوقعون ثم اليقظة والسهر
 بلغنا ان الله تبارك وتعالى يتجلى للمحبين فيقول لهم من انا فيقولون انت مالك
 رقابنا فيقول انتم احبتي انتم اهل ولايتي وعنايتي ها وجهي فشاهدوه ها
 كلامي فاسمعه ها كأسى فاشربوه وسقاهم ربهم شراباً طهوراً اذا شربوا طابوا
 ثم طربوا اذا طربوا قاموا اذا قاموا هاموا اذا هاموا طاشوا اذا طاشوا عاشوا
 لما حملت ريح الصبا قيص يوسف لم يفضض ختامه الا يعقوب ما عرفه اهل
 كعان ومن عندهم خرج ولا يهودا وهو الحامل اه

وعلى الجدار الشرقي

بالمسلة هذا ما أنشأه الستر الرفيع والحجاب المنيع عصمة الدنيا والدين ضيفة خاتون بنت السلطان الملك العادل والدة السلطان الملك العزيز بن الملك الظاهر في أيام مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف ناصر أمير المؤمنين خلد الله ملكه

وعلى الجدار الشرقي من خارج المدرسة

البسمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب فيها ما تشتهيها الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون (١) هذا ما أمر بإنشائه الستر الرفيع والجناب المنيع الملكة الرحيمة عصمة الدنيا والدين ضيفة خاتون ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب تقدمهم الله برحمته وذلك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور صلاح الدنيا والدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب ناصر أمير المؤمنين عز نصره.

بتولى العبد الفقير عبد المحسن العزيزي الناصري رحمه الله

في سنة ثلثة وثلاثين وسمائة

وقد كان للمدرسة باب قديم فيه شيء من الصنعة فقلعته ادارة الأوقاف من نحو ثمان سنين والفته في رواق ادارتها في خان الكمرك بين ما يوضع هناك من الأخشاب العتيقة التي يقل الفائدة منها وعملت للمدرسة بابا جديداً وباليتمها

(١) سورة الزخرف

ابقت القديم على قدمه

وإذا شاهدت محراب هذه المدرسة وصحنها وما فيه من العواميد العظيمة وابوابها وقنطريته المبنية من الأحجار الضخمة وقفت خاضعاً خاشعاً وتجت لك عظمة البائين وما كانوا عليه من العناية والأهتمام في شأن العلم واهله والعناية في رفع مناره وتشديد الأبنية الضخمة له ورصد الأوقاف الكثيرة لأجله فلا غرابة إذا انتشر العلم في ذلك العصر وراجت أسواقه وتهافت الناس عليه وقد خاف من بعدم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ولم يبق للأمرء والأغنياء في عصرنا الحاضر عناية الابتشير أموالهم والعكوف على ملذاتهم وانفاق أموالهم في غير ما يرضي الله تعالى وفيما لا يعود بشيء من النفع على الأمة فلا تستغرب إذا حل بهم البلاء واحاط بهم الشقاء (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وهذا الأثر العظيم هو البقية الباقية من الآثار القديمة في حلب وهو في حاجة كبرى الى الترميم في عدة أماكن ولعل ادارة الأوقاف تمد له يد الأهتمام والعناية ليحافظ على حالته الحاضرة وتعود اليه بهجته الأولى . والباقي له الآن من الأوقاف اراض عشرية يبلغ ريعها عشرين ليرة عثمانية ذهباً

ونختم الكلام على هذا المكان بلطفية ذكرها الصلاح الصفدى في تاريخه الوافى بالوفيات في ترجمة الشيخ كمال الدين محمد بن علي الزملكاني قال لما توجه الى قضاء حلب نزل في مكان يعرف بالفردوس وكان معه شمس الدين محمد الحياط الشاعر المشهور الدمشقي فانشده لنفسه وانشدني من لفظه غير مرة

يا حاكم المحكام يامن به	*	قد شرفت رتبته الفاخره
ومن سقى الشهباء مذحلها	*	بجار علم وندى زاخره
نزات في الفردوس فابشر به	*	دارك في الدنيا وفي الآخره

اه وكانت وفاة الزملكاني في سنة ٧٢٧ وله في فوات الوفيات ترجمة حافلة

﴿ سنة ٦٤١ ﴾

قال ابو الفرج الملطي في تاريخه مختصر الدول في سنة احدى واربعين غزا يساورنوين الشام ووصل الى موضع يسمى حيلان على باب حلب وعاد عنها لحني اصاب خيول المغول واجتاز بملطية وخرّب بلدها ورعى غلاتها وبسانينها وكرومها واخذ منها اموالاً عظيمة حتى خشل النساء وصلبان البيع ووجوه الاناجيل وآنية القداس المصوغة بالذهب والفضة ثم رحل عنها اه

(سنة ٦٤٤)

﴿ ذكر محاصرة الخوارزمية دمشق ثم اقتتالهم مع ﴾

المساكر الحلبية عند بحيرة حمص وانكسارهم وتشتت شمائم

ذكر الصلاح الصفدي في تاريخه المرتب على السنين في حوادث سنة ٦٤٣ ان في هذه السنة حضر مدين الدين ابن الشيخ (احد الأمراء) والخوارزمية الى دمشق وحاصروها وضايقوها وقطعت الخوارزمية الطريق على الناس وزحفوا الى البلد من كل ناحية وبعد ان ذكر ما ارتكبه الخوارزميون من فظيخ الأعمال ثمة من النهب والأحراق قال ولما علم الصالح ايوب بان الصالح اسماعيل قد اتفق مع الخوارزمية استمال المنصور صاحب حمص فأجابه وكتب الى الحلبيين يقول هؤلاء الخوارزمية قد اخرجوا البلاد والمصلحة ان نتفق عليهم فأجابوه وخرج الأمير شمس الدين لولو بالمساكر من حلب في سنة اربع واربعين وجمع صاحب حمص العرب والتركمان وخرج اليهم عسكر دمشق واجتمعوا كلهم على حمص واتفق الصالح اسماعيل والخوارزمية وعز الدين ايبك والناصر داود واجتمعوا

على مرج الصفر ولم ينزل اليهم الناصر من الكرك بل بعث اليهم عساكره
وساروا والتقوا على بحيرة حمص فكانت الدائرة على الخوارزمية قال ابو الفداء
انهزموا هزيمة قبيحة تشتت شملهم بعدها وقتل مقدمهم حسام الدين بركة خان
وحمل رأسه الى حلب وانقطع منهم جماعة وتفرقوا في الشام وخدموا به وكفى
الله الناس شرهم

(سنة ٦٤٦)

﴿ في كسر استيلاء الحلبيين على حمص ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنة ارسل الملك الناصر يوسف صاحب حلب عسكرياً
مع الأمير شمس الدين لولو الأرميني فحاصروا الملك الأشرف موسى بمحص مدة
شهرين فسلم اليهم حمص وتعوض عنها بتل باشر مضافا الى ما بيده من تدمر
والرحبة ولما بلغ الملك الصالح نجم الدين ايوب ذلك شق عليه وسار الى الشام
لارتجاع حمص من الحلبيين وكان قد حصل له مرض وورم في مابطنه ثم فتح
وحصل منه ناصور ووصل الملك الصالح الى دمشق وارسل عسكريا الى حمص مع
حسام الدين ابن ابي علي فخر الدين ابن الشيخ فنازلوا حمص وحاصروها ونصبوا
عليها منجنيقا مغربا يرمى بحجر زنتها مائة واربعون رطلاً بالشامى مع عدة
منجنيقات اخر وكان الشتاء والبرد قويا واستمر الحصار عليها وانفق حينئذ
وصول الخبر الى الملك الصالح وهو بدمشق بوصول الفرنج الى جهة دمياط
وكان ايضا قد قوى مرضه ووصل ايضا نجم الدين الباذراي رسول الخليفة
وسعى في الصلح بين الملك الصالح والحلبيين وان تسنقر حمص بيد الحلبيين
وأجاب الملك الصالح الى ذلك وامر العسكر فرحلوا عن حمص بعد ان اشرفوا على اخذها

(سنة ٦٤٧)

استيلاء الملك الناصر صاحب حلب على نصيبين وقرقيسيا
قال ابو الفداء في هذه السنة وقع الحرب بين صاحب الموصل بدر الدين لولو
وبين الملك الناصر صاحب حلب فأرسل اليه الملك الناصر عسكرا والنقوا مع
المواصلة بظاهر نصيبين فانهزمت المواصلة هزيمة قبيحة واستولى الحلبيون على
اتقال لولو صاحب الموصل وخيمه وتسلم الحلبيون نصيبين واخذوها من صاحب
الموصل ثم ساروا الى دارا فنازلوها وتساهوها وخربوها بعد حصار ثلاثة اشهر
ثم تساهوا قرقيسيا وعادوا الى حلب

(سنة ٦٤٨)

ذكر قتل الملك المعظم تورانشاه وخرج الملك عن
بني ايوب في مصر وسلطنة ابيك التركاني

قال ابو الفداء في حوادث سنة ٦٤٧ ما خلاصته في هذه السنة توفي الملك
الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل ابي بكر بن
ايوب في شعبان ولم يوص بالملك الى احد فلما توفي احضرت شجر الدر وهي
جارية الملك الصالح فخر الدين ابن الشيخ والطواشي وعرفت بها بموت السلطان
فكتموا ذلك خوفا من الفرنج وجمعت شجر الدر الأمراء وقالت لهم السلطان
يا امركم ان تحلفوا له ثم من بعده لولده الملك المعظم تورانشاه المقيم بحصن كيفا
وللأمير فخر الدين ابن الشيخ بأتابكية العسكر وبعد ان حلفوا ارسل فخر الدين
قاصداً لأحضار الملك المعظم من حصن كيفا فسار منها الى مصر
ثم قال في حوادث سنة ٦٤٨ وفي يوم الاثنين ليلة بقيت من المحرم قتل الملك

المعظم تورانشاه ابن الملك الصالح ايوب الملك ابن الكامل محمد بن الملك العادل ابى بكر بن ايوب وسبب ذلك ان المذكور اطرح جانب امراء ابيه ومماليكه وكل منهم بلغه عنه من التهديد والوعيد ما نفر قلبه منه واعتمد على بطانته الذين وصلوا معه من حصن كيفا وكانوا اطرافا اراذل فاجتمعت البحرية على قتله بعد نزوله بفارسكور وهجموا عليه بالسيوف وكان اول من ضربه ركن الدين بيبرس الذي صار سلطانا فيما بعد على ما سنذكره ان شاء الله تعالى فهرب الملك المعظم منهم الى البرج الخشب الذى نصب له بفارسكور على ما تقدم ذكره فاطلقوا فى البرج النار فخرج الملك المعظم من البرج هاربا طالبا البحر ليركب فى حرافته فخالوا بينه وبينها بالنشاب فطرح نفسه فى البحر فأدركوه واتموا قتله فى يوم الأثنين المذكور وكانت مدة اقامته فى المملكة من حين وصوله الى الديار المصرية شهرين واياماً ولما جرى ذلك اجتمعت الأمراء وانفقوا على ان يقيموا شجر الدر زوجة الملك الصالح فى المملكة وان يكون عز الدين ايبك الجاشنكير الصالحى المعروف بالتركماني اتابك العسكر وحلفوا على ذلك وخطب لشجر الدر على المنابر وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة (المستمصية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل) وكانت شجرة الدر قد ولدت من الملك الصالح ولداً ومات صغيراً وكان اسمه خليل فسميت والدة خليل وكانت صورة هلامتها على المناشير والتوافيع (والدة خليل) ثم ان كبراء الدولة انفقوا على اقامة عز الدين ايبك الجاشنكيرى الصالحى فى السلطنة لأنه اذا استقر امر المملكة فى امرأة على ما هو الحال تفسد الأمور فاقاموا ايبك المذكور وركب بالسناجق السلطانية وحملت الغاشية بين يديه يوم السبت آخر ربيع الآخر من هذه السنة ولقب الملك المنز وابطلت السكة والخطبة التى كانت بأسم شجر الدر

ذكر استيلاء الملك الناصر صاحب حلب على دمشق
قال ابو الفداء وابن كثير بعد ان وقع ما وقع بالديار المصرية من قتل الأمرء
الملك المعظم تورانشاه ارسل المصريون رسولا الى الأمرء القيمرية الذين
بدمشق يطلبون منهم موافقتهم على عماهم فلم يجيبوهم الى ذلك وكاتب
الأمرء القيمرية الملك الناصر يوسف صاحب حلب فركب الحلبيون معهم ابن
استاذهم الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي ومن كان عندهم من
ملوك بني ايوب منهم الصالح اسماعيل بن العادل وكان احق الموجودين بالملك
من حيث السن والقدر والحرمة والرياسة ومنهم الناصر داود بن المعظم بن العادل
والأشرف موسى بن المصور ابراهيم بن اسد الدين شيركوه الذي كان صاحب
حصص وغيرهم فجاءوا الى دمشق فحاصروها وملكوها سريعا ونهبت دار ابن يغمور
وحبس بالقلعة وذلك ثمان مضي من ربيع الآخر من هذه السنة ولما استقر الناصر
المذكور في ملك دمشق خلع على جمال الدين ابن يغمور وعلى الأمرء القيمرية
واحسن اليهم واعقل جماعة من الأمرء مما ليك الملك الصالح وعصت عليه
بمليك وشيخ مدة مديدة ثم سلمت جميعها اليه ولما ورد الخبر بذلك الى مصر
قبضوا على من عندهم من القيمرية وعلى كل من اتهم بالميل الى الحلبيين

مسير الملك الناصر يوسف صاحب حلب الى الديار

المصرية وكسرتة وعوده الى الشام

قال ابو الفداء ثم سار الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز بعساكره من دمشق
وصحبتة من ملوك اهل بيته الصالح اسماعيل بن العادل بن ايوب والأشرف موسى
صاحب حصص وهو حينئذ صاحب تل باشر والرحبة وتدمر والمعظم تورانشاه

ابن السلطان صلاح الدين واخو المعظم المذكور نصره الدين والأبجد حسن والظاهر شاذي أبناء الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى وتقي الدين عباس بن العادل ومقدم الجيش شمس الدين لولو الارمني واليه تدبير المملكة فرحلوا من دمشق منتصف رمضان ولما بلغ المصريين ذلك اهتموا لقتاله ودفعه وبرزوا الى الساحل وتركوا الاشرف المسمى بالسلطان بقلعة الجبل وافرغ ايبك التركاني حيثئذ عن ولدي الصالح اسماعيل وهما المنصور ابراهيم والملك السعيد عبد الملك وكانا معتقدين من حين استيلاء الملك الصالح ايوب على بعلبك وخلع عليهما ليتوهم الناصر يوسف صاحب دمشق من ابيهما الصالح اسماعيل والتقى العسكران المصري والحلي بالقرب من العباسية عاشر ذي القعدة من هذه السنة فكانت الكسرة اولاً على عسكر مصر فحاصر جماعة من المماليك الترك الغزيرية على الملك الناصر وثبت المعز ايبك التركاني في جماعة قليلة من البحرية فانضاف جماعة من الغزيرية مماليك والد الملك الناصر الى ايبك التركاني ولما انكسرت المصريون وتبعتهم العساكر الشامية ولم يشكوا في النصر بقى الملك الناصر تحت السناجق السلطانية مع جماعة يسيرة من المتعممين لا يتحرك من موضعه فحمل المعز التركاني بمن معه عليه فولى الملك الناصر منهزماً طالباً جهة الشام ثم حمل ايبك التركاني المذكور على طلب شمس الدين لولو فهزمهم واخذ شمس الدين لولو اسيراً فضربت عنقه بين يديه وكذلك امر الأمير ضياء الدين القيمري فضربت عنقه واسر يومئذ الملك الصالح اسماعيل والاشرف صاحب حمص والمعظم تورانشاه بن صلاح الدين بن ايوب واخوه نصره الدين ووصل عسكر الملك الناصر في أثر المنهزمين الى العباسية وضربوا بها دهليز الملك الناصر وهم لا يشكون ان الهزيمة تمت على المصريين فلما بلغهم هروب الملك الناصر اختلفت آراؤهم فمنهم من اشار بالدخول الى القاهرة وتملكها

ولو فعلوه لما كان بقى مع ايبك التركمانى من يقانلهم به وكان هرب فأن غالب
المصريين المنهزمين وصلوا الى الصعيد ومنهم من اشار بالرجوع الى الشام وكان
معهم تاج الملوك بن المعظم وهو مجروح ووصل المنهزمون من المصريين الى
القاهرة فى غد الواقعة نهار الجمعة فلم يشك اهل مصر فى ملك الملك الناصر
ديار مصر وخطب له فى الجمعة المذكورة بقلعة الجبل ومصر واما القاهرة فلم يقم
فيها فى ذلك النهار خطبة لأحد ثم وردت اليهم البشرى بانتصار البحرية ودخل
ايبك التركمانى والبحرية الى القاهرة يوم السبت تانى عشر ذى القعدة ومعه
الصالح اسماعيل تحت الاحتياط وغيره من المعتقلين فحبسوا بقلعة الجبل وعقيب
ذلك اخرج ايبك التركمانى امين الدولة وزير الصالح واستاذ داره يغمور وكانا
معتقلين من حين استيلاء الصالح ايوب على بعلبك فشقهما على باب قلعة الجبل
رابع عشر ذى القعدة. وليلة السابع والعشرين منه هجم جماعة على الملك الصالح
عماد الدين اسماعيل ابن الملك العادل بن ايوب وهو يمص قصب السكر واخرجوه
الى ظاهر قلعة الجبل من جهة القرافة فقتلوه ودفن هناك وعمره قريب من
خمين سنة اه

سنة ٦٥٣

ذكر الصلح بين المصريين والشاميين

قال ابو الفداء فى هذه السنة مشى نجم الدين الباذرى فى الصلح بين المصريين
والشاميين وانفق الحال ان يكون للملك الناصر الشام جميعه الى العريش ويكون
الحد بئر القاضى وهو بين الواردة والعريش وبيد المغز ايبك الديار المصرية
وانفصل الحال على ذلك ورجع كل الى بلده اه

سنة ٦٥٤

توجه الكمال بن العديم رسولا من طرف الناصر الى الخليفة قال ابو الفداء في هذه السنة توجه كمال الدين المعروف بأبن العديم رسولا من الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى الخليفة المستعصم وصحبته مقدمة جليلة وطلب خلعة من الخليفة لمخدومه ووصل من جهة المعزايك التركاني صاحب مصر شمس الدين سنقر الأفرع وهو من مماليك المظفر غازي صاحب ميفارقين الى بغداد بتقدمة جليلة وسعى في تعطيل خلعة الناصر يوسف صاحب دمشق فبقي الخليفة متحيرا ثم انه احضر سكيئا من اليشم كبيرة وقال الخليفة لوزيره اعط هذه السكين رسول صاحب الشام علامة منى في ان له خلعة عندي في وقت آخر واما في هذا الوقت فلا يمكتني فأخذ كمال الدين بن العديم السكين وعاد الى الناصر يوسف بغير خلعة اه

(سنة ٦٥٥)

﴿ ذكر قتل المعز ايبيك التركماني ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنة قتل الملك المعز ايبيك التركماني وهو اول ملوك الأتراك في مصر قتلته امرأته شجر الدر واتفقت كلمة الأمراء على اقامة ولده نور الدين علي ولقبوه الملك المنصور وعمره خمس عشرة سنة ثم قتلت شجر الدر ودفنت في تربة كانت قد عملتها اه باختصار

ذكر وصول الخلعة من الخليفة الى الملك الناصر

وفي هذه السنة وصل من الخليفة المستعصم الخلعة والطوق والتقليد الى الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز

سنة ٦٥٦

ذكر استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية

قال ابو الفداء ما خلا منه في هذه السنة قصد هولاء ملك التتر بغداد وملكها في العشرين من المحرم وقتل الخليفة المستعصم ودام القتل والنهب في بغداد نحو اربعين يوماً ثم نودي بالأمان

ويحمل بنا ان نذكر هنا اصل التتر ومنشأهم والأسباب التي دعتهم الى الخروج من بلادهم وهي في اقصى الشرق الى اواسطه ثم قصدم بغداد ثم هذه الديار قال ابن الأثير في حوادث سنة سبع عشرة وستائة في هذه السنة ظهر التتر الى بلاد الإسلام وهم نوع من كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين وبينها وبين بلاد الإسلام ما يزيد على ستة اشهر وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء ارض التتر بأطراف بلاد الصين وهم سكان برارى ومشهورون بالشر والغدر (اقول) بلادهم هي المشهورة الآن بكتب جغرافيا الجديدة ببلاد المغول قال في النخبة الأزهرية في تعداد ولايات المملكة الصينية ومن جملة ولاياتها بلاد المغول (وهي في الجهة الشمالية الصينية) ومن مدنها الشهيرة كامي وباركول في سفح جبال تيان شان ثم اورجا واهمية هذه المدن قليلة وهي في قتال مستمر مع سكان الصحراء حتى ان كثيرا من شبيهاتها من المدن انقرضت من جراء ذلك ولا تزال خرابها قائمة الى اليوم ومن ضمنها مدينة كراكوروم التي كانت عاصمة جنكيز خان ملك المغول . قال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء وسبب ظهور التتر ان اقليم الصين متسع دوره ستة اشهر وهو ست ممالك ولهم ملك حاكم على الممالك الست وهو دوش خان قد تزوج بعمة جنكيز خان فحضر زائرا لعمته وقدمات

زوجها وكان قد حضر مع جنكزخان كشلو خان فاعلمتهما ان الملك لم يخلف ولداً
واشارت على ابن اخيها ان يقوم مقامه فقام وانضم اليه خاق من المغول ثم سير
التقادم الى القان الاكبر فاستشاط غيظاً وامر بقطع اذنان الخيل التي اهديت
وطردها وقتل الرسول لكون التتار لم يتقدم لهم سابقة بتملك انما هم بادية الصين
فلما سمع جنكزخان وصاحبه كشلو خان تحالفا على التعاضد واظهرا الحلاف للقان
واتتهما امم كثيرة من التتار وعلم القان قوتهم وشرهم فأرسل يؤانسهم ويظهر مع ذلك
انه يندرم ويهددهم فلم يبن ذلك شيئاً ثم قصدوه وقصدوه فوقع بينهم ملحمة عظيمة
فكسروا القان الأعظم وملكوا بلاده واستفحل شرهم واستمر الملك بين جنكزخان
وكشلو خان على المشاركة ثم سارا الى بلاد شاقون من نواحي الصين فلكاها فمات
كشلو خان فقام مقامه ولده فاستضافه جنكزخان فوثب عليه وظفر به واستقل
جنكزخان ودانت له التتار وانقادت له واعتقدوا فيه الألوهية وبالغوا في طاعته
ثم كان اول خروجهم في سنة ست وستائة من بلادهم الى نواحي الترك وفرغانة
فأرسل خوارزم شاه محمد بن تكش صاحب خراسان فأمر اهل فرغانة والمشاش
وكاسان وتلك البلاد النزهة العامرة بالجللاء والجفل الى سمرقند وغيرها ثم
خربها جميعا خوفاً من التتار ان يملكوها لعلهم انه لا طاقة له بهم ثم صارت التتار
يتخطفون ويتنقلون الى سنة خمس عشرة

قال ابن خلدون وفي هذه السنة اي سنة ٦١٥ لما استقر السلطان محمد بن تكش
الخوارزمي بنيسابور وفدت عليه رسل جنكزخان بهدية من المعدنين ونوافج المسك
وحجر اليشم والشياب الطائية التي تنسج من وبر الأبل البيض ويخبر انه ملك
الصين وما يايها من بلاد الترك ويسأل الموادعة والأذن للتجار من الجانبين
في التردد في متاجرهم وكان في خطابه اطراء السلطان بأنه مثل اعز اولاده

فاستنكف السلطان من ذلك واستدعى محموداً الخوارزمي من الرسل واصطنعه
 ليكون عيناً له على جنكزخان واستخبره على ما قاله في كتابه من ملكه الصين
 واستيلائه على مدينة طمناج فصدق ذلك وانكر عليه الخطاب بالولد وسأله عن
 مقدار المساكر فنشه وقللها وصرفهم السلطان بما طلبوه من الموادة والأذن للتجار
 فوصل بعض التجار من بلادهم الى انزار وبها ينال خان ابن خال السلطان في
 عشرين الفا من المساكر فشره الى اموالهم وخاطب السلطان بأنهم عيون وليسوا
 بتجار فأمره بالأحتياط عليهم فقتلهم خفية واخذ اموالهم وفشى الخبر الى
 جنكزخان فبعث بالنكير الى السلطان في نقض العهد وان كان فعل ينال افتياتنا
 فبعث اليه يشهدده على ذلك فقتل السلطان الرسل وبلغ الخبر الى جنكزخان
 فسار في المساكر واعزم السلطان ان يحصن سمرقند بالأسوار فجبي لذلك خراج
 سنتين وجبي ثلاثة استخدم بها الفرسان وسار الى احياء جنكزخان فكبسهم
 وهو غائب عنها في محاربة كشلوخان ففتم ورجع واتبعهم ابن جنكزخان فكانت
 بينهم واقعة عظيمة هلك فيها كثير من الفريقين ولجأ خوارزم شاه الى جيحون
 فاقام عليه ينتظر شأن التتر ثم عاجله جنكزخان فاجفل وتركها وفرق عساكره
 في مدن ما وراء النهر انزار وبخارى وسمرقند وترمد وجند وانزل
 آبنايخ من كهراء امرائه وحجاب دولته في بخارى وجاء جنكزخان الى انزار
 فحاصرها وملكها غالباً واسر اميرها ينال خان الذي قتل التجار واذاب الفضة
 في اذنيه وعينيه ثم حاصر بخارى وملكها على الأمان وقالوا معه القلعة حتى
 ملكوها ثم غدر بهم وقتلهم وسلبهم وخربها ورحل جنكزخان الى سمرقند ففعلوا
 فيها مثل ذلك سنة تسع عشرة وستمائة ثم ذكر ابن خلدون وابن الأثير وغيره
 تقابهم في البلاد واكتساحهم لها وتخريبها وقتلهم لأهلها وارباكهم لفظائع تنفطر

منها القلوب وتبكي منها العيون دماء
وفي هذه السنة كان وصولهم الى بغداد وهدموا منها اركان الخلافة العباسية
ونثروا عقدها وطمسوا محاسن بغداد ومدنيتها الزاهرة ومدارسها العاصرة وقضوا
على حياة بني العباس وشتتوا شمل من بقى منهم وهو القليل ووصل منهم الى
مصر المستنصر بالله احمد ابو القاسم بن الظاهر بامر الله ابى نصر محمد كما سيأتى

﴿ سنة ٦٥٧ ﴾

رسالة هولاءكو ملك التتر الى الملك الناصر صاحب حلب

قال ابو الفرج الملقب في تاريخه مختصر الدول وفي سنة سبع وخمسين وستمائة
ارسل هولاءكو ايلجية الى الملك الناصر صاحب حلب برسالة يقول فيها
يعلم الملك الناصر اننا نزلنا بغداد في سنة ست وخمسين وستمائة وفتحناها بسيف
الله تعالى واحضرنا مالكا وسألناه مسلتين فلم يجب لسؤالنا فلذلك استوجب
منا العذاب كما قال في قرآنكم (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)
وصان المال قال الدهر به الى ما آل واستبدل النفوس النفيسة بنفوس معدنية
خسيسة وكان ذلك ظاهر قوله تعالى (وجدوا ما عملوا حاضرا) لأننا قد بلغنا
بقوة الله الأرادة ونحن بمعونة الله تعالى في الزيادة ولا شك اننا نحن جند الله
في ارضه خلقنا وسلطنا على من حل عليه غضبه فليكن لكم فيما مضى معتبر وبما
ذكرناه وقلناه مزدجر . فالحصون بين ايدينا لا تمنع والعساكر للقائنا لا تقصر
ولا نضع ودعاهم علينا لا يستجاب ولا يسمع فاتمظوا بغيركم وساموا اليينا
اموركم قبل ان ينكشف الفطام ويحل عليكم الخطا فنحن لانرحم من شكا ولا نرق
لمن بكأ قد اخربنا البلاد وافيننا العباد وايتمنا الأولاد وتركنا في الأرض

الفساد . فعليكم بالهرب وعلينا بالطلب فما لكم من سيفنا خلاص ولا من سهامنا مناص . فخيولنا سوابق وسهامنا خوارق وسيوفنا صواعق . وعقولنا كالجبال وعددنا كالرمال . فن طلب منا الأمان سلم . ومن طلب الحرب ندم فإن انتم اطعتم امرنا وقيتم شرطنا كان لكم مالنا وعليكم ما علينا وانتم انتم خالفتم امرنا وفي غيكم تماديتم فلا تلومونا ولوموا انفسكم فالله عليكم يا ظالمين فهيوًا للبلايا جلبابا وللزايا اربابا فقد اعذر من انذر وانصف من حذر لأنكم اكلتم الحرام وختم الأيمان واظهرتم البدع واستحسنتم الفسق بالصبيان فابشروا بالذل والهوان فالיום تجدون ما كنتم تعملون (وسيعلم الذين ظلموا اي مقلب ينقلبون) فقد ثبت عندكم اننا كفرة وثبت عندنا انكم نجرة وسلطانا عليكم من بيده الأمور مقدره والأحكام مدبرة فعزيزكم عندنا ذليل وغنيكم لدينا فقير ونحن مالكون الأرض شرقا وغربا واصحاب الأموال نهبا وسلبا واخذنا كل سفينة غصبا فبيزوا بمقولكم طرق الصواب قبل ان تضرم الحرب نارها وترمي بشرارها فلا تبقي منكم باقية وتبقي الأرض منكم خالية فقد انصفناكم حين راسلناكم واعذرناكم اذ انذرناكم فسارعوا الينا برد الجواب بته قبل ان يأنىكم العذاب بفته وانتم تعلمون اه

فطلبه ليحضر عنده ولما شاور الأمراء لم يمكنوه من المشى الى هولاءكو وبقي متحيرا خائفا مذعورا لم يدر ما يصنع غير انه استخار الله وسير ولده الملك العزيز وصعبته الأموال الكثيرة والمهدايا والتحف وبقي هناك من اوائل الشتاء الى الربيع ثم عاد الى ابيه قائلا . قد قال ملك الأرض نحن للملك الناصر طلبنا لا لولده فالآن ان كان قلبه صحيحا معنا يجيء الينا والا فنحن نمشي اليه . فلما سمع الملك الناصر ذلك بقي متردداً في رأيه لأن الأمراء لم يمكنوه من

المشي اليه وهو فقد وقع عنده الخوف والجزع ولم يطمئن على القعود اه
 ﴿٥﴾ صورة الجواب من الملك الناصر صاحب حلب الى هولاء كو ﴿٥﴾
 بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين قل اللهم مالك الملك المخ الآية وقفنا والحمد
 لله والصلوة على رسول الله محمد وآله وسلم على كتاب من الحضرة الأيلخانية
 والسدة السلطانية بصرها الله رشدها وصير الحق والصواب مقبولا عندها
 فعرفنا من تفصيله وجملته ما ابان انكم مخلوقون من سخط الله وتقمته وانكم
 مسلطون على من حل عليه غضبه في محتته لا ترقون لشاك ولا ترحمون عبدة باك
 قد نزع الله الرحمة من قلوبكم وذلك كله من جملة عيوبكم ولقد كشفتم عن الامر
 الخفي لأنه لا ينتزع الرحمة الا من قلب شقي وهذه صفات الشياطين لاصفات
 السلاطين وكفى بهذا لكم واعظا شافيا وبما وصفتم به انفسكم رادعا كافيا
 (قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون) ففي كل كتاب لعنتم وعلى لسان
 كل نبي اهنتم وبكل بيان بالتبيح عرفتم ووصفتم وعندنا خبركم من حيث
 خلقتم وانتم الكفرة الظلمة كما زعمتم (الا ائنة الله على الظالمين) وقام عنا انا
 اظهرنا البدع في الأيمان واستحلينا الفسوق والعصيان لا غرو ان كان فرعون
 مذكرا والظالم ناهيا منكرا وكل من تمسك بالأصول لا يبالي بالفروع بالأيمان
 ندرا فعل العصيان ونحن المؤمنون حقا لا يداخلنا عيب ولا يخامرنا ذم ولا
 ريب والقرآن علينا نزل وربنا رحيم بنا لم يزل قد تحققنا تنزيهه وعرفنا اسراره
 وتأويله والجنة لنا زخرفت والجحيم لكم خلقت ولخلودكم فيها سعرت اذا
 السماء انفطرت واذا الكواكب انثرت ومن اعجب العجب تهديد الرتوت
 باللتوت والسباع بالضباع خيولنا عربية وسهامنا يمنية ولتوتنا صعيدية وسيوفنا
 مصرية وهي شديدة المضارب موصوفة في المشارق والمغرب واننا لا يصدع

قلوبنا التهديد وجمعنا لا يخاف التفرة والتبديد ولو اننا نستف الصعيد فانا لا نميل ولا نبيد وذلك بتأييد العزيز الحميد ان عصيناكم فتلك الطاعة وان قاتلناكم فنعلم البضاعة وان قتلنا او قتلنا فيبيننا وبين الجنة ساعة واما قولكم قلوبنا كالجبال وعدينا كالرمال فان القصاب لا يبالي بكثرة الغنم وكثير من الحطب يحرقه قليل من الضرم والفرار من الدنيا لا من المنايا وهجوم المنية هي عندنا غاية الأمنية وانا ان عشنا عشنا سعداء وان متنا متنا شهداء ابعده امير المؤمنين وخليفة رب العالمين تطوبون منا الطاعة لاسمع لكم ولا طاعة لانعطي الذلة وبأيدينا سيوف حداد و بين ايدينا رجال شداد وزعمتم ان نلقي اليكم امرنا قبل ان ينكشف الغطاء وينزل علينا منكم الخطا هذا كلام فيه لحن وتمكيك وفي نظمه تبديل وتركيب فسوف ينكسر منكم المطاوتقصر منكم الخطا كفر بعد ايمان ام تكذيب بعد تبيان ام طاعة صلب واوتان ام تدعون مع الله الها تان لقد جئتم شيئا ادا (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ققولوا لكانبكم الذي رصف رسالته و صنف مقاله ما قصرت او جزت وابلنت واختصرت ووصل اليها كتابك وفهمنا ما تضمنه خطابك فكان عندنا كهرير الباب او كطينين الذباب ما كان الغرض الا اعلان فصاحتك واظهار محض نصيحتك وقد يستفيد الظنة المتصحح . الآن قد استوجبت النقم كما استخففت بالنعم وسوف تقع في الندم وتزل بك القدم والسلام على من اتبع الهدى انه قد اوحى اليها ان العذاب على من كذب وتولى والحمد لله وحده والصلاة على محمد وآله وصحبه وسلم (١)

(١) اقول ظفرت بهذا الجواب في كراسة خطية قديمة عند السيد اسعد العينتابي مدير دائرة تسجيل الاملاك الآن وقد كتب معها الكتاب الذي ارسله هو لاكو الى الملك الناصر صاحب حلب غير انه يخلف عما نقلناه عن مختصر الدول في بعض الالفاظ والمآل واحد وهذا الجواب نادر الوجود ولملك لا تجده في غير هذا الكتاب

سنة ٦٥٧

ذكر سلطنة قطر وتوجه الكمال ابن العديم الى مصر

رسولا من طرف الملك الناصر يوسف يستنجده على التتر

قال ابو الفداء في اواخر هذه السنة قبض سيف الدين قطر على ولد استاذه الملك المنصور نور الدين علي بن المعز ايبك وخلعه من السلطنة وكان علم الدين الغتمى وسيف الدين بهادر وهما من كبار المغزية غائبين في رمى البندق فانتهنر قطر الفرصة في غيبتها وفعل ذلك ولما قدم الغتمى وبهادر المذكوران قبض عليهما قطر ايضا واستقر قطر في ملك الديار المصرية وتلقب بالملك المظفر وكان رسول الملك الناصر يوسف صاحب الشام وهو كمال الدين المعروف بأبن العديم قد قدم الى مصر في ايام الملك المنصور علي ابن ايبك مستنجدا على التتر وانفق خلع المذكور وولاية قطر بمحضرة كمال الدين بن العديم ولما استقر قطر في السلطنة اعاد جواب الملك الناصر يوسف انه ينجده ولا يقعد عن نصرته وعاد ابن العديم بذلك اه

وقال ابن كثير في حوادث هذه السنة فيها قدم القاضي الوزير كمال الدين عمر بن ابي جرادة المعروف بأبن العديم الى الديار المصرية رسولا من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار بأنهم قد اقترب قدومهم الى الشام وقد استولوا على بلاد الجزيرة وحران وغيرها في هذه السنة وقد جاز اشموط بن هولاء كوفرات واقرب من مدينة حلب فعقد عند ذلك مجلس بالديار المصرية بين يدي المنصور بن المعز التركماني وحضر قاضي الديار المصرية بدر الدين السنجاري والشيخ عز الدين بن عبد السلام وافاضوا في الكلام فيما

يتعلق بأخذ شيء من اموال العامة لمساعدة الجند وكان العمدة على ما يقوله ابن عبد السلام فكان حاصله اذا لم يبق في بيت المال شيء وانفقتم الخواص الذهب وغيرها من الزينة وتساويتم انتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب ولم يبق للجندى سوى فرسه التي يركبها ساغ اخذ شيء من اموال الناس في دفع الأعداء لأنه اذا دم العدو وجب على الناس كافة ان يدفعوه باموالهم وانفسهم اه

ذكر ما كان من الملك الناصر يوسف صاحب دمشق

وحلب عند قصد التتر حلب

قال ابو الفداء لما بلغ الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب قصد التتر حلب برز من دمشق الى برزة في اواخر هذه السنة وجفل الناس من بين يدي التتر وسار من حماة الى دمشق الملك المنصور صاحب حماة ونزل معه ببرزة وكان هناك مع الناصر يوسف بيبرس البندقداري من حين هرب من الكرك والتجأ الى الناصر فاجتمع عند الملك الناصر عند برزة ام عظيمة من المساكر والجفال ثم دخات سنة ٦٥٨ والملك الناصر ببرزة فبلغه ان جماعة من مماليكه قد عزموا على اغتياله والفتك به فهرب الملك الناصر من الدهليز الى قلعة دمشق وبلغ مماليكه الذين قصدوا ذلك علمه بهم فهربوا على حمية الى جهة غزة وكذلك سار بيبرس البندقداري الى جهة غزة واشاع المماليك الناصرية انهم لم يقصدوا قتل الملك الناصر وانما كان قصدهم ان يقبضوا عليه ويسلطوا اخاه الملك الظاهر غازي ابن الملك العزيز محمد لشهامته ولما جرى ذلك هرب الملك الظاهر المذكور خوفا من اخيه الملك الناصر وكان الظاهر المذكور شقيق الناصر امها ام ولد تركية ووصل الملك الظاهر غازي الى غزة واجتمع عليه من بها من المسكروا قاموه

سلطانا ولما جرى ذلك كاتب ببيرس البندقداري الشاميين وسار الى مصر في جماعة من اصحابه فأقبل عليه الملك المظفر قطز وانزله في دار الوزارة واقطعه قلوب واعمالها اه

استيلاء التتر على البلاد الجزرية ونزولهم الى ظاهر حلب قال ابو الفداء وفي هذه السنة قدم هولاءكو الى البلاد شرق الفرات ونازل حران وملكها واستولى على البلاد الجزرية وارسل ولده اشموط بن هولاءكو الى الشام فوصل الى ظاهر حلب في العشرين الأخير من ذي الحجة من هذه السنة اعنى سنة سبع وخمسين وستائة وكان الحاكم في حلب الملك المعظم تورانشاه ابن السلطان صلاح الدين نائبا عن ابن اخيه الملك الناصر يوسف فخرج عسكر حلب لقتالهم وخرج الملك المعظم ولم يكن من رأيه قتالهم وأمن لهم التتر في (بابلا) وتقاتلوا عند بانقوسا فاندفع التتر قدامهم حتى خرجوا عن البلد ثم عادوا عليهم وهرب المسلمون طالين المدينة والتتر يقتلون فيهم حتى دخلوا البلد واختنق في ابواب البلد جماعة من المنهزمين ثم رحل التتر الى اعزاز فتسلموها بالأمان ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستائة اه

سنة ٦٥٨

﴿ ذكر مسير هولاءكو بجيوشه الى الديار الحلبية ﴾

قال ابو الفرج الملقب وفي سنة ثمان وخمسين وستائة دخل هولاءكو ايلخان الشام ومعه من العساكر اربعمائة الف ونزل بنفسه على حران وتسلمها بالأمان وكذلك الرها ولم يبدن لأحد فيهما سوء، واما اهل سروج فأنهم اهملوا امر المغول فقتلوا عن اقصاهم وتقدم هولاءكو فنصب جسراً على الفرات قريبا من مدينة ملطية

وآخر عند قلعة الروم وآخر عند قرقيسيا وعبرت المساكر جملتها وقتلوا عند منبج مقتلة عظيمة ثم تفرقت المساكر على القلاع والمدن ونفر قليل من المسكر طلب حلب فخرج اليهم الملك المعظم بن صلاح الدين الكبير فالتقاهم وانكسر قدام المغول ودخل المدينة منهزما وطرف منهم وصل المعرة وخربوها وتسلموا حماة بالأمان وحصص ايضا فلما بلغ ذلك الملك الناصر اخذ اولاده ونسائه وجميع ما يعز عليه وتوجه منهزما الى بركة الكرك والشوبك وعند ما وصلت المغول الى دمشق خرج اعيانها اليهم وسلموها لهم بالأمان ولم يلحق باحد منهم اذى واما هولاء كانوا بنفسه نزل على حلب وبني عليها سيبا ونصب المنجنيقات واستضعف في سورها موضعا عند باب العراق واكثر القتال والرحف عليه وفي ايام قلائل ملكوها ودخلوها يوم الأحد الثالث والعشرين من كانون الثاني من هذه السنة وقتل فيها اكثر من الذي قتل ببغداد وبعد ذلك اخذوا القلعة في اسرع ما يكون وقتلوا

﴿ استيلاء التتر على حلب ثم على قلعتها ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنة يوم الأحد تاسع صفر كان استيلاء التتر على حلب وسببه ان هولاء عبر الفرات بجموعه ونازل حلب وارسل هولاء الى الملك المعظم تورانشاه بن صلاح الدين نائب السلطنة بحلب يقول له انكم تضعفون عن لقاء المغل ونحن قصدنا الملك الناصر فاجعلوا لنا عندكم بحلب شحنة وتوجه نحن الى المسكر فان كانت الكسرة على عسكر الأسلام كانت البلاد لنا ويكونون قد حقنتم دماء المسلمين وان كانت الكسرة علينا كنتم بخيرين في الشحنتين ان شئتم طردتموها وان شئتم قتلتموها فلم يجب الملك المعظم الى ذلك وقال ليس

لكم عندنا الا السيف وكان رسول هولاءكو اليهم في ذلك صاحب ارزن الروم
 فتعجب من هذا الجواب وتألم لما علم من هلاك اهل حلب بسبب ذلك واحاط
 التتر بحلب ثاني صفر وهجموا النواثر في غد ذلك اليوم وقتل من المسلمين
 جماعة كثيرة ومن قتل اسد الدين ابن الملك التراهر بن صلاح الدين واشتدت
 مضايقة التتر للبلد وهجموه من عند حمام حمدان (حمام بزى) في ذيل قلعة الشريف
 في يوم الأحد تساع صفر وبدلوا السيف في المسلمين وصعد الى القلعة خلق
 عظيم ودام القتل والنهب من يوم الأحد المذكور الى الجمعة رابع عشر صفر
 المذكور فأمر هولاءكو برفع السيف ونودي بالأمان ولم يسلم من اهل حلب الا
 من التجأ الى دار شهاب الدين ابن عمرون ودار نجم الدين اخى مردكين ودار
 البازيسار ودار علم الدين قيصر الموصلى والخائقاء التى فيها زين الدين الصوفى
 وكنيسة اليهود وذلك لفرمانات كانت في ايديهم وقيل انه سلم بهذه الأماكن
 ما يزيد على خمسين الف نفس ونازل التتر القلعة وحاصروها وبها الملك المعظم
 ومن التجأ اليها من العسكر واستمر الحصار عليها :

اما قلعة حلب فوثب جماعة من اهلها في مدة الحصار على صفي الدين بن طرزة
 رئيس حلب وعلى نجم الدين احمد بن عبد العزيز بن احمد بن القاضى نجم الدين
 بن ابي عصرون فقتلوهما لأنهم اتهموهما بمواطأة التتر واستمر الحصار على القلعة
 واشتدت مضايقة التتر لها نحو شهر ثم سلمت بالأمان في يوم الاثنين الحادى
 عشر من ربيع الأول ولما نزل اهلها بالأمان وكان فيها جماعة من البحرية
 الذين حبسهم الملك الداىر فمنهم سكر وبرامق وسنقر الأشقر فسلمهم هولاءكو
 وباقى التتر الى رجل من التتر يقال له سلطان حق وهو رجل من اكابر القبجاق
 هرب من التتر لما غلبت على القبجاق وقدم الى حلب فأحسن اليه الملك الناصر

فلم تطب له تلك البلاد فعاد الى التتر

واما العوام والغرباء فزالوا الى اماكن الحمى التي قدمنا ذكرها وامر هولاء ان يمضى كل من سلم الى داره ومملكه وان لا يعارض وجعل النائب بحلب عماد الدين القزويني وامر هولاء ان يجرب اسوار قلعة حلب واسوار المدينة فخربت عن آخرها . ثم رحل هولاء الى حارم وطلب تسليمها فامتنعوا ان يسلموها لغير فخر الدين والى قلعة حلب فاحضره هولاء وسلموها اليه فغضب هولاء من ذلك وامر بهم فقتل اهل حارم عن آخرهم وسبي النساء

قال ابو الفرج اللطى في تاريخه مختصر الدول ان هولاء رحلوا عن حلب واحاطوا بقلعة حارم واختار ان يسلموها اليه ويؤمنهم على انفسهم فلم يطمئنوا الى قوله وانما طلبوا منه رجلاً مسلماً يحلف لهم ويكون صاحب شريعة يطمان اليه حيث يحلف لهم بالطلاق والمصحف ان لا يدنو لأحد منهم سوء ويذابوا ويسلموا اليه القلعة فسألهم هولاء ان يريدون يحلف لكم قالوا فخر الدين اليربوعي بقاعة حلب فإنه رجل صادق مؤمن خير فنقدم هولاء اليه فدخل اليهم وحلف لهم على جميع ما يريدون فحينئذ فتحو الأبواب ونزل الناس خلائق كثيرة وتسلم المغول القلعة ثم ان هولاء تقدم بقتل فخر الدين اليربوعي أولاً ثم بقتل جميع من كان في القلعة من الصغار والكبار الرجال منهم والنساء حتى الطفل الصغير في المهد اه ثم ملك هولاء بلاد الشام واحدة واحدة وهدم اسوارها وولي عليها ووصل الى هولاء على حلب الملك الأشرف صاحب حمص موسى بن ابراهيم بن شيركوه وكان قد انفرد الأشرف المذكور عن المسلمين لما توجه الملك الناصر الى جهة مصر ووصل الى هولاء بحلب فأكرمه واعاد عليه حمص وكان قد اخذها منه الملك الناصر صاحب حلب في سنة ست واربعمائة وستمائة وعوضه عنها تل باشر فعادت

اليه في هذه السنة واستقر ملكه بها وقدم ايضاً هولاءكو وهو نازل على حلب
 محي الدين بن الزكي من دمشق فاقبل عليه هولاءكو وخلع عليه وولاه قضاء الشام
 ولما عاد ابن الزكي المذكور الى دمشق لبس خلعة هولاءكو وكانت مذهباً وجمع
 الفقهاء وغيرهم من اكابر دمشق وقرأ عليهم تقليد هولاءكو واستقر في القضاء
 ﴿ذكر ما كان من امر الملك الناصر بعد اخذ حلب﴾

قال ابو الفداء ولما بلغ الملك الناصر بدمشق اخذ حلب رحل من دمشق بمن
 بقي معه من العسكر الى جهة الديار المصرية وفي صحبته الملك المنصور صاحب
 حماة واقام بنابلس اياماً ورحل عنها وترك فيها الأمير مجير الدين بن ابي زكريا
 والامير علي بن شجاع ومعهما جماعة من العسكر ثم سار الى غزاة فانضم اليه
 مماليكه الذين كانوا ارادوا قتله وكذلك اصطلح معه اخوه الملك الظاهر غازي
 وانضم اليه وبعد مسير الملك الناصر عن نابلس وصل التتر اليها وكبسوا العسكر
 الذين بها وقتلوا مجير الدين والأمير علي بن شجاع ولما بلغ الناصر ذلك رحل
 من غزاة الى العريش وسير القاضي برهان الدين ابن الحنضر رسولاً الى الملك المظفر
 فطر صاحب مصر يطلب منه المعاوضة ثم سار الملك الناصر والملك المنصور صاحب
 حماة والعسكر ووصلوا الى قطية فجرى بها فتنة بين التركمان والأكراد الشهرزورية
 ووقع نهب في الجفال وخاف الملك الناصر ان يدخل مصر فيقبض عليه فتأخر
 في قطية ورحلت المساكر والملك المنصور صاحب حماة الى مصر وتأخر مع الملك
 الناصر جماعة يسيرة منهم اخوه الظاهر غازي والملك الصالح بن شيركوه صاحب
 حمص وشهاب الدين القيمري ثم سار الملك الناصر بمن تأخر معه من قطية الى
 جهة تيه بنى اسرائيل ولما وصل الى التيه تحير الى اين يتوجه وعزم على التوجه

الى الججاز وكان له طبردار اسمه حسين فحسن له النصي الى التتر وقصد هولاء كو
فاغتر بقوله ونزل ببركة زيرا وسار حسين الكردي الى كنبغا نائب هولاء كو
وعرفه بموضع الملك الناصر فأرسل كنبغا اليه وقبض عليه واحضره الى عجلون
وكانت بعد عاصية فامرهم الملك الناصر بتسليمها فسلمت اليهم فهدموها وارسل
كنبغا الملك الناصر الى هولاء كو فوصل الى دمشق ثم الى حماة ثم سار
الى حلب فلما عاينها الملك الناصر وما قد حل بها وبأهلها تضاعف تألمه وانشد
يعز علينا ان نرى ربكم يبلى * وكانت به آيات حسنكم تتلى
ثم سار الى الاردو فاقبل عليه هولاء كو ووعدوه برده الى مملكته .

قال ابو الفداء وابن خلدون ثم ان هولاء كو امر عماد الدين القزويني (الذي
ولاه على حلب) بالرحيل الى بغداد وجعل مكانه بجلب رجلاً اعجمياً ثم قفل
هولاء كو الى العراق لاختلاف بين اخوته واستخلف على الشام كنبغا من اكبر
امرائه في اثني عشر الفا من العساكر وتقدم اليه بمطالعة الأشرف موسى ابن
ابراهيم بن شيركوه صاحب حصن بعدان ولاء على مدينة دمشق وسائر مدن
الشام واحتمل معه الناصر وابنه العزيز بعد ان استشاره في تجهيز العساكر بالشام
لمدافعة اهل مصر عنها فهون عليه الأمر وقللهم في عينه فجهر كنبغا ومن معه
استيلاء كنبغا نائب هولاء كو على قلعة دمشق

قال ابن خلدون ثم سار كنبغا الى قلعة دمشق وهي ممتنة بعد فحاصرها
وافتحها عنوة وقتل نائبها بدر الدين بربدك وخيم بمرج دمشق وجاءه من
ملوك الأفرنج بالساحل ووفد عليه الظاهر اخو الناصر صاحب صرخد فرد
الى عمله واوفد عليه المغيث صاحب الكرك ابنه العزيز بطاعته فقبله ورده الى

ابيه وبعث كتبها الى المظفر قطز صاحب مصر بأن يقيم طاعة هولاء فحرب
اعناق الرسل ونهض الى الشام

﴿ ذكر هزيمة التتر وقتل كتبها ﴾

قال ابن اياس في تاريخه لمصر المسمى (ببدائع الزهور) لما وصلت الأخبار الى
الديار المصرية بما فعله هولاء في بغداد وحلب وباقي البلاد من القتل والنهب
والتخريب اضطربت مصر وماجت بأهلها ثم ان اميرا من امراء هولاء يقال
له كتبها بعد ان استولى على دمشق حضر (١) الى الملك قطز (صاحب مصر) وصحبته
اربعة من التتر ومعهم كتاب من عند هولاء وكان مضمونه من ملك الملوك
شرقا وغربا القان الأعظم ونعت فيه نفسه بالفاظ معظمة وذكر في الكتاب
شدة سطوته وكثرة عساكره وما جرى على البلاد منه ولا سيما ما فعله في بغداد
وما جرى على أهلها منه وارسل يقول يا اهل مصر انتم قوم ضعاف فصونوا
دماءكم مني ولا تقاتلونني ابدأ فتندموا وشرع يذكر في كتابه اشياء كثيرة من هذه
الألفاظ الفاحشة فلما ان سمع الملك المظفر قطز مضمون ما في كتاب هولاء
احضر الأمراء واستشارهم فيما يكون من امر هولاء فقال الأمراء تجمع العساكر
من سائر البلاد ونخرج اليه وتقاتله اشد ما يكون من القتال ثم ان الملك المظفر
نادى في القاهرة النفير العام الى الغزو في سبيل الله ثم انه عرض العساكر
وارسل خلف عربان الشرقية والغربية فاجتمع من العساكر ما لا يحصى ثم انه
اخذ في اسباب جمع الأموال فأخذ من اهل مصر والقاهرة على كل رأس من
الناس من ذكر وانثى دينارا واحداً واخذ من اجرة الأملاك والأوقاف شهراً
واحداً واخذ من اغنياء الناس والتجار زكاة أموالهم ممجلاً واخذ من التركات

(١) الصواب ان كتبها لم يتوجه بنفسه ولعل الرسول اسمه كتبها ايضاً

الأهلية الثلث من المال واخذ على الفيضان والسواقي اجرة شهر واحد من ابواب هذه المظالم اشياء كثيرة فبلغ جملة ما جمعه من المال في هذه الحركة ستمائة الف دينار فانفق على العسكر والعربان وبرز خيامه الى الريدانية فلما كان اواخر شهر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة نزل السلطان الملك المظفر قطز من قلعة الجبل في موكب عظيم فلما نزل بالريدانية امر بتوسيط كتبغا فويز بك امير هولانكو ومن كان معه من التار ثم رحل من الريدانية ونزل بمنزلة الصالحية واقام بها الى ان تكامل العسكر ثم رحل من الصالحية وجد في السير الى ان وصل الى عين جالوت من ارض كمان فتلاقى هناك عسكر هولانكو وعسكر السلطان قطز فكانت بينهما ساعة تشيب فيها النواصي وقتل من الفريقين ما لا يحصى عدده فكانت الكسرة على التار فكسروهم وشتتوهم الى بيسان وكان ذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة ثم وقعت بينهما وقعة ثانية على بيسان اعظم من الاولى فقتل من التار نحو النصف وغنم عسكر السلطان منهم غنيمة عظيمة من خيول وسلاح وغير ذلك .

وقال ابوا الفداء في سنة ثمان وخمسين وستمائة كانت هزيمة التار في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان على عين جالوت وكان من حديثها انه لما اجتمعت العساكر الاسلامية بمصر عزم الملك المظفر قطز مملوك المعز ايبك على الخروج الى الشام لقتال التار وسار من مصر بالعساكر الاسلامية وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماة واخوه الملك الأفضل على وكان مسيره من الديار المصرية في اوائل رمضان من هذه السنة ولما بلغ كتبغا وهو نائب هولانكو على الشام ومقدم التار مسير العساكر الاسلامية اليه صعبة الملك المظفر قطز جمع من في الشام من التار وسار الى لقاء المسلمين وكان الملك السعد صاحب الصبية

ابن الملك العزيز ابن الملك العادل ابن ايوب صحبة كتبغا وتقارب الجمعان في
 النور والتقوا يوم الجمعة المذكور فانهزمت التتر هزيمة قبيحة واخذتهم سيوف المسلمين
 وقتل مقدمهم كتبغا واسنوسر ابنه وتعلق من سلم من التتر برؤس الجبال وتبعتهم
 المسلمون فأفنؤهم وهرب من سلم منهم الى الشرق وجرى قطز ركن الدين
 بيبرس البندقداري في أثرهم فتبعتهم المسلمون الى اطراف البلاد الشرقية وكان
 ايضا في صحبة التتر الملك الأشرف موسى صاحب حمص ففارقهم وطلب الامان
 من المظفر قطز فأمنه ووصل اليه فآكرمه واقروه على ما بيده وهو حمص ومضافاتها
 واما الملك السعيد صاحب الصبية فانه امسك اسيرا واحضر بين يدي
 الملك المظفر قطز فأمر به فضربت عنقه بسبب ما كان المذكور قد اعتمده من
 السفك والفسق

ترجمة قائد التتار كتبغا وتفصيل قتله وزيادة بيان

في الوقعة المقدمة

قال ابن الخطيب في الدر المنتخب كتبغا نون مقدم عساكر التتار يوم عين جالوت
 كان عظيماً عندهم يعتمدون على رأيه وشجاعته وتدبيره وكان بطلاً شجاعاً
 مقداماً خبيراً بالحروب والحصارات وافتتاح الحصون والمعامل وكان هولاء
 عظيم التتار يثق به ولا يخالفه فيما يشيره ويحكي عنه العجايب في حروبه وحصاراته
 فمنها انه كان اذا فتح حصناً ساق اهله الى الحصن الذي يليه فان مكنهم من
 الدخول اليه ضيقوا عليهم في المأكول والمشروب وان منهم من الدخول هم
 بضرب اعناقهم فيمكنونهم وان اصرروا على المنع ضرب اعناقهم فإذا فتح الحصن
 الآخر فعل به كذلك الى ان استكمل الحصون وكان شيخاً مسناً ادرك

جنكزخان جد هولاکو وكان عنده ميل الى دين النصرانية لكنه لا يظهر الميل اليهم لتمسكه بما سنه جنكزخان لأن من احكامها ان سائر الأديان عنده سواء وهو الذي حصل المصاف بينه وبين السلطان الملك المظفر قطز بعين جالوت وذلك ان هولاکو لما اخذ حلب قدم كتبنا على جيش كثير من التتار وجهزه الى جهة دمشق فجاء الى دمشق واخذها وعات التتار في بلاد حوران وناباس وغزة بالأفساد ثم توجه كتبنا بعساكره الى بعلبك وحاصر القلعة ونصب عليها عدة مجانيق في يوم واحد وجميعها تضرب في برج واحد ففتحت المجانيق فيه طاقة كبيرة كالباب فأذعن اهل القلعة بتسليمها فطلبوا الامان فأمنهم كتبنا على انفسهم وان يخرج كل انسان بما يستطيع ان يحمه من ماله فخرجوا على هذه الصفة ووفى لهم ولم يرق لاحد محجمة دم ثم بعد خروج الناس من القلعة دخلها كتبنا فرآها وصعد قلعته ونهبها التتار ورحلوا ثم ان كتبنا نزل صرح برغوث ثم نزل البقاع فلما كان بالبقاع بلغه ان السلطان الملك المظفر قطز خرج بعساكر الديار المصرية ومن انضوى اليه من عساكر الشام لقتال التتار ودفعهم عن البلاد الاسلامية فاستدعى كتبنا الملك الاشرف موسى صاحب حمص وكان قد ولاء هولاکو الشام بأسره والبسه خلعة بذلك وقاضى القضاة محي الدين ابن الزكي وكان هولاکو قد ولاء قضاء قضاة الشام من العريش الى قنسرين وعظمه والبسه الخلعة بذلك فاستدعاهما كتبنا من الشام الى البقاع واستشارهما في ذلك فمنهم من اشار بعدم الالتقى والاندفاع بين يدي الملك المظفر الى ان يجيئه مدد من هولاکو ومنهم من اشار بغير ذلك فاقنضى رأي كتبنا الالتقى وتوجه على فوره على كره ممن اشار بالاندفاع لما اراد الله من اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه فحصل التقاء العساكر على عين جالوت في يوم الجمعة خامس عشرين رمضان

سنة ثمان وخمسين وستمائة فانكسرت ميسرة المسلمين كسرة شنيعة فحمل الملك المظفر رحمه الله في طائفة عظيمة من اول البصائر (هكذا) فكسروهم كسرة شنيعة اتت على اكثر اعيانهم واصيب كتبغا نوبن وقتل قتله الامير جمال الدين آقوش الشمسى على ما قيل ولم يعرفه فولوا الادبار ولا يلوون على شيء واعتصم طائفة منهم بالجبل المجاور لمكان الوقعة فأحدثت بهم العساكر وصاروهم حتى افنوم قتلا ونجامن نجا بمحاشته واهل البلاد يتخطفونهم ولما تمت الكسرة قيل للملك المظفر ان كتبغا قد هرب وكان قد احضر ولده اسيرا فقال قطز ابوك هرب فقال لا ابي ما يهرب ابصروه في القتلى فأحضرت عدة رؤس وعرضوها على ولده وهو يقول ما هو هذا الى ان احضروا رأسه فقال هذا هو وبكى ثم قال للملك المظفر وهو بين يديه ما معناه ثم طيبا مابقى لك عدو تخاف منه هذا هو كان سعادة التتار به يهزمون الجيوش وبه يفتحون الحصون وكذا كان لم يفلحوا بعده والله الحمد والمنة وكان مقتل كتبغا يوم المصاف الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة اهـ

﴿ ذكر ما كان بعد انتهاء هذه الوقعة ﴾

قال ابو الفداء ولما انقضى امر المصاف احسن المظفر قطز الى الملك المنصور صاحب حماة واقره على حماة وبارين واعاد اليه المعرة وكانت في ايدي الحلبيين من حين استولوا عليها في سنة خمس وثلاثين وستمائة واخذ سلامة منه واعطاها امير العرب واتم الملك المظفر السير بالعساكر وصحبته الملك المنصور صاحب حماة حتى دخل دمشق وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم فإن القلوب كانت قد يشتت من البصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد

الأسلام ولأنهم ما قصدوا اقلية الا فتعوه ولا عسكرا الا هزموه فابتهجت الرعايا
بالنصرة عليهم ويقدم الملك المظفر قطز الى الشام وفي يوم دخوله دمشق امر
بشئ جماعة من المتسبين الى التتر وكان من جعلهم حسين الكردي طبردار الملك
الناصر يوسف وهو الذي اوقع الملك الناصر في ايدي التتر (الى ان قال) ثم
جهز الملك المظفر قطز عسكراً الى حلب لحفظها ثم فوض نيابة السلطنة بدمشق
الى علم الدين سنجر الحلبي وبجلب الى الملك السعيد بن بدر الدين لولو صاحب
الموصل وكان المذكور قد وصل الى الملك الناصر يوسف صاحب الشام
ودخل مع العساكر الى مصر وصار مع المظفر قطز ففوض اليه نيابة السلطنة
بجلب وكان سبيه ان اخاه الملك الصالح بن لولو قد صار صاحب الموصل بعد ابيه
فولاه حلب ليكاتبه اخوه بأخبار التتر . ولما استقر السعيد المذكور في نيابة
حلب سار سيرة رديثة وكان دأبه التحيل على اخذ مال الرعية اه

ذكر القبض على الملك السعيد على بن بدر الدين

لؤلؤ صاحب حلب وعود التتر اليها

قال القطب اليونيني في تاريخه ذيل مرآة الزمان قد اشرنا الى سوء سيرة الملك
السعيد مع الجند والرعية فاجمع رأي الأمراء بجلب على قبضه واخراجه من حلب
وتحالفوا على ذلك وعينوا للقيام بالأمر الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي
فبيناهم على ذلك وردت عليهم بطاقة والى البيرة يخبر ان التتر قد قاربوا البيرة
لمحاصرتها واستصرخ بهم لينجدوه بعسكر وكان التتر قد هدموا ابراج البيرة
واسوارها وهي مكشوفة من جميع جهاتها فجرد الملك السعيد عسكرا اليها وقدم
عليهم الأمير سابق الدين امير شمس الناصري فخصر الأمراء عنده وقالوا له

هذا العساكر الذي جردته لا يمكنه رد العدو ونحاف ان يحصل القتال بيننا وبين العدو وعسكرنا قليل فيحصل العدو الى حلب ويكون ذلك سببا لخروجنا منها فلم يقبل فخرجوا من عنده وهم مستأثرون وسار العسكر المسير الى البيرة من حلب فلما وصلوا الى عمق البيرة صادفوا التتر بجموعهم فوق القتال بينهم فلم يمكن سابق الدين لقاهم فقصده البيرة واتبعه التتر وقتلوا من اصحابه جماعة كثيرة وما سلم منهم الا القليل وورد الخبر الى حلب فحفل اهل حلب الى جهة القبلة ولم يبق بها الا القليل من الناس وندم الملك السعيد على مخالفته الأمراء فيما اشاروا به عليه وقوى بذلك غضبهم عليه وقاطعوه وباينوه ووقعت بطاقة من البيرة فيها ان طائفة من التتر توجهوا الى جهة منبج وهم على عزم كبس العسكر بحلب فانثنى عزم الأمراء عن القبض عليه لئلا يطمع العدو فيهم واخذ يتذلل للأمراء ويعتذر اليهم من مخالفتهم وطلب ان يشيروا عليه بما يعتمدون فاشاروا عليه بالخروج الى جهة التتر وان يضرب دهايزه ببابلا وهي شرقي حلب وان يكون العسكر حوله وان يجمع اليه العرب والتركان ويكون على اهبة لقاءهم فأجابهم الى ذلك وضرب دهايزه ببابلا ونزل العسكر حوله واخذ في تجهيز عصيه وهو احد الأمراء بحلب الى منبج للكشف واستطلاع اخبار العدو فوق التتر عليه وقاتلوه فقتلوه وورد الخبر بذلك الى حلب فاشتد خوف الملك السعيد من غائلة هذا الأمر وبعد يومين وصل الأمير بدر الدين ازدمر الدوادار العزيزي وكان قطز رحمه الله (١) قد رتبته نائباً باللاذقية وجبله فقصده خوفاً شديداً فاجابته بحلب فلما قرب منها ركبت العزيزية والناصرية فالتقوه فأخبرهم بأن الملك المظفر قتل وان ركن

(١) قطز قتل قبل هذه المدة بقليل قتله الامير ركن الدين بيبرس البندقداري وتسلطن مكانه

الدين البندقدارى ملك الديار المصرية وتلقب بالملك الظاهر وان الأمير علم الدين سنجر الحلبي قد خطب له بالسلطنة في دمشق وصار مالكا لها وبلادها قال ونحن نعمل ايضا مثل عمل اولئك وتقيم واحدا من الجماعة مقدما وتقبض على هذا المدير يعنى ابن صاحب الموصل وتقتصر على حلب وبلادها مملكة استاذنا فاجابوه الى ذلك وتقرر بينهم ان حال وصولهم الى المخيم يمضي اليه الامراء حسام الدين الجوكندار وسيف الدين بكتمر وبدر الدين ازدمر الدوادار وكان الملك السعيد نازلاً ببابلا في دار القاضي بهاء الدين ابن الأستاذ قاضي حلب وهو فوق سطحها والعساكر حوله وكانت الأشارة بين هؤلاء الأمراء وبين بقية الأمراء انهم متى شاهدوا هؤلاء المذكورين معه على السطح يشرعون في نهب وطاقه والذين عنده يقبضون عليه فلما حضر المذكورون بسابه وطلبوا الاذن للدخول عليه اذن لهم فلما حضروا عنده على السطح واعين الباقين من الخو شداشية ممتدة اليهم شرعوا في نهب وطاقه وخيله واصحابه فسمع الضجة فاعتقد ان النتر قد كبست العسكر ثم شاهد نهب العزيزية والناصرية لوطاقه ووثب الأمراء الذين عنده ليقبضوا عليه فطلب منهم الأمان على نفسه فأمنوه وشرطوا عليه ان يسلم اليهم جميع ما حصله من الأموال ثم نزلوا به الى الدار وقصدوا الخزانة فما وجدوا فيها طائلا فتهددوه وقالوا اين الأموال التي حصلتها وطلبوا قتله والمال فقام الى ساحة باب الدار المذكورة وحضر تحت اشجار نارنج هناك واخرج اموالاً كثيرة ذكر انها كانت تزيد على اربعين الف دينار ففرقت على الامراء على قدر منازلهم ورسوموا عليه جماعة من الجند وسيروه الى شفر وبكاس معتقلا وبقي في الاعتقال اياما ثم اخرجوه بعد ان اندفعوا بين يدي التتر كما سنذكره ان شاء الله تعالى . قال القطب اليونبني وابو الفداء وبعد ايام قلائل

دم التتر حلب في اواخر هذه السنة اعنى سنة ثمان وخمسين وستائة وملكوها واخرجوا اهلها بمائلاتهم واولادهم الى قرنيبيا واسمها مقر الانبياء فساها العامة قرنيبيا ولما اجتمع المسلمون بقرنيبيا احاط بهم التتر في ذلك المكان ووضعوا فيهم السيف فافنوا غالبهم وسلم القليل منهم فدخلوا الى حلب في اسوء حال ووصل حسام الدين الجوكندار ومن معه الى حماة فضيفهم الملك المنصور محمد صاحب حماة وهو مستشعر خائف من غدرهم ثم رحلوا من حماة الى حمص فلما قارب التتر حماة خرج منها الملك المنصور صاحبها وصحبته اخوه الملك الأفضل علي والامير مبارز الدين وباقي المسكر واجتمعوا بجمص مع باقي المساكر الى ان خرجت هذه السنة .

قال ابن خطيب الناصرية في الدر المتخيب في ترجمة الملك السعيد علي بن بدر الدين لؤلؤ لما تقدم التتار الى جهة حماة وقربوا منها رحل الملك المنصور والجوكندار بمسكرهما الى حمص ووصلت التتار الى حماة ونازلوها فأغلقت ابوابها فطلبوا منهم فتح الأبواب وانهم يؤمنونهم كالمرة الاولى فلم يجيبوهم ولم يكن مع التتار خسرو شاه ولم يكن يشقون الا اليه (١) واندفعوا عن حماة طالبين لقاء العسكر واجفل الناس بين ايديهم وخاف اهل دمشق خوفاً شديداً ثم وصل التتار الى حمص وبها الأمير حسام الدين الجوكندار وصاحب حماة فاقتتلوا فانكسر التتار كسرة شديدة وكان مقدمهم بيدرا وذلك في اوائل المحرم سنة تسع وخمسين وستائة اهـ

﴿ سنة ٦٥٩ ﴾

قال القطب اليونيني دخلت السنة التاسعة والخمسون وستائة والمستولي على حلب واعمالها الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار العزيزي وهو في طاعة الملك الظاهر

(١) اطر سبب تقتهم به في ابي العدا في حوادث سنة ٦٥٨

ذكر كسرة التتر على حمص والغلاء في حلب

قال ابو الفداء في يوم الجمعة خامس المحرم من هذه السنة كانت كسرة التتر على حمص وكان من حديثها ان التتر لما قدموا في آخر السنة الماضية الى الشام اندفعت العزيزية والناصرية من بين ايديهم وكذلك الملك المنصور صاحب حماة ووصلوا الى حمص واجتمع بهم الملك الأشرف صاحب حمص ووقع اتفاقهم على ملتقى التتر وسارت التتر اليهم والتقوا بظاهر حمص في نهار الجمعة المذكورة وكان التتر اكثر من المسلمين بكثير ففتح الله تعالى على المسلمين بالنصر وولى التتر منهزمين وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون منهم كيف شاؤوا ووصل الملك المنصور الى حماة بعد هذه الواقعة وانضم من سلم من التتر الى باقي جماعتهم وكانوا نازلين قرب سامية واجتمعوا ونزلوا على حماة وبها صاحبها الملك المنصور واخوه الملك الأفضل والعسكر واقام التتر على حماة يوماً واحداً ثم رحلوا عن حماة واراد الملك المنصور بعد رحيل التتر المسير الى دمشق فنعاه العامة من ذلك حتى استوثقوا منه انه يعود اليهم عن قريب فسافر هو واخوه الملك الافضل في جماعة قليلة وبقى الطواشي مرشد في باقي العسكر بحماة ووصل المنصور بمن معه الى دمشق وكذلك توجه الملك الأشرف صاحب حمص الى دمشق .

واما حسام الدين الجوكندار العزيزي فتوجه ايضا بمن في صحبته ولم يدخل دمشق ونزل بالمرج ثم سار الى مصر واقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق في دورهما والحاكم بها يومئذ سنجر الحلبي الملقب بالسلطان الملك المجاهد وقد اضطرب امره ولذلك اقام صاحب حماة وصاحب حمص بدمشق ولم يدخلوا في طاعته لضعفه وتلاشى امره . واما التتر فساروا عن حماة الى افامية وكان قد وصل الى افامية

سيف الدين الدنبلي الأشرفي ومعه جماعة فاقام بقلعة افامية وبقي يغير على التتر
فرحلوا عن افامية وتوجهوا الى الشرق اه
وقال القطب اليونيني في حوادث هذه السنة وفيها في اوائل المحرم كانت كسرة
التتار على حمص وكانوا في ستة آلاف فارس فلما وصلوا حمص وجدوا عليها
الأمير حسام الدين الجوكندار العزيزي ومن معه والملك المنصور صاحب حماة
والملك الأشرف صاحب حمص في الف واربعماية فارس فحماوا على التتار حملة
رجل واحد فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واتى القتل على معظمهم وكانت
الوقعة عند قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه ولما عاد فلّ التتار الى حلب اخرجوا
من فيها من الرجال والنساء ولم يبق الا من اختفى خوفاً على نفسه ثم نادوا
من كان من اهل حلب فليمتزل فاختلط على الناس امرهم ولم يعلموا المراد فاعتزل
بعض الغرباء مع اهل حلب وبعض اهل حلب مع الغرباء فلما عين الفريقان
اخذوا الغرباء وساروا بهم الى ناحية بابلا فضربوا رقابهم وكان فيهم من اهل
حلب جماعة من اقارب الملك الناصر رحمه الله ثم عدوا من بقي من اهل حلب
وسلموا كل طائفة منهم الى رجل من الأكابر ضمنوهم له ثم اذنوا لهم في العود
الى البلد واحاطوا بها ولم يمكنوا احداً من الخروج منها ولا من الدخول اليها
اربعة اشهر فقلت الاسعار وبلغ رطل اللحم سبعة عشر درهما ورطل السمك ثلثين
درهما ورطل اللبن خمسة عشر درهما ورطل السيرج سبعين درهما ورطل الارز عشرين
درهما ورطل حب الرمان ثلثين درهما ورطل السكر خمسين درهما والحاوي كذلك ورطل
العسل ثلثين درهما ورطل الشراب ستين درهما والجدي الرضيع اربعين درهما والدجاجة
خمسة دراهم والبيضة درهما ونصف والبصلة نصف درهم والخسة نصف درهم وباقه البصل
درهما والبطيخة اربعين درهما والنفاحة خمسة دراهم حتى اكلت الميتة من شدة الغلاء اه

ذكر القبض على سنجر الحلبي الملقب بالملك المجاهد قال ابو الفداء وفي هذه السنة جهز الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر عسكرياً مع علاء الدين ايدكين البندقداري لقتال علم الدين سنجر الحلبي المستولي على دمشق فوصلوا الى دمشق في ثالث عشر صفر واستولى عليها وقبضوا على سنجر الحلبي وحمل الى الديار المصرية فاعتقل ثم اطلق واستقرت دمشق في ملك الملك الظاهر بيبرس واقامت له الخطبة بها وبغيرها من الشام مثل حماة وحلب وحمص وغيرها واستقر ايدكين البندقدار الصالح في دمشق لتدبير امورها اه باختصار

نقل رأس يحيى عليه السلام من القلعة الى الجامع الاعظم قدمنا في حوادث سنة ٤٣٥ خبر نقل رأس يحيى عليه السلام من بعلبك الى حلب وانه دفن في مقام ابراهيم عليه السلام الذي في القلعة في جرن من الرخام الأبيض قال في الدر المنتخب ذكر الكمال بن المديم في تاريخه ان الملك العادل نور الدين ابن عماد الدين زنكى جدد عمارة المقام وفي سنة تسع وستمائة في ايام الملك الظاهر غياث الدين غازي احترق بنار وقعت فيه كان به من الخيم والسلاح وآلات الحرب شيء كثير فاحترق الجميع ولم يسلم من الحريق الا الجرن المذكور ودفع الله سبحانه عنه النار. وهذا مما يدل على ان الرأس الذي وضع فيه رأس يحيى عليه السلام لان النار لم تصل اليه وحمي منها (ثم قال) ولما تسلم النتر قلعة حلب صلحاً سنة ثمان وخمسين وستمائة في تاسع ربيع الأول اخرجوها واخربوا الجامع المذكور مع اماكن اخر ثم لما عادوا ثانياً وجدوا اهل حلب قد بنوا بالقلعة برجاً للحمام فأنكروا عليهم بناءه وكلوا هدم القلعة حتى لم يبقوا لها اثرًا ولما اشتملت عليه من اثر واحرقوا المقامين (الفوقاني والتحتاني) حريقاً لا يمكن جبره وذلك

في احد الربيعين من سنة تسع وخمسين وستائة ولما احرق المقام الذي هو الجامع
عمد سيف الدولة ابو بكر ابن ايليا الشحنة بالقلعة المذكورة والناظر على الذخائر
وشرف الدين ابو حامد بن النجيب الدمشقي الاصل الحلبي المولد الى رأس
يحيى بن زكريا عليها السلام فقلاه من القلعة الى المسجد بجلب ودفاه غربي المنبر
وقيل شرقيه (الصحيح الاول) وعمل له مقصورة وهو زاراه

﴿ ذكر نزوح التتر عن حلب ونيابة فخر الدين بها ﴾

«- ثم تغلب آقوش البرلى عليها» ->

قال القطب اليونيني كان الملك الظاهر جهز الامير فخر الدين الطنبا الحمصي والامير
حسام الدين لاجين الميتمابي في عسكر لترحيل التتار عن حلب فلما وصلوا غزوة
كتب الفرنج من عكا الى التتار يخبرونهم فرحلوا عنها في اوائل جمادى الاولى
فتغلب عليها جماعة من احدائها وشطارها منهم نجم الدين ابو عبد الله بن المنذر
وعلى بن الانصارى وابو الفتح ويوسف بن معاني فقتلوا ونهبوا ونالوا اغراضهم
ثم وصل اليها فخر الدين الحمصي والميتمابي بمن معهم من المسكر فخرجوا هاربين
ولما دخلها الميتمابي صادر اهلها وعذبهم حتى استخرج منهم الف الف وستائة
الف دراهم بيروتية واقام بها الى ان وصل اليها الامير شمس الدين آقوش التركي
في جمادى الآخرة فخرج لتلقيه ظنانه انه جاء نجدة له وكان قد خرج من دمشق
هاربا لما استشعر من الملك الظاهر فلما دخلها تغلب عليها فخافه فخر الدين
الحمصي فأعمل الحيلة في الخلاص منه بأن طلب السفر الى الملك الظاهر ليستميله
اليه فمكثه من الخروج فلما توجه اخذ البرلى في مصادرة من كان في صحبة الحمصي
وابقى على الميتمابي وامر واقطع ووفد عليه زامل بن علي بن حذيفة في اصحابه

ففرق عليهم تسعة الف مكوكا (١) مما احتاط عليه من الغلال التي كانت مطهورة مجلب
وفرق في التركان اربعة الف مكوكا (٢) اخرى اه

ذكر اقامة خليفة عباسي في مصر وخليفة عباسي في حلب
قال الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء لما اخذت التتار بغداد هرب المستنصر بالله
احمد ابو القاسم بن الظاهر بأمر الله ابي نصر محمد بن الناصر لدين الله احمد
وصار الى عرب العراق فلما تسلطن الملك الظاهر بيبرس وقد عليه في رجب
ومعه عشر من بني مهارش فركب السلطان لقائه ومعه القضاة والدولة فشق
القاهرة ثم اثبت نسبه على يد قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعرن ثم بويع
بالخلافة فأول من بايعه السلطان ثم قاضي القضاة تاج الدين ثم الشيخ عز الدين
ابن عبد السلام ثم الكبار على مراتبهم وذلك في ثالث عشر رجب ونقش اسمه
على السكة وخطب له ولقب بلقب اخيه وركب يوم الجمعة وعليه السواد الى
جامع القلعة وصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس وبعث ان
ذكر الأحتفال الذي عمل له وما رتب له السلطان. قال واما صاحب حلب الأمير
شمس الدين آقوش فإنه اقسام مجلب خليفة ولقبه الحاكم بأمر الله وخطب له
ونقش اسمه على الدراهم ثم ان المستنصر هذا عزم على التوجه الى العراق فخرج
معه السلطان يشيعه الى ان دخلا دمشق ثم جهز السلطان الخليفة واولاد
صاحب الموصل وغرم عليه وعليهم من الذهب الف الف دينار وستة وستين
الف درهم فسار الخليفة ومعه ملوك الشرق وصاحب الموصل وصاحب سنجار والجزيرة
فاجتمع به الخليفة الحاكم ودان له ودخل تحت طاعته ثم سار ففتح الحديثة ثم
هبت فجاءه عسكر من التتار فتصافوا له فقتل من المسلمين جماعة وعدم الخليفة

(١) هكذا وامله تسعة آلاف مكوك (٢) هكذا وامله اربعة آلاف مكوك

المستنصر فقيل قتل وهو الظاهر وقيل سلم وهرب فأضمرته البلاد وذلك في الثالث من المحرم سنة ستين فكانت خلافته ستة اشهر وتولى بعده بسنة الحاكم الذي كان بويج بحلب في حياته وهو الحاكم بأمر الله ابو العباس احمد بن ابي علي الحسن القبيّ ابن علي بن ابي بكر بن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله كان اختفى وقت اخذ بغداد ونجا ثم خرج منها وفي صحبته جماعة فقصد حسين بن فلاح امير بني خفاجة فاقام عنده مدة ثم توصل مع العرب الى دمشق واقام عند الامير عيسى بن مهنا مدة فطالع به الناصر صاحب دمشق فأرسل يطلبه فبغته مجيئ التتار فلما جاء الملك المظفر دمشق سير في طلبه الامير قلعج البغدادي فاجتمع به وبايعه بالخلافة وتوجه في خدمته جماعة من امراء العرب فانتزع الحاكم عانة بهم والحديثة وهيت والانبار وصافي التتار وانتصر عليهم ثم كاتبه علاء الدين طيبرس نائب دمشق يومئذ والملك الظاهر يستدعيه فقدم دمشق في صفر فبعثه الى السلطان وكان المستنصر بالله قد سبقه بثلاثة ايام الى القاهرة فما رأى ان يدخل اليها خوفا من ان يمسك فرجع الى حلب فبايعه صاحبها ورؤساءها منهم عبد الحلیم بن تيمية وجمع خلقا كثيرا وقصد عانة فله ارجع المستنصر وافاه بعانة فانقاد الحاكم له ودخل تحت طاعته فلما عدم المستنصر في الواقعة المذكورة في ترجمته قصد الحاكم الرحبة وجاء الى عيسى بن مهنا فكاتب الملك الظاهر بيبرس فيه فطلبه فقدم الى القاهرة ومعه ولده وجماعة فاكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة وامتدت ايامه وكانت خلافته نيفا واربعين سنة وانزله الملك الظاهر بالبرج الكبير بالقلعة وخطب بجامع القلعة مرات قال الشيخ قطب الدين في يوم الخميس ثامن المحرم سنة احدى وستين جلس السلطان مجلساً عاماً وحضر الحاكم بأمر الله راكباً الى الأيوان بقلعة الجبل وجلس مع السلطان

وذلك بعد ثبوت نسبه فأقبل عليه السلطان وبايعه بأمرة المؤمنين ثم أقبل هو على السلطان وقلده الأمور ثم بايعه الناس على طبقاتهم فلما كان من الغد يوم الجمعة خطب خطبة ذكر فيها الجهاد والأمامة وتعرض الى ماجرى من هتك حرمة الخلافة ثم قال وهذا السلطان الملك الظاهر قد قام بنصرة الأمامة عند قلة الأنصار وشرذ جيوش الكفر بعد ان جاسوا خلال الديار واول الخطبة الحمد لله الذي اقام لآل العباس ركناً وظهيراً ثم كتب بدعوته الى الآفاق اه

ذكر رضاء الملك الظاهر على علم الدين سنجر الحلبي

وتوليته على حلب وطرده آفوش البرلي منها

قدمنا ان آفوش البرلي عصى على الملك الظاهر بيبرس وقدم الى حلب وتغلب عليها وان علاء الدين ايدكين البندقدار اسنقر بدمشق قال ابو الفدا لما اسنقر بها جهز عسكرياً صحبة فخر الدين الحمصي للكشف عن البيرة فان التتر كانوا قد نازلوها فلما قدم شمس الدين آفوش البرلي الى حلب كان بها فخر الدين الحمصي فقال له البرلي نحن في طاعة الملك الظاهر فتمضى الى السلطان وتساءله ان يتركني ومن في صحبتي مقيمين بهذا الطرف ونكون تحت طاعته من غير ان يكلفني وطى بساطه فسار الحمصي الى جهة مصر ليؤدي هذه الرسالة فلما سار عن حلب تمكن البرلي واحتاط على ما في حلب من الحواصل واستبد بالأمر وجمع العرب والتركان واستعد لقتال عسكري مصر ولما توجه فخر الدين الحمصي لذلك التقى في الرمل جمال الدين المحمدي الصالحى متوجهاً بمن معه من عسكري مصر لقتال البرلي وامسأكه فأرسل الحمصي عرف الملك الظاهر بما طلبه البرلي فأرسل الملك الظاهر ينكر على فخر الدين الحمصي المذكور ويأمره بالانضمام الى المحمدي والمسير

الى قتال البرلي فعاد من وقته ثم رضي الملك الظاهر عن علم الدين سنجر الحلبي وجهزه وراء المحمدي في جمع من العسكر ثم اردفه بعز الدين الدمياطي في جمع آخر وسار الجميع الى جهة البرلي وساروا الى حلب وطردهه عنها واتقضت السنة والأمر على ذلك اه

وقال القطب اليونيني لما خرج فخر الدين الحمصي من حلب كما قدمنا ذكره وبلغ الرمل كتب اليه الملك الظاهر بأمره بالمواد وكان البرلي لما تغلب على حلب خرج منها في حشد من التركان والعربان لشن الغارة على عيسى بن مهناوكان على حمص فلما مر البرلي بحماسة طلب من صاحبها موافقته فأبى واغلق دونه ابواب البلد فأحرق غللاً للعشر بالباب الغربي وعاث في نواحيها وافسد وذلك في نصف رجب وبلغ الملك الظاهر فولى علم الدين سنجر الحلبي نيابة السلطنة بحلب واقطعه ما يقوم بوظائف المملكة ورتب معه علاء الدين بن نصير الله مدبر الأمور وبعث معه عسكراً لمحاربة البرلي وقدم عليه الأمير جمال الدين آقوش المحمدي فسار الحلبي ومن معه في شعبان فلما قرب من حلب والبرلي على تل السلطان رحل بن معه وقصد الرقة ودخل الحلبي حلب وسار المحمدي وتبع البرلي فادركه بالرقة فركب ودخل على المحمدي في خيمته وقال انا مملوك السلطان وما هربت الا خوفاً منه وقد رغبت اليك في ان تستعطفه بحيث يبقى علي حران فاني طردت نواب التتر عنها ووليت فيها ومتى لم يسمع بالأبقاء علي لم اجد بداً من التجأ الى التتار فتكفل له المحمدي بما التمهه ورحل عائداً وعبر البرلي الى حران وكان ذلك خديعة منه



ذكر اخذ آقوش البرلي البيرة وعوده الى حلب واخذها

قال القطب اليونيني كان الأمير علم الدين سنجر الحلبي قد كاتب الاسد حلب الجوكندار اليها على ان يسلمها اليه (هكذا والقصد انه كاتب صاحب البيرة ليسلمها اليه) وكان ولاء بها علاء الدين ابن صاحب الموصل فطلب ذهباً تقرر وعينه فأجابه الحلبي وسير اليه المال ولم يسلمها ثم استدعى البرلي من حران فسار اليه وسلمها ثم قصد حلب فلما كان بتل باشر خرج عن طاعة الحلبي أكثر من كان معه ولحقوا بالبرلي فخرج الحلبي من حلب ليلاً فلما علم البرلي بذلك بعث اليها علم الدين طقصبا الناصري وسيف الدين كيكلدي الحلبي فتسلماتها ثم دخلها في اوائل شهر رمضان وبعث طائفة ممن كان معه في اثر الحلبي فلم يدركوه اه

ذكر مقتل الملك الناصر يوسف صاحب حلب والشام

وترجمته

قال ابو الفداء في هذه السنة ورد الخبر بمقتل الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وعقد عزاه يجامع دمشق في سابع جمادى الأولى من هذه السنة وصورة الحال في قتله انه لما وصل الى هولاءكو على ما قدمناه ذكره وعده برده الى ملكه واقام عند هولاءكو مدة فلما بلغ هولاءكو كسرة عسكره بعين جالوت وقتل كتبنا ثم كسرة عسكره على حمص ثانيا غضب من ذلك واحضر الملك الناصر المذكور واخاه الملك الظاهر غازي وقال له انت قلت ان عسكر الشام في طاعتك فقدرت بي وقتلت المغل فقال الملك الناصر لو كنت بالشام ما ضرب احد في وجه عسكرك بالسيف ومن يكون يبلاد توريز كيف يحكم على بلاد الشام

فاستوفى هولاء لعمرة الله ناصجا وضربه به فقال الملك الناصر يا خوند الصنيعة
 فنهأه اخوه الظاهر وقال قد حضرت ثم رماه بفردة ثانية فقتله ثم امر بضرب
 رقاب الباقيين فقتلوا الظاهر اخا الملك الناصر والملك الصالح ابن صاحب حمص
 والجماعة الذين كانوا معهم واستبقوا الملك العزيز ابن الملك الناصر لأنه كان صغيرا
 فبقي عندهم مدة طويلة واحسنوا اليه ثم مات
 ترجمته

قال القطب اليونيني في ترجمته ولد الملك الناصر سنة سبع وعشرين وستائة مجلب
 بقلعتها ولما ولد زين البلد ولبس العسكرا حسن زى واظهر من السرور والابتهاج
 بمولده ما جاوز الحد وكان عمره لما افضى اليه الملك بعد وفاة والده نحو سبع
 سنين وقام بتدبير مملكته الأمير شمس الدين لولو الاميني والأمير عز الدين عمر
 ابن مجلي ووزير الدولة جمال الدين القفطي ويحضر معهم جمال الدولة اقبال الخاتوني
 في المشورة فاذا اتفق رأيهم على شيء دخل جمال الدولة الى الصاحبة ضيفة
 خاتون بنت الملك العادل والدة الملك العزيز وعرفها ما اتفق عليه الجماعة فكانت
 الأمور منوطة بها وفي سنة اربعين توفيت الصاحبة ضيفة خاتون فاستقل ابنها
 الملك الناصر بالسلطنة واشهد على نفسه بالبلوغ وله نحو ثلث عشرة سنة وامر
 ونهى وقطع ووصل وجلس في دار العدل والاشارة للأمير شمس الدين لولو
 وجمال الدولة اقبال الخاتوني والوزير القاضي الأكرم جمال الدين القفطي.

وكان ملكاً جليلاً جواداً كريماً كثير المعروف غزير الأحسان حايماً صفوحاً
 حسن الأخلاق كامل الأوصاف جميل العشرة طيب المحادثة والمفاكهة قريبا
 من الرعية يؤثر العدل ويكره الظلم وزاد ملكه على ملك ابيه وجده فإنه ملك
 بلاد الجزيرة وحران والرها والرقعة ورأس عين وما معها من البلاد وملك

جمع كما ذكرنا ثم ملك الشام كما ذكرنا بعد قتل الملك المعظم وصفاله الشام والبلاد الشرقية واطاعه صاحب الموصل وصاحب ماردين وعظم شأنه جدا ثم دخل بعساكره الى الديار المصرية سنة ثمان واربعين فكسر عساكرها وخطب له بمصر وقلعة الجبل وكاد يملك الأقليم ويستولى على الممالك الصلاحية كلها لولا ما قدره الله من ظهور طائفة من عسكر مصر وانهمزاه الى الشام ومقتل مدبر دولته الامير شمس الدين لولو واقام الملك الناصر بدمشق عشر سنين حاكما على الشام والشرق الى ان قدر الله تعالى ما قدره من استيلاء التتر على البلاد وذهابهم اليهم ومقتله رحمه الله ولم يكن لأحد من الملوك قبله مثل ما كان له من التجمل بكثرة العظام وغيره فإنه كان يذبح في مطبخه كل يوم اربعمائة رأس من الغنم وكان نفقة مطبخه في كل يوم عشرين الف درهم

وكان الملك الناصر رحمه الله حليما الى الغاية عظيم العفو عن الزلات لا يرى المؤاخذة والانتقام بل سجيته الصفح والتجاوز اعترضه شخص يوما بورقة فأمر بأخذها منه وقرأها فوجد فيها الوقيعة فيه وذمه فقال لبعض غلمانه قل له يخرج من دمشق الى حيث شاء فانا ما اؤذيه ولا انا بله على فعله

وكان رحمه الله حسن المباشطة مع جلسائه وكان في خدمته جماعة كثيرة من الفضلاء والعلماء والأدباء والشعراء وغيرهم ولهم عليه الرواتب السنية وكان حسن العقيدة والظن بالصالحين يكرمهم ويبرهم ويجري عليهم الرواتب اهباً اختصار وقال ابو الفداء ايضا في ترجمته كان حليما وتجاوز به الحلم الى حد أضر بالملكة وانقطعت الطرق في ايامه وبقي لا يتقدر المسافر على السفر من دمشق الى حماة وغيرها الا برقعة من العسكر وكثر طمع العرب والتركمان في ايسامه وكثرت الحرامية وكانوا يكبسون الدور ومع ذلك اذا حضر القائل الى بين يدي الملك

الناصر المذكور يقول الحي من الميت ويطلقه فأدى ذلك الى انقطاع الطرقات
وانتشار الحرامية والمفسدين

وكان على ذهن الناصر المذكور شيئٌ كثير من الأدب و الشعر و يروى له
اشعار كثيرة منها

فوالله لو قطعت قلبي تأسفاً وجرعتني كاسات دمعى دما صرفا

لما زادنى الا هوى و محبة ولا اتخذت روحى سواك لها الفا

وقدمنا ان مولده سنة سبع وعشرين وستمائة فيكون عمره اثنتين وثلاثين سنة
تقريباً اهـ

سنة ٦٦٠

ذكر طاعة البرلى للملك الظاهر وارسال سنقر

الرومى الى حلب

قدمنا دخول البرلى الى حلب فى شهر رمضان من السنة الماضية قال القطب
اليونينى فى الذيل لما دخل البرلى حلب اظهر طاعة الملك الظاهر و اقام بها الى
ان كتب اليه الملك الصالح صاحب الموصل يعلمه بزول التتر عليه ويستنجده
فكتب الى الملك الظاهر يستأذنه فى التوجه لنصرته فأجابه و امره بالتربص
بجران الى ان يصل اليه عسكر من جهته ينجده به صاحب الموصل فلما وصل
حمران اقام بها ثم خاف من العسكر الواصل من مصر ان يقبض عليه فتوجه
الى سنجار

واما الملك الظاهر فتقدم الى الأمير شمس الدين سنقر الرومى بالمسير الى حلب
ثم الموصل و جهز معه عسكراً وكتب الى الأمير علاء الدين طيبرس نائب

السلطنة بدمشق والى الأمير علاء الدين البندقدار. يأمرهما ان يكونا معه بعسكرهما اذا وصل اليهما حيث توجه فمما وصلت العساكر تل السلطان واتصل بهم توجه البرلي الى سنجار وبعثوا الى حلب من تسلمها نيابة عن البندقدار ثم عادت العساكر الى انطاكية فزلوا عليها وشنوا الغارات على نواحيها فداراهم من بها بأقامة وضيافة وسألوم ان يرحلوا عنهم على ان يحملوا اليهم مالا مصانعة فوق الخلف في تقرير المال بين الأمير علاء الدين طبرس والأمير شمس الدين سنقر فرحلا بالعسكر ونزلا على تل السلطان فاتاهم امر السلطان ان يتوجه البندقدار الى حلب ويعود طبرس وسنقر الرومي الى دمشق

(ذكر قصد التتر الموصل واستنجد صاحبها بالبرلي)

وانهزامها من التتر

قال القطب اليونيني ما خلاصته في هذه السنة قصدت التتر الموصل ومقدمهم صيدعون صاحب ماردين وغيرهم فاستصرخ الملك الصالح صاحبها بالبرلي فخرج من حلب وسار الى سنجار فلما انصل بالتتر واصله عزموا على الهرب واتفق وصول الترين الحافظي اليهم من عند هولاء كو فعرفهم ان الجماعة التي مع البرلي قليلة والمصلحة ان تلاقوهم فقوي عزمهم الحافظي قائله الله فسار صيدعون بطائفة ممن كان على حصار الموصل عدتها عشرة آلاف وقصد سنجار وبها البرلي ومعه الف وخمسةائة فارس عن الف واربعائة من التركان ومائة من العرب فخرج اليهم بمد ان تردد في ملنقاهم فكانت الكرة عليه وقتل الكثير من جماعته ونجا الأمير شمس الدين البرلي في جماعة يسيرة من العزيزية والناصرية ولما وصل البيرة فأرقه اكثرهم ودخلوا الديار المصرية اه

ذكر عود البرلي الى الديار المصرية وما كان من امره

قال القطب اليونيني لما حل الأمير شمس الدين البرلي بالبيرة وصله قونور خاله وزين الدين قراجا الجمدار الناصري وكان اخذ اسيرا من حلب رسلاً من هولاًكو يطلبونه اليه ليقطعه البلاد فقال انا مملوك السلطان الملك الظاهر وما يمكنني مفارقتة واختيار هولاًكو عليه ثم سير الكتب الى الملك الظاهر وكتب يطلب منه امانا بما سأل ويسأله المصير الى مصر فتوجه من البيرة في تاسع عشر شهر رمضان واجتمع بالبندقدار [نائب حلب] بعد توثق كلاهما بالأيمان ودخل البرلي الى مصر غرة ذى الحجة فأنعم عليه الملك الظاهر وعين له سبعمين فارساً اه وقال ابو الفداء لما ضافت على آفوش البرلي البلاد واخذت منه حلب ولم يبق بيده غير البيرة دخل في طاعة الملك الظاهر وسار اليه فكتب الملك الظاهر الى النواب بالأحسان اليه وترتيب الأقامات له في الطرقات حتى وصل الى الديار المصرية في ثاني ذى الحجة من هذه السنة اعنى سنة ستين فتلقاه الملك الظاهر وبالغ في الأحسان اليه واكثر له العطاء فسأل آفوش البرلي من الملك الظاهر ان يقبل منه البيرة فلم يفعل وما زال يعاوده حتى قبلها وبقي آفوش البرلي العزيزي المذكور مع الملك الظاهر الى ان تغير عليه وقبضه في رجب سنة احدى وستين وستمائة فكان آخر العهد به اه

-* ذكر ولاية علاء الدين ايدكين حلب *-

قال القطب اليونيني في هذه السنة في شوال ولي الأمير علاء الدين ايدكين الشهابي نيابة السلطنة بحلب

وفيها اشتد الغلاء بالشام فبيع رطل اللحم بالدمشقي بستة دراهم وسبعة دراهم

والنرارة من القمح بأربعمائة وخمسين درهما والشعير بمائتين وخمسين درهما
والمكوك القمح بحماة ومجلب بأربعمائة درهم واللحم الرطل بالحلي بثمانية دراهم
ورطل الخبز بثلاثة دراهم ثم بلغ خمسة ثم اشتد الغلاء في جميع الأصناف ومات
خلق كثير من الجوع مجلب وحماة وغيرهما اه

ذكر وفاة الكمال بن العديم صاحب تاريخ حلب

قال ابو الفداء في هذه السنة في ذى الحجة توفي صاحب كمال الدين عمر بن
احمد المعروف بأبن العديم انتهت اليه رياسة اصحاب ابي حنيفة وكان فاضلاً
كبير القدر الف تاريخ حلب وغيره من المصنفات وكان قد قدم الى مصر لما جفل
الناس من التتر ثم عاد بعد خراب حلب اليها فلما نظر ما فعله التتر من خراب
حلب وقتل اهلها بعد تلك العارة قال في ذلك قصيدة منها

هو الدهر ما تبنيه كفاك يهدم * وان رمت انصافا لديه فتظلم
اباد ملوك الفرس جمعا وقيصرا * واصمت لدى فرسانها منه اسهم
وافنى بنى ايوب مع كثر جمعهم * وما منهم الا ملك معظم
وملك بنى العباس زال ولم يدع * لهم اثرا من بعدهم وهم هم
واعنائهم اضحت تداس وعهداها * تباس بأفواه الملوك وتلثم
وعن حلب ماشئت قل من عجائب * احل بها يا صاح ان كنت تعلم

ومنها

فيالك من يوم شديد لغامه * وقد اصبحت فيه المساجد تهدم
وقد درست تلك المدارس وارتمت * مصاحفها فوق الثرى وهي ضخم

وهي طويلة وآخرها

ولكنما لله في ذا مشيئة * فيفعل فينا ما يشاء ويمحكم
وسنذكر في القسم الثاني من الكتاب ترجمته بأبسط من هذا ان شاء الله تعالى
وانما ذكرناه هنا تبعاً لأبي الفداء بمناسبة القصيدة المتقدمة لعلاقتها بأخبار التتار
وبحثت كثيراً عن بقية القصيدة لأثبتها جميعها فلم اعثر عليها
قال ابن الوردي في تنمة المختصر في حوادث هذه السنة رأيت مقامة مرصعة
وضعها الشيخ جمال الدين عمر بن ابراهيم بن الحسين الرسفي وذكر فيها وقعة
حلب ولعلها من احسن ما قيل في ذلك (فمنها) هذا وقد نزلت فنون البلاء بالشام
وهملت عيون العناء كالغمام وصار وشام الأسلام كالوشام وعرام الأنام في غرام
وخفيت آثار المآثر ودرست، وطفئت انوار المنابر وطمست، وحلبت العيون ماءها
على حلب وسكبت الجفون دماءها من الصبب والتف عليها الختل والأختلال
واحتف بها القتل والوبال واختطف من اعيانها الشموس والأقار واقتطف من
اغصانها نفائس النفوس والأعمار فستر سفور السرور ونشر ستور الشرور
وتخربت الدور والقصور ونحرت الحور في النحور وجرت عيونها على اعيانها
وهمت جفونها على شبانها بدموع جرت نجيماً لفظوع طرت سريعاً، ونمى الطفيان
والغش في روضة الشام وسما العدوان في عش بيضة الأسلام ورفعت الصلبان
على المساجد ووضعت الأديان والمعابد حتى بكى على الوجود الجلمد وشكى الى
المعبود السرمد ولما تعظم العدو وتكبر وتقدم بالعنوت وتجبر وبسط سيفه على
الخائفين وهبط خوفه على المشرقين اطلع الله طلائع اللواء المظفر وابدع مطالع
السناء الأنور وخفقت الرايات والبنود وشرقت الآيات والسمود بانجذاب
الكفار الى كنعان وانسحاب الفجار الى الهوان وهي طويلة اه

﴿ ذكر طرد التتر من نواحي الفرات عند البيرة ﴾

قال ابن كثير في هذه السنة جهز السلطان الملك الظاهر عسكرياً جماً كثيفاً الى ناحية الفرات تطرد التتار النازلين للبيرة فلما سمعوا بالعساكر الظاهرية قد اقبلت تولوا على اعقابهم منهزمين والحمد لله رب العالمين فطابت تلك الناحية وامنت تلك المعاملة وقد كانت قبل ذلك لا تسكن من كثرة الفساد بها والخوف فعمرت وامنت والله الحمد اهـ

﴿ ذكر تولية قضاة من المذاهب الأربعة ﴾

قال القطب اليونيني وابن كثير في هذه السنة ولي من كل مذهب قاضي قضاة مستقل بالديار المصرية وسبب ذلك كثرة توقف قاضي القضاة تاج الدين في تنفيذ الأحكام وكثرت الشكاوي منه في يوم الاثنين ثاني عشر ذي الحجة فأشار الأمير جمال الدين ايدغدى الغريزي على السلطان بأن يولي من كل مذهب قاضي قضاة وكان يجب رأيه ومشورته فأجاب الى ذلك ففعل كما ذكرنا وكان الأمير جمال الدين يكره القاضي تاج الدين فقال له الأمير جمال الدين ترك مذهب الشافعي لك ونولي معك من كل مذهب قاضياً وذكر اسماء القضاة الأربعة الذين عينوا

(سنة ٦٦٤)

﴿ ذكر دخول العساكر الى بلاد الأرمن ﴾

قال ابو الفداء وفي هذه السنة بعد فراغ الملك الظاهر من فتوح صفد سار الى دمشق فلما دخلها واستقر فيها جرد عسكرياً ضخماً وقدم عليهم الملك المنصور وامرهم بالمسير الى بلاد الأرمن فسارت العساكر صحبة الملك المنصور ووصلوا

الى بلاد سيس في ذي القعدة من هذه السنة وكان صاحب سيس اذ ذاك هيثوم ابن قسطنطين بن باسل قد حصن الدربندات بالرجال والمناجق وجعل عسكره مع ولديه على الدربندات لقتال العسكر الاسلامي ومنعه فداستهم العساكر الاسلامية وافنوم قتلاً واسراً وقتل ابن صاحب سيس الواحد واسر ابنه الآخر وهو ليفون بن هيثوم المذكور وانتشرت العساكر الاسلامية في بلاد سيس وفتحوا قلعة العامودين وقتلوا اهلها ثم عادت العساكر وقد امتلأت ايديهم من الغنائم ولما وصل خبر هذا الفتح العظيم الى الملك الظاهر بيبرس رحل من دمشق ووصل الى حماة ثم الى فامية فالتقى عساكره وقد عادت منصوره وامر بتسليم الأسرى وفيهم ليفون بن صاحب سيس وكان المذكور لما اسر سلمه الملك المنصور الى اخيه الملك الأفضل فاحترز عليه وحفظه حتى احضره بين يدي السلطان ثم عاد الى الديار المصرية على طريق الكرك فتقنطر بالملك الظاهر المذكور فرسه عند بركة زيزا وانكسرت فخذه وحمل في محفة الى قلعة الجبل اه

(سنة ٦٦٦)

ذكر مسير الملك الظاهر الى انطاكية وبغراس وفتحها

قال القطب اليونيني وابن كثير وابوالفداء في هذه السنة في مستهل جمادى الأولى توجه الملك الظاهر بيبرس بعساكره المتوافرة الى الشام وفتح يافا في العشر الأوسط من الشهر المذكور واخذها من الفرنج ثم سار الى انطاكية وكان نزوله عليها في مستهل شهر رمضان فخرج اليه اهلها يطلبون منه الأمان وشرطوا شروطاً عليهم فأبى ان يجيبهم وردهم خائبين وصمم على حصارها وزحف عليها فللكها يوم السبت رابع الشهر ورتب على ابوابها من الأمراء جماعة لئلا يخرج احد من

الحرافشة بشيء من النهب ومن وجد معه شيء أخذ منه وحصر من قتل فيها فكانوا فوق الأربعين الفا وغنم منها شيئاً كثيراً واطلق للامرء اموالاً جزيلة ووجد من اسارى المسلمين من الحلبيين خلقاً كثيراً كل هذا في اربعة ايام وقد كان الأبرنس صاحبها وصاحب طرابلس من اشد الناس اذية للمسلمين حين ملك التتار حلب وفر الناس منها وكانت انطاكية للبرنس بيمند بن بيمند وله معها طرابلس وكان مقبياً بطرابلس لما فتحت انطاكية

قال ابو الفداء وفيها في ثالث عشر رمضان استولى الملك الظاهر على بغراس وسبب ذلك انه لما فتح انطاكية هرب اهل بغراس منها وتركوا الحصن خاليا فأرسل من استولى عليها في التاريخ المذكور وشحنه بالرجال والعدد وصار من الحصن الإسلامية وقد تقدم ذكر فتح صلاح الدين للحصن المذكور وتخريبه ثم عمارة الفرنج له بعد صلاح الدين ثم حصار عسكر حلب له ورحيلهم عنه بعد ان اشرفوا على اخذه

تتمة حوادث سنة ٦٦٦

قال ابو الفداء وفيها في شوال وقع الصالح بين الملك الظاهر وبين هيثوم صاحب سيس على انه اذا احضر صاحب سيس سنقر الأشقر من التتر وكانوا قد اخذوه من قلعة حلب لما ملكها هولاء كما تقدم ذكره وسلم مع ذلك بهسنا ودر بساك ومرزبان ورعبان وشيخ الحديد يطلق له ابنه ليفون فدخل صاحب سيس على ابغا ملك التتر وطلب منه سنقر الأشقر فأعطاه اياه ووصل سنقر الأشقر الى خدمة الملك الظاهر وكذلك سلم در بساك وغيرها من المواضع المذكورة خلا بهسنا واطلق الملك الظاهر ابن صاحب سيس ليفون بن هيثوم وتوجه الى والده اه

سنة ٦٦٨

ذكر مجيئ الملك الظاهر بيبرس الى حلب

قال ابو الفداء فيها توجه الملك الظاهر بيبرس من الكرك مستهمل المحرم عند عوده من الحج فوصل الى دمشق بغتة وتوجه من يومه ووصل الى حماة في خامس المحرم وتوجه من ساعته الى حلب ولم يعلم به العسكر الا وهو في الموكب معهم وعاد الى دمشق في ثالث عشر المحرم المذكور ثم توجه الى القدس ثم الى القاهرة فوصل اليها في ثالث صفر من هذه السنة اهـ

سنة ٦٦٩

(ذكر ترتيب الملك الظاهر بيبرس خيل البريد)

بين البلاد المصرية والبلاد الشامية

قال ابن اياس في هذه السنة رتب السلطان خيل البريد بسبب سرعة اخبار البلاد الشامية فكانت اخبار البلاد الشامية ترد عليه في الجمعة مرتين وقيل انه انفق على ذلك جملة مال حتى تم له ترتيب ذلك وكان خيل البريد عبارة عن سراكر بين القاهرة ودمشق وفيها عدة خيول جيدة وعندها رجال يعرفون بالسراقرين ولا يقدر احد ان يركب من خيل البريد الا بمرسوم سلطاني وكان عند كل سركر ما يحتاج اليه المسافرون من زاد وعلف وغير ذلك وهذا كله لأجل سرعة مجيئ اخبار البلاد الشامية وغيرها من البلاد وقيل ان الملك الظاهر بيبرس هذا كان يعمل موكبا بمصر وموكبا بالشام وكانت خيل البريد مرصودة بسبب ذلك حتى لقد قال القائل في المعنى

يوما بمصر ويوما بالشام ويو * ما بالفرات ويوما في قرى حلب

واستمر هذا الأمر باقيا بعد الملك الظاهر بيبرس مدة طويلة ثم تلاشى أمره قابلا قليلا حتى بطل في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق عند ما قدم تيمورلنك الى الشام واخرب البلاد الشامية وذلك في سنة ثلاث وثمانمائة فعند ذلك بطل امر خيل البريد مع جملة ما بطل من شعائر مملكة الديار المصرية اه

سنة ٦٧٠

ذكر اغارة التتر على عينتاب ورجوعهم عنها وانهم امهم

من الملك الظاهر على الفرات

قال ابن كثير في هذه السنة في ربيع الأول وصلت الجفالة من حلب وحماة وحصص الى دمشق بسبب الخوف من التتار وجفل خلق كثير من اهل دمشق . وفي ربيع الآخر وصلت العساكر المصرية الى حضرة السلطان الى دمشق فسار بهم منها في سابع الشهر فاجتاز بحمالة واستصحب ملكها المنصور ثم سار الى حلب فحيم بالميدان الاخضر بها وكان سبب ذلك ان عسكر التتار جمعوا نحواً من عشرة آلاف فارس وبعثوا طائفة منهم فاغاروا على عين تاب ووصلوا الى بسطون ووقعوا على طائفة من التتركان بين حارم وانطاكية فاستأصلوهم فلما سمع التتار بوصول السلطان رجعوا على اعقابهم . قال ابن اياس وفيها جاءت الأخبار بأن التتار قد تحركوا على البلاد ووصلوا الى الفرات وملكوا البيرة فخرج اليهم السلطان ومعه سائر الأمراء وكان جاليش العسكر الأمير قلاون الالني والأمير بيسري فتلاقوا مع التتار على الفرات فكان بينهم وقعة عظيمة فقتل منهم ما لا يحصى عدده واسر منهم جماعة كثيرة فلما دخل السلطان البيرة خلع على نائبها واقره على حاله وفرق جملة من المال على من بها من الرعية لأنهم قاتلوا التتار قتال

يدوب حتى كسروهم كسرة قوية فأقام السلطان في البيرة اياما ثم رجع الى الشام فأقام بها شهرا ثم توجه الى الديار المصرية فدخلها في موكب عظيم وزينت له وحملت القبة والطبر على رأسه اه

وقال القطب اليونيني في حوادث هذه السنة وفي خامس جمادى الأولى انصل بالملك الظاهر وهو بدمشق ان فرقة من التتار قصدت الرحبة فبرز الى القصير بالمسافر فبلغه انهم عادوا عن الرحبة ونزلوا على البيرة فسار الى حمص واخذ مراكب الصيادين بالبحيرة على الجمال للجسور ثم رحل حتى وصل الى الباب من اعمال حلب وبعث جماعة من المماليك والعربان لكشف اخبارهم وسار الى منبج فعادوا واخبروا ان طائفة من التتر مقدارها ثلاثة آلاف فارس على شط الفرات مما يلي الجزيرة فرحل من منبج يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى ووصل شط الفرات وتقدم الى العسكر بمخوضها فحاض الأمير سيف الدين قلاوون والأمير بدر الدين بيسري في اول الناس ثم تبعهما بنفسه وتبعته المساكير فوقعوا على التتر فقتلوا منهم مقتلة عظيمة واسروا مقدار مأتي نفس ولم ينج منهم الا القليل وتبعهم الأمير بدر الدين بيسري الى قرب سروج ثم عاد والذين كانوا على البيرة شرف الدين بن الخطير واتبك ارسلان دغمش وامين الدين ميكائيل النائب بقونية وامر الروم تقديرا ثلاثة آلاف فارس (١) ومقدم المغل [التتار] درباى ولما اتصل بهم خبر الوقعة رحلوا عن البيرة بعد ان انشرفوا على اخذها وتركوا ما لهم من الأسلحة والعدد والمجانيق والامتعة ونجوا بأنفسهم فسار الملك الظاهر الى البيرة ووصلها في الثاني والعشرين من الشهر وصعداها وخلع

(١) هكذا في الاصل ولعل القصد ان ميكائيل جاء نجدة من طرف ملك الروم السلجوقي ومعه ثلاثة آلاف فارس

على مستحفظها وفرق في اهلها مائة الف درهم وانعم عليهم ببعض ما تركه التتر
عند هربهم ثم رحل قاصداً دمشق وقد ذكر خوض الفرات المولى شهاب
الدين محمود الكاتب في قصيدة اولها

سرحيت شئت لك المهيمن جار * واحكم فطوع مرادك الأقطار
لم يبق للدين الذي اظهرته * ياركنه عند الأعادي نار
ومنها

لما تراقصت الرؤس وحركت * من مطربات قسيك الأوتار
خضت الفرات بساج اقصى منى * هوج الصبا من نعله الآثار
حملتك امواج الفرات ومن رأى * بحرا سواك تقله الانهار
وتقطعت فرقا ولم يك طودها * اذ ذاك الا جيشك الجرار
ومنها

رشت دماءهم الصعيد فلم يطر * منهم على الجيش الصعيد غبار
شكرت مساعيك المعافل والورى * والترب والآساد والأطيار
هذي منعت وهؤلاء منعتهم * وسقيت تلك وعم ذي الايثار
فلا ملأن الدهر فيك مدأحا * تبقى بقيت وتذهب الاعصار

وقال ناصر الدين حسن بن القيب الكناني رحمه الله في واقعة الفرات واظنه حضره.

ولما ترامينا الفرات بخيانا * سكرناه منا بالقوى والقوادم
فأوقفت التيار عن جريانه * الى حيث عدنا بالفنى والفسائم

وقال صاحبنا موفق الدين عبد الله بن عمر رحمه الله

الملك الظاهر سلطاننا * نفديه بالأموال والاهل
اقتحم الماء ليطنى به * حرارة القلب من الغل

انتهى ما في القطب اليوناني وقال ابن شاكر الكتبي في تاريخه فوات الوفيات
في ترجمة الملك الظاهر المذكور قال عبي الدين بن عبد الظاهر

تجمع جيش الشرك من كل فرقة * وظنوا بأنا لانطبق لهم غلبا
وجاؤا الى شط الفرات ومادروا * بأن جياذ الخيل تقطعها ونبا
وجاءت جنود الله في العدد التي * تيمس لها الأبطال يوم الوغى عجا
فعمنا بسد من حديد سباحة * اليهم فما استطاع العدو له نقبا

وقال قال بدر الدين يوسف بن المهمندار

لو عاينت عينك يوم نزولنا * والخيل تطفح في العجاج الأكر
وقد اطلختم الأمر واحتدم الوغى * ووهى الجبان وساء ظن المجترى
لرأيت سداً من حديد ما يرى * فوق الفرات وفوقه نار ترى
ظفرت وقد منع الفوارس مدها * تجري ولولا خيلنا لم تظفر
ورأيت سيل الخيل قد بلغ الزبي * ومن الفوارس اسجراً في البحر
لما سبغنا اسهباً طاشت لنا * منهم الينا بالخيل الضمر
لم يفتحوا الرمي منهم اعينا * حتى كحلن بكل لدن اسمر
فتسابقوا هرباً ولكن ردهم * دون الهزيمة ربح كل غضنفر
ما كان اجري خيلنا في اترهم * لوانها برؤسهم لم تثر
كم قد قلنا صخرة من صخرة * ولقد ملأنا حجرا من محجر
وجرت دماهم على وجه الثرى * حتى جرت منها مجاري الأشهر
والظاهر السلطان في آثارهم * يذري الرؤس بكل غضب ابتر
ذهب الغبار مع النجيع بصقله * فكانه في غمده لم يشهر

سنة ٦٧٣

ذكر دخول السلطان الملك الظاهر الى بلاد سيس

قال ابن شداد في الأعلام الخطيرة . لما كانت سنة ثلاث وسبعين عزم مولانا السلطان علي قصد سيس وذلك ان هيثوم مات وولى بعده ولده ليفون فأخذ في افساد ما كان بين ابيه وبين السلطان بمكاتبة التتر والتعرض لقفول الواردة من بلاد الروم واخذ ما فيها من البضائع والفتك بأربابها فخرج من القاهرة نحو الشام وصعبته العساكر المنصورة وترك نائبا عنه الأمير شمس الدين آق سنقر المارقاني فوصل الى دمشق وطلب ثم توجه ولم يشعر احد اين يتوجه فنزل بقرب (سرمين) ورتب العساكر وطلب من كل جندي قرية وجبلا يرسم الكلك (هكذا) وفرقهم على الامراء ثم رحل ونزل حارم مخفا ثم رحل وخاض النهر الاسود ونزل تحت درب ساك وجعل كل الف فارس الى مقدم وامرهم بدخول سيس فكان اول من دخلها الامير بليك الخزندار نائب المملكة ومعه جماعة من الأمراء فوصل الى اسكندرونة فقتل وسبا وقصد المصيصة فباكرها فوجد الأرمن يريدون ان يحرقوا الجسر الذي هو على نهر جييجان فعاجلهم وقد اخذت النار فيه فأطفأها وعبر ومكن سيفه فيمن لقي من الأرمن ولم يبق الا النساء والاطفال ثم ردفه مولانا بمن بقي معه من العساكر فلما عبر الجسر قطعه ثم رحل وقصد سيس فوجد ليفون وقد خرج منها هاربا فصار خلفه ليدركه فقاته ففاد الى سيس فحاصر قلعتها فامتنت عليه فأحرق البلد وعفاها وطمس معالمها واخفاها وبث عساكره في اعمالها وامرهم بأحراق ضياعها ومزارعها الى ان وصلوا الى ساحل البحر فنهبوا من كان بأيباس من التجار ثم عاد السلطان ورحل

ونزل على قلعة تسمى سن الفار فحاصرها اياماً ثم رحل بسبب ان العلوقات والاقوات قلت وكان قد استاء من السلطان عند توغله في بلاد سيس عشرون الف بيت من التركان وخلق كثير من العرب كانوا قد ركبوا الى هيثوم لما استولت التتر على بلاد حلب فأمر جماعة منهم واقطعهم الأخباز واخذ منهم العداد .
 فله عزمات اضمرت في صدر الأعداء ناراً واكسبتهم بالفرار عاراً وشناراً واخلتهم عن ديار اهدت اليهم درها كباراً وغذتهم بدرها صفاراً وامكنت منهم سيوفاً البستهم على مذي الايام ذلاً وصفاراً . وجرت على عزمات من تقدم من الملوك ذيل الفخر باغتنام الاجر وطلعت في السير طلوع الفجر فأنها ازاحت علة الخوف من الأرمن بفتكاتها المبيدة واراحت من جاوز بلادهم من حرب يحتاج فيه الى ختل ومكيدة واصارت صياصها موطوءة بالحوافر محبوة بالتطهير ممن كان يستوطنها من الكوافر اه

سنة ٦٧٤

ذكر مجيئ التتار الى البيرة وانكسارهم عليها

قال ابن كثير لما كان يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة نزل التتار على البيرة في ثلاثين الف مقاتل من المغول [وكان اسم مقدمهم اقطاي كما في ابى الفداء] وخمسة عشر الفا من الروم والمقدم على الجميع البرواناه بأمر ابغا ملك التتر ومعهم جيش الموصل وجيش ماردين والاكراد ونصبوا عليها ثلاثة وعشرين منجنيقا فخرج اهل البيرة بالليل فكسروا عسكر التتار واحرقوا المنجنقيات ونهبوا شيئاً كبيراً ورجعوا الى بيوتهم سالمين فاقام عليها الجيش مدة الى تاسع عشر الشهر المذكور ثم رجعوا عنها بنيتهم لم يناووا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً .

ولما بلغ السلطان نزول التتار على البيرة انفق في الجيش ستمائة الف دينار ثم ركب
سريماً وفي صحبته ولده السعيد فلما كان في اثناء الطريق بلغه رحيل التتار عنها
فعاد الى دمشق اه

(سنة ٦٧٥)

﴿ ذكر انكسار التتار على البلستين وفتح قيسارية ﴾

قال ابو الفداء وابن كثير وابن اياس في هذه السنة جاءت الأخبار بأن التتار
زحفوا على البلاد فجاء الملك الظاهر بيبرس بعساكره المتوافرة الى الشام وكان
خروجه من مصر في العشرين من رمضان ودخل دمشق في سابع عشر شوال
فاقام بها ثلاثة ايام ثم سار حتى دخل حلب فاقام بها يوماً ورسم لنائب حلب
ان يقيم بمسكن حلب على الفرات لحفظ المخابر وسار السلطان فقطع الدربند
في نصف يوم ووقع سنقر الأشقر في اثناء الطريق بثلاثة الآف من المغول
فهزموهم يوم الخميس تاسع ذي القعدة وصعد العسكر الجبال فاشرفوا على وطة
البلستين عاشر ذي القعدة فرأوا التتار قد رتبوا عساكرهم وكانوا احد عشر
الف مقاتل وعزلوا عنهم عسكر الروم خوفاً من محاصرتهم فلما رأى الجمعان
حملت ميسرة التتار فصدت صنابق السلطان ودخلت طائفة بينهم فشقوها
وساقت الى الميمنة فلما رأى السلطان ذلك اردف المسلمين بنفسه ومن معه ثم
لاحت منه التفانة فرأى الميسرة قد كادت تنحطم فأمر جماعة من الأمراء
بأردافها ثم حمل بالعسكر جميعه حملة واحدة على التتار فترجلوا الى الأرض
عن آخرهم وقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً وصبر المسلمون صبراً عظيماً فأنزل الله
نصره على المسلمين فاحاطت بالتتار العساكر من كل جانب وقتلوا منهم خلقاً كثيراً

وقتل مقدمهم تناون وغالب كبرائهم واسر منهم جماعة كثيرة صاروا امرءا وكان من جملة المأسورين في هذه الواقعة سيف الدين قبيجق وسيف الدين ارسلان وقتل من المسلمين ايضا جماعة فكان في جملة من قتل من سادات المسلمين الأمير الكبير ضياء الدين ابن الخطير وسيف الدين قيماز وسيف الدين تنجو الجاشنكير وعز الدين ابيك الثقفي وهرب البرواناه (من امرء الروم الذين كانوا مع التتار) فنجوا بنفسه ودخل قيسارية في بكرة الأحد ثاني عشر ذي القعدة واعلم امرء الروم وملكهم بكسرة التتر على البلستين و اشار عليهم بالهزيمة فانهزموا منها واخلوها

واما الملك الظاهر فإنه بعد فراغه من هذه الواقعة سار الى قيسارية واستولى عليها وكان الحاكم بالروم يومئذ معين الدين سليمان البرواناه وكان يكتب الملك الظاهر في الباطن وكان يظن الملك الظاهر انه اذ وصل الى قيسارية يصل اليه البرواناه على ما كان انفق معه في الباطن فلم يحضر البرواناه لما اراده الله من هلاكه على ما نذكره ان شاء الله تعالى ودخل الملك الظاهر قيسارية سابع عشر ذي القعدة بعد ان حاصر اهلها وارسلوا اليه يطلبون الأمان فأرسل لهم الأمان على يد الأمير بيسري فسلموا المدينة وكان دخوله الى المدينة يوماً مشهوداً فنزل بدار السلطنة وصلى بها الجمعة وخطب له بها واقام عليها سبعة ايام ثم رحل عن قيسارية في الثاني والعشرين من ذي القعدة وحصل للمسكر شدة عظيمة من نفاذ القوت والطف وهدمت غالب خيولهم ووصلوا الى عمق حارم واقاموا به شهراً ثم رحلوا وتوجهوا الى دمشق وسارت بذلك البشائر الى البلدان ففرح المؤمنون يومئذ بنصر الله

ولما بلغ خبر هذه الواقعة ابنا بن هولواكو ساق في جموع المغول حتى وصل الى

البلستين وشاهد مكان المعركة وشاهد عسكره صرعى ولم يشاهد احداً من
عسكر الروم مقتولاً فغاضه ذلك واعظمه وحنق على البرواناه اذ لم يعلمه بجملية
الحال وكان يظن ان امر الظاهر دون هذا كله واشتد غضبه على اهل قيسارية
واهل تلك الناحية فقتل منهم قريبا من مائتي الف انسان وقيل قتل منهم خمسمائة
الف من قيسارية وارزن الروم وكان في جملة من قتل القاضي جلال الدين حبيب
ثم سار ابنا الى الأردن وصحبته معين الدين البرواناه فلما استقر بالاردو امر
بقتل البرواناه فقتل وقتل معه نيفاً وثلاثين نفساً من مماليكه وخواصه واسم
البرواناه المذكور سليمان والبرواناه لقب وهو الحاجب بالعجمي وكان مقتله
بالاطاغ وكان البرواناه حازماً بتدبير المملكة ذامكر ودهاء

(سنة ٦٧٦)

﴿ ذكر وفاة الملك الظاهر بيبرس وآثاره بهذه البلاد ﴾

قال ابن اياس في هذه السنة دخل السلطان الى حلب [بعد رجوعه من محاربة
التتار] فتوعك جسده واخذته الحمى وسلسل في المرض فاسقاه الحكماء دواء
مسهلاً فأفرط في الأسهلال وتقل في المرض فرحل من حلب وقصد الدخول
الى دمشق فمات في بعض ضياع دمشق فلما مات كتم موته عن العسكر وحمل في
حفرة الى ان دخل دمشق فدفن هناك ليلاً وكان موته يوم الخميس في الثامن
والعشرين من المحرم وله من العمر نحو ستين سنة وكان ملكاً عظيماً جليلاً مهيباً
كثير الغزوات خفيف الركاب يحب السفر والحركة في الشتاء والصيف وكان
مشهوراً بالفروسية في الحرب وله اقدام وعزم وقت القتال وله ثبات عند النقاء
الجيش في الحرب .

قال ابن كثير لما مات الظاهر جعلوه في تابوت ورفعوه الى القلعة من السور
 فجعلوه في بيت من بيوت البحرية الى ان نقل الى تربته التي بناها ولده بعد موته
 وهي دار العقيقي تجاه العادلية ليلة الجمعة خامس رجب من هذه السنة (١)
 قال وقد جمع له كاتبه ابن عبد الظاهر سيرة مطولة وكذلك ابن شداد الحلبي
 ايضا وذكر ثمة آثاره في البلاد المصرية وغيرها وله في تاريخ ابن شاكر المسمى
 بفوات الوفيات ترجمة حافلة مطولة وذكر ماله من الآثار في هذه البلاد وهي
 مصطبة كبيرة مرخمة بالميدان الأخضر شمالي حلب . جسر القامة . جامع بانطاكية
 مكان الكثيب . جامع في بغراس وانشأ قلعة البيرة وبنى بها الأبرجة ووسع
 خندقها وجدد جامعها . بناء ما تهدم من قلعة عين تاب . اصلاح قلعة شيزر . وبعد
 وفاة الظاهر اقيم في الملك ولده الملك السعيد بركة وكان ذلك في اوائل ربيع الأول
 (سنة ٦٧٧)

❦ ذكر وصول العساكر الى بلد سيبس ❦

قال ابن شداد في الأعلام الخظيرة كان الملك السعيد خرج من مصر الى الشام
 فعند وصوله جرد الأمير بيسري الشمسي الى حلب واغار على قلعة الروم ثم
 كتب الى الملك السعيد بأن صاحب سيبس وصلتني رسله وهو يتضرع ويسأل ان
 يجعل الى الخزائن المعمورة مائتي الف درهم ويعني من طروق العساكر المنصورة
 بلاده فخرج الامير سيف الدين قلاون الالفى وصحبته العسكر وهو المقدم عليهم
 وعلى من بالشام من العسكر المتقدم فسار الى ان وصل الى حلب ثم رحل ودخل
 طرسوس وصحبته الأمير بدر الدين بيسري فشن الغارة عليها ونهب بلدها وغنم العسكر
 (١) وتربته معروفة مشهورة وفيها الآن المكتبة المعروفة بالمكتبة الظاهرية وقبره رحمه الله
 في وسط هذا المكان

غنيمة صالحة وعاد الى دمشق ثم ملك الديار المصرية والشامية ونعت نفسه بالملك المنصور اه

سنة ٦٧٨

ذكر خلع الملك السعيد بركة ابن الملك الظاهر واقامة

اخيه سلامش ثم خلمه

في هذه السنة خلع الملك السعيد بركة وارسل الى الكرك واقيم اخوه بدر الدين سلامش ابن الملك الظاهر ولقبوه الملك العادل وعمره اذ ذاك سبع سنين وشهور وكان القائم بتدبير دولته قلاون الألفي ثم خلمه وتسطن مكانه

ذكر سلطنة الملك المنصور قلاون الصالحى

قال ابن اياس هو السابع من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية تسطن بعد خلع الملك العادل سلامش يوم الاحد ثاني عشر شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستائة وتلقب بالملك المنصور وكان اصله من ممالك آق سنقر الكاملي. قال ابو الفدا ولما تولى السلطنة اقام منار العدل واحسن السياسة وقام بتدبير المملكة احسن قيام ذكر خروج سنقر الأشقر عن الطاعة وسلطنته بالشام قال ابو الفداء في الرابع والعشرين من ذي القعدة جلس سنقر الأشقر بدمشق في السلطنة وحلف له الأمراء والعسكر الذين عنده بدمشق وتلقب بالملك الكامل شمس الدين سنقر

سنة ٦٧٩

ذكر وفاة آقوش الشمسى نائب السلطنة بجلب وتولية

علم الدين سنجر

قال ابو الفداء في هذه السنة توفي آقوش الشمسى نائب السلطنة بجلب وولى

السلطان الملك المنصور قلاون على حلب علم الدين سنجر الباشردى إله

ذكر كسرة سنقر الأشقر الخارج على السلطان قلاون

قال ابو الفداء ما خلاصته لما عصى سنقر الأشقر بدمشق وتسلطن بها جهز الملك المنصور قلاون اليه عساكر ديار مصر مع علم الدين سنجر الحلبي والتقى الفريقان بظاهر دمشق فولى الشاميون وسنقر الأشقر منهزمين واتى سنقر الى الرحبة وكاتب ابغا بن هولاءكو ملك التتر واطمعه فى البلاد وكان عيسى بن مهنا ملك العرب مع سنقر الأشقر وقاتل معه وكتب بذلك الى ابغا ايضا موافقة له ثم سار سنقر الأشقر من الرحبة الى صهيون فى جمادى الاولى من هذه السنة واستولى عليها وعلى برزية وبلاطس والشفر وبكاس وعكار وشيزر وفامية وصارت هذه الأماكن له

ذكر مجي التتار الى حلب وعودهم ثم رجوعهم

قال ابن كثير ان السلطان الملك المنصور قلاون ارسل طائفة من الجيش لحصار شيزر (وقد قدمنا انها صارت بيد سنقر الأشقر) فبينما هم كذلك اذ اقبلت التتر من كل فج لما سمعوا بتفريق كلمة المسلمين فأنجفل الناس من ايديهم من سائر البلاد الى الشام ومن الشام الى مصر فوصلت التتار الى حلب وقتلوا خلقا كثيرا ونهبوا شيئا كثيرا وظنوا ان جيش سنقر الأشقر يكون معهم على الملك المنصور قلاون فوجدوا الامر بخلاف ذلك وذلك ان المنصور كتب الى سنقر الأشقر ان التتار قد اقبلوا الى المسلمين والمصلحة انا تنفق عليهم لئلا يهلك المسلمون بيننا وبينهم واذا ملكوا البلاد لم يدعوا منا احداً فكتب اليه سنقر بالسمع والطاعة وبرز من حصنه فحيم بمجيشه ليكون على اهبة متى طالب اجاب ونزلت نوابه من

حصونهم وبقوا مستعدين لقتال التتار وخرج الملك المنصور من مصر في اواخر جمادى الأولى ومعه العساكر. وفي يوم الجمعة الثالث من جمادى الآخرة قرئ على منبر جامع دمشق كتاب من السلطان انه قد عهد بالملك الى ابنه علي ولقب بالملك الصالح فلما فرغ من قراءة الكتاب جاءت البريدية فأخبروا برجوع التتر من حلب الى بلادهم وذلك لما بلغهم من اتفاق كلمة المسلمين ففرح المسلمون بذلك والله الحمد.

وقال ابو الفداء في حوادث هذه السنة ان الملك المنصور ارسل عسكريا الى شيزر وهي لسنقر الأشقر وجرى بينهم مناوشة ثم انه ترددت الرسل بين السلطان وبين سنقر الأشقر واحتاج السلطان الى مصالحته لقوة اخبار التتر ووقع بينهم الصلح على ان يسلم شيزر الى السلطان ويتسلم سنقر الأشقر الشفر وبكاس وكانتا قد ارتجعتا منه فتسلم نواب السلطان شيزر وتسلم الشفر وبكاس سنقر الأشقر وحلفا على ذلك واستقر الصلح بينهما اه وتقدم انه على اثر هذا الصلح عاد التتر من حلب

وقال ابن اياس في حوادث هذه السنة فيها جاءت الاخبار ان ملك التتار زحف على البلاد وارسل اخاه منكوتمر في جاليش العسكر وقد وصلوا الى حلب وملكوا ضياعها واشرفوا على اخذ المدينة فلما بلغ الملك المنصور قلاون الالفى ذلك خرج بنفسه هو والامراء على جرائد الخيل فلما وصل الى غزة جاءت الاخبار بأن منكوتمر اخا ابنا لما بلغه عجب السلطان نهب البلاد واحرق الضياع وقتل الرعية وأذى البرية ثم رجع الى بلاده فلما بلغ السلطان رجع من غزة الى القاهرة فجاءت الأخبار بأن التتار رجعوا الى حلب وانفخوا في حق الرعية اعظم ما فعلوا في الأول فخرج اليهم السلطان ثانيا وجد في السير فتلاقى مع عسكري التتار على المزمج

الإصفر فكان بينهما واقعة عظيمة وذلك في سنة ثمانين وستائة

سنة ٦٨٠

ذكر الواقعة العظيمة مع التتر على حمص وانكسارهم عليها

قال ابو الفداء في هذه السنة اعني سنة ثمانين وستائة في شهر رجب كان المصاف العظيم بين المسلمين وبين التتار بظاهر حمص فنصر الله المسلمين بعد ما كانوا قد ايقنوا بالبوار وكان من حديث هذا المصاف العظيم ان ابنا بن هولاءكو حشد وجمع وسار بهذه الحشود طالبا الشام ثم انفرد ابنا المذكور عنهم وسار الى الرحبة وسير جيوشه وجموعه الى الشام وقدم عليها اخاه منكوتمر بن هولاءكو وسار الى جهة حمص .

قال ابن كثير لما اقترب عجي التتار كتب السلطان المنصور قلاون الى مصر وغيرها من البلاد يستدعي الجيوش فدخل محمد بن حجي ومعه بشر كثير من الأعراب وجاء صاحب الكرك المسعود نجدة للسلطان يوم السبت الثاني عشر من جمادى الآخرة وقدم الناس عليه ووفدوا اليه من كل جانب وجاءته التركمان والأعراب وكثرت الاراجيف بدمشق وكثرت المساكر بها وانجفل الناس من بلاد حلب وتلك النواحي وتركوا الغلات والأموال خوفا من ان يدهمهم العدو من التتار ووصلت التتر صحبة منكوتمر بن هولاءكو الى عين تاب وسارت المساكر المنصورة الى نواحي حلب يتبع بعضها بعضا ونازلت التتر بالرحبة في اواخر جمادى الآخرة طائفة من الأعراب وكان فيهم ملك التتار ايضا مختفيا ينظر ماذا يصنع اصحابه وكيف يقاتلون اعدائه ثم خرج الملك المنصور من دمشق وكان خروجه منها في اواخر جمادى وقتت الخطباء والأئمة بالجوامع والمساجد

وغيرها في الصلوات وغيرها واما انتهى السلطان الملك المنصور الى حصص كتب
 الى الملك الكامل سنقر الأشقر يطلبه اليه نجدة فجااء الى خدمته فاحرمه
 السلطان واحترمه ورتب له الافامات وتكاملت الجيوش كلها في صحبة الملك
 المنصور عازمين على لقاء العدو لاجالة مخلصين في ذلك واجتمع الناس بعد خروج
 السلطان في جامع دمشق ووضعوا المصحف العثماني بين ايديهم وجعلوا يبتهلون
 الى الله تعالى في نصرة الأسلام واهله على الأعداء وخرجوا كذلك والمصحف على
 رؤسهم الى المصلى يدعون ويبتهلون ويكون وانبئت التتار قليلا قليلا فلما وصلوا
 حماة احرقوا بستان الملك وقصره وما هناك من المساكن والسلطان المنصور يخيم
 بمحص في عساكر من الأتراك والتركان وغيرهم في جحفل كثير جدا فاقبلت
 التتر في مائة الف مقاتل او يزيدون [في ابي الفداء كان عدتهم ثمانين الفاً]
 ولما كان يوم الخميس رابع عشر شهر رجب النقي الجمعان وتواجه الحصان عند
 طلوع الشمس وعسكر التتر في مائة الف فارس وعسكر المسلمين على النصف
 من ذلك او يزيدون قليلا والجمع فيما بين مشهد خالد بن الوليد الى الرستن
 فاقتلوا قتالا عظيما لم ير مثله من اعصار متطاولة فاستظهر التتار اول النهار وكسروا
 اليسرة واضطربت الميمنة ايضا وانكسر جناح القلب الأيسر وثبت السلطان
 ثبانا عظيما جدا في جماعة قليلة وقد انهزم كثير من عسكر المسلمين والتر في آثارهم
 حتى وصلوا وراءهم الى بحيرة حمص ووصلوا الى حصص وهي مغلقة الأبواب
 فقتلوا خلقا من العامة وغيرهم واشرف المسلمون على خطة عظيمة من الهلاك ثم
 ان اعيان الأشراف من الشجعان والفرسان تأمروا فيما بينهم مثل سنقر الأشقر
 وبيسرى وطيرس الوزيري وامير سلاح وايتمش السعدي وحسام الدين لاجين
 وحسام الدين طرفطاي والدواداري وامثالهم لما رأوا ثبات السلطان ردوا الى

السلطان وحملوا حملات متعددة صادقة ولم يزالوا يتابعون الحملة بعد الحملة حتى كسر الله مجوله وقوته التتر وخرج منكوتمر وجاءهم الامير عيسى بن مهنا ناحية العرض فصدم التتر فاضطربت الجيوش لصدمته وتمت الهزيمة والله الحمد وقتلوا من التتر مقتلة عظيمة جدا ورجعت الطائفة من التتر الذين اتبعوا المسلمين المهزمين فوجدوا اصحابهم قد كسروا والمساكر في آثارهم يقتلون ويأسرون والسلطان ثابت في مكانه تحت الصناجق والكوسات تضرب خلفه وما معه الا نحو الف فارس فطمعوا فيه قتلوه فثبت لهم ثباتا عظيما فانهزموا من بين يديه فلحقهم قتل اكثرهم وكان ذلك تمام النصر وكان انهزام التتر قبل الغروب واقتربوا فرقتين اخذت فرقة منهم الى ناحية سامية والبرية والاخرى الى ناحية حلب والفرات فأرسل السلطان في آثارهم من يتبعهم وجاءت البطاقة بالبشارة بما وقع من النصر الى دمشق يوم الجمعة خامس عشر رجب فدمت البشارة وزينت البلد واوقدت الشموع وفرح الناس فلما اصبح الناس يوم السبت اقبلت طائفة من المهزمين منهم يملك الناصري والجالق وغيرهم فأخبروا الناس بما شاهدوا من الهزيمة في اول الأمر ولم يكونوا شاهدا ما بعد ذلك فبقي الناس في قلق عظيم وتخوف شديد وتهمياً ناس كثير للهرب فبينما الناس في ذلك اذ اقبلت البريدية واخبروا الناس بصورة ما وقع في اول الأمر وآخره فتراجع الناس وفرحوا فرحاً شديداً والله الحمد ثم دخل السلطان الى دمشق يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب وبين يديه الأسارى بأيديهم الرماح عليها شعف رؤس القتلى منهم وكان يوماً مشهوداً ومع السلطان طائفة من اصحاب سنقر الأشقر منهم عالم الدين الدوادارى فزل السلطان بالقلعة مؤيداً منصوراً وقد كثرت له المحبة والأدعية وكان سنقر الأشقر قد ودع السلطان من محض ورجع الى صهيون واما التتر

فأنهم انهزموا في اسوء حال واتعسه يتخطفون من كل جانب ويقتلون في كل
 فجع حتى وصلوا الى الفرات ففرق اكثرهم ونزل اليهم اهل البيرة فقتلوا منهم
 خلقا كثيرا واسروا منهم آخرين والجيوش في آثارهم يطردونهم عن البلاد حتى
 اراح الله منهم الناس وقد استشهد في هذه الواقعة جماعة من سادات الأمراء
 منهم الأمير الكبير الحاج عز الدين ازدمر الجهدار وهو الذي جرح ملك التتار
 يومئذ منكوتمر فإنه خاطر بنفسه واوهم انه مقفنز اليه وقلب رعه حتى وصل اليه
 فطمعه فجرحه فقتلوه رحمه الله تعالى ودفن بالقرب من مشهد خالد وخرج الساطان
 من دمشق قاصداً الديار المصرية يوم الأحد ثاني شعبان والناس يدعون له
 ودخل مصر في ثاني عشر شعبان

قال ابو الفداء كان عدة النثر ثمانين الف فارس منهم خمسون الفا من الغل والباقي
 خشود وجموع من اجناس مختلفة مثل الكرد والأرمن والمعجم وغيرهم ولما وصل
 خبر هذه الكسرة الى ابغا وهو على الرحبة بمحاصرها رحل عنها على عقبه منهزما
 وكتب بهذا الفتح العظيم الى سائر البلاد الإسلامية فزينت لذلك (ثم قال)
 ومات منكوتمر بن هولاكوبن طلو بن جنكزخان بجزيرة ابن عمر مكنه دا عمقت
 كسرتة على خمس وكان موته من جملة هذا الفتح العظيم
 (سنة ٦٨١)

قال ابو الفداء فيها ولي الساطان مملوكه شمس الدين قرا ستقر نيابة السلطنة
 بجلب فسار اليها واستقر
 (سنة ٦٧٢)

قال ابن الوردي فيها سلم عسكري حلب لكختا بمكاتبة حكامها فواستقر وصارت
 من اعظم الثغور نفما

* ذكر تجديد المحراب الكبير في الجامع الأعظم *

قال في كراسة عندي تكلم فيها على الجامع الأعظم. واما المحراب الكبير فقد جدد بعد حريقه في ايام السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون في شهر رجب سنة اربع وثمانين وستمائة في كهالة قراسنقر المنصوري وفيه انحراف اه .

تاريخ حريقه

قال في الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة لما استولى التتار المخذواون على حلب يوم الأحد عاشر صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة دخل صاحب سيس الى الجامع وقتل به خلقا كثيرا واحرق الجانب القبلي منه واخذ الحريق قبلة وغربا الى المدرسة الحلاوية واحترق سوق البزازين فعرف عماد الدين القزويني لهولاكو ما اعتمده السيسىون من الاحراق للجامع واعفاهم كنائس النصارى فأمر هو لاكو برفع ذلك واطفاء النار وقتل السيسىين فقتل منهم خلقا كثيرا ولم يقدروا على اطفاء النار فأرسل الله عز وجل مطراً عظيماً فاطفاها ثم اعتنى نور الدين يوسف بن ابى بكر بن عبد الرحمن السامسي الصوفي بتنظيف الجامع ودفن ما كان فيه من قتلى المسلمين في جباب كانت بالجامع للغلة في شماليه ولما مات عز الدين احمد احد البتكجية وليس معناه الكاتب مطلقاً انما معناه الذي يكتب الكتب (١) خرج عن ماله جميعه لله تعالى فقبضه اخوه وتصدق ببعضه وعمر حائط الجامع منه فأصرف عليه عشرون الف درهم منها ثمانية عشر الفاً لبنائه والفان لحصره ومصايحه

(قلت) ولما ملك السلطان الملك الظاهر حلب امر بتكليس الحائط الذي بني وعقد الجمولون على الحائط القبلي وكذا الحائط الغربي من جهة الصحن وعمل له سقفاً متنقلاً اه

(١) قلت فعل هذا يقتضى ان تكون هذه الكلمة الكتبية

اقول يظهر انه لم يبن جميع الحائط القبلي وبقي محل المحراب الى ان امر بعمارته الملك المنصور قلاون في هذه السنة في ولاية قراستقر كما هو محرز على الجدار فوق المحراب ونص ذلك (امر بعمارته بمد حريقه مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون عز الله تعالى نصره)

وكتب تحت ذلك فوق المحراب ما نصه | بالأشارة العالية المولوية الأميرية الشمسية قراستقر الجوكندار الملكى المنصوري . وكتب على الجدار تحت المنبر (امر بعماله الحقير العالى الاميرى قراستقر الجوكندار المنصوري عز نصره)

(سنة ٦٨٩)

ذكر وفاة السلطان الملك المنصور قلاون الصالحى

وسلطنة ولده الأشرف خليل

قال ابو الفداء ما خلاصته في هذه السنة في ذى القعدة توفي الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون الصالحى وكانت مدة ملكه احدى عشر سنة وثلاثة اشهر ولما توفي جلس فى الملك بعده ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل

سنة ٦٩٠

ذكر عمارة قلعة حلب بعد خرابها

قال ابو الفداء وفي اوائل هذه السنة اعنى سنة تسعين تكملت عمارة قلعة حلب وكان قد شرع قراستقر فى عمارتها فى ايام السلطان الملك المنصور فتمت فى ايام الملك الأشرف فكتب اسمه عليها وكان قد خربها هولاء كما استولى على حلب فى سنة ثمان وخمسين وسمائة فكان لبشها على التخريب نحو ثلاثة وثلاثين سنة بالتقريب اهـ

قال بيشوف في تاريخه مكتوب جانب الباب الأوسط في القلعة
 (بالأشارة العالية المواوية الأميرية الشمسية قراسنقر الجوكندار المنصوري
 الأشرفي كافل المملكة الحلبية اعز الله نصره) وعلى ظاهر القصر فوق باب القلعة
 (امر بعمارته بعد اهماله واشرافه على الدثور في ايام مولانا السلطان الأعظم
 الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين ناصر الإسلام والمسلمين عماد الدولة ركن
 الملة مجير الأمة ظهير الخلافة نصير الأمامة سيد الملوك والسلاطين سلطان جيوش
 الموحدين ناصر الحق بالبراهين محي العدل في العالمين)
 وعلى الباب الوسطاني في القلعة (امر بعمارته بعد دثوره السلطان الاعظم الملك
 الأشرف صلاح الدنيا والدين خليل محي الدولة الشريف العباسية ناصر الملة
 المحمدية عز نصره)

سنة ٦٩١

ذكر فتوح قلعة الروم وعزل قراسنقر عن حلب وتولية سيف الدين بلبان الطباخي

قال ابو الفداء في هذه السنة سار السلطان الملك الأشرف من مصر الى الشام
 وجمع عساكره المصرية والشامية وسار الملك المظفر محمود وعمه الملك الأفضل الى
 الى خدمته والتقياه بدمشق وسارا في خدمته وسبقاه فاهتم الملك المظفر صاحب
 حماة في امر الضيافة والاقامة والتقدمة ووصل السلطان الى حماة (الى ان قال)
 واما العساكر فسارت على السكة الى حلب ثم فصل السلطان الى حلب وتوجه
 منها الى قلعة الروم في العشر الاول من جمادى الآخرة من هذه السنة وهي
 حصن على جانب الفرات في غاية الحصانة ونصب عليها الجانيق (عند ابن كثير

ان المجانيق كانت تزيد على ثلاثين منجنيقا) وهذا الحصار من جملة الحصارات التي شاهدها وكانت منزلة الحمويين على رأس الجبل المطل على القلعة من شرقها فكنا نشاهد احوال اهلها في مشيهم وسعيهم في القتال وغير ذلك واشتدت مضايقتها ودام حصارها وفتحت بالسيف في يوم السبت حادي عشر رجب من هذه السنة وقتل اهلها ونهب ذراريهم واعتصم كيناغياوس خليفة الارمن المقيم بها في القلعة وكذلك اجتمع بها من هرب من القلعة وكان منجنيق الحمويين على رأس الجبل المطل على القلعة فتقدم مرسوم السلطان الى صاحب حماة ان يرمى عليهم بالمنجنيق فلما وترناه لرمى عليهم طلبوا الامان من السلطان فلم يؤمنهم الا على ارواحهم خاصة وان يكونوا اسرى فأجابوا الى ذلك واخذ كيناغيلوس وجميع من كان بقلة القلعة اسرى عن آخرهم ورتب السلطان علم الدين سنجر الشجاعى لتحصين القلعة واصلاح ماخرب منها وجرده معه لذلك جماعة من العسكر واقام الشجاعى وعمرها وحصنها الى الغاية القصوى ورجع السلطان الى حلب ثم الى حماة وقام الملك المظفر بوظائف خدمته ثم توجه السلطان الى دمشق واعطى الملك المظفر الدستور فأقام ببلده وسار السلطان الى دمشق وصام بها رمضان وعيد بها ثم سار الى الديار المصرية وعند عود السلطان الى حلب من قلعة الروم عزل قراستقر المنصوري عن نيابة السلطنة بحلب واستصحبه معه وولى موضعه على حلب سيف الدين بلبان المعروف بالطباخو

سنة ٦٩٢

ذکر استيلاء الملك الأشرف على قلعة بهسى وقلعة

مرعش وتل حمدون

قال ابن اياس في هذه السنة توجه الملك الأشرف من مصر الى دمشق فعرض

عليه المسكر بدمشق وعين جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية ليتوجهوا الى نحو سيس فلما وصلوا الى سيس ارسل صاحبها يطلب الأمان فأرسل الأمراء يكاتبون السلطان بذلك فعاد الجواب من السلطان ان كان صاحب سيس يسلم هذه القلاع الثلاث وهي قلعة بهسني وقلعة مرعش وتل حمدون فأعطوه الأمان وان لم يسلم هذه القلاع الثلاث فحاصروه فلما وصلت مراسم السلطان بذلك سلم صاحب سيس تلك القلاع الثلاث وحصل الصلح ورجع المسكر من سيس

سنة ٦٩٣

﴿ ذكر مقتل الملك الأشرف خليل وسلطنة اخيه ﴾

قال ابو الفداء في اوائل المحرم قتل السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور قلاون وساق سبب ذلك واقام في السلطنة مكانه اخوه الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون

(سنة ٦٩٤)

ذكر استيلاء زين الدين كتبغا على المملكة

قال ابو الفداء في هذه السنة في تاسع المحرم جلس الامير زين الدين كتبغا المنصوري على سرير المملكة ولقب نفسه الملك العادل زين الدين كتبغا واستحاف الناس على ذلك وخطب له بمصر والشام وتغشت السكة بأسمه وجعل مولانا السلطان الملك الناصر في قاعة بقلعة الجبل وحجب عنه الناس ولما تمك زين الدين كتبغا المذكور جعل نائبه في السلطنة حسام الدين لاجين الذي كان مستترا بسبب قتل السلطان الملك الاشرف

﴿ ذكر اسلام قازان خان ملك التتر ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنة في ذي الحجة استقر قازان خان بن ارغون بن ابغا ابن هولوكو بن طلو بن جنكزخان في المملكة
قال ابن خطيب الناصرية في ترجمته غازان واسمه بالعربي محمود ولي امر الملك
بالبلاد الشرقية في سنة اربع وتسعين وستمائة عوضاً عن القان بيدو بن طرغاي
ابن هولوكو وكان وزيره ومدبر مملكته زوج عمته الامير نوروز التركي فخرضه
على الاسلام فاسلم في شعبان من هذه السنة بخراسان على يد الشيخ الكبير
المحدث صدر الدين ابراهيم بن الشيخ عبد الله بن حمويه الجويني وذلك بقرب
الري بعد خروجه من الحمام وجلس مجلساً عاماً فتلفظ بشهادة الحق وهو يتبسم
ووجهه يستنير ويتهلل وكان شاباً اشقر مليحاً له اذ ذاك بضع وعشرون سنة
وضج المسامون حوله عندما اسلم ضجة عظيمة من الغل والعجم وغيرهم ونثر
على الخلق الذهب واللؤلؤ وكان يوماً مشهوداً وفتى الاسلام في حاشيته بتحرير
الامير نوروز المذكور فانه كان مسلماً خيراً صحيح الاسلام يحفظ كثيراً من
القرآن والرقايق والأدكار ثم شرع نوروز يلقي الملك غازان شيئاً من القرآن
ويجتهد عليه ودخل رمضان فصامه ولولا هذا الفوز الذي حصل له في الاسلام
والا كان قد استباح الشام لما غلب عليه فله الحمد والمنة اه وسياً تيك خبر
عجبه الى هذه البلاد سنة ٦٩٩

وقال ابن كثير في هذه السنة ملك التتر قازان بن ارغون فاسلم واظهر الاسلام
على يد الأمير نوروز رحمه الله تعالى ودخلت التتر او أكثرهم في الاسلام ونثر
الذهب واللؤلؤ والفضة على رؤس الناس يوم اسلامه وتسمي بمحمود وشهد

الجمعة والخطبة وخرّب كنائس كثيرة وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد وظهرت السبع والهياكل مع التتر والحمد لله وحده اه

(سنة ٦٩٦)

ذكر خلع الملك العادل كتبغا واستيلاء حسام الدين لاجين على المملكة

قال ابو الفداء ما خلاصته في هذه السنة حصلت وقعة بين الملك العادل كتبغا وبين نائبه في السلطنة حسام الدين لاجين في دمشق ادت الى خلع الملك كتبغا نفسه وطلب الأمان واتيم في السلطنة حسام الدين لاجين وبايعه الامراء ولقب بالملك المنصور وشرط عليه الامراء شروطا منها ان لا ينفرد عنهم برأي ولا يسلط مماليكه عليهم كما فعل بهم كتبغا فأجابهم لاجين الى ذلك ثم رحل بالعساكر المصرية الى مصر واعطى للعادل كتبغا صرخد

﴿ ذكر قتل الأئير نوروز ﴾

قال ابن كثير في هذه السنة قتل قازان نوروز الذي كان اسلامه على يديه كان نوروز هو الذي استسلمه ودعاه الى الاسلام فاسلم واسلم معه اكثر التتر فان التتر شوشوا خاطر قازان عليه واستمالوه منه وعنه فلم يزل به حتى قتله وقتل جميع من ينسب اليه وكان نوروز هذا من خيار امراء التتر عند قازان ولقد اسلم على يديه خلق كثير لا يعلمهم الا الله واتخذوا السبع والهياكل وحضروا الجماعات وقرأوا القرآن انتهى

سنة ٦٩٧

ذكر تجريد العساكر الى حلب ودخولهم الى بلاد سيس وعودهم الى حلب ثم دخولهم نانيا وما فتحوه

قال ابو الفداء في هذه السنة جرد حسام الدين لاجين الملقب بالملك المنصور جيشا كثيفا من الديار المصرية مع بدر الدين بكتاش الفخرى المعروف بامير سلاح ومع علم الدين سنجر الدوادارى ومع شمس الدين كريتته ومع حسام الدين لاجين الرومى المعروف بالحسام استاذدار فساروا الى الشام ورسوم لاجين المذكور بمسير عساكر الشام فسار البكى الظاهري نائب السلطنة بصفتهم بعد مدة سار سيف الدين قبجق نائب السلطنة بالشام واقام قبجق ببعض العسكر بمحصر وسارت العساكر الى حلب وسار الملك المظفر محمود صاحب حماة بمسكروه ووصل المذكورون الى حلب يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة وسابع نيسان ثم ساروا الى بلاد سيس فعبر صاحب حماة والدوادارى ومن معها من العساكر من دربندصري وعبر باقي العساكر من جهة بغراس من باب اسكندرونة واجتمعوا على نهر جيحان وشنوا الغارات على بلاد سيس في العشر الاوسط من شهر رجب وكسبوا وغنموا وعادوا فخرجوا من دربند بغراس الى مرج انطاكية في الحادي والعشرين من رجب من هذه السنة الموافق لرابع ايار وسار صاحب حماة الملك المظفر الى جهة حماة حتى وصل الى جهة قسطون فورد مرسوم لاجين بعود العساكر واجتماعهم بحلب ودخولهم الى بلاد سيس نانيا وهذه الغزاة من الغزوات التي حضرتها وشاهدتها من اولها الى آخرها فعدنا الى حلب ووصلنا اليها في يوم الأحد الثامن والعشرين من رجب واقمنا ثم

رحلنا من حلب ثالث رمضان من هذه السنة الموافق للعشرين من حزيران واقام على حموص بندر الدين بكتاش امير سلاح والملك المظفر صاحب حماة ومن انضم اليهما من عسكر دمشق مثل ركن الدين بيبرس العجمي المعروف بالجائق ومضاهيه من عسكر دمشق وحاصرنا حموص وضايقناها واما باقي العسكر فانهم نزلوا اسفل من حموص في الوطاة واستمر الحلك على ذلك وقل الماء في حموص واشتد بهم العطش وكان قد اجتمع فيها من الأرمن عالم عظيم ليغتصموا بها وكذلك اجتمع فيها من الدواب شي كثير فهلك غالبيهم في العطش

ولما اشتد بهم الحال وهلكت النساء والأطفال اخرج اهل حموص في الخامس والعشرين من رمضان وهو سابع عشر يوماً من نزولنا عليها من نسايتهم نحو الف ومائتين من النساء والصبيان فتقاسمهم العسكر وغنموهم فكان قسمي جاريتين ومملوكاً واصابنا ونحن نازلون على حموص في العشر الأوسط من شهر تموز ضباب قوي ومطر وحصل الملك المظفر وهو نازل على حموص قليل مرض ولم يكن صحبته طبيبه فاقصر على ما كنت اصفه له واعالجه به فشفاه الله تعالى وعاد الى العافية وانعم علي واحسن الي على جاري عادته وكانت خيمته المصوبة على خمس خيمة ظاهرها احمر قد عمها من اكسية مغربية وداخلها منقوش بالحام الرفيع المصبغ وكانت الامراء الذين لم ينازلوا حمص وهم مقيمون في الوطاة اذا عرض لهم ما يقضى المشاورة يطلعون الى الجبل ويجمعون في خيمة الملك المظفر وبين يديه يتشاورون على ما فيه المصلحة واستمر الحال على ذلك الى ان فتحت حموص وغيرها على ما سذكركه

ثم قال ولما دخلت العساكر الى سيس ونازلت حموص كان ملك الأرمن سنباط ولما ضافت على الأرمن البلاد بما رحبت وهلكوا من كثرة ما قتل وغنم منهم

المسلمون نسبوا ذلك الى سوء تدبير سنباط وعدم مصانفته للمسلمين فـ **فكـ**ز هو هـ
وانفقوا على اقامة اخيه دندين بن ليفون في المملكة والقبض على سنباط واجتمع
الأرمن على دندين فأحس سنباط بذلك فهرب الى جهة قسطنطينية وتملك
دندين ويقال له كسيندين ايضاً فلما تملك دندين المذكور ارسل الى **العساكر**
المقيمة في بلاد سيس على حموص وعلى غيرها وبذل لهم الطاعة والاجابة الى
ذما يريد به سلطان الأيسلام. وأنه نائب السيلطان بهذه البلاد فطالب منه **العساكر**
ان يكون نهر جيحان حيداً بين المسلمين والأرمن وان يسلم كل ما هو جنوبي نهر
جيحون من الحصون والبلاد فأجاب دندين المذكور الى ذلك وسلم جميع البلاد
التي جنوب نهر جيحان المذكور الى المسلمين منها حموص وتل حمدون وكويرا
والنفير وحجر شغلان وسرفندكار ومرعش وهذه جميعها حصون منيعة باترام
وكذلك سام غيرها من البلاد وكان تسليم حموص يوم الجمعة تاسع عشر شوال
من هذه السنة ووافق ذلك ثامن شهر آب وسامت تل حمدون بعدها ثم سلمت
باقي الحصون والبلاد المذكورة وامر حسام الدين لاجين الملقب بالملك المنصور
باستمرار عمارة هذه البلاد وكان ذلك رأياً فاسداً على ما سيظهر من عود
هذه البلاد الى الأرمن عند دخول قازان البلاد (ثم قال) وعدنا من بلاد سيس
ودخلنا حلب تاسع ذي القعدة

ولما اقتربها ورد مرسوم حسام الدين لاجين الى سيف الدين بلبان الطباخي
[نائب حلب] بالقبض على جماعة من الأمراء المجردين مع العسكر فعملوا بذلك
وكان قفجق مقيماً بمحصر مستشعراً خائفاً من لاجين المذكور فهرب من حلب فارس
الدين البكي نائب السلطنة بصفد وكان من جملة العسكر المجردين على حلب وكذلك
هرب السلحدار وبورلاز وغراز ووصلوا الى حمص وانفقوا مع سيف الدين

فبجق على العسيان . ولما هربوا ساق خلفهم ايدغددي شقير مملوك حسام الدين لاجين من حلب مع جماعة من العسكر المجردين ليقطعوا عليهم الطريق فقاتهم فبجق ومن معه وعبروا الفرات واتصلوا بقازان ملك التتر فاحسن اليهم واقاموا عنده حتى كان منهم ما سنذكره انشاء الله تعالى

سنة ٦٩٨

ذكر قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين وسلطنة

الملك الناصر محمد بن قلاون

في هذه السنة قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين قتله جماعة من المماليك الصبيان الذين اصطفاهم لنفسه ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الآخر . واقام في السلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون وهي سلطنته الثانية

ما احتج به قازان ملك التتر في قصده هذه البلاد ايضا

قال ابو الفدا في هذه السنة ارسل سيف الدين بلبان الطباخي [نائب السلطنة بحلب] عسكرا الى ماردين فنهبوا اربض ماردين حتى نهبوا الجامع وعملوا الافعال الشنيعة وذلك كان حجة لقازان في قصد البلاد على ما سنذكره

في هذه السنة في رمضان الموافق لخزيران من شهور الروم جرد الملك المظفر عسكر حماة الى حلب بسبب حركة التتر الى جهة الشام فسرنا من حماة الى المعرة وورد كتاب سيف الدين بلبان الطباخي بتراخي الأخبار فمدنا من المعرة الى حماة فورد كتابه بطلبنا فأعادنا الملك المظفر من حماة في يوم وصولنا اليها وهو يوم الأربعاء سابع عشر رمضان وخزيران فسرنا ودخلنا حلب في الثاني والعشرين من رمضان من هذه السنة ثم ارسل الملك المظفر وطلبني من نائب السلطنة

بمفردى فأعطاني سيف الدين بلبان الطباخي دستوراً فمرت الى حماة الى خدمة
ابن عمي الملك المظفر واستمر اخواي وغيرهما من الأمراء والعسكر مقيمين بحلب
واقمت انا عند الملك المظفر بحماة اهـ

ثم قال وفيها سار مولانا السلطان الملك الناصر من الديار المصرية بعساكر مصر
الى بلاد غزة واقام بها حتى خرجت هذه السنة

سنة ٦٩٩

ذكر المصاف العظيم الذي كان بين المسلمين والتتر

واستيلاء التتر على دمشق وخروجهم منها وعزل سيف الدين

بلبان عن حلب وتوليبتها الى قراسنقر للمرة الثانية

قال ابن اياس في حوادث هذه السنة فيها جاءت الأخبار من حلب بأن قازان
ملك التتار قد زحف على البلاد ووصل اوائل عسكره الى الفرات وهو في عسكر
ثقيل لا يحصى وغازان هذا هو ابن ابنا بن هولاقو الذي اخرب بغداد وقتل
الخليفة وجرى منه ماجرى . وكان سبب مجيء قازان وزحفه على البلاد هو ان
قبجق نائب الشام لما بلغه ان الملك المنصور لاجين ارسل بالقبض عليه اخذ
اولاده وعياله وبركه وماله وخرج من الشام وتوجه هاربا الى القان قازان
وحسن له ان الملك الناصر صغير وان الأمراء والعسكر بينهم الخلف وانه اذا
زحف القان غازان على البلاد لا يجد من يرده عنها فعند ذلك جمع القان غازان
عساكر عظيمة نحو مائتي الف مقاتل ولما وصل الخبر الى الديار المصرية اضطربت
الأرض واجتمعت الأمراء بالقلعة وضربوا مشورة فوقع الاتفاق على ان
الانابكي بيبرس الجاشنكير يتوجه الى حلب ومعه خمسمائة مملوك قبل خروج

السلطان وخرج الأتابكي بيبرس على جرائد الخيل مع العسكر ثم خرج
 الملك الناصر محمد بعده في خامس عشر صفر وكان صحبته الخليفة الأمام احمد
 الحاكم بأمر الله والقضاة الأربعة وكان قاضي القضاة الشافعي حينئذ شيخ الإسلام
 تقي الدين ابن دقيق العيد وخرج مع السلطان وسائر الأمراء والعساكر فجد
 السلطان في المسير حتى وصل الى دمشق في ثامن ربيع الأول سنة تسع وتسعين
 وسبع مائة ثم خرج من دمشق فتلاقى مع جاليش غازان في مكان يعرف بسلمية
 قرب بعلبك فوقع بينهما واقعة عظيمة لم يسمع بمثلها وقتل من الفريقين مالا
 يحصى عددهم فانكسر عسكر السلطان وهرب الملك الناصر الى بعلبك ونهب
 بركه وسائر برك العسكر ولم يبق معه من العسكر الا طائفة يسيرة ثم ان القان
 غازان زحف على ضياع الشام ونهب ما فيها وسبي اهلها فلما بلغ اهل الشام
 ذلك خافوا على انفسهم من غازان فيما فعله في اهل الضياع فتشاوروا مع جماعة
 من العلماء الذين كانوا بدمشق وخرجوا الى غازان يطلبون منه الأمان فخرج
 قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة الشافعي والشيخ زين الفارقي والشيخ تقي
 الدين ابن تيمية الحراني والقاضي نجم الدين ابن الصرصري والقاضي عز الدين
 ابن تركي والشيخ عز الدين ابن القلانسي والقاضي جلال الدين القزويني وغير هؤلاء
 جماعة العلماء الصلحاء فلما دخلوا على غازان ووقفوا بين يديه وقف الترجمان وتكلم
 مع القان غازان في امرهم وانهم جاؤا يطلبون الأمان منه فقال له غازان قل لهم اني
 قد ارسلت لهم الأمان قبل حضورهم عندي فرجعوا الى دمشق واجتمع في جامع بني امية
 الجهم الغفير وقرأوا على الناس الأمان الذي ارسله القان غازان الى اهل دمشق فلما فرأ
 عليهم ذلك الامان وسمعوه فرح الناس بذلك وحصل عندهم سكون بعد ما كانوا في
 اضطراب من امر غازان ثم حضر الأمير ففجق الذي كان نائب الشام وهرب الى

غازان ونزل بالليدان الأخضر وارسل يقول الى نائب قلعة الشام سلم اليها القلعة ولا تحوجنا ان نحصرك وتغلب بعد ذلك فأرسل نائب القلعة يقول انفجق ليس لك عندي الا السيف وكيف اسلم القلعة والملك الناصر على قيد الحياة قال ابو الفداء وكاتب النساب بالقلعة الأمير سيف الدين ارجواش المنصوري فقام في حفظها اتم قيام وصبر على الحصار ولم يسلمها واحرق الدور التي حوالى القلعة والمدارس فاحترقت دار السعادة التي كانت مقر نواب السلطنة وكذلك احترق غيرها من الأماكن الجليلة واقام قازان بمرج دمشق المعروف بمرج الترنبية ثم عاد الى بلاده الشرقية وقرر في دمشق ففجق وجر دصحبته عدة من المغل قال ابن اياس كان رحيل قازان عن دمشق يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى وترك بها اميرا من النصارى يقال له الأمير قطلواشاه ومعه عسكر من النصارى هذا ما كان من امر القان قازان واما ما كان من امر الملك وامر عسكره فانه لما انكسر ودخل الى بعلبك اقام بها اياماً ثم قصد التوجه الى الديار المصرية وجد في السير حتى وصل الى القاهرة فدخل على حين غفلة وطلع القلعة وقد نهب جميع ما كان معه من البرك وكذلك الأمراء والعساكر فلما طلع القلعة فتحت الزردخانة وفرق ما كان فيها من الملبوس والسلاح على العسكر ثم فتح خزائن المال وانفق على العسكر فاعطى كل مملوك ثمانين ديناراً وجماعة منهم اعطاهم خمسة وسبعين ديناراً وجماعة منهم خمسة وستين ديناراً واعطى بماليتك الأمراء كل واحد خمسين ديناراً ثم انفق على عسكر الشام الذي حضروا بصحبته فأعطى كل واحد منهم عشرة دنانير ذهباً وعشرة ارادب شهيراً وعشرة ارادب قمحاً ثم انفق على سائر الأمراء والمقدمين والطباخانساء والعشروات لكل واحد منهم على قدر مقامه وكان القائم في تدبير مملكته الامير سلار نساب السلطنة

والاتبكى بيبرس الجاشنكير ثم ان الملك الناصر قصد العود الى محاربة قازان فبرز بجيامه في الريدانية وخرج من القاهرة تانيا وكان صحبته الخليفة الامام احمد والقضاة الاربع وسائر الامراء والعساكر فلما اقام في الريدانية وجد في السير فتقدم في جاليش العسكر الامير سلار نائب السلطنة والاتبكى بيبرس الجاشنكير فلما وصل الجاليش الى دمشق تلقاه الامير قبجق واطهر الطاعة للسلطان واجتمع بالأمرء واثار عليهم بأن السلطان يرجع الى القاهرة ولا يدخل دمشق وسيجيئه الامر كما يختار فعند ذلك رجع السلطان الى القاهرة وكان رجوعه اليها في ثامن عشر شهر رمضان من سنة تسع وتسعين وستائة قال ابو الفداء لما بلغ العساكر المصرية مسير قازان عن الشام خرجوا من مصر في العشر الأول من شهر رجب من هذه السنة وخرج السلطان الى الصالحية ثم اتفق الحال على مقام السلطان بالديار المصرية ومسير سلار وبيبرس الجاشنكير بالعساكر الى الشام فسار المذكوران بالعساكر وكان قبجق وبكتمر السلحدار والالبكى قد كاتبوا المسلمين في الباطن وصاروا الى جهة ديار مصر وبلغ ذلك التتر المجردين بدمشق فخافوا وساروا من وقتهم الى البلاد الشرقية وخلا الشام منهم ووصل قبجق والالبكى والسلحدار الى الابواب السلطانية فأحسن اليهم السلطان

ووصل سلار وبيبرس الجاشنكير الى دمشق وفررا امور الشام ورتبا في نيابة السلطنة بدمشق الأمير جمال الدين آقوش الأفرم على عادته ورتبا فراسنقر في نيابة السلطنة بحلب بعد عزل سيف الدين بلبات الطباخي عنها واعطائه اقطاعا بديار مصر (ثم قال) وسار فراسنقر الى حلب ثم عاد سلار والجاشنكير بالعساكر الى الديار المصرية

قال ابن اياس قال القاضي محي الدين بن فضل الله حكى لى الامير قبجق بمدان جرى ماجرى ورجع الى القاهرة وتلاقى عسكر السلطان مع عسكر غازان فكاد غازان ينكسر وهم بالهرب فطابني ليضرب عقى لآنى كنت السبب في مجيئه الى دمشق فلما حضرت بين يديه قال لى ما هذا الحال فقلت ما ثم الا الخير والسلامة فأنا اخبر بعساكرنا فأن لهم اول صدمة ثم يولون عن القتال فالقان يصبر ساعة فبايقى قدامه احد منهم فصبر ساعة فكان ما قاله صحيحا ولما انكسر عسكر مصر اراد ان يزحف عليهم بما معه من العسكر فقلت في نفسي متى زحف عليهم لم يبق منهم احد فقلت له القان يصبر ساعة فأن عسكر مصر لهم حيل وخداع وربما يكون لهم كمين وراء الجبل فيخرج علينا فتكسر فسمع لى ثم وقف ساعة حتى ابعدتم عنا ولم يبق منكم احد قدامه فلو زحف عليكم ما بقي منكم احد فلولا انا ما سلم منكم احد فكان الامر كما قيل

ولو شئت قابلت المسي بفعله * وليكنى ابقيت للصلح موضعا
وقد بسط ابن كثير في حوادث هذه السنة ما لاقته دمشق من الفظائع والشدائد قال ابو الفداء وحينما كان قازان بمجموعه في البلاد الشامية جمع الأرمن في البلاد التي افتتحتها منهم وعجز المسلمون عن حفظها فتركها الذين بها من العسكر والرجالة واخلوها فاستولى الارمن عليها وارتجموا حصص وتل حمدون وكوبر وسرفندكار والتقى وغيرها. ولم يبق مع المسلمين من جميع تلك القلاع غير قلعة حجر شغلان واستولى الارمن على غيرها من الحصون والبلاد التي كانت جنوبي نهر جيحان



سنة ٧٠٠ سبعمائة

عود التتر الى بلاد الشام

قال ابو الفداء في هذه السنة عاودت التتر قصد الشام وعبروا الفرات في ربيع الآ خر وجفلت المسلمون منهم وخت بلاد حلب وسار قراسنقر بعسكر حلب الى حماة وبرز زين الدين كتبغا وعساكر حماة الى ظاهر حماة في الثاني والعشرين من ربيع الآ خر من هذه السنة وسادس كانون الاول وكذلك وصلت العساكر من دمشق واجتمعوا بحماة واقامت التتر ببلاد سرمين والمرة وتيزين والعمق وغيرها ينهبون ويقتلون (١) وسار السلطان بالعساكر الاسلامية ووصل الى العوجيا وانفق في تلك المدة تدارك الامطار الى الغاية واشتدت الوحول حتى انقطعت الطرقات وتعذرت الافوات وعجزت العساكر عن المقام على تلك الحال فرحل السلطان والعساكر وعادوا الى الديار المصرية فوصل اليها في عاشر جمادى الاولى من هذه السنة

واما التتر فأنهم اقاموا ينتقلون في بلاد حلب نحو ثلاثة اشهر ثم ابن الله تعالى تدارك المسلمين بلطفه ورد التتر على اعقابهم بقدرته فعادوا الى بلادهم وعبروا الفرات في أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة الموافق لأوائل آدار من شهور الروم ورجع عسكر حلب مع قرا سنقر الى حلب وتراجعت الجفال الى اماكنهم وفي هذه السنة توفي سيف الدين بلبان الطياخي الذي كان نسابا بجانب ودفن بأرض الرملة وورثه السلطان بالولاء

(١) قال ابن خطيب الناصرية في ترجمة غازان لما كان سنة سبعمائة جمع ايضاً غازان عسكره وحشد وقدم الى بلاد الشام لمحفل الناس وختت البلاد الحلبية واخذ التتر في الأفساد على عادتهم وحاصروا قلعة حلب ولم يحصلوا منها على طائل ولا اخذوها الا أنهم نهبوا قراها

سنة ٧٠١

* ذكر الأغاراة على سيبس *

قال ابو الفداء في هذه السنة جرد من مصر بدر الدين بكتاش امير سلاح وايبك الخزنندار معها العساكر فساروا الى حماة وورد الامر الى زين الدين كتبغا نائب السلطنة بحماة ان يسير بالعساكر الى بلاد سيبس فخرج كتبغا المذكور من حماة وخرجنا صحبته في يوم السبت الخامس والعشرين من شوال في هذه السنة الموافق للثالث والعشرين من حنيران من شهر الروم وسار العسكر صحبة زين الدين المذكور ودخلنا حلب مستهل ذي القعدة ودخلنا دربند بفراس سابع ذي القعدة من الشهر المذكور وانتشرت العساكر في بلاد سيبس فخرقت التروع ونهبت ما وجدت ونزلنا على سيبس وزحفنا عليها واخذنا من سفح قلعتها شيئاً كثيراً من جفال الارمن وعدنا من الدر بند الى مرج انطاكية ووصلنا الى حلب تاسع عشر ذي القعدة وسرنا الى حماة ودخلناها في السابع والعشرين من الشهر المذكور - اه -

سنة ٧٠٢

* ذكر دخول التتر الى الشام وكسبهم مرة بعد اخرى *

قال ابن اياس في حوادث سنة اثنتين وسبعمئة فيها جاءت الاخبار بان اميراً من امراء القان غازان يقال له قطلوشاه قد دخل الى حلب على حين غفلة من اهلها ومعه طائفة من عسكر التتار وذكروا ان بلادهم قد اضمحلت هذه السنة وقصدتهم الاقامة بحلب حتى يشتروا لهم مغلا وكل ذلك حيل وخداع ثم بعد ايام دخل منهم جماعة الى مرعش فأرسل نائب حلب يكاتب السلطان بذلك فلما جاء هذا

الخبر عين السلطان جماعة من الامراء المتقدمين عدتهم ستة من الامراء وعين الف مملوك من المماليك السلطانية فخرجوا من القاهرة على الفور مسرعين فلما وصلوا الى غزة توارت الاخبار بوصول غازان الى الرحبة وان نائب الرحبة تلطف به وارسل له بالأقامة مع ولده ومنعه من محاصرة المدينة فلما ان بلغ السلطان ذلك احضر الامير سلاار النائب والاناكي بيبرس الجاشنكير وضربوا مشورة في ذلك فأشاروا على السلطان بالخروج قبل ان يتمكن العدو من البلاد فنادى السلطان في جميع اماكن القاهرة للعسكر بالرحيل من كبير وصغير ثم ان السلطان احضر جماعة من عربان الشرقية ومن عربان الغربية ونادى بالنفير عاماً وخرج مسرعاً على جرائد الخيل وكان معه الخليفة المستعصم بالله ابو الربيع سليمان والقضاة الاربع وسائر الامراء والعسكر من كبير وصغير فلما رحلوا من الريدانية تقدم الاناكي بيبرس الجاشنكير مع جماعة من العسكر قدام السلطان . فلما وصلوا الى الشام جاءت الاخبار بأن جاليش غازان قد وصل الى قرب حماة فأرسل الاناكي بيبرس يستحث السلطان في سرعة الحضور فجد السلطان في السير حتى وصل الى الشام في مستهل شهر رمضان من السنة المذكورة ثم ان السلطان لم يقم بالشام وبرز الى قتال عسكر غازان فكان مع السلطان من العساكر المصرية والشامية وعربان جبل نابلس نحو مائتي الف انسان وكان مع غازان مثل ذلك او اكثر فتلاقى العسكران على مرج راهط تحت جبل غباغب فكان بين الفريقين هناك واقعة عظيمة لم يسمع بمثلهما فيما تقدم من الزمان فكانت النصره يومئذ للملك الناصر محمد بن قلاوون على القاف غازان فقتل من الفريقين مالا يحصى عددهم واسر من عسكر غازان نحو الثلث وقتل من امراء مصر الامير حسام الدين لاجين استادار العالمة والامير قوليا بن قرمان والامير سنقر الكافوري والامير

ايدمر الشمسى والامير آقوش الشمسى الحاجب والامير عز الدين تقيب الجيوش
 المنصورة والامير علاء الدين بن التركمانى والامير حسام الدين بن ساخل والامير
 سيف الدين بهادر الدكاجكى هؤلاء غير من قتل من امراء دمشق الشام وحماة
 وحلب وطرابلس وغزة وغير ذلك من الامراء وقنبل من المماليك السلطانية
 والامراء نحو الف وخمسمائة مملوك هذا خارجاً عن العربان والمشاة والعبيد والغلمان
 وغير ذلك فلما دخل الليل حالت الظلمة بين المسكرين فالتجأ عسكر غازان الى
 اعلى الجبال وبانوا يوقدون النيران وبات عسكر السلطان مخدتين بهم كالحققة
 فلما لاح الصباح من يوم الاحد رابع شهر رمضان عاين عسكر التتار الهلاك
 من العطش والجوع فصاروا يتسحبون من الأودية اولاً بأول فحمل عسكر
 السلطان عليهم فصيروهم ربما واسروا منهم ماشاءوا فامتلاأت من قتلاهم القفار فلما
 وصلت هذه النصره للملك الناصر محمد ارسل الأمير بكتوت الفتح بأخبار هذه
 النصره الى الديار المصرية ثم ان السلطان رحل من المكان الذي وقعت فيه الواقعة
 ودخل الى دمشق وصحبته الخليفة المستكفي بالله سليمان والقضاة الاربع فنزل
 بالقصر الأبلق وكان يوم دخوله الى دمشق يوماً مشهوداً لم يسمع بمثله .
 وقبل هذه الواقعة كانت وقعة اخرى ذكرها ابو الفداء في تاريخه فقال في هذه السنة
 عاودت التتر قصد الشام وساروا الى الفرات واقاموا عليها مدة في ازوارها
 (بساتينها) وسارت منهم طائفة تقدير عشرة آلاف فارس واغاروا على القرنبيين
 وتلك النواحي وكانت المساكر قد اجتمعت بحماة عند زين الدين كتبغا النائب
 بحماة وكان مريضاً من حين عاد من بلاد سيبس فلما اجتمعت المساكر عنده وقع
 الاتفاق على ارسال جماعة من العسكر الى التتر الذين اغاروا على القرنبيين فجردوا
 استدمر الكرجى نائب السلطنة بالساحل وجردوا صحبته جماعة من عسكر

حلب وجماعة من عسكر حماة وجر دوني ايضاً من جملتهم فسرنا من حماة سبع شعبان من هذه السنة وتواقنا مع التتر على موضع يقال له الكوم قريباً من عرض واقتلنا معهم يوم السبت عاشر شعبان الموافق لساخ آدار وصبر الفريقان ثم نصر الله المسلمين وولى التتر منهزمين وترجل منهم جماعة كثيرة عن خيلهم واحاط المسلمون بهم بعد فراغهم من الوقعة وبذاوا لهم الأمان فلم يقبلوا وقاتلوا بالنشاب وعملوا سروج الخيل ستائر لهم وناوشهم العسكر القنال من الضحى الى انفراك الظهر ثم حملوا عليهم فقتلواهم عن آخرهم وكان هذا النصر عنوان النصر الثاني ثم عدنا مؤيدين منصورين ووصلنا حماة ثالث عشر شعبان الموافق لثاني نيسان . (ثم ذكر الواقعة الثانية بمعنى ما قدمناه عن ابن اياس الى ان قال) لما اصبح الصباح وشاهد التتر كثرة المسلمين انحدروا من الجبل يتبدرون الهرب وتبعهم المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكان في طريقهم ارض متوحلة فتوحل فيها عالم كثير من التتر فأخذ بعضهم اسرى وقتل بعضهم وجردهم من العسكر الاسلامي جمعا كثيرا مع سلار وساقوا في اثر التتر المشهزمين الى القريتين ووصل التتر الى الفرات وهي في قوة زيادتها فلم يقدرروا على العبور والذي عبر فيها هلك فساروا على جانبها الى جهة بغداد فانقطع اكثرهم على شاطئ الفرات وهلك من الجوع واخذ منهم العرب جماعة كثيرة واخاف الله تعالى بهذه الوقعة ماجرى على المسلمين في المصاف الذي كان يبلى حمص قرب مجمع المروج في سنة تسع وتسعين وستائة ولما حصل هذا النصر العظيم واجتمعت العساكر بدمشق اعطاهم السلطان الدستور فسارت العساكر الحلبية والحموية والساحلية الى بلادهم فدخلنا حماة مؤيدين منصورين يوم السبت سادس عشر رمضان من هذه السنة الموافق لرابع ايار من شهور الروم اهـ

سنة ٧٠٣

ذكر الاستيلاء على تل حمدون

قال ابن كثير يوم السبت ثاني عشر رمضان قدمت ثلاثة آلاف فارس من مصر واضيف اليها الفان من دمشق وساروا واخذوا معهم نائب حمص الجوا كندار ووصلوا الى حماة فصحبهم نائبها الامير سيف الدين قفجق وجاء اليهم اسندمر نائب طرابلس وانضاف اليهم قراستقر نائب حلب وانفصلوا كلهم عليها فانفروا فرقتين سارت طائفة صحبة قفجق الى ناحية ملطية وقلعة الروم والفرقة الأخرى صحبة قراستقر حتى دخلوا الدربندات وحاصروا تل حمدون فتسلموه عنوة في ثالث ذي القعدة بعد حصار طويل فدفقت البشارة لذلك بدمشق ووقع الاتفاق مع صاحب سيس على ان يكون للمسلمين من نهر جيحان الى حلب وبلاد ما وراء النهر الى ناحيتهم لهم وان يعجلوا حمل سين ووقعت الهدنة على ذلك بعد قتل خلق من الأمراء الارمن ورؤسائهم وعادت المساكر الى دمشق مؤيدة منصوره ثم توجهت المساكر المصرية الى مصر اه قال ابو الفداء لما استولوا على تل حمدون هدموها الى الأرض

سنة ٧٠٥

ذكر اغارة عسكر حلب على بلاد سيس

قال ابو الفداء في اوائل المحرم من هذه السنة الموافق العشر الأخير من تموز ارسل قراستقر نائب السلطنة بحلب مع قشتمر مملوكه عسكر حلب للأغارة على بلاد سيس فدخلوها في اول الشهر المذكور وكان قشتمر المذكور ضعيف العقل قليل التدبير مشتغلا بالخمر ففرط في حفظ العسكر ولم يكشف اخبار العدو

واستهان بهم فجمع صاحب سيس جموعاً كثيرة من التتر وانضمت اليهم الارمن والفرنج ووصلوا على غرة الى قشتمر المذكور ومن معه من الأمراء وعسكر حلب والتقوا بالقرب من بياس فلم يكن للحليين قدرة بمن جاءهم فتولوا يتدرون الطريق وتمكنت الارمن منهم فقتلوا واسروا غالبهم واختنق من سلم في تلك الجبال ولم يصل الى حلب منهم الا القليل عرايا بغير خيل وكان صاحب سيس في هذه السنة هيثوم بن ليفون بن هيثوم.

سنة ٦٩٨

مسير السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الكرك واستيلاء بيبس الجاشنكير على المملكة

قال ابو الفداء وفي هذه السنة في الخامس والعشرين من شهر رمضان خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية متوجهاً الى الحجاز الشريف ولما وصل الى الكرك واستقر بها امر جمال الدين آفوش نائب السلطنة بها والامراء الذين حضروا في خدمته بالمسير الى الديار المصرية واعلمهم انه جعل السفر الى الحجاز وسيلة الى المقام بالكرك وكان سبب ذلك استيلاء سلار وبيبرس الجاشنكير على المملكة واستبدادهما بالأمور وتجاوز الحد في الانفراد بالاموال والامر والنهي ولم يترك للملك الناصر غير الأسم فأنف من ذلك وترك الديار المصرية واقام بالكرك ولما وصلت الأمراء الى الديار المصرية واعلموا من بها بأقامة السلطان بالكرك اتفقوا على ان تكون السلطنة لبيبرس الجاشنكير وان يكون سلار مستمرا على نيابة السلطنة كما كان عليه وحلفوا على ذلك وركب بيبس من داره بشعار السلطنة الى الأيواف الكبير بقلعة الجبل وجلس على سرير الملك في الثالث

والعشرين من شوال هذه السنة اعنى سنة ثمان وسبعمائة وتلقب بالملك المظفر
 ركن الدين بيبرس المنصوري وارسل الى نواب السلطنة بالشام فحفوا له عن
 آخرهم وكتب تقليداً لمولانا السلطان بالكرك ومنشورا بما عينه له من الأقطاع
 بزعمه وارسلها اليه واستقر الحال على ذلك حتى خرجت هذه السنة اه

سنة ٧٠٩

دعوة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون من الكرك
 (الى دمشق ثم الى مصر واقامته في السلطنة وتولية حلب لسيف الدين قبحق)
 في هذه السنة عاد السلطان محمد بن قلاون من الكرك الى دمشق ثم الى مصر
 واعيد الى السلطان لمكاتبات اتت له من اهالي دمشق وحلب وخلع بيبرس
 الجاشنكير نفسه واستقر الملك الناصر على سرير ملكه مستهل شوال من هذه
 السنة وهي سلطته الثالثة وقد بسط ابو الفداء وابن اياس القول في ذلك
 ثم قال ابو الفداء واعطى نيابة السلطنة بحلب سيف الدين قبحق وقرر نيابة السلطنة
 بالشام لشمس الدين قراستقر (النائب السابق بحلب)

سنة ٦١٠

ذكر وفاة سيف الدين قبحق وتولية حلب الى اسندمر
 ثم القبض عليه

هذه السنة اعطى مولانا السلطان نيابة السلطنة بالسواحل
 والفتوحات لاسندمر وتصديق علي بجماعة والمعرة وبارين وارسل تقليد اسندمر
 بالسواحل مع منكوتمر الطباخي فوصل الى دمشق في الثالث والعشرين من
 جمادى الاولى وسار الى حماة فلم يجب اسندمر الى المسير الى الساحل وامتنع من

قبول التقليد والخلة. ورد التقليد صحبة منكوتر المذكور فماد به الى دمشق
واتفق عند ذلك موت سيف الدين قفجق نائب السلطنة بحلب في يوم السبت
سلخ جمادى الأولى فلما وصل خبر موته الى الأبواب الشريفة انعم السلطان
بنيابة حلب على اسندمر موضع سيف الدين قفجق.

قال ابن الخطيب في الدر المنتخب في ترجمته نقلاً عن تاريخ شيخه الحسن بن
حبيب قال سنة عشرة وسبعمائة وفيها توفي الأمير سيف الدين قفجق المنصوري
نائب السلطنة بحلب كان عزيز الجانب مشحون الفلك والقارب معظماً في الدول
مصدقاً الى ان قال موقفاً ان فعل موصوفاً بالأقدام والحماسة مشهوراً بالمعرفة
والخبرة والسياسة ولي نيابة السلطنة بدمشق وحماة قبل حلب وكانت وفاته بها
ونقل الى تربته بحماة تغمده الله برحمته

قال ابو الفدا وكان السلطان قد جرد عسكرياً مع كراي المنصوري وشمس الدين
سنقر الكمالي فساروا واقاموا بحمص ولما وصلت الى حماة عائداً من الأبواب
الشريفة ركبوا من حمص وساقوا ليكبسوا اسندمر بحلب ويبغثوه بها فإنه كان
مستشعراً لما كان قد فعله من الجرائم وارسل كراي المذكور الي يعلمني بمسيرهم
وان اسير بالعسكر الحموي واجتمع بهم لهذا المهم فخرجت من حماة يوم الخميس
تاسع ذي الحجة وسقنا نهار الجمعة وبعض الليل ووصلنا الى حلب بعد مضي ثلثي
الليلة المسفرة عن نهار السبت حادي عشر ذي الحجة واحتطنا بدار النيابة التي
فيها اسندمر تحت قلعة حلب وامسكناه بكرة السبت واعتقل بقلعة حلب وجهز
الى مصر مقيداً في يوم الأحد ثاني عشر ذي الحجة ووصل الى مصر فاعتقل بها
ثم نقل الى الكرك وكان آخر العهد به واحتيط على موجوده من الخيل والقماش
والسلاح وكان شيئاً كثيراً وحمل جميع ذلك الى بيت المال واستمر كراي والكمالي ومن

معهما من العساكر والعبد الفقير اسماعيل بن علي مقيمين بحلب حتى خرجت هذه السنة

سنة ٧١١

ذكر نقل قراستقر من نيابة السلطنة بدمشق الى حلب قال ابو الفداء في هذه السنة لما قبض على اسندمر سأل قراستقر نائب السلطنة بدمشق من مولانا السلطان ان ينقله الى نيابة السلطنة بالملكة الحلبية لأنه كان قد طال مقامه بها والى سكنى حلب فرسم له بذلك وحصر تقليده بولاية حلب مع الأمير سيف الدين ارغون الدوادر الناصري وسار في صحبته من دمشق متوجهاً الى حلب وحصل عند قراستقر استشارة من العسكر المقيمين بحلب لثلاث يقبضوا عليه وبقي المقر السيفي ارغون الدوادر الناصري المذكور يطيب خاطر قراستقر ويخلف له على عدم توهمه ويسكنه ويثبت جاشه حتى وصل الى حلب وركبت العساكر المقيمون بحلب للقاءه فالتقيناها ودخل حلب في يوم الاثنين ثامن عشر محرم من هذه السنة واستقر في نيابة السلطنة بحلب واعطى المقر السيفي ارغون الناصري عطاءً جزيلًا وسفره وسار المقر السيفي ارغون المذكور من حلب يوم الاربعاء لعشرين من المحرم وتوجه الى الديار المصرية فأقام بعد ذلك مدة ثم ورد الدستور الى العساكر اقيمة بحلب فسرنا منها في يوم الجمعة الحادى والعشرين من صفر عائدين الى اوطاننا

(ذكر مسير قراستقر الى الحجاز واطهاره العصيان وقصده حلب)

قال ابو الفداء وفي هذه السنة سأل قراستقر دستوراً الى الحجاز الشريف لقضاء حجة الفرض فرسم له السلطان بذلك فعمل شغله وسار من حلب في اوائل شوال من هذه السنة ولم يسر على الطريق وسار على طرف البلاد من شرفها

حتى وصل الى بركة زيزا فحصل عنده التخيل والخوف من الركب المصري لثلا يقبضوا عليه في الحجاز فعاد من بركة زيزا على البرية وسار على البر الى ارسكة والسخنة ثم الى بر حلب واجتمع مع مهنا بن عيسى امير العرب واتفقا على المشاققة والعصيان وقصد قراسنقر حلب ليستولى عليها فاجتمع العسكر والامراء الذين بها ومنعوه من الدخول اليها ووصل من صدقات السلطان الى قراسنقر ومهنا ما يطيب خاطرهما فلم يرجعا عن ضلالهما واصرا على ذلك فجرد السلطان عسكرياً مع المقر السيفي ارغون الدوادار الناصري ومع الامير حسام الدين قوالاجين بسبب قراسنقر المذكور بحيث ان رجع عن الشقاق والنفاق يقرر امره في مكان يختاره وان لم يرجع عن ذلك يقصده العسكر حيث كان ووصل العسكر المذكور الى حماة سادس ذي الحجة وسرت بصحبتهم في عسكر حماة وتوجهنا الى البرية بالحمام بالقرب من الزرقا حادى عشر ذي الحجة فاندفع قراسنقر الى الفرات واقام هناك واقترفت مماليكه فبعضهم سار الى التتر وبعضهم قدم الى الطاعة . ثم توجه قراسنقر الى جهة مها فعاتت العساكر من الحمام الى حلب وكان دخولنا اليها رابع عشر ذي الحجة من السنة ثم كان ما سنذكره ان شاء الله تعالى ثم قال وخرجت هذه السنة وقراسنقر قد اظهر الشقاق وانضم الى مهنا بن عيسى امير العرب وهو متردد في البراري على شاطئ الفرات والحكم بحلب الى المشدين والنظار وايس بها نائب

(سنة ٧١٢)

ما كان من امر قراسنقر والا فرم وسيرهما الى التتر

قال ابو الفداء وفي هذه السنة قصد آفوش الا فرم نائب السلطنة بالفتوحات

ان يحدث خلافاً وان يجمع الناس عليه فهرب اليه حموه ايدمر الزمر الزردكاش من دمشق وانضم اليه من لايق به وسار من دمشق واجتمع بالأفرم بالساحل وقصدوا من عسكر الساحل ومن غيرهم الموافقة لهم على ضلالهم فلم يوافقهم احد فلما رأى الأفرم ذلك هرب من الساحل وخرج على حمية وعبر على الغوالة بين دمشق وحمص وسار الى البرية واجتمع بقراستقر في شهر المحرم من هذه السنة وكان بعض العساكر مع الأمير سيف الدين اركتمر على حمص فساق خلف الأفرم فلم يالحقه وكان على حلب العسكر المقدم ذكره في السنة الماضية صحبة الأمير سيف الدين ارغون الدوادار فلما بلغنا هروب الأفرم واجتماعه بقراستقر وهم قريب سلمية وقع آراء الأمراء على الرحيل من حلب والمسير الى جهة حمص وسلمية فرحل الأمير سيف الدين ارغون الناصري والأمير حسام الدين قرا لاجين ومؤلف هذا المختصر بعسكر حماة من حلب وسرنا ووصلنا الى حماة في ثاني عشر المحرم من هذه السنة ووصلت باقى العسكر وسرنا من حماة في يوم الثلاثاء خامس عشر المحرم الموافق الثامن والعشرين من ايار ونزلنا بظاهر سلمية وقصد قراستقر والأفرم كبس العسكر بالليل لظنهما ان فيهم مخاضرين وانهم يوافقونهم على ذلك فلم يوافقهم احد على ذلك فرجعوا عن ذلك وسار قراستقر والأفرم ومن معهما الى جهة الرحبة فاتفق آراء الأمراء على تجريد عسكر في اثرهم فجردوا العبد الفقير اسماعيل بن علي بعسكر حماة وكذلك جردوا من المصريين الأمير سيف الدين (قلى) بمقدمته وغيره من المقدمين المصريين والمقدمين الدماشقة فسرنا من سلمية في يوم الخميس سابع عشر المحرم من هذه السنة الى القسطل ثم الى قديم ثم الى عرض ثم الى قباقيب ثم الى الرحبة ووصلنا اليها في يوم الأحد الثامن والعشرين من المحرم فلما وصلنا الى الرحبة اندفع قراستقر ومن معه الى جهة رومان قريب عانة والحديثة فسا

امكنا المضي خلفه الى تلك البلاد بغير مرسوم فأقننا بالرحبة ثم رحلنا منها عائدين في
مستهل صفر الموافق لثامن حزيران من هذه السنة وسرنا الى المقر السيفي ارغون
الدوادار وكان قد سار من سلمية الى حمص فوصلنا الى حمص في يوم الخميس
ثامن صفر من هذه السنة ثم ان المقر السيفي رأى ان حماة قريبة وليس بمقامي
بمسكرحماة على حمص فائدة فاقضى رأيه سيرى الى حماة فسرت اليها ودخلتها
ثاني عشر صفر . واستمر العسكر مقيمين بجمص ثم ان قراسنقر والأفرم طال
عليهما الحال وكثر ترداد الرسل اليهما في اطابة خواطرهما وهما لايزدادان الاعتوا
ونفورا حتى سارا الى التتر واتصلا بمخدا بندا في ربيع الأول من هذه السنة وكذلك
ايدمر الزردكاش ومن انضم اليهم

(زيادة بيان في حوادث قرا سنقر واحتمائه بأمر العرب مهنا بن عيسى)

(وقصد هذا حلب وتوجهها مع امير حمص الأفرم الى بلاد العراق)

قال ابن بطوطة في رحلته كان قراسنقر من كبار الأمراء وممن حضر قتل الملك
الأشرف اخى الملك الناصر وشارك فيه ولما تمهد الملك للملك الناصر وقر به
القرار واشتدت او اخي سلطانه جعل يتتبع قتلة اخيه فيقتلهم واحداً واحداً اظهراً
للاخذ بثاره وخوفاً ان يتجاسروا عليه بما تجاسروا على اخيه وكان قراسنقر
امير الأمراء مجلب فكتب الملك الناصر الى جميع الأمراء ان ينفروا بعساكرهم
وجعل لهم ميماداً يكون فيه اجتماعهم مجلب ونزولهم عليها حتى يقبضوا عليه فلما
فعلوا ذلك خاف قراسنقر على نفسه وكان له ثمانمائة مملوك فركب فيهم وخرج
على العساكر صباحاً فأخترقهم واعجزهم سبقاً وكانوا في عشرين الفاً وقصد منزل
امير العرب مهنا بن عيسى وهو على مسيرة يومين من حلب وكان مهنا في قنص
له فقصد بيته ونزل عن فرسه والقى الميامة في عنق نفسه ونادى الجوار يا أمير

العرب وكانت هناك ام الفضل زوج مهنا وبنت عمه فقالت قد اجرناك واجرنا من معك فقال انما اطلب اولادى ومالي فقالت له لك ما تحب فانزل في جوارنا ففعل ذلك واتى مهنا فأحسن نزله وحكمه في ماله فقال انما احب اهلي ومالي الذي تركته بحلب فدعا مهنا بأخوته وبنى عمه فشاورهم في امره ففهم من اجابه الى ما اراد ومنهم من قال له كيف نحارب الملك الناصر ونحن في بلاده بالشام فقال لهم مهنا فأفعل لهذا الرجل ما يريد واذهب معه الى سلطان العراق . وفي اثناء ذلك ورد عليهم الخبر بأن اولاد قراسنقر سيروا على البريد الى مصر فقال مهنا لقراسنقر اما اولادك فلا حيلة فيهم واما مالك فنجتهد في خلاصه فركب فيمن اطاعه من اهله واستنفر من العرب نحو خمسة وعشرين الفا وقصدوا حلب فأحرقوا باب قلعتها وتغلبوا عليها واستخلصوا منها مال قراسنقر ومن بقي من اهله ولم يتعدوا الى سوى ذلك وقصدوا ملك العراق وصحبهم امير حصن الأفرم ووصلوا الى الملك محمد خدا بنده سلطان العراق وهو بموضع مصيفه المسمى قراباغ وهو ما بين السلطانية وتبريز فأكرم نزلهم واعطى مهنا عراق العرب واعطى قراسنقر مدينة صراغة من عراق العجم وتسمى دمشق الصغيرة واعطى الافرم همدان واقاموا عنده مدة مات فيها الافرم وعاد مهنا الى الملك الناصر بعد موافيق وعهود اخذها منه وبقي قراسنقر على حاله وكان الملك الناصر يهت له الفداوية مرة بعد مرة ففهم من يدخل عليه داره فيقتل دونه ومنهم من يرمي بنفسه عليه وهو راكب فيضربه وقتل بسيفه من الفداوية جماعة (١) وكان لا يفارق الدرع ابدأ ولا ينام الا في بيت العود والحديد فلما مات السلطان محمد خدا بنده وولي ابنه ابو سعيد وقع ما سنذكره

(١) انظر آخر حوادث سنة ٧٢٧ في الكلام على حصن القدموس

من امر الجوبان كبير امرائه وفرار ولده الدمرطاش الى الملك الناصر ووقعت
المراسلة بين الملك الناصر وبين ابي سعيد واتفقا ان يبعث ابو سعيد الى الملك
الناصر برأس قراسنقر ويبعث اليه الملك الناصر برأس الدمرطاش فبعث اليه
الملك الناصر برأس الدمرطاش الى ابي سعيد فلما وصله امر بجعل قراسنقر اليه
فلما عرف قراسنقر بذلك اخذ خاتماً كان له مخوفاً في داخله سم نافع فنزع فسه
وامتص ذلك السم فمات لحينه فعرف ابو سعيد بذلك الملك الناصر ولم يبعث
له برأسه

﴿ ترجمه قراسنقر المصوري وآثاره مجلب ﴾

قال ابن خطيب الناصرية في الدر المنتخب. قراسنقر المصوري الامير شمس الدين
ولي نيابة حلب من قبل استاذة الملك المنصور قلاوون في سنة احدى وثمانين
وسمائة عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الباشقردى وقدم اليها من مصر
واستمر بها عشر سنين ثم عزل منها في سنة احدى وتسعين وسمائة بالأمير
سيف الدين بلبان الطباخى ثم وليها في سنة تسع وتسعين عوضاً عن المذكور
واستمر بها عشر سنين ايضاً ثم نقل الى نيابة دمشق ثم ولي نيابة حلب مرة
ثالثة واستمر بها اياماً ثم تسحب هو والأمير جمال الدين آفوش الأفرم
الدوادارى نائب السلطنة بطرابلس وذلك في سنة احدى عشرة وسبعمائة الى
بلاد التتار خوفاً على نفسها فلحقا بخدا بنده بن ارغون بن القان هولاًكو ملك
البلاد الشرقية على ما حكينا في ترجمة آفوش الأفرم . وكان الأمير قراسنقر
المذكور اميراً كبيراً شجاعاً سعيداً حازماً معرضاً عن شرب الخمر ذا معرفة وخبرة
ودهاء وتدبير ولي نيابة السلطنة بمصر ودمشق وحماة وحلب وجمع املاكاً كثيرة
وبنى بالقاهرة مدرسة مشهورة ومجلب رباطاً معروفاً به وله وقف كبير وفيه

يقول العلامة صدر الدين ابو عبد الله محمد الشهير بأبن الوكيل الشافعي عند
قدومه الى حلب

شمس سما فوق السماء عله * وسبا سناه البدر في هالانه
بالسيف والعلم ارتقى فضاء ذا * لمدائنه ومضى به لمدائنه
فالعلم بين بنانه وبيانه * والحلم من ادواته ودوانه
وكذا حديث الجود عنه مسند * متواتر قد صح عند رواه
قد كان في حلب وفي سكانها * شوق اليه يشب في لفحاته
فتباشروا فرحاً بنيل مرامهم * ودعوا بطول بقائه وثبانه

وفيه يقول الرئيس بهاء الدين علي بن ابي سواده الحلبي من ابيات

وقائلة من افرس الترك في الوغى * واثبتهم فوق الجياد السوابق
واقفكم طعناً اذا اشتبك القنا * واضربهم بالسيف في كل مازق
فقلت كفيل الملك والبطل الذي * له صولة الآساد تحت السناجق
قراسنقر المنصور في كل موقف * وحامي حمي الإسلام عند الحقائق
توفي الأمير شمس الدين قراسنقر في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بمراغة وقد
جاوز سبعين سنة تفمده الله تعالى برحمته اه اقول وذكره المقرئ في تاريخه
السلوك فيمن توفي في سنة احدى واربعين وسبعمائة والله اعلم ايها اصح
قال ثمة وقد اعي الملك الناصر قتله وبعث اليه كثيراً من الفداوية فصانه الله منهم
بمحيث قتل من الفداوية بسببه مائة واربعة عشر فداوياً ولما باغ السلطان موته
قال والله ما كنت اشتهي موته الا من تحت سيفي واكون قد قدرت عليه وبلغت
مقصودي ولكن الأجل حصين وكانت له مع الفداوية اخبار طويلة ذكر منها
المقرئ ما يطول به الكلام فاكتفينا بما نقلناه لك عن ابن بطوطة

تولية حلب لسيف الدين سودى وقصد التتار الرحبة قال ابو الفداء وفي هذه السنة قرر السلطان سيف الدين سودى الجمدار الأشرفى ثم الناصري في نيابة السلطنة بحلب المحروسة موضع قرا ستقر فوصل سودى الى حلب في ثامن ربيع الأول من هذه السنة واستقر في نيابة السلطنة بحلب

﴿ مجىء التتار الى الرحبة وتجريد العساكر الى حلب ﴾

قال ابو الفداء في يوم السبت سابع عشر رجب خرجت بعساكر حماة ودخلت حلب في يوم السبت الآخر الرابع والعشرين من رجب واقت بها وكان النائب بها الأمير سيف الدين سودى ثم وصل بعض عسكر دمشق مع سيف الدين بهادر اص وقويت اخبار التتار وجفل اهل حلب وبلادها ثم وصلت التتار الى بلاد سيس وكذلك وصلوا الى الفرات فعندها رحل الأمير سيف الدين سودى وجميع العساكر المجردة من حلب ثامن رمضان ووصلنا الى حماة سابع عشر رمضان وكان خدابندا نازل الرحبة يجمع المفل (التتار) في آخر شعبان من هذه السنة الموافق لأواخر كانون الأول وقام سيف الدين سودى بعسكر حلب وغيره من العساكر المجردة بظاهر حلب ونزل بعضهم في الخانات وكان البرد شديدا والجفال قد ملؤا المدينة واستمرينا مقيمين بحماة وكشافتنا تصل الى عرض والسخنة وتعود اليها بأخبار المخذول واستمر خدابندا شاصراً للرحبة واقام عليها المجانيق واخذ فيها القيوب ومعه قراستقر والأفرم ومن معها وكانا قد اطعنا خدابندا انه ربما يسلم اليه النائب بالرحبة قلعة الرحبة وهو بدر الدين ابن اركشى الكردي لأن الأفرم هو الذي كان قد سمى للمذكور في نيابة السلطنة بالرحبة واخذله امره الطبلخانة فطمع الأفرم بسبب تقدم احسانه الى المذكور ان يسلم اليه

الرحبة وحفظ المذكور دينه وما في عنقه من الايمان للسلطان وقام بحفظ القلعة احسن قيام وصبر على الحصار وقاتل اشد قتال ولما طال مقام خدابندا على الرحبة بمجموعه وقع في عسكره الغلاء والفناء وتعذرت عليه الأفوات وكثرت منه المقفزون الى الطاعة وضجروا من الحصار ولم ينالوا شيئاً ولا وجد خدابندا لما اطعمه به قراسقروالافرم صحة فرحل خدابندا عن الرحبة راجعاً على عقبه في السادس والعشرين من رمضان بعد حصار نحو شهرين وتركوا المجانيق وآلات الحصار على حالها فزلت اهل الرحبة واستولوا عليها ونقلوها الى الرحبة ولما جرى ذلك رحل سودى وعسكر حلب من حماة وعادوا الى حلب واستمر بهادراس ومن معه من عسكر دمشق مقياً بحماة مدة ثم ورد لهم الدستور فساروا الى دمشق اه وذكر ابن ايباس لرحيلهم عن الرحبة سبباً آخر حيث قال وفي هذه السنة حضر مملوك نائب حلب واخبر السلطان بأن التتار قد تحركوا على البلاد فلما تحقق السلطان ذلك عرض العسكر وانفق عليهم فعبوا حالهم في سبعة ايام ثم خرج السلطان من القاهرة في اوائل شهر رمضان وقصد التوجه الى حلب بسبب التتار فلما وصل الى غزوة وردت عليه الاخبار بأن التتار بانهم سبجى السلطان فحافوا ورحلوا عن مدينة الرحبة وتوجهوا الى بلادهم

سنة ٧١٤

وفاة سيف الدين سودى وأثاره بحلب وتوليبتها للامير

علاء الدين الطنبغا

قال ابو الفداء في هذه السنة في رجب توفي الأمير سيف الدين سودى نائب السلطنة بحلب فولى السلطان نيابة السلطنة بحلب الامير علاء الدين الطنبغا الحاجب

ووصل الى حلب واستقر بها نائباً في اوائل شعبان من هذه السنة . اه
قال ابن كثير وممن توفي في هذه السنة سودى نائب حلب في رجب ودفن بتربة
وهو الذي كان سبباً في اجراء النهر اليها غرم عليه ثلثمائة الف (١) وكان مشكور
السيرة حميد الطريقة رحمه الله . وفي تنمة المختصر لأبن الوردى كان مشكور
السيرة ودفن بالمقام وبنيت عليه تربة ورتب عليه قراء وما يليق به . قال في
الدر الكامنة في ترجمته كان رأس نوبة ومن اعيان الأمراء وولي نيابة حلب
في سنة ٧١٢ وهو الذي اجرى النهر الى قويق وطوله اربعون الف ذراع وكان
الغرامة عليه اربعمائة الف درهم لم يظلم فيه احداً ولم يزل الى ان مات في رجب
سنة ٧١٤ وكانت مدة امرته على حلب ستين

قال ابن الوردى في تنمة المختصر ولي حلب بعد سودى الأمير علاء الدين الطنبغا
الصالحى الحاجب فانتفعت به حلب وبلادها وعمر جامع بالميدان الاسود ونقل
اليه اعمدة عظيمة من قورس وعمرت بسبب هذا الجامع اما كن كثيرة حوله
سنة ٧١٨

﴿ ذكر بناء الطنبغا للجامع المسمى باسمه ﴾

قال في الدر المنتخب ومن مشاهير جوامع حلب جامع الطنبغا الصالحى نائب
حلب ثم دمشق بناء بطرف الميدان الاسود سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وهو
اول جامع بني بحلب بعد الجامع الكبير داخل سورها على كف خندق الروم
شرقي المدينة وجعل له بابين باباً غربياً يستطرق منه الى حوش عظيم يعرف
به ومنه الى المدينة وهو باب الكبير وبني الى جانبه ميضأة كبيرة كثيرة النفع
وباباً شرقياً صغيراً يستطرق منه على جسر الى ظاهر البلد وركب عليه باب

قلعة القير لما افتتحها واخرها واليه تنسب محلته وبه الآن مكان مخزن به ملح الجبول اظنه كان خانقاها للمسجد المذكور وكرا المخزن يأخذه متوليه فيصرفه على مرزفته وبالقرب منه تربة هي الآن تحت يد بعض الناس تغلب عليها فجعلها بيتاً وهي بناء عظيم

سبب بنائه

قال في كراسة عندي اظنها من (كوزالذهب لأبي ذر) ونحن نذكر في كتابنا هذا ما تجدد بعده (بعد ابن شداد) من الجوامع من غير استيعاب فنبدأ بجامع الطنبغا اذ هو اول جامع بني بجلب بعد الاموي كما تقدم وكملت عمارته في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وهذا الجامع بصدر الميدان الأسود وبلغني ان الطنبغا كان يكره الخطيب ابن المعجمي خطيب الجامع الاعظم وهو مذكور مع اقاربه في فصله وكان الطنبغا لا يقابله بذلك وصنع هذا الجامع ليصلى فيه ولا يصلي خلقه وفي اول جمعة صليت فيه قرى علي ابى القاسم عمر بن حبيب المسلسل بالاولية تبركاً بالحديث النبوي وفيه مناسبة اخرى ظاهرة وفيه يقول ابن حبيب [١]

في حلب دار القرى جامع * انشأه الطنبغا الصالحى
 رحب الذرى يبدو لمن امه * لطف المعانى حسنه الواضح
 مرتفع الرايات يروي الظما * من مائه السارب السارح
 يهدي المصلي في ظلام الدجى * من نوره اللامع اللامح
 من حوله الروض يروي الورى * من زهره بالفائق الفائح
 لله بسانيه الذي خصه * بالروح للغادي وللرائح

المكتوب على بابه الكبير الغربي

(١) البسملة أما يعمر مساجد الله (٢) من آمن بالله واليوم الآخر . انشا هذا الجامع (٣) المبارك الفقير الى الله تعالى المقر الأشرف العالي الملائي (٤) الطنبغا الناصري تغمده الله برحمته وعفا عنه وذلك في ايام (٥) دولة مولانا السلطان الملك الملك الناصر محمد عز نصره (٦) في شهر سنة ثمانية عشر وسبعمائة من الهجرة النبوية والحمد لله .

وعلى يسار الداخل اليه باب يخرج منه الى ساحة واسعة كانت قديماً مخزناً للملح الذي يؤتى به من الجبول . والقبليّة ذات اربع سوار في وسطها مبنية من الحجارة ولا أثر للعواميد هناك غير ان ثلاثة منها شكل بناؤها يفيد ان تحت القواعد عواميد واخبرت انه كان حصل هناك حريق فأصاب العواميد شي من التوهن فلف كل عمود بسارية من الحجر حفظاً له

والقبة التي فوق المحراب ذات هندسة بديمة حفظتها لنا الأيام مع ارتفاع بناؤها وضخامة احجارها . وقد كان بعض جدار القبليّة الشمالي معمولاً من الخشب فتوهن وصار يتطرق منه الهواء الى القبليّة فيتأذى به المصلون ايام الشتاء فأزيل ذلك الخشب وبني عوضه من الحجر وذلك في سنة ١٣٤٠ وحصل في الجامع في هذه السنة شي من الترميم من طرف دائرة الاوقاف ومن بعض اهل الخير فعاد للجامع بعض رونقه .

وكان احدث امام الباب الصغير الشرقي مiazza بحيث منعت الدخول الى الجامع من هذا الباب وقد ازيلت سنة ١٣٤٠ ومن هذا الباب تخرج الى الخندق القديم الذي كان محيطاً بسور البلد وقد طم هذا الخندق وصار الآن جادة واسعة ووراء هذه الجادة المحلة المعروفة بيرية المسلخ .

وجدار القبلة الشرقى هو داخل في بناء السور ولذا كتب عليه من خارجه
 (١) البسمة امر بمهارة هذا السور في ايام مولانا السلطان الملك الناصر ابى
 السعادات بن محمد بن الملك الاشرف قايتباي (٢) عز نصره المقر الكريم جان
 بلاط كافل حلب المحروسة وبتولى السيفى مصر باى نائب القلعة الحلبية بتاريخ جماد
 الآخرة سنة ثلاث وتسعمائة

والباقي له الآن من الأوقاف ثلث دار في محلة المزوق . واصطبل ونصف دار
 في محلة البستان ومزرعتان في قرية السفيرة الواحدة اسمها الناعورة والاخرى
 مردغين ويبلغ مجموع وارداته نحو ثلاثة آلاف قروش راتجة

﴿ ذكر اغارة عسكر حلب على آمد ﴾

قال ابو الفداء في هذه السنة في ربيع الآخرة كانت الاغارة على آمد وسبب
 ذلك ان نائب السلطنة بحلب جهز عدة كثيرة من عسكر حلب وغيرهم من
 التراكين والعربان والطماعة وقدم عليهم شخصاً تركانياً من امراء حلب يقال
 له ابن جاجا وكان عدة المجتمعين المذكورين مايزيد على عشرة آلاف فارس
 فساروا الى آمد وبفتوها ودخلوها ونهبوا اهلها المسلمين والنصارى ثم بعد ذلك
 امر باطلاق من كان مسلماً فاطلقوا بعد ان ذهبت اموالهم وبالغ المجتمعون
 المذكورون في النهب حتى نهبوا الجامع واخذوا بسطه وقناديله وفعولوا بالمسلمين
 كل قبيح وعادوا سالمين وقد امتلأت ايديهم من الكسب الحرام الذى لا يحل
 ولا يجوز شرعاً وختل آمد من اهلها وصارت كأنها لم تكن بالأمس اه



(سنة ٧٢٠)

ذكر الاغارة على سيس وبلادها

قال ابو الفداء في هذه السنة تقدمت مراسم السلطان بأغارة العساكر على بلاد سيس ورسم لمن عينه من العساكر الاسلامية الشامية فسار من دمشق تقدير النبي فارس وسار الامير شهاب الدين قرطاي بعساكر الساحل وجردت من حماة اصراء الطبلخانات الذين بها وسارت العساكر المذكورة من حماة في العشر الاول من ربيع الاول ووصلوا الى حلب ثم خرجت عساكر حلب صحبة المقر العلامي الطنبغا نائب السلطنة بحلب وسارت العساكر المذكورة عن آخرهم ونزلوا بعمق حارم واقاموا به مدة ثم رحلوا ودخلوا الى بلاد سيس في منتصف ربيع الآخر من هذه السنة الموافق للرابع والعشرين من ايار وساروا حتى وصلوا الى نهر جيحان وكان زائداً فاقتحموه ودخلوا فيه ففرق من العساكر جماعة كثيرة وكان غالب من غرق التراكين الذين من عسكر الساحل وبعد ان قطعوا جيحان المذكور ساروا ونازلوا قلعة سيس وزحفت العساكر عليها حتى بلغوا السور وغنموا منها واتلفوا البلاد والزرع وساقوا المواشي وكانت شيئاً كثيراً واقاموا ينهبون ويخربون ثم عادوا وقطعوا جيحان وكان قد انحط فلم ينضر احد به ووصلوا الى بغراس في التاسع والعشرين من ربيع الآخر ثم ساروا الى حلب واقاموا بها مدة يسيرة حتى وصل اليهم الدستور فسار كل عسكر الى بلده اهـ

[سنة ٧٢٤]

قال ابن اياس في هذه السنة برزت المراسيم الشريفة الى نائب حلب بأن يروك البلاد الحلبية كما فعل في البلاد الشامية فخرج امير من الاصراء العشروات ومعه

جماعة من المباشرين بسبب ذلك فتوجهوا من القاهرة الى حلب وراكوا البلاد
الحلبية حكم البلاد الشامية بجميع البلاد المصرية والشامية والحلبية الآن في
الروك الناصري اه

سنة ٧٢٧

ذكر عزل علاء الدين الطنبغا وتولية حلب لارغون الدوادار

قال ابن كثير في العشر من المحرم دخل مصر ارغون نائب مصر (قادمًا من
الحجاز كما في روض المناظر) فسك في حادي عشره وجلس ايامًا ثم اطلق وبعثه
السلطان نائبًا الى حلب فاجتاز بدمشق في الثاني والعشرين من المحرم فبات بها
ليلة ثم سافر الى حلب وقد كان قبله بيوم قد سافر من دمشق الحاي الدوادار
الى مصر وفي صحبته نائب حلب علاء الدين معزولاً عنها الى حجوبة الحجاب بمصر
(الطنبغا تولى حلب مرة ثانية سنة ٧٣١)

مرور الرحالة ابي عبد الله محمد بن بطوطة بهذه البلاد

في هذه السنة وذكره لنائب السلطنة بها ولقضاها الاربع
في هذه السنة مر الرحالة ابن بطوطة بمدينة حلب قال في رحلته . ومجلب ملك
الأمراء ارغون الدوادار اكبر امراء الملك الناصر وهو من الفقهاء موصوف
بالعدل لكنه بخيل والقضاة مجلب اربعة المذاهب الاربعة فمنهم القاضي كمال الدين
ابن الزملكاني شافعي المذهب على الهمة كبير القدر كريم النفس حسن الأخلاق
متفهم بالعلوم وكان الملك الناصر قد بعث اليه ليوليه قضاة القضاة بمحضرة ملكه
فلم يقض له ذلك وتوفي ببلييس . وهو متوجه اليها ومن قضاة حلب قاضي قضاة

الحنفية الامام المدرس ناصر الدين بن العديم حسن الصورة والسيرة اصيل مدينة حلب
 تراه اذا ما جئته متهللاً * كانك تعطيه الذي انت سائله
 ومنهم قاضى قضاة المالكية لا اذكره كان من الموثقين بمصر واخذ الخطة عن غير
 استحقاق ومنهم قاضى قضاة الحنابلة لا اذكر اسمه وهو من اهل صالحية دمشق
 وتقيب الاشراف مجلب بدرالدين بن الزهرة . ومن فقهاؤها شرف الدين بن
 العجمي واقاربه كبراء مدينة حلب

ذكر وصفه لمدينة حلب

قال وهي من اعز البلاد التي لا نظير لها في حسن الوضع واتقان الترتيب واتساع
 الأسواق وانتظام بعضها ببعض واسواقها مسقفة بالخشب فاهلها دائماً في ظل
 ممدود وقيساريانها لا تماثل حسناً وكبراً وهي تحيط بمسجدها وكل سماط منها
 محاذ لباب من ابواب المسجد ومسجدها الجامع من اجمل المساجد في صحنه بركة
 ماء ويطيف به بلاط عظيم الاتساع ومنبرها بديع العمل مرصع بالعاج والآبنوس
 وبقرب جامعها مدرسة مناسبة له وبها مارستان واما خارج المدينة فهو بسيط
 افصح عريض به المزارع العظيمة وشجرات الأعناب به منتظمة والبساتين على
 شاطئ نهرها وهو النهر الذي يمر بحماة ويسمى العاصى (هذا سهو منه) والنفس
 تجرد في خارج مدينة حلب انشراحاً وسروراً ونشاطاً لا يكون في سواها وهي
 من المدن التي تصلح للخلافة قال ابن جنزي (جامع رحلة ابن بطوطة) اطنبت الشعراء
 في وصف محاسن حلب وذكر داخلها وخارجها وفيها يقول ابو عبادة البحرى (١)
 يا برق اسفر عن قويق فطرتى * حلب فأعلى القصر من بطياس

(١) من قصيدة مطلعها . ناهيك من حرق ابيت اقسى . وهي في ديوانه المطبوع في الجوائب

عن منبت الورد المعصفر صبغه * في كل ضاحية ومعنى الآس
ارض اذا استوحشت ثم انيتها * حشدت علي فاكثر ايناسي
وقال فيها الشاعر المجيد ابو بكر الصنوبري

سقى حلب المزن معنى حلب * فكم وصلت طربا بالطرب
وكم مستطاب من العيش لذ * بها اذ بها العيش لم يستط
اذا نشر الزهر اعلامه * بها ومطارفه والعذب
غدا وحواشيه من فضة * تروق واوساطه من ذهب

وقال فيها ابو العلاء المعري [١]

حلب للولي جنة عدن * وهي للفادرين نار سعي
والعظيم العظيم يكبر في عينيه * قدر الصغير الصغير
فقويق في انفس القوم بحر * وحصاة منه مكان ثير

وقال فيها ابو الفتيان بن حيوس

يا صاحبي اذا اعيانا سقى * فلقياي نسيم الريح من حلب
من البلاد التي كان الصبا سكما * فيها وكان الهوى العذري من اربي

وقال فيها ابو الفتح كشاجم

وما امتعت جارها بلدة * كما امتعت حلب جارها
بها قد تجمع ما تشتهي * فزرها فطوبى لمن زارها

وفيهما قال ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي العنسي

حادي العيس كم تنيخ المطايا * سق بروحي من بعدهم في سياق
حلب انها مقر غرامي * ومرامي وقبلة الأشواق
لاخلا جوشن وبطياس وال * سمدي من كل وابل غيداق

[١] من قصيدة في ديوانه سقط الزند مطلعها . ابق في معه بقاء الدهور .

كم بها مرتع لطرف وقلب * فيه سقى المني بكأس دهاق
وتغنى طيورها لارتياح * وتثنى غصونها للعناق
وعلو الشهباء حيث استدارت * انجم الأفق حولها كالنطاق
وقال بعد ذكره لما قاله الرحالة ابن جبير في وصف قلعتها وقد قدمناه في حوادث
سنة ٥٨٠ وفي هذه القلعة يقول الخالدي شاعر سيف الدولة

وخرقاء قد تاهت على من يرومها * بمرقبها العالي وجانبها الصعب
يبحر عليها الجو جيب غمامة * ويلبسها عقداً بأنجمه الشهب
إذا ما سرى برق بدت من خلاله * كما لاحت العذراء من خلل السحب
فكم من جنود قد اماتت بغصة * وذى سطران قد ابانت على عقب
وفيها يقول ايضاً وهو من بديع النظم
وقلعة عائق العيوق سافلها * وجاز منطقة الجوزاء عاليها
لا تعرف القطر اذ كان الغمام لها * ارضاً توطأ قطريه مواشيتها
إذا الغمامة راحت غاض ساكنها * حياضها قبل ان تهمي عواليها
يعد من انجم الأفلاك مرقبها * لو انه كان يجرى في تجارها
ردت مكاييد اقوام مكايدها * وقصرت بدواهيهم دواهيها
وقبل هذا البيت كما في تاريخ ابن شداد
على ذراً شامخ وعر قدامتلات * كبراً به وهو مملوء بها تها
له عقاب عقاب الجوحائمة * من دونها فهي تخفى في خوافيها

وبعد

اوطأت همتك العلياء هامتها * لما جعلت العوالي من مراقبها
فلم تقس بك خلقاً في البرية اذ * رأيت قسي الردي في كيف باربها

وفيهما يقول جمال الدين علي بن ابي المنصور

كادت لفرط سموها وعلوها * تستوقف الفلك المحيط الدائرا
وردت قواطنها المجرة منهلا * ورعت سوابقها النجوم زواهرا
ويظل صرف الدهر منها خائفاً * وجلا ثما يسمي لديها حاضرا
﴿ وقال في وصفه للمعرة ﴾

والمعرة مدينة صغيرة حسنة اكثر شجرها التين والزيتون والفسق ومنها يحمل
الى مصر والشام وبخارجها على فرسخ منها قبر امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
ولا زاوية عليه ولا خديم له وسبب ذلك انه وقع في بلاد صنف من الرافضة
ارجاس يبغضون العشرة من الصحابة رضي الله عنهم وامن مبغضهم ويبغضون
كل من اسمه عمر وخصوصاً عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما كان من فعله في
تعظيم علي رضي الله عنه

﴿ وقال في وصفه لسرمين ﴾ -

ثم سرنا منها الى مدينة سرمين وهي حسنة كثيرة البساتين واكثر شجرها
الزيتون وبها يصنع الصابون الآجري ويحلب الى مصر والشام ويصنع بها ايضاً
الصابون المطيب لغسل الأيدي ويصبغونه بالحمرة والصفرة ويصنع بها ثياب
قطن حسان تنسب اليها واهلها سبابون يبغضون العشرة ومن العجب انهم
لا يذكرون لفظ العشرة وينادي سحاسرتهم بالأسواق على السلع فأذا بلغوا العشرة
قالوا تسعة وواحد وحضر بها بعض الأتراك يوماً فسمع سمساراً ينادي تسعة
وواحد فضربه بالدبوس على رأسه وقال قل عشرة بالدبوس وبها مسجد جامع
فيه تسع قباب ولم يحملوها عشرة قياماً بمذهبهم القبيح اهـ

[قال في وصفه لتيزين]

ثم سافرت منها (من حلب) الى مدينة تيزين وهي على طريق قنسرين وهي حديثة اتخذها التركان واسواقها حسان ومساجدها في نهاية من الأتقان وقاضيتها بدر الدين المسقلاني

قلت قال في المعجم (تيزين) ويقال لها توزين قرية كبيرة من نواحي حلب كانت تعد من اعمال قنسرين ثم صارت في ايام الرشيد من العواصم . وقال في الدر المنتخب هي مدينة صغيرة قديمة كان لها سور قد تهدم واليها تنسب الكورة وان كان فيها ماهو اميز منها ولم نزل في ايدي المسلمين الى ان استولت الفرنج كما ذكرنا على انطاكية ثم استعادها المسلمون منهم وقصبتها الآن ارتاح وقال في وصفه لمدينة انطاكية

ثم سافرت الى مدينة انطاكية وهي مدينة عظيمة اصلية وكان عليها سور عظيم لا نظير له في اسوار بلاد الشام فلما فتحها الملك الظاهر هدم سورها وانطاكية كثيرة العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة الاشجار والمياه وبخارجها نهر الماصي . وبها قبر حبيب الجار رضي الله عنه وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر شيخها الصالح المعمر محمد بن علي سنة ينيف على المائة وهو ممتع بقوته دخلت عليه مرة في بسنان له وقد جمع خطباً ورفع على كاهله ليأتي به منزله بالمدينة

ورأيت ابنه قد انف على الثمانين الا انه محدودب الظاهر لا يستطيع النهوض ومن يراها يظن الوالد منها ولداً والولد والداً

وقال في وصفه لحصن بفراس

ثم سافرت الى حصن بفراس وهو حصن منيع لا يرام عليه البسانين والزراع

ومنه يدخل الى بلاد سيس وهي بلاد الأرمن وهم رعية للملك الناصر يؤدون اليه مالا ودرهمهم فضة خالصة تعرف بالبغاية وبها تصنع الثياب الدبزية وامير هذا الحصن صارم الدين بن الشيباني وله ولد فاضل اسمه علاء الدين وابن اخ اسمه حسام الدين فاضل كريم يسكن الموضع المعروف بالرصاص ويحفظ الطريق الى بلاد الأرمن

وقال في وصفه لحصن الشفر

ثم سافرت الى حصن الشفر بكاس وهو منيع في رأس شاهق اميره سيف الدين الطنطاش فاضل وقاضيه جمال الدين بن شجرة من اصحاب ابن تيمية

وقال في وصفه لمدينة صهيون

ثم سافرت الى مدينة صهيون وهي حسنة بها الأنهار المطردة والأشجار المورقة ولها قلعة جيدة واميرها يعرف بالأبراهيمي وقاضيه محي الدين الحمصي وبخارجها زاوية في وسط بستان فيها الطعام للوارد والصادر وهي على قبر الصالح المابد عيسى البدوي رحمه الله وقد زرت قبره

وقال في وصفه لحصن القدموس ومصيف وغيره

ثم سافرت منها فمرت بحصن القدموس ثم بحصن المنيقة ثم بحصن المليقة ثم بحصن مصيف ثم بحصن الكهف وهذه الحصون لطائفة يقال لها الأسماعيلية ويقال لهم الفداوية ولا يدخل عليهم احد من غيرهم وهم سهام الملك الناصر بهم يصيب من يعدو عنه من اعدائه بالعراق وغيرها ولهم المرتبات واذا اراد السلطان ان يبعث احدهم الى اغتيال عدوه اعطاه دية فأن سلم بعد تأتي مايراد منه فهي له وان اصيب فهي لولده ولهم سكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا الى قتاله وربما لم تصح حيلهم فقتلوا كما جرى لهم مع الأمير فراسنقور فإنه لما

هرب الى العراق بعث اليه الملك الناصر جملة منهم قتلوا ولم يقدروا عليه لأخذه بالخرم
(سنة ٧٣١)

﴿ ذكر وصول نهر الساجور الى حلب ﴾

قال في روض المناظر نهار الأربعاء تاسع صفر وصل نهر الساجور الى حلب
فزيد به نهر قويق (١) بساقية بناها الأمير ارغون الدوادار وكان يوم وصوله
يوماً مشهوداً خرج لتلقيه ملك الأمراء وسائر الناس مشاة مكبرين مهللين ومنع
اهل الذمة من الخروج معهم وكذلك المطربون وكان قبله الأمير سودى نائب
حلب قصد سوقه وشرع فيه فقيل له من ساقه يموت في عامه فناخر عنه وقيل
مثل ذلك لأرغون فقال لا ارجع عن خير عزمتم عليه فقدر الله انه مرض قبل
اربعين يوماً ومات رحمه الله وانشد القاضي الفاضل شرف الدين الحسين بن ريان
لما أتى نهر الساجور قلت له * ماذا التأخر من حين الى حين
فقال اخرنى ربي ليجعلنى * من بعض معروف سيف الدين ارغون
وانشد القاضي الفاضل بدر الدين الحسن بن حبيب رحمه الله فيه

قد اضحت الشهباء تشنى على * ارغون في صبح وديحور

من نهر الساجور اجرى لها * للناس مجراً غير مسجور

ودفن في تربته التي انشاها بسوق الخيل بين بابي القوس وكان عمره نحو الخمسين
اشتراه الملك المنصور قلاون الصالحى صغيراً لولده الملك الناصر محمد وربي معه
وكان معه بالكرك ثم ولاء نيابة الملك بمصر وربي بعد بيبرس الدويدار ست
عشرة سنة كما تقدم ثم نقله الى نيابة حلب ثم طلب الحضور فحضر واجتمع بالسلطان
ثم تباكيا ثم عاد الى حلب ومات بها وكان فقيهاً حنفياً ورعاً اذن له بالأفتاء على

مذهبه سمع صحيح البخارى على الشيخ ابي العباس احمد بن الشحنة الحجار
ووزيرة بنت عمر بن اسعد بن المنجا بمصر في سنة خمس عشرة وسبعمائة بقراءة
الشيخ ابي حيان وكتب بخطه مجلداً منه .

وقال ابو الفداء في حوادث هذه السنة وفيها في صفر وصل نهر الساجور الى
نهر قويق وانصبا الى حلب بعد غرامة اموال عظيمة وتعب من العسكر والرعايا
بتولية الامير فخر الدين طمان . وفي ربيع الاول مات بحلب الامير سيف الدين
ارغون الناصري نائبها وخرجت جنازته بلا تابوت وعلى النيش كساء بالفقيرى
من غير ندب ولا نياحة ولا قطع شعر ولا لبس جل ولا تحويل سرج حسبما
اوصى به ودفن بسوق الخيل تحت القلعة وعمت عليه تربة حسنة ولم يجعل على
قبره سقف ولا حجرة بل التراب لا غير

وكان متقناً لحفظ القرآن مواظباً على التلاوة عنده فقه وعلم ويرد احكام الناس
الى الشرع الشريف حتى كان بهض الجهال ينكر عليه ذلك وكتب صحيح البخارى
بخطه بعد ما سمعه من الحجار واقتنى كتباً نفيسة وكان عاقلاً وفيه ديانة رحمه الله .
اقول قبلى حمام الناصري المعروفة الآن بحمام البايديية مسجد قديم بابه مؤلف
من ثلاثة احجار كبيرة بينه وبين الحمام بضعة اذرع فيه قبلية وحجرات صغيرة
مشرفة على الخراب يسكنها بعض الفقراء وحجرة واسعة فيها قبر ارغون المذكور
عليه تابوت من حجارة كتب بعض الجهلة على الحجرة العليا منه (هذا ضريح
الولي الزاهد العارف بالله تعالى صاحب الخيرات والمبرات الشيخ محمد بن عبد
الله قويق الحافر المجرى لنهر حلب الشهباء) والصواب انه قبر ارغون الدوادر
رحمه الله وهذه تربته التي ذكرها ابن الشحنة في الكلام على التراب

ترجمته ايضاً

قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة ارغون الدوادار اشتراه المنصور فرباه مع ولده الناصر احمد ولم يزل معه في خدمته حتى توجه الى الكرك وهو معه حتى عاد وهو ملازمه الى ان ولاه نيابة السلطنة بالديار المصرية سنة ٧١٢ فسار سيرة حسنة الى الغاية وكان يخلص الناس من شدائد يريد الناصر ان ينزلها بهم و حج سنة ١٥ وخلف السلطان لما حج سنة ١٩ ثم حج هوسنة عشرين ومشى من مكة الى عرفة بمسكنة في هيئة الفقراء ثم في سنة ٢٦ بلغ الناصر ان مهنا يجهز للحج فأسر الى ارغون ان يحج ويقبض على مهنا (١) فبلغ مهنا فتأخر عن الحج فاتهم الناصر ارغون بذلك فلما عاد قبض عليه واعقله ثم اخرج له لنيابة حلب وكان قد اشتغل على مذهب الحنفية ومهر فيه الى ان صار يعد من اهل الأفتاء وكانت له عناية بالكتب عظيمة جمع منها جمعاً ما جمعه احد من ابناء جنسه وكان الناس قد علموا رغبته في الكتب فهرعوا اليه بها وكان خيراً ساكناً قليل الغضب حتى يقال انه لم يسمع منه احد في طول زمانه بمصر وحلب كلمة سوء وكان للملك به جمال وكان له حضور على ابن الوكيل وعلى ابي حيان وابن سيد الناس وغيرهم واوصل بهيمته نهر الساجور الى البلد قال الذهبي كان تركياً فصيحاً مليح الشكل شديد الحرص وكانت وفاته في ربيع الأول سنة ٧٣١ هـ

سنة ٧٣٣

دخول الامير لؤلؤ القندشى لحلب وما اتاه من المظالم
قال ابن الوردي في خامس عشر شعبان من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة دخل
الأمير بدر الدين لؤلؤ القندشى الى حلب شاداً على الملكة وعلى يده تذاكر

(١) امير العرب في البلاد الشامية

وصادر المباشرين وغيرهم ومنهم القتيب بدر الدين محمد بن زهرة الحسيني والقاضي جمال الدين سليمان بن ديان ناظر الجيش وناصر الدين محمد ابن قرناص عامل الجيش وعمه الحبي عبد القادر عامل المحلولات والحاج اسماعيل بن عبد الرحمن العزازي والحاج علي بن السقا وغيرهم واشتد به الخطب وانزعج به الناس كلهم حتى البريثون وقتت الناس في الصلوات وقلت في ذلك

قلبي لعمر الله معلول * بما جرى للناس مع لولو
يارب قد شرد عنا الكرا * سيف على العالم مسلول
وما لهذا السيف من مغمد * سواك يامن لطفه السول

كان هذا لؤلؤ مملوكاً لقندش ضامن المكوس بحباب ثم ضمن هو بعد استاذة المذكور ثم صار ضامن العداد ثم صار امير عشرة ثم امير طبابخانات ثم صار منه ماصار ثم انه عزل ونقل الى مصر وراح الله اهل حلب منه

وقال ابن خطيب الناصرية في الدر المنتخب قرأت في تاريخ محمد بن حبيب في حوادث سنة ثلاث وثلثين وسبعماية قال وفيها وصل الأمير بدر الدين القندشي الى حلب من الديار المصرية متولياً شد الدواوين وصحبته الأمير سيف الدين جرگتمر الناصر كاشفاً احوال المباشرين وعلى يده تذكرة واضحة الأمانة تشتمل على محاققتهم واخذ ما ثبت عليهم من الخيانة فبادر وصادر وتنمر وتجر وقام ونعد وبرق ورعد ونهى وامر وهمز وهمز واذل الرجال واستخرج الأموال واخذ ونقل وسجن واعتقل وعزل وصرف ونزاعج وانحرف واهان الأكار وروع الحرم والأصاغر ونزع ابواب الأنصاف وسلط الأطراف على الأثراف وضرب بالعصى والسياط وكلف الناس ادخال الجمل في سم الخياط واقام بين

ظهرهم مدة وهم ينتظرون الفرج بعد الشدة الى ان رحل الى الديار المه
وانظفاً عن الشام شرر شر البرية ثم رفع له المنار وعظم شأنه في تلك الديار
وولى بها الأمرة واشد ومارجع عن الظلم ولا ارتد ثم دارت الدوائر وانعكس
حساب القدم الجائر وعاد بعد حين الى حلب واوقعه الدهر في شرك من له
عليه طلب فرقم طرس جلده بقلم السياط وعوقب الى ان هلك وطوت ايدي
الردى ذلك اباساط وقتت فيه

لما اعتدى لؤاؤ سقوه من طلا كاس العذاب علقم المشروب
وبالسياط تقبوا جلده * تبأ له من لؤاؤ مثقوب

وفاة الأمير بدر الدين لؤلؤ القندشي

قال ابن الوردي في حوادث ٧٤٢ سنة وفيها في جمادى الاولى عوقب لؤلؤ
القندشي بدار العدل بحلب حتى مات واستصفي ماله وشمته به الناس قلت
ألؤلؤ قد ظلمت الناس لكن * بقدر طلوعك اتفق النزول
كبرت فكنت في تاج فلما * صغرت سحقت سنة كل لولو
وقال المقرئ في السلوك في حوادث هذه السنة ومات الأمير بدر الدين لولو
الحلبي وكان ضامن حلب فعاقبهم واخذ اموالهم ثم ولي شد الدواوين بحلب
فكثر شاكوه فتسلمه الاكر مشد الجهات بديار مصر ثم نقل الى شد الدواوين
بالقاهرة واعزل واخرج بعد مجيئه الى حلب شاد الدواوين ثم ضرب بالمقارع
حتى مات وفيه قال ابن الوردي

اشكو الى الرحمن لولو الذي * اضحى يصادر سادةً وصدورا
نثر الجنوب بل القاوب بسوطه * فتي اشاهد لؤلؤ منشورا

قال وفيها دخل القاضي تاج الدين محمد بن الرين حلب متولياً كتابة السر ولبس
الخلعة وباشر وأبان عن تعفف عن هدايا الناس اهـ

[سنة ٧٣٥]

ذكر عمارة قلعة جعبر

قال ابن الوردي في هذه السنة وصل الأمير سلف الدين ابو بكر الباشري الى
حلب وصحب معه منها الرجال والصناع وتوجه الى قلعة جعبر وشرع في عمارتها
وكانت خراباً من زمن هولاء وهو من امنع القلاع تسبب في عمارتها الأمير
سيف الدين تنكز نائب الشام ولحق الملكة الحلبية وغيرها بسبب عمارتها وتقوذ
ماء الفرات الى اسفل منها كلفة كثيرة اهـ

توجه العساكر الحلبية لاسترجاع مدينة سيس

قال ابن اياس في هذه السنة جاءت الأخبار من حلب بأن الأرمن ملكوا مدينة
سيس وطردها من كان بها من المسلمين فرسم السلطان لنائب حلب بأن يتوجه
اليهم ومعه العساكر الحلبية فخرج اليهم في سابع عشر رمضان فحاصر من كان
بها من الأرمن واحرق الضياع التي حولها واسر جماعة من الأرمن نحو ثلثمائة
انسان فلما بلغ ذلك من كان من الأرمن بقلعة اياس ناروا على من كان عندهم من
المسلمين وحشروهم في خندق واحرقوا الخندق فاحترق فيه من المسلمين نحو النى
انسان ما بين رجال ونساء وصغار وذلك في يوم العيد فلا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم

قال ابن الوردي كان العسكر عشرة آلاف سوى من تبعهم فلما علم اهل اياس بذلك
[اي بما احرق من الضياع وما اسر] احاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار وغيرهم

وحبسوم في خان ثم احرقوه فقل من نجا فعلوا ذلك بنحو التي رجل من التجار
البغاددة وغيرهم في يوم عيد الفطر فله الأمر اه
وفاة مهنا امير العرب وآثاره

وقال وفيها مات حسام الدين مهنا بن عيسى امير العرب وحزن عليه واقاموا
مأتما بليغا ولبسوا السواد اناف على الثمانين وله معروف من ذلك مارستان جيد
بسرمين ولقد احسن برجوعه الى طاعة سلطان الاسلام قبل وفاته وكانت وفاته
بالتقرب من سلمية اه

وقال في حوادث السنة التي قبلها وتوجه مهنا بن عيسى امير العرب الى طاعة
السلطان بعد النفرة العظيمة عنه سنين ومعه صاحب حماة الملك الأفضل
فاقبل السلطان على مهنا وخلع عليه وعلى اصحابه مائة وستين خلعة ورسوم له بمال
كثير من الذهب والفضة والقماش واقطعه عدة قرى وعاد الى اهله مكرماً اه

سنة ٧٣٦

العمل في نهر قلعة جمبر

قال ابن الوردي في هذه السنة في المحرم نزل نائب الشام الامير سيف الدين تنكز
بعسكر الشام الى قلعة جمبر وتفقدتها وقرر قواعدها
[وفيها] في صفر طلب من البلاد الحلبية رجال للعمل في نهر قلعة جمبر ورسوم
ان يخرج من كل قرية نصف اهله وجلا كثير من الضياع بسب ذلك ثم
طلب ايضاً من اسواق حلب رجال واستخرجت اموال وتوجه النائب بحلب الى
قلعة جمبر بمن حصل من الرجال وهم نحو عشرين الفا

(سنة ٧٣٧)

ذكر وفاة الامير خضر ابن نائب حلب الطنبغا

قال ابن الوردي فيهما في ربيع الأول توفي الأمير الشاب الحسن جمال الدين خضر ابن ملك الأمراء علاء الدين الطنبغا بحلب ودفن بالمقام ثم عمل له والده تربة حسنة عند جامع (١) خارج حلب وتقل اليها وكان حسن السيرة ليس من اعجاب اولاد النواب في شيء * ومما قلت فيه تضييماً

ايست افتدة بالحزن ياخضر * فالدمع يسقيك ان لم يسقك المطر

منها خلقت فلم يسمع زمانك ان * يشين حسنك فيه الشيب والكبر

فان رددت فما في الرد منقصة * عليك قد رد موسى قبل والخضر

وان كان يتضمن هذا التضمين القول بموت الخضر عليه السلام .

قال وفي هذه السنة باشر تاج الدين محمد بن عبد الكريم اخو الصاحب شرف الدين يعقوب نظر الجيوش المنصورة بحلب فما هنى * بذلك واعتبرته الأمراض حتى مات في سابع جمادى الآخرة من السنة المذكورة قلت

ما الدهر الا عجب فاعتبر * اسرار تصريحاته واعجب

كم باذل في منصب ماله * مات وما هنى * بالمنصب

وباشر مكانه في شعبان منها القاضي جمال الدين سليمان بن ريان اه

توجه العساكر الى بلاد سيبس

(١) اقول بالقرب من الجامع عرصة يبلغ طولها نحو ٣٠ ذراعاً وعرضها نحو ١٢ ذراعاً فيها محراب قائم طاهر منه صفه الفوقاني والباقي تحت التراب وفي آخر العرصة من الجهة الغربية قبر يقال ان هذا المكان هو التربة وهذا القبر هو قبر خضر المذكور والله اعلم .

قال المقرئ في تاريخه السلوك الى معرفة الملوك (١) وفي ثاني عشر شعبان توجهت التجريدة الى بلاد سيس وخراب مدينة ايباس وسبب ذلك وصول رسول القان موسى وعلي باشا بطلب النجدة على الشيخ حسن وطفاني بن سوتاي واولاد دمرداش (الطرفان من ملوك الشرق في فارس وتلك النواحي) ليكون على باشا نائب السلطنة ببغداد فاستشار نائب الشام والأمرء فاستقر الرأي على تجريد العسكر نحو سيس فان تكفور تقض الهدنة بقبضه على عدة بماليك وارسلهم الى مدينة ايباس وقطع الحمل المرتب عليه فلم يعلم خبرهم ويكون في ذلك اجابة علي باشا الى ما قصده من نزول العسكر قريباً من الفرات مع معرفة الشيخ حسن بأننا لم نساعد علي باشا وانما بعثنا العسكر لغزو سيس وعمل مقدم العسكر الأمير ارقطاي ويكون في الساقاة ومقدمه الجاليش صحبة الامير طرناي الطباخي ومعهما من الامرء اقباتمر وبيدصر البدرى وتمر الموساوى وقطاربغا الطويل وجركتمر بن بهادر وبييغا بن حارس الطير ومن امرء الشام قطلوبغا الفخرى مقدم الجيش الشامي وكتب بخروج عسكر دمشق وحماة وحلب وحمص وطرابلس الى ناحية جعبر فاذا وصل عسكر مصر الى حلب عادت عساكر الشام ثم مضوا جميعاً الى سيس فيكون في ذلك صدق ما وعده علي باشا وبلوغ الغرض من غزو سيس فسار العسكر من القاهرة

قال ابن الوردي وفيها في رمضان المعظم وصل الى حلب من مصر عسكر حسن

(١) ظفرت بجزء من هذا التاريخ عند الخواجات برخه العائلة المشهورة في حلب وهو مرتب على السنين وفيه حوادث من هذه السنة الى سنة ٧٥٣ حوادث سبع عشرة سنة وهو في ١٤١ ورقة وقد التقطت منه ماله علاقة بتاريخ هذه البلاد في هذه السنين وهو تاريخ لمصر واصل الكتاب فيه من حوادث سنة ٥٧٧ الى سنة ٨٤٤ فعلى هذا يكون مجموع هذا التاريخ في نحو عشرة مجلدات انظر كشف الظنون

الهيئة مقدمه الحاج ارقطاي وعسكر من دمشق مقدمهم قطبنا الفخرى وعسكر من طرابلس مقدمه بهادر بن عبد الله وعسكر من حماة مقدمه الأمير صارم الدين. ازبك والمقدم على الكل ملك الأمراء مجلب علاء الدين الطنينا ورحل بهم الى بلاد الأرمن في ثانی شوال منها ونزل على مينا اياس وحاصرها ثلثة ايام ثم قدم رسول الأرمن من دمشق ومعه كتاب نائب الشام بالكف عنهم على ان يسلموا البلاد والقلاع التي شرقي نهر جيحان فتسلموا منهم ذلك وهو ملك كبير وبلاد كثيرة كالمصيصة وكوبرا والهارونية وسرفندكار واياس وباياس ونجيمه والبقير التي تقدم ذكر تخريبها وغير ذلك فخرّب المسلمون برج اياس الذي في البحر واستنابوا بالبلاد المذكورة نواباً وعادوا في ذی الحجة منها والحمد لله اه

ورود الأمر بالمساحة عما يؤخذ على الاغنام الداخلة الى حلب قال في صبح الاعشى $\frac{13}{11}$ هذه نسخة توقيع بالمساحة في جميع المراكز بما يستأدى على الأغنام الدغالي الداخلة الى حلب . وان يكون ما يستخرج من تجار الغنم على الكبار منها خاصة من انشاء المقر الشهابي بن فضل الله مما كتب به في شهر سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وهي .

الحمد لله ذی المواهب العميمه . والمطايا التي لا تجود بها يد كريمة . والمن التي عوضنا منها على كل شيء بخير منه قيمة والمساحة التي ادخر لنا بها عن كل مال حسن مال وبكل غنم غنيمه . نحمده على نعمه التي غدت على كثرة الانفاق مقيمة ونشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله اكرم من سمح وسامح في امور عظيمه

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة مستديمة . وسلم تسليماً كثيراً . وبعد فبئذ ملكنا الله لم نزل نرغب اليه ونعامله بما نهبه له ونرغب عليه . ولم نبقي

مملكة من ممالكنا الشريفة حتى ساحنا فيها بأموال وسامينا فيها بنفع ارضها السحب الثقال وكانت جهة العداد بالمملكة الحلبية المحروسة مثقلة الأوزار بما عليها. مشدودة النطاق بما يغل من الطلب يديها. مما هو على التركمان بها محسوب والى عديدهم عدده منسوب . ونحن نظنه في جملة ما اسقطته مساحتنا الشريفة وهو منهم مطلوب وهو المعروف بالدغالي زائداً على الرؤس الكبار وممدوداً عند الله من الكبار وهو في حساب الدواوين من الصغار فلما اتصل بنا ان هذه المظلمة ما انجلي عنهم ظلمها. ولا رفع من الحساب عنهم قلمها. اكبرنا موقع بقاها وعلما انها مدة مكتوبة لم يكن بدم من المصير الى انقضائها واستجلبنا قلوب طوائف التركمان بها واوتقنا اسبابهم في البلاد بسببها لأمرين كلاهما عظيم لرغبتنا فيما عند الله ولما لهم من حق ولاء قديم كم صاروا مع الجيوش المنصورة جيوشاً وكم ساروا الى بلاد ملوك الأعداء فتلوا لهم عروشاً. وكم كانوا على اعقاب العساكر المؤيدة الاسلامية ردفاً ومقدمهم في محاصرة جاليسا وكم قتلوا بسهامهم كافراً وقدموا لهم رماحهم نعوشاً . ومنهم امراء وجنود ونزول ووفود وهم وان لم يكونوا اهل خباء فهم اهل عمود . وذووا انساب عريقة واحساب حقيقة الى القبجاق الخالص مرجعهم والفرس بفرسان دولتنا الشريفة تجمعهم . فأقضى رأينا الشريف ان نرعى لهم هذه الحقوق بأبطال تلك الزيادة المرادة. وان نتاسى منها ما هو في العدد كالنسي في الكفر زيادة

فرسم بالامر الشريف . لازالت مواهبه تشمل الآفاق . وتزيد على الأنفاق وتقدم ما ينفد الى ما هو عند الله باق ان يسامح جميع التراكمين الداخل عدادهم في ضمان عداد التركمان بالمملكة الحلبية المحروسة بما يستأدي منهم على الاغنام الدغالي وان يكون ما يستخرج منهم من العدد على الكبار خاصة وهو عن كل

مائة رأس كبار ثلاثة ارؤس كبار خاصة لا غير من غير زيادة على ذلك مسامحة مستمرة دائمة مستقرة باقية بقاء الليالي والأيام. لا تُبدل لها احكام ولا تتغير بتغير حاكم من المحكام نرجو ان نسر بها في صحائف اعمالنا يوم العرض لا يتأول فيها حساب ولا تمتد اليها يد حساب ولا يبقى عليها سبيل للدواوين والكتاب . ولا تسبب اغنامهم ليرعاها منهم اولئك الذئاب ، كلما مر على هذه المسامحة زمان أكد اسبابها وبيض في صحائف الدفاتر حسابها لا تعارض ولا تناقص ولا يتأول فيها متأول في هذا الزمان ولا فيما بعده من الزمان ولا يدخل حكمها في النسيان ولا ينقص اجرها المضمون ولا يُطلب اصحاب الدغالي عليها بعداد في قرن من القرون ولا يستحقر بما يستأدي منها جليلةً ولا حقيرة ولا يسمح لنفسه من قال انها صغيرة وهي عند الله كبيرة . لتطيب لأهلها ومن تسمع بما شملهم من احساننا الشريف النفوس ولا تصدع لهم بسبب هذا الطلب رؤوس فمن تعرض في زماننا امدنا الله بالبقاء او كشف في هذه الصدقة الجارية وجه تأويل او سكن فيها الى مداومة بقليل او طلب من ظالم بعينه مداواة قوله العليل فسيجد ما يصبح به مثله ويتوب به مثله ويكون لمن بعده عبرة بمن قدم قبله ونحن نبرأ الى الله ممن يتعرض بعدنا الى تقضها وهذه المسامحة عليه حجتنا التي لا يقدر عند الله على دحضها. ولنقرأ على المنابر وتعل كلتها وتمد في اقطار الارض كما امتد السحاب ترجمتها وسبيل كل واقف عليها من ارباب الاحكام اصحاب السيوف والأقلام ومن يتناوب منهم على الدوام العمل بما رسمنا به واعتماد ما حكم به روجه بعد الخط الشريف شرفه الله تعالى اعلاه ان شاء الله تعالى اه

سنة ٧٣٨

عود العساكر من بلاد سيبس وزيادة بيان لهذه الحوادث

قال في كتاب السلوك وفي يوم الخميس ثالث عشر المحرم قدمت التجريدة من بلاد سيبس وكان من خبر ذلك انهم لما ساروا من القاهرة في ثاني عشر شعبان وقداموا دمشق تلقاهم الأمير تنكز ولم يعبأ بالأمر ارقطاي مقدم العسكر لما في نفسه منه ومضوا الى حلب فقدموها في رابع عشرين رمضان واقاموا بها يومين فقدم الأمير قطلوبغا الفخري بمسكر الشام وقد وصل الى جبر ثم ساروا جميعاً يوم عيد الفطر حتى نزلوا على اسكندرونة اول بلاد سيبس وقد تقدمهم الأمير مغلطاي الغزي اليها بشهرين حتى جهز المجانيق والزحافات والجسورة الحديد والمراكب وغير ذلك لمبور نهر جيحان فقدم عليهم البريد من دمشق بان تكفور وعد بتسليم القلاع للسلطان فترد المجانيق وجميع آلات الحصار الى بغراس ولتقم العسكر على مدينة ايباس حتى يرد مرسوم السلطان بما يعتمد في امرهم وكانت التراكن قد اغاروا على بلاد سيبس ومعهم ابن فرمان فتركوها اوخش من بطن حمار فبعث تكفور رسله في البحر الى دمياط فلم يأذن السلطان لهم في القدوم عليه من اجل انهم لم يهابوا نائب الشام بحضورهم فعادوا الى تكفور فبعث بهدية الى نائب الشام وسأله منع العسكر من بلاده وان يسلم القلاع التي من وراء نهر جيحان جميعها للسلطان فكانت السلطان بذلك وبمقتضى اوحد المهمندار الى نائب حلب بمنع القادة ورد الآلات الى بغراس فردها وركب بالعسكر الى ايباس فقدمها يوم الاثنين ثاني عشر شوال وقد تحصنت فبادر العسكر وزحف عليها

بغير امره فكان يوماً مهولاً جرح فيه جماعة كثيرة واستمر الحصار الى يوم الخميس خامس عشره احضر نائب حلب خمسين نجاراً وعمل زحافتين وستارتين ونادى في الناس بالركوب للزحف فاشتد القتال حتى وصلت الزحافات والرجال الى قرب السور بعد ما استشهد جماعة كثيرة فترجل الأمراء عن خيولهم لأخذ السور واذا بأوحد المهمندار ورسل تكفور قد وافوا برسالة نائب الشام فعادوا الى مخيمهم فبلغهم انهم يكفون عن الغارة فلم يوافقوه على ذلك واستقر الحال على ان يسلموا ايباس بعد ثمانية ايام فلما كان اليوم الثامن ارسل تكفور مفاتيح القلاع على ان يرد ما سبي ونهب من بلاده فنودي برد السبي فاحضر كثير منه واخرب الجسر الذي نصب على نهر جيحان وتوجه الامير مغلطاي العزري فتسلم قلعة كوزابن وكانت من احصن قلاع الارمن مساحتها فدان وثلاث فدان وارتفاعها اثنان واربعون ذراعاً بالعمل وانفق تكفور على عمارتها اربع مائة الف وستين الف دينار وتسلم المسكر ايباس والبرج الأطلس وهدم في ثمانية ايام بعد ما عمل فيه اربعون حجاراً يومين وليالين حتى خرج منه حجر واحد ثم تقب وعلق على الأجسام (هكذا) واضرمت فيه النار فسقط جميعه وكان برجاً عظيماً بلغ ضمانه في كل شهر لتكفور مبلغ ثلاثين الف دينار حساباً عن كل يوم الف دينار سوى خراج الاراضي وكان بها اربعمائة خماره وستمائة بنفي وكان في ظاهره ملاحه تضمن كل سنة بسبعمائة الف درهم ولها مائتان وستة عشر بستانا يفرس فيها انواع الفواكه ودور سورها فدانان وثلاثا فدان ثم رحل المسكر عن ايباس بعد ما اقاموا عليها اثنين وسبعين يوماً فر نائب حلب على قلعة نجمة وقلعة اسفندكار وقد اخرجها مغلطاي العزري حتى عبر بالعسكر الى حلب في رابع عشرين ذي الحجة فعاد العسكر الى مصر وقد مرض كثير منهم ومات جماعة فأكرم السلطان الامير

ارقطاي وخلع عليه وبعث تشریفاً الى نائب حلب واقطع اراضي سييس لنائب حلب ونائب الشام وغيرهما من امراء الشام وامر فيها جماعة من التركمان والاجناد فاستعملوا الارمن في الفلاحة وحطوا عنهم من الخراج فعمرت ضياعها وضمنت بعض مجازئ الارمن بها خماراً بألف درهم كل يوم فلم توافق على ذلك وعمل في كل قلعة من قلاع الارمن نائب ورتب فيها عسكر ثم قدمت رسل تكفور فخلع عليهم وكتب بترك الخراج عنهم ثلاث سنين ومهادنتهم عشرين سنين. وفيها كانت حرب بين خليل الطرقي وبين خليل ابن دلغادر وانهزم الطرقي الى حلب فقام معه نائبها وبعث بالانكار على ابن دلغادر فانتمى الى نائب الشام ووعد على نيابة الأبلستين بألفي اكديش واقامة ثلثين امير طبلخاناه فعنى به نائب الشام حتى قدم الى قلعة الجبل وخلع عليه في يوم وكتب له ثلاثون منشوراً بأمریات جماعة منهم وخلع على جميع من معه وسار

سنة ٧٣٨

ذكر فتح الباب شرقي المحراب في الجامع الاعظم وظهور رأس سيدنا يحيى عليه السلام

قال ابن الوردي في هذه السنة في صفر توفي بدر الدين محمد بن ابراهيم ابن الدقاق الدمشقي ناظر الوقف بحلب وفي ايام نظره فتح الباب المسدود الذي بالجامع شرقي المحراب الكبير لأنه سمع ان بالمكان المذكور رأس زكريا النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم فارتاب في ذلك فأقدم على فتح الباب المذكور بعد ان نهى عن ذلك فوجد باباً عليه تأزير رخام ابيض ووجد في ذلك تابوت رخام ابيض فوقه رخامة بيضاء مربعة فرفعت الرخامة عن التابوت فأذا فيها

بعض جمجمة فهرب الحاضرون هيبة لها ثم رد التابوت وعليه غطاؤه الى موضعه
وسد عليه الباب ووضعت خزانة المصحف العزيز على الباب وما انجح الناظر
المذكور بعد هذه الحركة وابتلي بالصرع الى ان عض لسانه فقطعه ومات نسأل
الله ان يلهمنا حسن الأدب اه

اقول المستفيض بين الناس والمشهور لديهم ان الموجود هنا هو رأس سيدنا زكريا
عليه السلام ويظهر ان هذه الاستفاضة مبنية على ما ذكره ابن الوردي هنا
وعلى ما ذكره المرادي في ترجمة علي بن اسد الله مفتي حلب المتوفى سنة ١١٣٠
والتولى على الجامع من انه في ايام توليته ظهر من احد الحيطان لما قشروا عنه
الكلس رائحة تفوق المسك والعنبر واذا فيه صندوق من المرمر مكتوب عليه
هذا عضو من اعضاء نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام فاتخذوا له هناك في
ناحية القبلة في حجرة قبرا في مكانه الآن وذلك سنة ١١٢٠

وقد قدمنا في حوادث ٤٣٥ ظهور رأس سيدنا يحيى عليه السلام في بعلبك ونقله
الى قلعة حلب وقدمنا في حوادث سنة ٦٥٩ نقل الرأس الشريف من القلعة الى
الجامع للحريق الذي حصل هناك ووضعه شرق المحراب وهذا ما ذكره ابن
الشحنة في الدر المنتخب نقلاً عن ابن العظيمي ونقلاً عن الكمال بن العديم عن
ابي بكر الهروي السائح ونقله ياقوت في معجمه في الكلام على حلب وابن شداد
في كتاب الأعلام الخطيرة ولم يتقل خلاف من احد منهم في هذا واقدم ابن
الشحنة على ذلك وهو من اهل القرن التاسع وابو اليمن البتروتي الذي قدمنا
ان الدر المنتخب المنسوب لأبن الشحنة هو له وهو من اهل القرن الحادي عشر
فهذه النقول اجدر بالقبول وادعى ان نقول ان الموجود هنا هو قطعة من
رأس يحيى عليه السلام وان ابن الوردي والمرادي قد سها قلمها واحاد عن منهج العوالب

ذكر توسيع طرق الاسواق بحلب

قال ابن الوردي في هذه السنة في شوال رسم ملك الأمراء بحلب الطنبغا بتوسيع الطرق التي في الأسواق اقتداء بنائب الشام تنكر فيما فعله في اسواق دمشق ولعمري قد توقعت عزله عن حلب لما فعل ذلك فقلت حيثئذ

رأى حلباً بلداً داراً * فراد لأصلاحها حرصه
وقاد الجيوش لفتح البلاد * ودق لقهر العدا خصه
وما بعد هذا سوى عزله * اذا تم امر بدا تقصه

[سنة ٧٣٩]

ذكر وفاة بدر الدين بن زهرة نقيب الاشراف بحلب

وعزل علاء الدين الطنبغا عن ولايتها وتعين سيف الدين طرغاي قال ابن الوردي في هذه السنة في العشر الأوسط من ربيع الآخر توفي السيد الشريف بدر الدين محمد بن زهرة الحسيني نقيب الأشراف ووكيل بيت المال بحلب ومن الاتفاق انه مات يوم ورود الخبر بنزل ملك الأمراء علاء الدين الطنبغا عن نيابة حلب وكان بينهما شحنة في الباطن قلت

قد كانت كل منهما * يرجو شفا اضفانه
فصار كل واحد * مشتغلاً بشأنه

كان السيد رحمه الله حسن الشكل وافر النعمة معظماً عند الناس شهياً ذكياً وجده الشريف ابو ابراهيم هو ممدوح ابى العلاء كتب الى ابى العلاء القصيدة التي اولها

غير مستحسن وصال الفواني * بعد ستين حجة وثمان
ومنها كل علم مفرق في البرايا * جمته معرفة النعمان

فأجابه ابو العلاء بالتقصيدة التي اولها

علاانى فان بيض الأمانى * فنيت والظلام ايس بفانى

ومنها

يا ابا ابراهيم قصر عنك الشء * ر لما وصفت بالقرآن

وفي العشر الاول من جمادى الاولى قدم الامير سيف الدين طرغاي الى حلب نائبها وسر الناس بقدمه واظهروا الزينة وصحبته القاضى شهاب الدين احمد ابن القطب كاتب السر مكان تاج الدين بن الرين خضر المتوجه الى مصر صحبة الامير علاء الدين الطنبا

وفي شعبان قدم الامير صلاح الدين يوسف الداودار شاداً بالملكة الحلبية وفي تاسع شوال وصل الى حلب قاضى القضاة زين الدين عمر بن شرف الدين محمد بن البلفيائى المصرى الشافعى وباتر الحكم من يومه وخرج النائب والاكابر لتلقيه وسر به الناس لما سمعوا من ديانتة بعد شغور المنصب نحو عشرة اشهر من حاكم شافعى

قال في كتاب السالك وفيها توجه الأمير تنكرز نائب الشام من دمشق يريد بلاد سيس لكشف البلاد التي انعم بها عليه فر على حماة ونادى بها ان لا يقف احد لملك الأمراء بقصة ومن كانت له حاجة فعليه بصاحب حماة وخلع على صاحب حماة ومضى الى حلب ودخل بلاد سيس فأهدى اليه تكفور هدية سنية مع اخيه قبلها وخلع عليه وعمر تلك الضياع بالرجال والأبقار والغلال وعاد وفيها كانت وقعة بين ابن دلفادر نائب ابلستين وبين نائب الروم قتل فيها خمسمائة نفس ونهب من اموال الروم شيئاً كثيراً رد منه بعد ما اصطلحوا نحو عشرين الف رأس ما بين غنم وجمال وخيل اه

قال ابن الوردي في هذه السنة في صفر عزل قاضي القضاة بجلب زين الدين عمر البليغاني عنها لوحشة جرت بينه وبين طرغاي نائب حلب فكانت فيه فمزول وهو فقيه كبير مقتصد في المأكل والملبس قلت

كان والله عفيفا نرها * وله عرض عربض ما اتهم

وهو لا يدري مداراة الوري * ومداراة الوري امر مهم

وفي ربيع الاول عزل صلاح الدين يوسف بن الأسعد الدوادار عن الشد على المال والوقف بجلب ونقل الى طرابلس فضاقت طرغاي من جبرته فعمل عليه وكان قد عزم على تحرير الاوقاف بجلب فما قدر قلت

لقد قالت لنا حلب مقالا * وقد عزم المشد على الرواح

اذا عم الفساد جميع وفتي * فكيف اكون قابلة الصلاح

وفي جمادى الآخرة ولي القاضي برهان الدين ابراهيم بن خليل بن ابراهيم الرسفي قضاء الشافعية بجلب بذل لطرغاي نائبها مالا فكانت في ولايته وهو اول من بذل في زماننا على القضاء بجلب وكان القضاة قبله يخطبون ويعطون من بيت المال حتى يلوا ولذلك لم يصادف راحة في ولايته ويعجبني قول القائل

فلان لا تخزن اذا * نكبت واعرف ما السبب

فما تولى حاكمكم * بنفضة الا ذهب

وفيه توفي طقتمر الخازن نائب قلعة حلب كانت تصدر منه في الدين الفاظ منكورة واشترى قبل وفاته دارا عند مدرسة الشاذنجت وعمل فيها تصاوير وكثرالطن

عليه بسببها قلت ما حل فيها زحل * الا لنحس المشتري

فما نعدت صورته * من شؤم تملك الصور

ذكر عزل طرغاي عن نيابة السلطنة بحلب

وتولية طشتمر

قال ابن الوردي في هذه السنة عزل طرغاي عن حلب وكان على طمعه يصلح ويتلو كثيراً وتقل طشتمر حمص اخضر من نيابة حلب .
وفيها فتح الأمير علاء الدين ايدغدي الزراق ومعه بعض عسكر حلب قلعة خندروس من الروم كانت عاصية وبها ارمن ونتر يقطعون الطرقات وفيها توفي بأياس نائبها الامير علاء الدين مغطاي العزري تقدمت له نكايه في الارمن وتقل الى تربته بحلب. قال في كتاب السلوك بعد ذكر خبر وفاته وكان مشكور السيرة

قال في السلوك في حوادث هذه السنة وقدم البريد بأن الغلاء شديد ببلاد الشرق وانه ورد من اهله عالم عظيم الى شط الفرات وبلاد حلب فكتب الى نائب حلب بتمكينهم من العبور الى حيث شاؤوا من البلاد واوصاه السلطان بهم فملوا بلاد حلب وغيرها وقدم منهم الى القاهرة نحو المائتي نفر
ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وسلطنة

واده الى بكر

قال ابن الوردي وفيها توفي السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى رحمه الله وله ستون سنة بعد ان خطب له ببغداد والعراق وديار بكر والموصل والروم وضرب الدينار والدرهم هناك باسمه كما يضرب له بالشام ومصر وحج مرات وحصل لقلوب الناس بوفائه الم عظيم فإنه ابطال مكوساً وكان

يستحى ان يحيب قاصديه و ايامه ايام امن وسكينة وبنى جوامع وغيرها لولا تسليط لؤلؤ والنشو على الناس في آخر وقته .
وعهد اولده السلطان الملك المنصور ابي بكر بجاس على الكرمي قبل موت والده
وضربت له البشار في البلاد

سنة ٧٤٢

ذكر خاع الملك المنصور ابي بكر وتولية بن الملك الأشرف بكك

قال ابن الوردي في هذه السنة في صفر خلع السلطان الملك المنصور ابو بكر ابن الملك الناصر محمد بن قلاون احتج عليه قوصون الناصري (من كبار الامراء بمصر) ولي نعمة ابيه بحجج ونسب اليه اموراً واخرجه الى قوص الى الدار التي اخرج الملك الناصر والده الخليفة المستكفي اليها جزاء وفاقا ثم امر قوصون والى قوص فقتله بها واقام في الملك الملك الأشرف بكك وهو ابن ثمان سنين فقلت في ذلك

سلطاننا اليوم طفل والأكابر في * خلف وبينهم الشيطان قد نزغا
وكيف يطعم من مسته مظلمة * ان يبلغ السول والسلطان ما بلغنا

قتل الأمير الطنبغا الصالحى بعد القبض عليه وترجمته

قال ابن الوردي ما خلاصته في جمادى الآخرة جهز قوصون مع الأمير قطلبغا الفخرى الناصري عسكرياً لحصار السلطان احمد ابن الملك الناصر بالكرك وسار الطنبغا نائب دمشق والحاج ارقطاي نائب طرابلس بأشارة قوصون الى قتال طشتمر بحلب لكون طشتمر انكر على قوصون ما اعتمده في حق اخيه المنصور

ابي بكر ونهب الطنبغا بحلب مال طشتمر وهرب طشتمر الى الروم واجتمع بصاحب الروم ارتنا (الى ان قال) ثم عاد الطنبغا الى مصر وهو قوي النفس بقوصون فاتفق الأمراء هناك وقبضوا على قوصون ونهبت دياره وارسلوه الى الاسكندرية واهلك بها وقبضوا على الطنبغا وحبسوه بمصر ثم اعدم هو والمرقبى (احد الأمراء) . وقال في روض المناظر في هذه السنة توفي الأمير الطنبغا الصالحى مقبوضاً عليه بالاسكندرية وكان ملكاً جليلاً خيراً ديناً له عدة غزوات عديدة في بلاد سويس ولي نيابة دمشق وولي حلب مرتين نحو عشرين سنة وعمر بظاهرها جامعه المعروف وعدة قصاقل وسبلانات

قال الطبيب بيشوف الجرمانى بعد ان ذكر ما هو مكتوب على باب الجامع وبعد موت السيفى ارغون الناصرى سنة ٧٣١ رجع الى حلب نائباً مرة ثانية الأمير علاء الدين الطنبغا واستقام نائباً في حلب الى شهر ربيع الأول من سنة ٧٣٧ الذى مات بها ودفن بتربته جانب جامعه خارج باب المقام . وهذا سهو منه فأن الذى مات في هذه السنة ودفن بتربته جانب جامعه هو ولده خضر كما قدمناه في حوادث سنة ٧٣٧ واما الطنبغا فتوفي مقتولاً بمصر هو والمرقبى في هذه السنة اعنى سنة ٧٤٢ كما تقدم آنفاً

ذكر وفاة الأمير بدر الدين محمد وآثاره بحلب

قال ابن الوردى وفي هذه السنة توفي الأمير بدر الدين محمد ابن الحاج ابي بكر احد الأمراء بحلب كان من رجال الدنيا وله مارستان بطرابلس وارتفع به الدهر وانخفض ودفن بتربته في جامع انشاء بحلب بباب انطاكية اه
اقول موقع الجامع خارج باب انطاكية بالقرب من الجمر كان بينه وبين النهر

دار وقد خربت منذ سنين قلائل وصار مكانها عرصة استولى عليها المجلس البلدى والجامع لازال معروفا ومشهوراً عند اهل محلة الجسر بجامع ابناء ابي بكر . وفي الجهة الغربية منه صفة على طول صحن الجامع فيها ستة قبور يغلب على الظن ان القبر المتوسط هو قبر الواقف والجهة الشمالية من الصحن قدر اربعة اذرع تزرع خضراً وقد ظهر لى انها كانت رواقاً على طول الجامع . وقبلته صغيرة لها كوتان من جهة القبلة سدنا الآن لتعلية ارض الجادة كما انه بسبب ذلك سد نصف باب الجامع الذى من جهة القبلة وعلو هذا الباب منارة صغيرة مربعة الشكل يبلغ ارتفاعها اربعة اذرع . وليس فى القبلة سوى شباكين من جهة الشمال ولو فتح لها شباكان آخران من جهتي الشرق والغرب لزال ما تجده هناك من العفونة . وعن يسار القبلة عرصة يزرع فيها بعض الخضر ايضاً وهناك ايضاً بعض قبور وللجامع من هذه الجهة اعنى الجهة الغربية باب آخر وتقام فيه الآن الصلوات الجماهيرية لا غير .

وله من الأقف خان وخمس دكاكين فى سوق البهرمية ودكان فى محلة الجلوم وتقرب وارادتها من خمسين ليرة عثمانية ذهباً

وفى شهر رمضان وصل القاضي علاء الدين على بن عمان الزرعي المعروف بالفرع الى حلب قاضى القضاة ولاه الطاغية الفخري بالبذل فاجتمع الناس وحملوا المسحف وتضرروا من ولاية مثله فرفعت يده عن الحكم فسافر اياماً ثم عاد بكتب فما التفتوا اليها فسافر الى مصر وحلب خالية عن قاض شافعي

﴿ ذكر ولاية ايدغمش الناصري حلب ﴾

قال ابن الوردي فى الحجة وصل ايدغمش الناصري الى حلب نائباً بها فى

حشمة عظيمة واحسن وعدل وخلع على كثير من الناس واقام بحلب الى صفر
ثم نقل الى دمشق وتأسف الحلييون لانتقاله عنهم قلت
يعرف من تقبله ارضنا * من لزم الاوسط من فعله
لا تقبل المسرف في جوره * كلا ولا المسرف في عدله
(سنة ٧٤٣)

﴿ ذكر ولاية طقز عمر نيابة السلطنة بحلب ﴾

قال ابن الوردي ونقل طقز عمر من حماة الى حلب مكان ايدغمش ودخلها في
عشرين صفر

﴿ ولاية علاء الدين الطنبغا المارداني ﴾

قال ابن الوردي وفيها في رجب وصل الأمير علاء الدين الطنبغا المارداني نائباً الى حلب

ذكر التذديد بالقاضي ابن القرع ثم عزله

قال ابن الوردي في هذه السنة وصل علاء الدين القرع الى حلب قاضياً للشافعية
واول درس ألقاه بالمدرسة قال فيه كتاب الطهارة باب الميات فأبدل الهاء بالتاء
فقلت انا للحاضرين او كان باب الميات لما وصل القرع اليه ولكنه باب الألوف
ثم قال قال الله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه مكان في عقبه فقلت انا لا والله
ولكنها في عنق الذي ولاه فاشتهرت عنى هاتان التنديدتان في الآفاق (ثم قال)
وفي رجب اعتقل القرع بقلعة حلب معزولاً ثم فك عنه الترسيم وسافر الى جهة مصر
قال المقرئ في السلوك وفيها استقر علاء الدين على بن عثمان بن احمد الزرعي
في قضاء القضاة الشافعية بحلب عوضاً عن البرهان ابراهيم الرسني ثم صرف
بيدر الدين ابراهيم بن الصدر احمد بن عيسى بن الخشاب المصري

ذكر عزل أمير العرب سليمان بن مهنا

قال ابن الوردي وفي ربيع الآخر عزل الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى عن إمارة العرب ووايها مكانه الأمير عيسى بن فضل بن عيسى وذلك بعد القبض على فياض بن مهنا بمصر وكان سليمان قد ظلم وصادر أهل سرهين وربط بعض النساء في الزناجير وهجم عبيده على المخدرات فأغاثهم الله في وسط الشدة ثم أعيد بعد مدة إلى الإمارة

وفيها توفي مجلب طنبغا حجي كان جهزته الفخري إليها نائباً عنه في أيام خروجه بدمشق وهو الذي جى أموالاً من أهل حلب وحملها إلى الفخري وأخذ لنفسه بمضها. وباء بأثم ذلك

سنة ٧٤٤

ذكر وفاة علاء الدين الطنبغا المارداني نائب حلب

قال ابن الوردي في صفر توفي الأمير علاء الدين الطنبغا المارداني نائب حلب ودفن خارج باب القام وله بمصر جامع عظيم وكان شاباً حسناً عاقلاً ذا سكينه وقد تكلم المقرئ في المخطط على هذا الجامع وذكر ما صرف عليه ثم بعد ذلك ذكر ترجمته إلى أن قال في آخرها وكان شاباً طويلاً رقيقاً حلو الصورة لطيفاً كريماً صائب الحدس عاقلاً اه

ذكر تمزيق ابن الوردي كتاب فصوص الحكم

قال ابن الوردي في هذه السنة مزقنا كتاب فصوص الحكم بالمدرسة المصرية بمجلب عقيب المدرس وغسلناه وهو من تصانيف ابن عربي تنبئها على تحريم فنيته ومطالمته وقلت فيه

هذي فصوص لم تكن * بنفيسة في نفسها
انا قد قرأت نقوشها * فصوابها في عكسها

ذكر نيابة الامير يلبغا اليحياوي

قال ابن الوردي وفي ربيع الأول وصل يلبغا اليحياوي الى حلب نائباً وهو شاب حسن عفيف عن مال الرعية ذو سطوة وحسن اخلاق في الخلوة وفيه وصل عسكريان من حماة وطرابلس للدخول الى بلاد سيس لتمردها صاحبها كنداصطيل الفرنجي ولمنع الحمل وفي جمادى الأولى عاد العسكري وما ظفروا بطائل وكانوا قد اشرفوا على اخذ آذنة وفيها خلق عظيم واموال عظيمة وجفال من الأرمن فتبرطل اقسقر مقدم عسكري حلب من الأرمن وثبط الجيش عن فتحها واحتج بأن السلطان مارسم بأخذها وتوفي اقسقر المذكور بعد مدة يسيرة بحلب مذموماً وابي الله ان يتوفاه ببلاد سيس مغازياً اه
وقال المقرزي في السلوك في هذه السنة قدم البريد من حلب بأنه خرجت عساكر حلب وحماة وطرابلس صحبة اقسقر وصلاح الدين الدوادار الى جهة سيس لمنعم الطاعة فلقبهم التركان واغاروا معهم واثروا فيهم آتاراً قبيحة حتى اذعنوا للحمل الخراج اه. اقول المقرزي من الواقفين على الحقايق اكثر من ابن الوردي لقربه من الأمراء المصريين وامزاجه معهم

ذكر الزلازل ببلاد حلب وخراب منبج

قال ابن الوردي وفي منتصف شعبان وقعت الزلزلة العظيمة وخربت بحلب وبلادها اما كن ولا سجا منبج فأنها اقلت ساكنها وازالت نحاسنها وكذلك قلعة الراوندان وعمت انا في ذلك رسالة .

اقول قد وصف فيها تلك الزلازل وما اثرته من الأضرار وما خربته من
الأماكن وقد انبتها في ديوانه المطبوع وهي .

نعوذ بالله من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها . ونستعينه في طلب الأقامة بها
وحسن الرحلة عنها . نم نستعيز بالله ونستعين . من سم هذه السنة فهي ام اربعة واربعين
ذات زلزال بث في بلاد الشام رجله وخيله . وجزم برفع الأرض لما جر ذيله . لاعاد
من زلزال . زاعغ به العقل وزال . قنت الناس لأجله في الصلوات واسكوا من
خوفه الصحاري والفلوات

إذا الدهر خات امرأ * بهوت اذاه يهن

فكم زخرف قد سبأ * اذا زلزلت لم يكن

جاوز ستين يوماً . ووعظ بقوم قوماً فأقيل كيف صبر الجدار على امسك
شهرين متتابعين وما اجتث من اصله . قلت هي كفارة عليه فإنه في نهار رمضان
وقع على اهله

نعوذ بالرحمن من مثلها * زلزلة اسهرت الأعينا

قد واثبت بالهجم من لاعصى * وعاقبت بالرجم من لازنى

حكم عزيز قاهر قادر * في كل حال لم يزل محسنا

عائنا لها أهوالاً تقشعر منها الحجارة وتتفرق . وان منها لما يشقق . وان
منها لما يهبط من خشية الله ويفرق . فكم دخل الفاعل والصانع داراً صخرها
يابس وذهبها غض فوجدوا فيها جداراً يريد ان ينقض . وكم سماء قاعة سقط
فلن يبرح الأرض . وبناء قصر في الطول الى يوم المرض . وكم ليلة سهرناها
سهر الليالي المهجر ودعونا الله تعالى انها سلام هي حتى مطلع الفجر فنسأل الله
اجراً بلا بلاء ونعوذ بالله من بلاء بلا أجر . وما حال من منى بالعكس والطررد

وامتد في كانون عن الكنّ قصره البرد . انا بنذنا بالمرء لخوف زلزال طمّالاما
عليه منه في الصحرا سوى مطر السما . والحكيم يقول هذا بخار ربح احتبس
والمنجم يقول هو من حركة كوكب اقتبس . واما الفقيه . فينشد فيه

انى بفعل الله اول مؤمن * وبما قضاه النجم اول كافر
كبت الحكيم فثاله من قوة * وذوو النجوم ثاله من ناصر

فالعلماء احد واحذق . والشريمة الشريفة اقصد واصدق . ولو رأيت حلب وقد
اشرفت على سوء المقلب ووضع لجامها فرؤي في اماكن وتعلمت منارته باب
الأمانة وتحريك الساكن فلولا بركة النداء فيها لرخت ولكن الله سلم جمعها فسلمت
انتفع باسمها بشرف التذكير وسلم جمعها الصحيح من التكسير . غير ان الدموع
جرت على عقبه بنى المنذر [محلة العقبة] كماء السماء وبرزت المضررات من الخدور
لحركات البناء وتعانقت حيطانها تعانق وداع وفكت الرقاب واختلمت الأضلاع
وما ادراك ما العقبة فك رقبه وما يدعي بعاجز من ضمن قول الراجز

زانلة قد وقعت في العقبة * ترضى من اللحم بعظم الرقبه

فخرج النائب بحلب لهذه النائبه ماشياً منصرعاً من نتيجة هذه الكلية السالبه
يأسى ويتأسف وعلى رأسه المصحف وهو

اقسمت لو شاهدته * يمثال تحت المصحف

لرأيت صورة يوسف * يمشي بسورة يوسف

واو رأيت القلاع والحصون وقد اذالت الزلازل منها كل مصون

صارت لقلع القلاع زانلة * ما خشيت رامياً ولا صائد

اذا درى الحصن من رماه بها * خر له في اساسه ساجد

ان هربوا ادركوا وان وقفوا * خشوا تلاف الطريف والتالد

فالأمر لله رب مجتهد * ماخاب الا لأنه جاهد
 رمت الناس بعة الصدر والدوار وجاورت دوراً مرفوعة مخفضها على الجوار
 ولو رأيت منبج منبت كل سرى ومهب النسيم السحري وهي من شدة الطمس
 كأن لم تنن بالأمس قد كسف الردم بها كل بدر وشمس
 وليس وفاتهم بالردم تقصا * لقدرم ففي الشهداء صاروا
 ومافي سطوة الخلاق عيب * ولافي ذلة المخلوق عار
 فوا اسفاه على منبج من مدينة جليلة اصبحت دمنة وكانت الألسن عن وصفها
 كليلة غشيمها قتر وظامه . وركبتها ربح سوداء مدلهمة
 هلكوا هم وديارهم في لحظة * فكأنهم كانوا على ميعاد
 يبسوا وواجههم تضي من الثرى * مثل السيوف بدت من الأغماد
 وقد حكى ان منارتها . صارت تقذف نحو السماء حجارتها
 سكرت بنجر زلازل رقصت لها * رقص القلوص براكب مستعجل
 سقيا لسقيها فدمعى قاطر * لمصاب منزلها واهل المنزل
 ولما سمعوا مهول ذلك الصوت خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فاجتهد
 هيبة هيبات ولا افطار القاطر ولا منعتهم قناطر الملوك اذ صرعتهم ملوك القاطر
 كم حائط فوق الكواعب طامح * ماذا اقول له وان كان حائط
 فلا جرم عظم وهنى لها ولا وهن عظمى وختمت ذلك بيبتين من نظمي
 منبج اهلها حكوا دود قتر * عندهم تجمل البيوت القبورا
 رب نعمهم فقد ألفوا من * شجر التوت جنة وحريرا
 قال وفي شهر رمضان صارت الزلازل تعاود حلب وغيرها سنة وبعض اخرى ا

﴿ زيادة بيان لحوادث الزلازل في هذه السنة ﴾

قال المقرئ في كتاب السلوك في حوادث هذه السنة . وقدم البريد بمحضر ثابت عند قضاة حلب يتضمن انه لما كان يوم السبت سادس شعبان اذا برعد و برق واعقبه زلزلة عظيمة شمع حسها من نصف ميل عن حلب وهو حس مزعج يرجف القلوب فهدم من القلعة اثنان وثلاثون برجاً سوى البيوت وهدم من قلعة البيرة اكثر من نصفها وكذلك من قلعة عين تاب وقلعة الراوندان وبهسنا وبلاد منبج وقلعة المسامين [قلعة الروم] فخرج اهل حلب الى ظاهرها وضربوا الخيم وغلقت سائر اسواقها وفي كل ساعة يسمع دوي جديد ثم انهم تجمعوا عن آخرهم وكشفوا رؤسهم ومعهم اطفالهم والمصاحف مرفوعة وهم يرضجون بالدعاء والابتهاال الى الله تعالى برفع هذا المقت واقاموا على ذلك اياماً الى خامس عشر منه حتى رفع الله عنهم ذلك بعدما هلك بتلك البلاد تحت الردم خلائق لا يحصيها الا خالقها فكتب بتجديد ما هدم من القلاع من الاموال الديوانية قال في روض المناظر بعد ان ذكر حصول الزلازل بمصر وبلاد الشام وانشد

زالت الأرض بنا زلزالها * وقال كل من عليها ما لها

فقلت اذ فروا الى صحرائها * قد اخرجت ارضكم اقبالها

وفي شهر رمضان وصل الى حلب قاضي القضاة نور الدين محمد بن الصائغ على قضاء الشافعية وهو عفيف حسن السيرة عابد

وفي شوال حاصر يلبغا النائب بحلب زين الدين قراجا بن دلغادر التركمان بجبل الدلدل وهو عسر الى جانب جيحان فاعنصم منه بالجبل وقتل في العسكر واسر وجرح وما نالوا منه طائلاً فكبر قدره بذلك واشتهر اسمه وعظم على الناس شره وكانت هذه حركة رديئة من يلبغا

وقال المقرئ في كتاب السلوك في بيان هذه الحادثة وفيها جرد الأمير يلبغا اليحيياوي نائب حلب عسكرا لقتال ابن دلفادر فلقبهم وكسرتهم كسرة قبيحة فركب يلبغا بعساكر حلب وسار اليه ففر منه على جبل وترك اتقاله فنهبها العسكر وقتلوا كثيرا من تركمانه وظفروا ببعض حرمه وتبعوه الى الجبل وصعدوه فقاتلهم ابن دلفادر وجرح اكثرهم واصيب فرس الأمير يلبغا بسهم قتله وتقنطر عنه واخذ صنجقه ومن اسروه من حريمه وما نهبوه له وتمت الكسرة على العسكر فكتب السلطان بالانكار على نائب حلب وتعنيفه على ما فعله .

وفيها استقر موسى بن التاج اسحق في نظر حلب واستقر زين الدين محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر المعروف بأبن الصايغ الانصاري الدمشقي في قضاء القضاة الشافعية بحلب عوضاً عن بدر الدين بن الخشاب وعاد ابن الخشاب الى القاهرة اه

سنة ٧٤٥

ذكر ابتداء دولة الداغادرية في البستان ومرعش

قال ابن الوردي في هذه السنة وصل الى ابن دلفادر امان من السلطان (الملك الصالح عماد الدين اسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر) وافرج عن حريمه وكن بحلب واستقر في الابلستين اه

قال القرماني في تاريخه في الكلام على هذه الدولة هم طائفة من التركمان توطنوا في نواحي البستان ومرعش ثم كثروا واستفحل امرهم حتى ملكوا مرعش والبستان وملطية وعيتاب وعزاز وخربوت وبهسنى ودرنده ودير شهري وقيسارية وحصن المنصور وقلعة الروم وبلاد سيس وقارص وضمانتي واودية

عمق وكوندزلى وغير ذلك وهم يزعمون ان نسبهم ينتهى الى كسرى انوشروان
العاذل ملك فارس وبعرفون من بين التركمان بالشهامة والشجاعة واول من
ظهر منهم (فراجا) ابن ذى القادر فى نواحى البستان تأمر بين قومه اه

وفاة الامير صلاح الدين يوسف واقف المدرسة الصلاحية بحلب

قال ابن الوردى فى حوادث سنة ٧٣٧ فى هذه السنة وقف الامير الفاضل
صلاح الدين يوسف بن الأسمعد الدوادار داره النفيسة بحلب المعروفة اولاً
بدار ابن العديم مدرسة على المذاهب الاربعة وشرط ان يكون القاضي الشافعي
والقاضي الحنفي بحلب مدرسيها وذلك عند عودته من بلدسيس صحبة العسكر
منصرفاً الى منزله بطرابلس ولقد كانت الدار المذكورة بالية لعدم بنى العديم فصارت
راضية بالحديث عن القديم نزع الله عنها البأس والبأس والحزن وعوضها بحلة يوسف
عن شقة الكفن فكمل رخامها وذهبها وجعل شمال اليتامى عصمة الأراامل مكتبها
وكلمها بالفروع الموصولة والاصول المفرعة وجمالها بالمرايع المذهبة والمذاهب
الاربعة وبالجملة فقد كتبها صلاح الدين فى ديوان صلاح الدين الى يوم العرض
وتلا لسان حسنهما اليوسفى (وكذلك مكنا ايوسف فى الارض) ولما وقف الامير
صلاح الدين المذكور على هذه الترجمة تهلل وجهه وقال ما معناه يا ليتك زدتنا
من هذا اه

وتقدم شئ من اخبار صلاح الدين هذا فى حوادث سنة ٧٤٠ وقال ابن الوردى
فى حوادث هذه السنة اعنى سنة ٧٤٥ فيها توفي بطرابلس الامير الفاضل
صلاح الدين يوسف بن الأسمعد الدوادار احد الامراء بطرابلس وهو واقف

المدرسة الصلاحية بحلب كما تقدم وكان من أكمل الأمراء ذكياً فطنا معظماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخط وله نظم كان كاتباً ثم صار دواتدار قبجق بحماة ثم شاد الدواوين بحلب ثم حاجبها ثم دواتدار الملك الناصر ثم نائباً بالاسكندرية ثم اميراً بحلب وشاد المال والوقف ثم اميراً بطرابلس رحمه الله تعالى. اقول موقع هذه المدرسة شمالي الخان المعروف بخان خيربك وامام الخان المعروف بخان الكتان وهي مدرسة صغيرة وقد كانت اشرفت على الخراب فعمرها السيد بهاء الدين ابن السيد تقى الدين القدسي في حدود سنة ١٢٦٠ ومن ذلك الحين صار الناس يسمونها البهائية الا انها في الأوقاف لم تزل باقية على اسمها القديم ولما عمرت سعى السيد بهاء الدين المذكور في تعيين الشيخ صالح المرتيني مدرساً لها وقد كان اتى من ادلب وتوطن حلب فبقيت في يده الى ان توفي ثم آلت الى حفيده الشيخ عمر المرتيني وهو مدرسها الى الآن ووقف عليها السيد بهاء الدين نحو سبعين كتاباً خطياً هي موضوعة في غرفة التدريس العليا الا انها بحالة لا يستفاد منها ووقفت زوجة السيد بهاء الدين | بنه | على المدرسة داراً في ساحة الفرازة ولها سوى هذه الدار اراض عشرية تبلغ وارداتها ثلاثين ليرة عثمانية ذهباً وهي الآن في حوزة دائرة الأوقاف

﴿ استرجاع ما بيع من املاك بيت المال بحماة والمعرة ﴾

قال ابن الوردي وفيها استرجع السلطان الملك الصالح ما باعه الملك المؤيد وابنه الأفضل بحماة والمعرة وبلادهما من املاك بيت المال وهو بأموال عظيمة وكان غالب الملك قد طرح على الناس غصباً وقد اشترت به تقادم الى الملك الناصر فقال بعض المرابين في ذلك

طرحوا علينا الملك طرح مصادر * ثم استردوه بلا اثمان
واذا يد السلطان طالت واعتدت * فيد الآله على يد السلطان
وكا نما كاشف هذا القائل فأن مدة السلطان لم تطل بعد ذلك

(سنة ٧٤٦)

ذكر وفاة الملك الصالح اسماعيل وسلطنة اخيه شعبان

قال ابن الوردي وفي ربيع الآخر توفي السلطان الملك الصالح اسماعيل بن الناصر
محمد بن فلاون وجلس مكانه اخوه السلطان الملك الكامل شعبان
الحرب بين الأمير طرفوش وبين ابن دلغادر

قال المقرئ في كتاب السلوك في حوادث هذه السنة . وقدم الخبر من حلب
بوقعة كانت بين ابن دلغادر وبين امير يقال له طرفوش اقامه الأمير يلبغا اليحياوي
صدأ لابن دلغادر واغراه به ووعد به بأمرته على التركمان فألى ان يسير لمحاربه
طلب يابغا من حلب فسار عنها واقتتل طرفوش وابن دلغادر فانتصر ابن دلغادر
بعد عدة وقايح قتل فيها من الفريقين خلائق فلما قدم الأمير ارقطاي الى حلب
تلطف بأبن دلغادر حتى اعاده الى الطاعة وما زال يجتهد حتى اصلىح بينه وبين
طرفوش ثم التفت الى جهة الأمير فياض بن مهنا وقد كثر عيئه وفساده واخذ
قفول التجار وبذل جهده حتى قدم عليه حلب فتلقيه وانزله وبالغ في اكرامه واخذ
عليه المهود والمواثيق بالأقامة على الطاعة ثم جهزه الى بلاده وكتب بذلك
الى السلطان فسر به سروراً زائداً فإنه كان في قلق من اخبار فياض وعلى عزم
ان يجره العسكر اليه ويورى بقصد سيس واخذ فياض في تجهيز القود الى
السلطان وسيره فقدم وفيه سبعون فرساً قامت عليه بألف الف درهم وخمسون

هجيناً وعشر مهریات وعبي وغير ذلك ثم قدم عقب قوده فأكرمه السلطان
واحسن اليه وانزله اه

ذكر نقل يلبغا الناصري من نيابة حلب وتولية

سيف الدين ارقطاي

قال ابن الوردي وفي ربيع الآخر نقل يلبغا الناصري من نيابة حلب الى نيابة
دمشق مكان طقزتمر وسافر طقزتمر الى مصر بعد المبالغة في امتناعه من القلة
من دمشق فما اجيب الى ذلك وتوفي طقزتمر بمصر بعد مدة يسيرة وكان عنده ديانة
وفيه وصل الأمير سيف الدين ارقطاي الى حلب نائباً وابطل الخمر والفجور
بعد اشتهاها ورفع عن القرى الطرح وكثيراً من المظالم ورخص السعر
وفيهما في شهر رمضان وصل القاضي بهاء الدين حسن بن جمال الدين سليمان بن
ريان الى حلب ناظراً على الجيش على عادته عوضاً عن القاضي بدر الدين محمد بن
الشهاب محمود الحلبي ثم ما مضى شهر حتى اعيد بدر الدين عوضاً عن بهاء الدين
وهكذا صارت المناصب كلها بحلب قصيرة المدة كثيرة الكلفة قلت

ساكني مصر اين ذاك الباني * والنابي وما لكم عنه عذر

بخسر الشخص ماله ويقاسي * تعب الدهر والولاية شهر

وفيهما كتب على باب قلعه حلب وغيرها من القلاع نقرأ في الحجر ما مضمونه
مساعة الجند بما كان يؤخذ منهم لبيت المال بعد وفاة الجند والأمير وذلك
احد عشر يوماً وبمض يوم في كل ستة وهذا التفاوت بين السنة الشمسية
والقمرية وهذه مساعة بمال عظيم

قال المقرئ في كتاب السلوك وفي شوال قدم من حلب ابن قرناص فبذل في نظر حلب نحو ألفي دينار حتى رسم له به عوضاً عن ابن الموصل فبعث ابن الموصل ابنه بهدية سنوية فيها جوار حسان وجوز بسط حرير فقام (عراوا) معه واوصله بالسلطان قبل هديته وبسط البسط بالدهيشة وافر ابن الموصل على حاله فكانت مدة ابن قرناص عشرين يوماً بألفي دينار .

وفيه قدم الخبر بأن قاصد نائب حلب توجه الى سيس بطلب الحمل وقد كان تكفور قد كتب في الأيام الصالحة بأن بلاده خربت فسومح بنصف الخراج فلما وصل اليه قاصد نائب حلب جهز الحمل وحضر كبراء دولة تكفور ليحفظوه انه ما بقى في مملكته اسير من المسلمين كما جرت العادة في كل سنة بتحليفه على ذلك وكان في ايديهم عدة من المسلمين اسرى فبيت مع اصحابه قبلهم في الليلة التي يكون حلقه في صبيحتها فقتل كل احد اسيره في اول الليل فما هو الا ان مضى ثلثا الليل خرجت في الثلث الأخير من تلك الليلة ريح سوداء معها رعد وبرق اربع القلوب وكان من جملة الأسرى مجوز من اهل حلب في اسرى المنجنيقي ذبحها عند المنجنيق وهي تقول اللهم خذ الحق منهم واقام يشرب الخمر بعد ذبحها مع اهله حتى غلبهم السكر وغابوا عن حسم فسقطت الشمعة واحرقت ما حولها حتى هبت الريح فتطاير شرر ما احترق من البيت حتى اشتعل بما فيه وتعلقت النيران بما حوله حتى بلغت موضع تكفور ففر بنفسه واستمرت النار مدة اثني عشر يوماً فاحترق اكثر القلعة وتلف المنجنيق كله بالنار وكان هو حصن سيس ولم يعمل مثله واحترق المنجنيقي واولاده الستة وزوجته واثني عشر رجلاً من اقاربه وخربت سيس وهدم سورها ومسكنها وهلك كثير من اهلها وعجز تكفور عن بنائها

﴿ ذكر تزايد امر ابن دلغادر ﴾

وفيها في اواخرها ملكت التركمان قلعة كابان وربضها بالحيلة وهي من امنع قلاع
سيس مما يلي الروم وقتلوا رجالها وسبوا النساء والاطفال فبادر صاحب سيس
الجديد لاستنقاذها فصادفه ابن دلغادر فأوقع بالأرمن وقتل منهم خلقاً وانهمزم
الباقون

وبعد فتحها قصد النائب بحلب ان يستنيب فيها من جهة السلطان فتى ابن
دلغادر عن ذلك فجهزوا عسكرياً لهدمها ثم اخذتها الأرمن منه بشؤم مخالفته
لولي الامر وذلك في رجب سنة سبع واربعين وسبعماية

سنة ٧٤٧

ذكر عزل الحاج ارقطاي نائب حلب وتولية حلب

لسيف الدين طقتمر الأحمدى

قال ابن الودى في المحرم طلب الحاج ارقطاي نائب حلب الى مصر وفي ربيع
الأول وصل الى حلب الأمير سيف الدين طقتمر الأحمدى نائباً نقل اليها من حماة
وفي جمادى الأولى سافر القاضى ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين
يعقوب وولي كتابة السر بدمشق وتولى كتابة السر بحلب مكانه القاضى جمال
الدين ابراهيم بن الشهاب محمود الحلبي . وفي رجب سافر طقتمر الأحمدى نائب
حلب الى الديار المصرية وسببه وحشة بينه وبين نائب الشام .

قال المقرئى فى السلوك وفى ذى القعدة قدم الأمير طقتمر الصلاحى من حلب
وهو احد خواص الكامل ثم اخرج لنيابة حمص فأت بها

ذكر تولية حلب لسيف الدين بيدمر البدرى

قال ابن الوردى وفي شبان وصل الى حلب الأمير سيف الدين بيدمر البدرى نقل اليها من طرابلس . (واقعة غربية)

قال ابن الوردى وفي ذي الحجة صدرت بحلب واقعة غربية وهي ان بتنا بكرا من اولاد اولاد عمر التيزيني كرهت زوجها ابن المقصوص فلقت كلمة الكفر لينفسخ نكاحها قبل الدخول فقالتها وهي لاتعلم معناها فأحضرها البدرى بدار العدل بحلب وامر فقطعت اذناها وشعرها وعانى ذلك في عنقها وشق انفها وطيف بها على دابة بحلب وبتيزين وهي من اجمل البنات واحياهن فشق ذلك على الناس وعمل النساء عليها عزاء في كل ناحية بحلب حتى نساء اليهود وانكرت القلوب قبح ذلك وما افلح البدرى بعدها قلت

وضع الناس من بدر منير * يطوف مشرعا بين الرجال

ذكرت ولاسواء بها السبايا * وقد طافوا بهن على الجمال

وفيه ورد البريد بتولية السيد علاء الدين على بن زهرة الحسيني نقابة الأشراف بحلب مكان ابن عمه الأمير شمس الدين حسن بن السيد بدر الدين محمد بن زهرة واعطى هذا امارة طلبخاناه بحلب

(زيادة بيان لمحادثة المرأة وتميين ارغون شاه لولاية حلب)

قال المقرئ في كتاب السلوك في حوادث سنة ٧٤٨ واتفق بمدينة حلب ان الأمير بيدمر البدرى لما قدمها ترفع على الأمراء وعزل الولاة والمباشرين بعد ما اخذ تقادمهم واستبدل بهم غيرهم بما لم يألوا له به واشتدت وطأة حاشيته على الناس بظلمهم وسوء معاملتهم ثم بلغه ان رجلاً من الأعيان مات عن ابنة وترك

مالا جزيلاً واوصى ان تزوج ابنته بأبن عمها فرغب بعض الناس في زواجها
 وبذل لأوليائها مالا كثيراً حتى زوجها منه بنير رضاها فلم ترض به وكرهته
 كراهة زائدة حتى قالت لأهلها ان لم تطلقوني منه والا كفرت فأحضروها الى
 بعض القضاة وجدد اسلامها فطلب الأمير بيدمر ابن عمها وضربه بالبقارح
 ضرباً مبرحاً وضرب المرأة ايضاً ضرباً شنيعاً وقطع انفها واذنيها وشهريها بحلب فتألم
 الناس لها المآ كثيراً ووصل خبرها الى امراء مصر فقام صمقار وقرابغا واصحابهما
 قياماً كثيراً في الانكار على بيدمر وصادف مع ذلك وصول كتاب نائب الروم
 بأن يتوجه اليه ويقوم عنده فظفر بقاصده واحد من الكتاب وقبض على ابن
 طشتمر وسجنه بالقلعة فأجيب بالشكر والثناء وكتب اليه اصحابه بأن يبعث
 مقدمة للسلطان حتى يتهيأ نقلته الى غير صفد فبعث سبعة افراس وعقد جوهر
 بمائة الف درهم وغير ذلك من الأصناف فأعجبت السلطان وشكره فأخذ صمقار
 وقرابغا واصحابهما في ذكر بيدمر نائب حلب وكراهة الناس له وما فعله بالمرأة
 وابن عمها وتحسين ولاية ارغون شاه عوضه فإنه سار في اهل صفد سيرة جميلة
 ولم يقبل لأحد مقدمة وجلس للحكم بين الناس وانصف في حكمه حتى احبه
 اهل صفد فقدم بقدم ارغون شاه ليستقر في نيابة حلب وحضور الأمير بيدمر
 من حلب فقدم ارغون شاه صحبة طيزق واكرمه السلطان وخلق عليه تساع
 عشر صفر بنيابة حلب عوضاً عن بيدمر البدرى ورسم ان لا يكون لنائب
 الشام عليه حكم وان يكون مكاتباً للسلطان وكتب لنائب الشام بذلك وتوجه
 الى حلب في يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول وتقدم من دمشق على
 البريد في سادس عشره ونزل قصر معين الدين حتى قدم طلبه من صفد
 في ابهة زائدة وخيوله بسروج سنوية مرصعة وكنابيش ذهب وقلائد

مرصعة وكانت بيدمر قد رأى في منامه المرأة التي فعل بها ما فعل وهي تقول له اخرج عنا وكررت ذلك ثلاث مرات وقالت له قد شكوتك الى الله تعالى فعزك فانتبه مرعوباً وبعث اليها لتجالله وبذل لها مالا فلم تقبله وامتنعت من محالته فقدم خبر عزله بعد ثلاثة ايام من رؤياه و قدم الى القاهرة صحبة طيزق وقد اوصل الامير ارغون شاه الى حلب وسر سرورا كثيراً اه ثم قال في آخر حوادث هذه السنة ومات الامير بيدمر مقتولا بغزة في اوائل جمادى الآخرة وهو احد المماليك الناصرية واليه تنسب المدرسة الأيدمرية بالقاهرة قريباً من المشهد الحسيني

(سنة ٧٤٨)

﴿ ذكر تعيين قاض مالكي بحلب ﴾

قال ابن الوردي في ثالث المحرم وصل الى حلب القاضي شهاب الدين بن احمد ابن الرياحي على قضاء المالكية بحلب وهو اول مالكي استقضى بحلب ولا بد لها من قاض حنبلي بعد مدة لتكمل به العدة اسوة مصر ودمشق .

وفيه ظهر بين منبج والباب جراد عظيم صغير من بزر السنة الماضية فخرج عسكر من حلب وخلق من فلاحى النواحي الحلبية نحو اربعة آلاف نفس لقتله ودفنه وقامت عندهم اسواق وصرفت عليهم من الرعية اموال وهذه سنة ابتدأ بها الطنيفا الحاجب من قبلهم قلت

قصده الشام جراد * سن للغلات سنا

فتصلحنا عليه * وحفرنا ودفننا

قال المؤريزي في كتاب السلوك في حوادث هذه السنة وقدم البريد من حلب

بان صاحب سيس جهنر مائتي ارضي الى ناحية اياص فلما قربوا من كوار ليهمجموا على قلعتها قابلهم اربعون من المسلمين فنصرهم الله على الأرن وقاتلوا منهم خمسين واسروا ثلاثين وهزموا باقيهم فقتل تكواري عدة ممن اسر وحل بقيتهم الى حلب فكتب بالأحسان الى اهل تكواري والانعام عليهم

(ذكر عزل الامير بيدمر البدرى نائبا حلب)

وفي منتصف ربيع الاول سافر بيدمر البدرى نائبا حلب الى مصر معزولاً انكروا عليه ما اعتمده في حق البنات ابن تيزين المقدم ذكرها وندم على ذلك حيث لا ينفعه الندم

— ترجمته —

قال في الدرر الكامنة بيدمر البدرى احد المماليك الناصرية وتنقل حتى صار من الامراء في آخر دولة الناصر وولي نيابة طرابلس مدة يسيرة في ايام الكامل شعبان ثم ولي نيابة حلب في سلطنة المظفر حاجي ثم طلب الى مصر ثم اخرج الى الشام على المهجن فقتل بغزة في جمادى الاولى سنة ٧٤٨ وكان بحب العلماء وينسخ بيده كتب عدة ربعات وكان يتصدق في كل شهر بمائة ألف درهم وله ورد من الليل لكنه سي السيرة في نيابة حلب اه

* ذكر تعيين ارغون شاه الناصري لولاية حلب *

وفي ربيع الاول وصل الى حلب نائبا ارغون شاه الناصري في حشمة عظيمة نقل اليها من صفد

— ذكر تعيين قاض حنبلي بحلب * —

وفي ربيع الآخر وصل تقليد القاضي شرف الدين موسى بن فياض الحنبلي

بقضاء الحنابلة مجلب فصار القضاة اربعة ولما بلغ بعض الظرفاء ان حلب تجدد
بها قاضيان مالكي وجنبلي انشد قول الحريري في الملحمة
ثم كلا النوعين جاء فضله * منكرا بعد تمام الجمله

[ذكر عزل ارغون شاه وشي من احواله]

قال ابن الوردي وفي جمادى الآخرة نقل ارغون شاه من نيابة حلب الى نيابة
دمشق فسار عاشر الشهر وبلغنا انه ووسط في طريقه مسلين وهذا ارغون شاه
في غاية السطوة مقدم على سفك الدماء بلا تثبت قتل مجلب خلقا ووسط وسمر
وقطع بدويا سبع قطع بمجرد الظن بمحضته وغضب على فرس له قيمة كثيرة
مرح بالملاقة فضره حتى سقط ثم قام فضره حتى سقط وهكذا مرات حتى
عجز عن القيام فبكى الحاضرون على هذا الفرس فقيل فيه

عقلت طرفك فيه * اظهرت للناس عقلك

لا كان دهر يولي * على بنى الناس مثلك

قال المقرئ في السلوك في حوادث سنة ٧٥٠ فيها مات الأمير ارغون شاه
الناصرى نائب الشام مذبحاً في ربيع الاول ربهال ناصر محمد حتى عمله امير
طباخاناه رأس نوبة الجمدارية ثم استقر بعد وفاته استادار امير مايه مقدم الف
فتحكم على المظفر شعبان حتى اخرجته لنيابة صفد وولي بعدها نيابة حلب ثم
نيابة الشام وكان قوي النفس شرس الأخلاق مهاباً جازراً في احكامه سفاكاً
للدماء غليظاً فحاشا كثير المال وأسله من بلاد الصين حمل الى ابى سعيد بن
خدايندا فأخذه دمشق خوواجه ابن جوبان ثم ارتجمه ابو سعيد بعد قتله وبعث
به هدية الى مصر اه

﴿ ذكر تعيين فخر الدين اياز لنيابة حلب ﴾

وفي اواخرها وصل الى حلب نائباً فخر الدين اياز نقل اليها من صغد

﴿ ذكر قتل السلطان امير حاج وسلطنة اخيه حسين

وفيها في رمضان قتل السلطان الملك المظفر امير حاج ابن الملك الناصر بن قلاوون

واقام مكانه اخوه السلطان الملك الناصر حسن

﴿ عزل فخر الدين اياز نائب حلب ﴾

وفيها في شوال طلب السلطان فخر الدين اياز نائب حلب الى مصر وخافت

الأمرء ان يهرب فركبوا من اول الليل واحاطوا به فخرج من دارالعدل وسلم

نفسه اليهم فأودعوه القامة ثم حمل الى مصر فحبس وهو احد الساعين في نكبة

يلبنا وايضاً فإنه من الجركس وهم اضداد لجنس التتار بمصر وكان المظفر قد مال

عن جنس التتار الى الجركس ونحوم فكان ذلك احد ذنوبه عندهم فانظر الى

هذه الدول القصار التي ما سمع بمثلها في الأعصار قلت

هذي امور عظام * من بعضها القلب ذائب

ما حال قطر يليه * في كل شهرين نائب

﴿ ذكر تعيين الحاج ارقطاي لنيابة حلب ﴾

قال ابن الوردي وفي ذي الحجة وصل الى حلب الحاج ارقطاي نائباً بعد ان خطبوه

الى السلطنة والجلوس على الكرسي بمصر فأبى وخطبوا قبله الخليفة الحاكم بأمر

الله فامتنع كل هذا خوفاً من القتل فلما جلس الملك الناصر حسن على الكرسي

طلب الحاج ارقطاي منه نيابة حلب فأجيب واعفى الناس من زينة الأسواق

بجلب لأنها تكررت حتى سمجت قلت

كم ملك جاء وكم نائب * يازينة الأسواق حتى متى
قد كرروا الزينة حتى اللحى * ما بقيت تلحق ان تنبتا
(سنة ٧٤٩)

ذكر استفحال امر قراجا ابن دلغادر التركماني في

البستان ومرعش

قال ابن الوردي دخلت سنة تسع واربعين وسبعمائة وقراجا بن دلغادر التركماني
وجنائه قد شغبوا واستطالوا ونهبوا وتسمى بالملك القاهر وابان عن فجور وحق
ظاهر وولاه بغروره الشيطان حتى طلب من صاحب سيس الحمل الذي يحمل
الى السلطان

قال المقرئ في كتاب السلوك في حوادث هذه السنة واستقر نجم الدين عبد
القاهر بن عبد الله بن يوسف في قضاء القضاة الشافعية بحلب عوضاً عن نور
الدين محمد بن الصايغ بعد وفاته

واستقر زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن ابي السفاح كاتب السر بحلب
عوضاً عن جمال الدين ابراهيم ابن الشهاب محمود

ذكر وصول الوباء (الطاعون) الى حلب واتصاله بالبلاد

الشامية ثم المصرية

قال ابن الوردي وفيها في شهر رجب وصل الوباء الى حلب قيل لنا انه ابتداء
من الظلمات (اي من الشرق الأقصى) من خمس عشرة سنة متقدمة على تاريخه
وعلمت فيه رسالة سميتها النبا عن الوباء (منها) ما صين عنه الصين ولا منع منه
حصن حصين. سل هنديا في الهند. واشتد على السند. وقبض بكفيه وشبك.

على بلاد اذربك وكم قصم من ظهر فيا وراء النهر. ثم ارتفع ونجم. وهجم على المعجم
واوسع الخطا الى ارض الخطا وقرم القرم ورمى الروم يجمر مضطرم وجر الجزائر
الى قبرص والجزائر ثم قهر خلقاً بالقاهرة وتنبهت عينه لمصر فأذاهم بالساهرة
واسكن حركة الاسكندرية فعمل شغل الفقراء مع الحرية [ومنها]

اسكندرية ذا الوباء * سبع بمد اليك ضبعه

صبراً لقسمته التي * تركت من السبعين سبعة

ثم تيمم الصعيد الطيب. وابق على بركة منه صيب. ثم غزا غزوة. وهز عسقلان
هزبه. وعك الى عكا. واستشهد بالقدس وزكا. فلحق من الهاربين الأنصي بقلب
كالصخرة ولولا فتح باب الرحمة لقامت القيامة في مره ثم طوى المراحل ونوى
ان يملق الساحل فصاد صيدا وبغت بيروت كيدا ثم صدد الرشق الى جهة دمشق
فتربع ثم وتميد وفتك كل يوم بألف وازيد. فأفل الكثرة وقتل خلقاً ببثرة [ومنها]

اصلح الله دمشقاً * وحماها عن مسبه

نفسها خست الى ان * تقتل النفس بحبه

ثم امر المنزة وبرز الى برزه . وركب تركيب مزج على بعليك . وانشد في قارة
قفانبك . ورمى حصص بجلل وصرقها مع علمه ان فيها ثلاث علل . ثم طلق الكنة
في حماه فبردت اطراف عاصيها من حماه

يا أيها الطاعون ان حماة من * خير البلاد ومن اعز حصونها

لا كنت حين شممتها فسممتها * ولثمت فاشا آخذاً بقرونها

ثم دخل معرة النعمان فقال لها انت منى في امان تكفيك فلا حاجة لي فيك

رأى المعرة عينا زانها حور * لكن حاجبها بالجود مقرون

ماذا الذي يصنع الطاعون في بلاد * في كل يوم له بالظلم طاعون

ثم سري الى سرمين والفرعة . فشعث على السنن والشيعه . فسن السنه اسنته شرعا وشيع
 في منازل الشيعة مصرعا . ثم أنطى انطاكية بمض نصيب . ورحل عنها حياء من نسيانه
 ذكرى حبيب ثم قال لشيزر وحارم لا تخافا منى فأنما من قبل ومن بعد في غنى
 عنى فالأمكنة الردية تصح في الأزمنة الوبية ثم أذل عزاز وكازره . واصبح في بيوتها
 الحارث ولا اغنى ابن حنزه واخذ من اهل الباب اهل الألباب وبلشر تل بلشر
 وذلك دلوك وحاشر وقصد الوهاد والتلاع وقلع خلقاً من القلاع ثم طلب حلب
 ولكنه ما غلب (ومنها) ومن الاقدار انه يتبع اهل الدار فتي بصق احد منهم
 دما فمحقوا كلهم عدما ثم يسكن الباصق الاجداث بمد ليلتين او ثلاث .
 سألت باري النسم . في دفع طاعون صدم * فن احس بلع دم . فقد أحس بالعدم
 ومنها

حلب والله يكفى * شرها ارض مشقة

اصبحت حية سوء * تقتل الناس بيزقة

فلقد كثرت فيها ارزاق الجنائزية فلا رزقوا وعاشوا بهذا اللودم وعرقوا من
 الحمل فلا عاشوا ولا عرقوا فهم يلهمون ويلعبون ويتقاءدون على الزبون

اسودت الشهباء في * عيني ومن وهم وغش

كادت بنو نعش بها * ان يلحقوا اينات نعش

[ثم قال] وفي هذا كفاية في الرسالة طول

وهذا الوباء كاد يكون عاماً في القطعة الاسيوية وفي شمالي البلاد الاغريقية
 على ما فصله المقرئ في كتاب السلوك واطال في ذكر البلاد التي دخلها وفتكه
 الذريع فيها ذكر ذلك في ست ورقات ومما قاله وفي اول يوم من جمادى الاولى
 ابتداء الوباء بأرض حلب فعم جميع بلاد الشام وبلاد ماردن وجبالها وسواحل

عكا وصفد وبلاد القدس ونابلس والكرك وعربان البوادي وسكان الجبال
والضياع ولم يدخل الوباء من بلاد الشام معرة النيمان ولا بلد شيزر ولا حاره
وبلغ عدد من يموت بحلب في كل يوم خمسمائة انسان (ثم قال) وقد اكثر الناس
من ذكره في اشعارهم ومما قاله الاديب زين الدين عمر ابن الوردي

ان الوباء قد غلبا * وقد بدا في حلبا * قالوا له على الوري * كاف ورا قلت وبدا
وقال الله اكبر من وبا قد سبا * ويصول في العقلاء كالمجنون
سنت استه لكل مدينة * فمجيبت للمكروه في المسنون
وقال الا ان هذا الوباء قد سبا * وقد كاد يرسل طوفانه
ولا عاصم اليوم من امره * سوى رحمة الله عبداه

وقال الاديب بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبي

ان هذا الطاعون يفتك في العا * لم فتك امرئ ظلوم حقوق
ويطوف البلاد شرقاً وغرباً * ويسوق العباد نحو اللحدود
قد اباح الدماء وحرم جمع الشم * ل قهراً وحل نظم العقود
كم طوى البشر من اخ عن اخيه * ه وسى عقل والد بوليد
ايتم الطفل انكل الأم ابكى ال * مين اجري الدموع فوق الخدود
بسهم ترمي الأنام خفيا * ت تشق الخلود (١) قبل الجلود
كلما قلت زدت في الثقل افة * صر ويبيت يقول هل من مزيد
ان اعش بعده فأنى شكور * مخلص الحمد للولي الحميد
واذا مت هيثوني وقولوا * ككم قتيل كما قتلت شهيد

واطال المقرئ في تعداد من توفي تلك السنة من الأعيان

﴿ ظهور انوار على قبر النبي متى وقبر حنظلة بن خويلد وغيرهم بمسجيد ﴾
 قال وفي ذي القعدة ظهر بمسجيد على قبر النبي متى وقبر حنظلة بن خويلد اخي
 خديجة رضي الله عنها وهذان القبران بمشهد النور خارج مسجيد وعلى قبر الشيخ
 عقيل المنبجي وعلى قبر الشيخ نيبوب وهما داخل مسجيد وعلى قبر الشيخ على وعلى
 مشهد المسيجات شمالي مسجيد انوار عظيمة وصارت الانوار تنتقل من قبر بعضهم
 الى قبر بعض وتجتمع وتتراكم ودام ذلك الى زرع الليل حتى ابتهر لذلك اهل
 مسجيد وكتب قاضيهم بذلك محضراً وجهزه الى دار العدل بحلب ثم اخبرني القاضي
 بمشاهدة ذلك واكابر واعيان من اهل مسجيد ايضاً

وفي السابع والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة كانت وفاة ابن الوردي رحمه الله
 بالطاعون ولم يسلم من طعنااته واسمه عمر بن مظفر وستأتي ترجمته ان شاء الله تعالى

(سنة ٧٥٠)

ذكر نيابة قطليجا الحموي ثم نيابة ارغون الكاملى

قال في روض المناظر وفي هذه السنة ولي الأمير ارغون الكاملى نيابة حلب
 عوضاً عن قطليجا الحموي وكان قد وليها نحو شهر ومات . قال المقرئ مات
 في هذه السنة الأمير قطليجا الحموي اصله مملوك المؤيد صاحب حماة فبعثه الى
 الناصر محمد وترقى حتى صار من جملة الامراء ثم ولي نيابة حماة ونقل الى نيابة
 حلب فأقام بها اياماً ومات وكان سبب السيرة

وفيها توفي الحاج ارقطاي الناصري باشر نيابة حمص ثم صفد ثم طرابلس ثم
 حلب ثم مصر ثم حلب ثم دمشق فتوجه من حلب اليها ومات بعين المباركة وحمل
 الى حلب ودفن بترربة سودى وكان يحب حلب فأشدد فيه

قالوا ارقطاي مات قلت فهل * في الموت بعد الحياة من عجب
 مامات من فرحة بقتله * بل مات من حزنه على حلب
 وكنف عمره سبعين سنة . قال المقرئ في حوادث هذه السنة . ومات الامير
 ارقطاي المنصوري بظاهر حلب وهو متوجه الى دمشق عن نحو ثمانين سنة يوم
 الأربعاء خامس جمادى الأولى واصله من ممالك المنصور قلاوون رباه الطوائى
 فانخر احسن تربية الى ان توجه الناصر محمد بن قلاوون الى الكرك كان معه فلما
 عاد اليه ماكنه جعله من جملة الامراء ثم سفره صحبة الامير تنكز نائب الشام
 واوصاه ان لا يخرج عن رأيه فأقام عنده مدة ثم تنكر عليه فولاه نيابة حمص
 مدة سنتين ونصف ثم نقله لنيابة صفد فأقام بها ثمان عشرة سنة وقدم مصر
 فأقام بها عدة سنين وجرد الى اياص ثم ولي نيابة طرابلس ومات الناصر وهو
 بها ثم قدم مصر وقبض عليه ثم افرج عنه واقام مدة ثم ولي نيابة حلب ثم طلب
 الى مصر وصار رأس المينة ثم ولي نيابة السلطنة نحو سنتين ثم اخرج لنيابة حلب
 فأقام بها مدة ثم نقل لنيابة الشام فات في طريقه لدمشق فدفن بحلب وكان
 مشكور السيرة اه

قال واستقر نجم الدين محمد الزرعى في قضاء القضاة الشافعية بحلب بعد وفاة نجم الدين
 عبد القاهر بن ابى السفاح فيها

سنة ٧٥١

قال المقرئ في حوادث هذه السنة في المحرم اوقع الأمير ارغون نائب حلب
 بكاتب سرهازين الدين عمر بن يوسف بن عبدالله بن يوسف ابى السفاح وضربه
 وسجنه فاستقر عوضه في كتابة السر بحلب الشريف شهاب الدين الحسين بن
 محمد المعروف بابن قاضى العسكر

وقدم الخبر بأن الأمير ارغون ركب الى التركمان وقد كثر فسادهم فقبض على كثير منهم وانلصهم واوقع بالعرب حتى عظمت مهابته ثم بعث موسى الحاجب على الفري فارس في طلب نجمة امير الأكراد فلما قرب منه بعث صاحب مارددين يشعربقوة العسكر خوفاً من غير لقاء فتناكر الأمير ارغون على موسى الحاجب وكتب يشكو منه [ثم قال بعد ورقنين] وانعم على جركتهم باستقراره حاجباً بحلب عوضاً عن موسى الحاجب لشكوى نائب حلب منه

[سنة ٧٥٢]

خلع السلطان حسن وسلطنة اخيه الملك الصالح صالح

قال ابن اياس في هذه السنة قبضوا على السلطان الملك الناصر حسن واقام في السلطنة الملك الصالح صلاح الدين صالح ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وهو تمام العشرين من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الثامن من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون

﴿ ذكر نيابة الامير بيبيغا اروس بحلب ﴾

قال ابن اياس في هذه السنة ارسل السلطان الملك الصالح بالأفواج عن الامير بيبيغا اروس وكان بالسجن في قلعة الكرك فلما حضر خلع عليه واستقر به نائب حلب ثم خلع على الامير ارغون الكاملي واستقر به نائب السلطنة بالديار المصرية . قال المقرئ وفي هذه السنة استقر في قضاء المالكية بحلب زين الدين عمر بن سعيد التماساني عوضاً عن الشهاب احمد بن ياسين الرياحي واستقر في قضاء الحنفية بها جمال الدين ابراهيم بن ناصر الدين محمد بن الكمال عمر بن عبد العزيز بن العديم بعد وفاة ابيه واستقر في كتابة السر بحلب جمال الدين ابراهيم بن

الشهاب محمود عوضاً عن الشريف شهاب الدين بن قاضي العسكر وقدم الشريف
الى القاهرة اه

(سنة ٧٥٣)

﴿ ذكر عصيان الأمير بييغا اروس نائب حلب وقصده دمشق ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة سار بييغا اروس نائب حلب ومعه قراجا بن
دناذر التركمانى (صاحب البستان ومرعش) الى مصر طالباً للملك بنفسه وانجرت
معه عساكر عظيمة منها نواب طرابلس ونائب حماة ونائب صفد فخرج اليه
السلطان الملك الصالح بعساكره فلما بلغه ذلك رجع من قبلى دمشق الى جهة
حلب فمنع عنها وتشتت شمله وتفرقوا ابيادي سبا واستقر نائبا بحلب عوضه
الأمير ارغون الكاملي اه وذكر ابن اياس في حوادث هذه السنة هذا الخبر
بابسط من هذا فقال جاءت الأخبار من حلب بان الأمير بييغا اروس قد خرج
عن الطاعة واطهر العصيان وكذلك الأمير بكلمش نائب طرابلس وكذلك الأمير
احمد نائب حماة وكذلك الأمير الطنبغا برفاق نائب صفد فأرسل نائب الشام
الأمير ارغون الكاملي يخبر السلطان بما قد جرى من النواب ثم بعد ذلك بايام
يسيرة جاءت الأخبار بان نائب حلب وصل الى الشام وحاصر المدينة فلما رأى
نائب الشام عين القلبة هرب تحت الليل هو وماليكه وتوجه الى نحو غزة فأقام
بها وارسل يعلم السلطان والأمراء بذلك ثم جاءت الأخبار بان بييغا اروس لما
دخل الى الشام وقف تحت القلعة ومعه من تقدم ذكرهم من النواب فاستعرض
هناك العسكر الشامى والعسكر الحلبى فكان مع الأمير بييغا اروس من النواب
والأمراء نحو ستين اميراً غير العساكر الحلبية والشامية وغير ماالتف عليه من
العربان والعشائر فقويت شوكته فلما فرغ من العرض نزل عند قبة بييغا وارسل

الى نائب قلعة دمشق وهو الأمير اياجي يطلب منه اميرا كان مسجوناً بقلعة دمشق فأرسل اليه الأمير اياجي يعتذر له عن ذلك بان هذا في سجن السلطان ولا اقدر على اطلاقه من السجن الا بمرسوم السلطان ثم ان نائب قلعة دمشق حصن القلعة تحصيناً عظيماً وركب عليها المكاحل بالمدافع وارسل يقول لأهل المدينة لا تفتحوا دكانا ولا سوقا ولا تبيعوا على عسكر حلب شيئاً فلما بلغ الأمير بييغا اروس ذلك اشتد به الغضب وامر عسكره بأن ينهبوا ضياع دمشق والبساتين ويقطعوا الأشجار فلما سمعوا هذه المناداة ما اتقوا ممكناً من الأذى والفساد فنهبوا حتى النساء والبنات والقماش وجرى على أهل دمشق من بييغا اروس ما لم يجر عليهم من عسكر غازان لما دخل دمشق . فلما جاءت الأخبار بذلك الى السلطان علق الجاليس وتجهز للخروج الى دمشق ثم عين الأمير عمرشاه وهو صاحب القنطرة وعين محمد بن بكتمر الساقى والأمير قاري الحموى بأن يخرجوا الى الصيد قبل خروج السلطان لحفظ البلاد من فساد العربان وصون الفلال فخرجوا من يومهم ثم ان السلطان خرج من القاهرة قاصداً نحو البلاد الشامية فطلب طلباً عظيماً وخرج معه من يذكر من الأمراء وهم الأمير طراز والأمير شيخو العمري والأمير صرغتمش والأمير استدمر العمري واخوه الأمير طازو الأمير جردمر والأمير قرابغا والأمير بنجاص والأمير جقا السلحدار والأمير طشتمر القاسمى والأمير سنقر المحمدى والأمير قطلوبغا الذهبى وبقية الأمراء المقدمين وكان مع السلطان الطبلخانات والعشراوات نحو ثمانين اميراً ثم ان السلطان ترك في القاهرة الأمير قبلاى نائب السلطنة ومعه ثلاثة امراء امصون المدينة ثم خرج السلطان من القاهرة سابع شهر شعبان وكان صحبته القضاة الأربعة والخليفة الأمام احمد الحاكم بامر الله ابن المستكفى بالله وسائر العسكر

قاطبة فكان وصول السلطان الى دمشق في شهر رمضان فزل بالقصر الأبلق الذي بالميدان وصلى الجمعة في جامع بني امية وكان الأمير بييغا اروس لما بلغه وصول الملك الصالح الى دمشق رحل عنها ثم ان السلطان طلع الى قلعة دمشق وانام بها وامر جماعة من الأمراء والعسكر بأن يتوجهوا خلف الأمير بييغا ومن معه من النواب فخرجوا اليهم وتقاتلوا معهم فلما كانت ثالث شهر شوال جاءت الأخبار من عند السلطان بأنه قد انتصر على الأمير بييغا اروس وانكسر بييغا وهرب الى بلاد الترامنة وقبض على جميع من كان معه من النواب والعسكر ودخلوا بهم الى دمشق وهم في جازير وقيود وكان لهم في دمشق يوم مشهود لم يسمع بمثله ثم ذكر من قتل من هؤلاء الأمراء ومن شفع فيه الى ان قال وعاد السلطان الى الديار المصرية فدخل القاهرة في اواخر شوال .

ثم قال ابن اياس في حوادث سنة اربع وخمسين وفيها حضروا برأس الامير بككاش نائب طرابلس ورأس الأمير بييغا اروس نائب حلب ورأس الامير احمد نائب حماة وكانوا هربوا من الملك الصالح لما توجه الى الشام كما تقدم فلما هرب اولئك النواب توجهوا الى بلاد التركمان فقطعوا رؤسهم وارسلوها الى السلطان فريهم بأن يعلقوا على باب زويلة فعلقوا عليه ثلاثة ايام اه

(سنة ٧٥٤)

﴿ ذكر تولية حلب للامير ارغون ﴾

الكاملي وقبضه على قراجا بن ذي الغادر وقتل قراجا بمصر

قال ابن اياس في هذه السنة خلع السلطان على الأمير ارغون الكاملي واستقر به نائب حلب عوضاً عن بييغا اروس فلما توجه ارغون الى حلب جرد الى قراجا

بن ذي النادر امير التركمان وكان ذنب قراجا انه وافق بيبيغا اروس على العصيان فلما وصل اليه الأمير ارغون هرب منه فقبضه الأمير ارغون الى اطراف بلاد الروم فقبض عليه وارسله الى السلطان فلما حضر الى القاهرة ومثل بين يدي السلطان امر بتسميره فسمروه على جبل وطاقوا به مصر والقاهرة ثم وسطوه في الرميطة بسوق الخيل ثم دفنوه اه

— ❦ — زيادة بيان لهذه الحوادث ❦ —

وقال ابن خطيب الناصرية في ترجمة قراجا بن دلغادر امير التركمان بالبلاد الشمالية انه جاء الى حلب الى بيبيغا اروس القاسمي نائب حلب وواقعه في العصيان على السلطان وتوجه معه الى دمشق حين سار فلما احس بيبيغا اروس بنزول السلطان (اي بجيشه من مصر) ولى هارباً وهرب معه قراجا المذكور وتوجه الى بلاده فتوجه في طلبه الأمير سيف الدين ارغون الكاملي نائب حلب وصحبته المساكر الحلبية وذلك في سنة اربع وخمسين وسبعمائة فوصلوا الى ابلستين فهرب قراجا بن دلغادر فقبضوه الى ان ادركوه بأطراف بلاد الروم فلما احس بهم هرب فنهب المسكر بيوته وبيوت التركمان الذين كانوا معه واخذوا مواشيهم واستمر قراجا هارباً الى ان وصل الى ارنقا صاحب الروم فقبض عليه ثم جهز الى مصر فكان آخر العهد به

سنة ٧٥٥

ذكر خلع الملك الصالح صالح وعود الملك الناصر حسن

الى السلطنة وتولية حلب للأمير طاز

قال في روض المناظر في هذه السنة خلع الملك الصالح صالح واستقر عوضه

الملك الناصر حسن وعاد الى السلطة واستقر عوضه طاز في نيابة حلب عوضاً
عن ارغون الكاملي

قال بيشوف نقلاً عن درة الاسلاك في سنة ٧٥٥ ولي الامير سيف الدين طاز
الناصري نيابة السلطة بحلب عوضاً عن الامير سيف الدين ارغون الكاملي وفي
هذه السنة انشأ الامير ارغون الكاملي البيمارستان المنسوب اليه داخل باب
قنسرين واجتهد في امره ورفل في اثواب ثوابه واجره وشيد بنيانه ومهد
مجالسه وايوانه ورفع قواعده وهياً بيوته ومراقده واعد له الآلات والخدم
ورتب لحفظ الصحة فيه ارباب المحكم وابعه للضميف والسقيم وفتح بابه
للراجل والمقيم ورواه بالمياه الكثيرة وانفق اموالاً غزيرة واجرى غيوتاً معلومة
وجرايته ووقف للقيام بمصالحه ما يزيد على كفايته اه

ووجدت في مجموعة معظمها بخط المؤرخ ابى ذر قال ان لأرغون الكاملي بحاب
المارستان المشهور وفي ذلك يقول ابن حبيب

قولا لأرغون الذى معروفه * بالمرف قد احيى النفوس والارج
انزلك الرحمن خير منزل * رحب ورفاك الى اعلى الدرج
بنت داراً للنجاة والشفاء * ليس بها على المريض من حرج

سنة ٧٥٨

ذكر وفاة الامير ارغون الكاملي

قال في روض المناظر في هذه السنة توفي ارغون بن طيجو الكاملي بسالقدس
الشريف ودفن في تربته هناك وعمره دون الثلاثين سنة تبناه الملك الصالح اسماعيل
وزوجه اخته من امه وكان يسمى ارغون الصغير فلما مات الصالح وولى اخوه

الكامل اعطى ارغون مقدمة الف وهى ان يسمى ارغون الصغير فسمى الكامل
ولي نيابة حلب ثم نقل الى نيابة دمشق عوضاً عن ايتميش وتوجه في حركة
بييغا روس الى ملاقاته العساكر المصرية وعاد مع طراز وسنجر الى حلب وراء
بييغا روس فاستمر في نيابة حلب ثانياً وحصر بييغا روس وحبس بالقلعة وكان
آخر المهدي به وحصر احمد الساقى نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس وقراجا
بن دلفادر وعمر مارستانه بحلب داخل باب قنشرين ووقف عليه قرية بنش العظمى
من الغربيات ثم طلب الى مصر اميراً مقدماً ثم جهز الى الاسكندرية مقبوضاً عليه
ثم افرج عنه وتوجه الى القدس الشريف وكانت به وفاته رحمه الله اهـ

اقول تدخل الى هذا البيارستان فتجد عن يسارك حجرة هي الآن خربة ثم
تدخل الباب الثانى فتجد عن يمينك حجرة اخرى كانت هاتان الحجرتان لقود
الاطباء ووضع ما يحتاجون اليه من الأدوية والأشربة ثم تجد صحناً واسماً يحيط
بطرفه القبلى والشمالى رواقان ضيقان مرفوعان على اعمدة عظيمة ووراءهما حجر
صغيرة هي محل حبس المجانين فيها ثم تدخل من الجهة الشمالية في دهليز وبعد
خطوات تجد دهليزين الذى عن اليمين يأخذك الى باب آخر للمارستان تخرج منه
الى بوابة صغيرة وهو مفلق الآن والدهليز الذى عن اليسار يأخذك الى صحنين
حولهما حجر صغيرة وهي معدة ايضاً لحبس المجانين وهناك تأخذك الخشية
ويدخل قلبك الروع للظلمة الخيمة على هذه الأمكنة ولا منافذ لها وروائح
المفونة والاقذار منتشرة فيها وانا لعجب كيف كانوا يجسسون المجانين فيها
ولو كفى العاقل هناك بضع ساعات لذهب منه عقله وصار في عداد المجانين

وقد بلغنا انه كان في اطراف الصحن الخارجى وعلى اطراف الحوض الذى في وسطه
توضع انواع الرياحين ليناظرها المجانين وكانوا يأنون بالآلات الطرب وبالمغنين فيداون

المجانين بها ايضاً . وكان امره جارياً على الانتظام الى اواخر القرن العاشر ومن ذلك الحين اهمل امره وزالت تلك الاوضاع منه وكان بلاط الصحن متوهناً جداً فاهتم جميل باشا سنة ١٣٠٢ في تبليطه وتجديد حوضه وترميمه داخلياً وخارجياً وكان يسكن في ايوانه الغربي رجل يقال له ابو حيدر هو وعائلته فكانوا يحافظون هؤلاء المجانين ويطعمونهم ويسقونهم ويرفعون الأقدار من عندهم ومنذ نحو عشر سنوات او ازيد بقليل اخذ من كان فيه من المجانين وكانوا قدر عشرين شخصاً الى الاستانة وهذا آخر العهد بهم . والآن يسكنه بعض الفقراء وقد كان لبابه الكبير حلقتان كبيرتان جميلتا الشكل من النحاس الاصفر قلعتا منذ ١٥ سنة واخذتا الى متحف الاستانة ولا ندرى وصلتسا اليه اولا

ويمد هذا البيمارستان من جملة الآثار القديمة الباقية في حلب وهو يمثل لك داخلياً وتجارياً الهندسة الشرقية غير انه اذا بقى مهملاً على حالته الحاضرة اذى ذلك الى تداعيه وسقوطه وخرابه بتاتا واما واردات البيمارستان من قرية بشش فلها حولت سنة ١٢٨٤ الى اوقاف الجامع الكبير فكثروا بها واردات الجامع واحداث على اثر ذلك عدة وظائف للمدرسين لم تكن من قبل

(سنة ٧٥٩)

ذكر القبض على الامير طاز نائب حلب وتولية حلب

للامير منجك اليوسفي

قال ابن اياس في هذه السنة تزايدت عظمة المقر السيفي سيف الدين صرغتمش

رأس نوبة النوب وصار في رتبة الاتابكي شيخو صاحب الحل والعقد بالديار المصرية فأرسل بالقبض على الامير طاز نائب حلب من غير علم السلطان وارسله من هناك الى السجن بالاسكندرية فانه كان بينه وبين الأمير طاز حظ نفسي من ايام الملك الصالح وكان الاتابكي شيخو يرده عن الامير طاز فلما مات شيخو قضى منه الأمير صرغتمش اربه وقيده ونفاه الى الاسكندرية فلما جرى ذلك خلع السلطان على الامير منجك اليوسفي واستقر به نائب حلب عوضاً عن الامير طاز

﴿ ذكر تولية الامير علي المارديني ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة نقل الأمير منجك اليوسفي الى دمشق واستقر عوضه بحلب الامير علي المارديني

ترجمة الامير علي المارديني

قال ابن خطيب الناصرية في ترجمته الامير علاء الدين المارديني الناصري نائب السلطنة بحلب ثم بدمشق ثم بالقاهرة ولي نيابة حلب في سنة تسع وخمسين وسبعمائة عوضاً عن الامير سيف الدين منجك الناصري واستمر بها مدة ثم نقل الى نيابة دمشق في اواخر هذه السنة وكان اميراً كبيراً ديناً عادلاً يحب اهل العلم ويكرمهم وله ميل كبير اليهم ويجري الأحكام السياسية على الامور الشرعية ذكره شيخنا ابو محمد بن حبيب في تاريخه فقال فيه امير ظهر علاؤه وفاج بناءه وامندت افيائه واشتهر بالجميل ابناؤه كان ديناً عفيفاً مترفقاً لطيفاً ملازماً للخير حسن السراء والسير رفيع المنزلة شجاعاً للمعدلة متقاداً الى الشريعة الشريفة مشتغلاً على مذاهب الأمام ابى حنيفة منصرفاً بالمعرفة والخبرة خترماً بين ذوي الامر

والاميرة قريباً من الرعية سالكاً للطرق المرضية يجتمع بأهل العلم ويكرمهم ويركن الى اقوالهم ويعظمهم باشر نيابة السلطنة بدمشق مدة طويلة وبحلب برهة زينها بما عنده من السيرة الجميلة ثم انتقل الى الديار المصرية مطلوباً واستمر الى ان بلغ ما كان له من الاجل مكتوباً انتهى توفي سنة اثنتين وسبعين وسبعماية بالقاهرة عن بضع وستين سنة تغمده الله برحمته اهـ

(سنة ٧٦٠)

قال في روض المناظر في هذه السنة نقل الامير على المارديني الى نيابة دمشق واستقر عوضه بحلب الامير بكتمر المؤمني ثم امسك واستقر عوضه الامير بيدمر الخوارزمي

(سنة ٧٦١)

قال في روض المناظر في هذه السنة توجه الامير بيدمر الخوارزمي بالعساكر الحلبية الى غزو الارمن بالبلاد السيسية وفتح آذنة وطرسوس والمصيصة وعدة قلاع وعاد مؤيداً منصوراً . قال وفي هذه السنة ولي الامير شهاب الدين احمد ابن القشتمري نيابة حلب عوضاً عن بيدمر الخوارزمي

(سنة ٧٦٢)

ذكر قتل الملك الناصر حسن واستقرار السلطنة للملك

﴿ المنصور محمد وتولية حلب للأمر قطلوبغا ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة توفي السلطان الملك الناصر حسن قنله مملوكه يلغا الخاصكى واستقر في السلطنة ابن اخيه الملك المظفر حاجي واستقر في نيابة حلب قطلوبغا الإجمدى عوضاً عن ابن القشتمري

(سنة ٧٦٣)

ذكر تولية سيف الدين منكلي بغا

قال في روض المناظر في هذه السنة استقر الأمير سيف الدين منكلي بغا الشمسي في نيابة حلب عوضاً عن قطلوبغا الاحمدي واستمر سنة كاملة وفيها توفي الأمير طاز بدمشق بعد ان امسك حين عصى بحلب وخرج منها في حمية واكمل ثم اطلق

(سنة ٧٦٤)

ذكر عود قطلوبغا الاحمدي لولاية حلب ووفاتها بها

✽ ✽ ✽ وتولية حلب للامير اشقتمر المارديني ✽ ✽ ✽

قال في روض المناظر في هذه السنة خلع السلطان الملك المنصور محمد واستقر عوضه في السلطة ابن عمه الملك الأشرف شعبان بن حسين ابن الناصر محمد بن قلاوون وعاد الى نيابة حلب قطلوبغا الاحمدي ونقل منكلي بغا الى دمشق نائباً وبعد ثلاثة اشهر مات قطلوبغا الاحمدي بحلب واستقر عوضه الامير اشقتمر المارديني في اوائل سنة خمس وستين وسبعمائة

✽ ✽ ✽ ترجمة قطلوبغا الاحمدي ✽ ✽ ✽

قال ابن خطيب الناصرية قطلوبغا الاحمدي الامير سيف الدين نائب حلب ولي نيابة حلب في سنة اثنتين وستين وسبعمائة عوضاً عن الامير شهاب الدين احمد بن الفشتمري واستمر بها سنة وبضع شهور ثم عزل في سنة ثلاث وستين بالامير سيف الدين منكلي بغا الشمسي ثم وايها في سنة اربع وستين عوضاً عن منكلي بغا المذكور واستمر بها منغللاً نحو ثلاثة شهور . قرأت في تاريخ الأمام

البارع ابي محمد الحسن بن حبيب رحمه الله تعالى قال سنة خمس وستين وسبعمائة وفيها توفي الأمير سيف الدين قطلوبغا الأحمدي نائب السلطنة بحلب أمير ذكره جميل وباعه طويل وطباعه لطيفة واعلامه منيفة كان مخصوصاً بالتكريم مشاراً اليه بالتقديم معظماً في مجالس الدولة وعافها معدوداً من اعيان المملكة وامانلهاولي النيابة بحلب مرتين وظفر من ركوب شهبائها ورعاية دهماها بمسرتين لكن خاتته الأيام واستولت عليه الأسقام واستمر ملقىً على فراش الضنا الى ان احوالت المنية بينه وبين المنى وكانت وفاته بحلب تنعمده الله تعالى برحمته

(سنة ٧٦٦)

قال في روض المناظر في هذه السنة تولى الامير جرجي نيابة حلب عوضاً عن اشقمر

(سنة ٧٦٧)

قال ابن اياس في هذه السنة رسم السلطان لنائب حلب بأن يأخذ العساكر الحلبية ويتوجه الى حصار قلعة خرت برت من اعمال ديار بكر فسار اليها وحاصرها نحو من اربعة اشهر فطلب اهلها الأمان ونزلوا طائعين فأرسل نائب حلب يعلم السلطان بذلك فأرسل اليه السلطان خلعة بأن يستقر بنيابة قلعة خرت برت على عادته ويحلفه ايماناً عظيمة بانه لا يرجع بخامر ولا يعصي السلطان

— انكسار الأفرنج على اياس —

قال بيدشوف في آخر تحف الأنباء ثقلاً عن درة الأسلاك توجه الأمير سيف الدين منكلي بغا نائب السلطنة بحلب وصحبته العساكر الحلبية الى مدينة اياس حين بلغهم ان الأفرنج قصدوها في مائة قطعة من المراكب واقبلوا عليها فلما وصلوا وجدوهم قد برزوا الى الساحل ودخلوا المدينة وانهمز اهلها ونهبوا الإمتعة والأفوات فتقدمت العساكر لقتالهم وشخوا اثر من هجوم على المدينة وتواترت

قدوم المساكر الاسلامية من القلاع وهرب الأفرنج الى جهة البحر فأدركوا
وجرحوا وقتل منهم جماعة واخذت خيلهم وسلاحهم وتألم كل الأفرنج بسبب
ذلك واستمرت المساكر في اياس الى ان ايسوا من عود الأفرنج ثم رجعوا
بالعز والنصر مؤيدين اه

اقول وسيأتيك فيما كتب على باب جامع منكلى بغا الإشارة الى هذه الواقعة
وان ذلك كان في سنة ٧٦٧

(سنة ٧٦٨)

﴿ ذكر عود الامير منكلي بنا الشمسي الى نيابة حلب وعمارته للجامع داخل ﴾
باب قنسرين المعروف بجامع الرومي

قال في روض المناظر في هذه السنة عاد الامير منكلى بغا الشمسي الى نيابة حلب
عوضاً عن جرجي الناصري وانشأ جامعه المعروف بحلب داخل باب قنسرين
«- ترجمة جرجي الناصري» -

قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة جرجي الناصري اصله من ممالك الناصر
ثم تنقل في الخدم الى ان صار دويدارا صغيرا في ايام الصالح اسماعيل ثم استقر
دويداراً كبيراً في ايام المظفر ثم اخرج الى دمشق امير عشرة بعد قتل المظفر
ثم ولي في ايام حسن الخزندارية ثم جعل امير اخور في ايام الأشرف ثم ناب
بحلب ثم استقر من كبار الأمراء بدمشق الى ان مات في صفر سنة ٧٧٢

قال ابن اياس في هذه السنة ارسل المقر السيفي منكلى بغا نائب الشام (قبل
توليته لحلب) يسأل السلطان عن الحضور الى مصر زائراً ليرى وجه السلطان
فلما حضر الى القاهرة احضر صحبته تقادم كثيرة للسلطان حتى للأمراء والأتابكي
يلبغا فآكرمه السلطان غاية الاكرام وخلم عليه واستقر به نائب حلب وجعل

حلب أكبر من الشام كما كانت على القاعدة القديمة وعين معه عسكرياً يقيمون
بجلب عنده

الكلام على جامع منكلي بغا المشهور الآن بجامع الرومي

قال في الدر المتخبر ومنها جامع منكلي بغا الشمسي نائب حلب ثم دمشق داخل
باب قنسرين وهو من احسن الجوامع وبني على احسن الوجوه كانت عمارته في
سنة ثمان وسبعين وسبعمائة اه وهو سهو من النساخ والصواب في سنة ٧٦٨
كما تقدم

﴿ المكتوب على بابه ﴾

(١) البسمة انشا هذا الجامع المعمور المبارك الفقير الى الله تعالى المقر الأشرف
العالي المولوي (٢) المالكى المخدومي السيني ابو عبدالرحيم منكلي بغا الأشرفي
كافل الممالك الحلبية حين كسر الأفرنج على اياس في غرة شهر صفر سنة سبع
وستين وسبعمائة ويومئذ (٣) اتابك الجيوش المنصورة بالديار المصرية ادم
الله ملك مالكيها مولانا السلطان الملك الأشرف اعز الله انصاره .

﴿ وفوق تلك الحجر حجر اخرى صغيرة كتب عليها ﴾

(١) البسمة انشا هذا المعمور المبارك بعفو الله وعونه جاتم (٢) الخزاوي
بتاريخ رجب الفرد سنة سبع عشر وتسعمائة اه وهذا يفيد ان جاتم الخزاوي
جدد في هذا الجامع بعض الأماكن

وطول القبلة نحو ٢٧ ذراعاً وعرضها نحو ١٤ ذراعاً ومحرابه من الرخام المرمر
وعلى جانبيه عمودان منقوشان نقشاً بديماً والأحجار التي فوق المحراب من
الرخام الملون مشبك بعضها في بعض . والمنبر جميعه من حجر المرمر وهو منقوش

ايضاً نقشاً متقناً دل على براعة في هذه الصنعة
 وله صحن واسع في وسطه حوض كبير وعلى جانبي الصحن والقبليّة رواقان
 عظيمان مرتفعان غاية الأرتفاع على اربع سوار عظيمة ويقال ان القبليّة كانت
 ممتدة الى المكان الفارغ الذي على الجانبين ولعل الذي صغر القبليّة هو جاسم
 المحزراوى الذي جدد بعض بنائه سنة ٩١٧ كما هو مكتوب على بابه
 وللجامع منارة عظيمة الارتفاع تمتد في جملة الآثار القديمة التي في حلب كتب
 على اسفلها عند آخر جدار الجامع من فوق من جهة الشمال بقلم عريض (انشاء
 العبد الفقير الى الله تعالى منكلي بغا الشمسي غفر الله له) ومثل ذلك من
 طرف الشرق .

وكان للجامع ميضأة امام المنارة من جهة الشمال يبلغ طولها ١٤ ذراعاً وعرضها
 ٩ اذرع وكانت عامرة فسعى رجل يقال له الحاج احمد الصابوني كان ممن اترى
 من صنعة الصابون في اخذ هذه الميضأة بدعوى انها عرصة خالية لا ينتفع منها
 على ان يدفع لجهة الجامع حكراً قدره عشرة قروش مسانحة ليحضر موضعها
 دولاباً للجنيينة التابعة لدوره التي انشأها امام الجامع وقد اطلعت على حجة
 التحكير وهي محررة سنة ١٢٦٤ وقد ادخلت تلك الميضأة في الدار التي فيها
 الجنيينة وعمر بدلها ميضأة اخرى داخل الجامع في غريبه داخل باب آخر للجامع
 ففسد بواسطة هذه الميضأة وبما عمر وراه من الدور ومكتوب على هذا الباب
 مثل الكتابة التي تقدمت الا انه طين فوقها الآن .

وكان جدار القبليّة الشمالي قد توهن لجدهه هذا الرجل ومع هذا كله فإنه
 على اثر ذلك اخذت ثروته في التنافس واقتقر واضمحل امره ودخل الشؤم في
 دوره حتى بيعت مرات بأبخس الأثمان وصارت تستقل من شخص الى آخر وكل

من اشتراها لا يفلح وتنتابه المصائب اما في نفسه او في ماله او في اهله واشتهر بين جميع الناس شؤم هذه الدور لأخذه هذه الميضاة وادخالها في ملكه. والدار الكبيرة هي في منتهى الزخرفة وكان الصابوني احضر لها صناعاً من الشام لدهن سقوف بيوتها وطايبها بالذهب وصرف على ذلك مبالغ طائلة. وعلى سعتها وما فيها من النقوش بيعت منذ عشر سنوات بخمسة وثلاثين الفاً وشاراً رابحة واولاً ما اشتهرت من الشؤم لبيعت بالنق ليرة عثمانية

وليس لهذا الجامع الآن شيء من الأوقاف ومنذ ستين عينت دائرة الأوقاف له اماماً وخادماً ومؤذناً وفي سنة ١٣٢٠ حضر الى حلب الشيخ رجب وهو رجل من الأتراك من اهالي طربزون منسوب الى اهل الطريق فذل عند تاجر يقال له باكير كامل اصله من اورفة ثم عمر له حجرة واسعة في شمالي هذا الجامع في داخلها مخدع فسكن فيها وصار يقيم الذكر في القبلة وصار له بعض المرابين وتوطن حلب وهو رجل ساكن مبارك ومن الأحياء الى يومنا هذا وبوجود هذا الرجل اصبح الجامع مهوراً بالمصلين من اهل المحلة .

والرواقان على ارتفاعهما وضخامة بناهما آخذان في الخراب واذا بقي امرهما مهملًا على هذه الحالة سيخربان بتاتا ولو اهتمت دائرة الأوقاف او دائرة المعارف وابتنت موضعها مكتباً ابتدائياً يتتفع به اهل المحلة وغيرهم لأحسنتم الصنع وازداد هذا الجامع عمراناً والله من وراء القصد

وفي ارض الرواق الغربي جرن كبير قطعة واحدة كتب على طرفه [انشأ هذه الحنفية المباركة الفقير الى الله الحاج عبد الله بن الحاج يحيى وأوقف عليه الدكان الذي في جانب الميضاة في سنة ٩٦٠ هـ] واليوم لا اثر لهذه الدكان وقد دخلت مع الميضاة في دار الجنيينة التي عمرها الصابوني كما قدمنا

واما شهرة الجامع بالرومي فاني لم أفق على سبب ذلك والله أعلم

سنة ٧٦٩

ذكر زيادة نهر حلب وتخريبه بيوتاً كثيرة

قال في روض المناظر في هذه السنة زاد نهر حلب زيادة عظيمة واصبحت منها بيوت لا اثر لها وقلعت كثيراً من الاشجار وانشد فيه القاضي بدر الدين حسن ابن عمر بن حبيب الحلبي

لما طمانهر قويق ولم * يأت بسيب بل بسيل غزير
قالت الاشجار من حوله * مهلاً فقد زدت علينا كثير

وفيهما نقل منكلي بننا الشمسي الى مصر اتابك الجيوش بها واستقر عوضه في نيابة حلب طنبا الطويل

ترجمة منكلي بننا

قال في الدرر الكامنة منكلي بننا الشمسي احد ممالك الناصر حسن ولي امره طبلخاناه بعد القبض على شيخوخو في ذي الحجة سنة ٧٥٨ ثم امره بمائة بعد القبض على صرغتمش سنة ٥٩ ثم ولي نيابة حلب سنة ٦٣ فباشر جيداً وتوخى العدل والاحسان وعمر الجامع بها ثم ولي نيابة دمشق سنة ٦٤ عوضاً عن قشتمر ففتح في سنة ٦٥ باب كيسان وعقد عليه قنطرة ومد جسراً يسلط عليه وبنى هناك جامعاً وكان مغلقاً من ايام العادل محمود بن زنكي ثم نقل الى نيابة حلب في صفر سنة ٦٨ ثم استقر نائب السلطان بمصر في سنة ٦٩ ثم استعفى من النيابة فاستقر اتابكاً وكان الاشرف بعد قل يلغا قرر في الانابكية اسندمر ثم طقستمر النظامي ثم ملكتمر المحمدي ويلغا المنصوري معاً ثم استقدم منكلي بننا من حلب فقررده

في النيابة ثم في الاتابكية وذلك في ربيع الاول سنة ٦٩ وولى نظر البيمارستان
فلم يزل على حاله حتى مات في جمادى الاولى سنة ٧٧٤ وكان مهيباً عاقلاً عارفاً
يتكلم في عدة فنون (اقول) وفي هامش النسخة المتقول منها هذه الترجمة ما
نصه حدثني القاضي محب الدين محمد بن الشحنة كاتب السر الشريف بمملكة
مصر ان المذكور كان مجازاً بالافتاء والتدريس وذكر عنه فوائد منها انه ذكر
عنده (الولد سرايبه) فقال للقائل ما معنى ذلك فقال المعنى انه يكون على طريقة
ابيه ونحو هذا فقال ما هكذا سمعنا من الأشياخ بل المعنى الولد ما يسره ابوه
ان خيراً فخير وان شراً فشر ثم قال ما اعراب ان خيراً فخير الخ يافقيه فقال له
المخاطب مولانا ملك الامراء اعلم واما العبد فرجل من آحاد الشعوب لا يعلم ذلك
وحدثنا انه لما استعرض وظائف الجامع الكبير مجلب حسن له المباشرون ان
يقص معالم ارباب الوظائف فأقر كل احد على ما هو عليه وزاد معلومه من
المدرسين وغيرهم ثم قال بقي المباشرون فلما قرئت اسماؤهم ومقادير معالمهم قال
كان اقطاعي يعمل في مصر أكثر من متحصل وقف الجامع وكان له مباشر واحد
وفيه كفاية ثم منع المباشرين الا واحداً

وحدثني انه لما بنى جامعه الذي مجلب منع ان يقف على العمال فيه احد من
جماعته يحثهم على العمل وكان اذا حضر وقت الصلاة حضر اليهم وامرهم بالوضوء
والصلاة في وقتها وربما قال انه يعلي بهم اماماً وكان اذا رأى فيهم شيخاً او
ضعيفاً اعطاه جميع اجره وامره بالأصراف الى عياله لياكل معهم ويستريح عندهم
فيذهب فأن شاء حضر وان شاء لم يحضر رحمه الله

وفاة طنبغا الطويل وتولية حلب لأستنبغا الابوبكري

ثم اقتسم المنصوري ثم لسيف الدين اشقتمر

قال في روض المناظر في هذه السنة توفي طنبغا الطويل نائب حلب قيل بسم دسه اليه المصريون حين بلغهم انه قصد الحامرة واستقر في نيابة حلب استنبغا الابوبكري ثم طلب الى مصر واستقر عوضه بحلب قشتمر المنصوري . وفي آخر السنة خرج الى العربان فقتل هو وولده وجماعة من العسكر واعيد الى نيابة حلب الامير سيف الدين اشقتمر في سنة احدى وسبعين وسبعمائة

— ﴿﴾ ترجمته وزيادة بيان في هذه الوقعة ﴿﴾ —

قال ابن خطيب الناصرية في ترجمته قشتمر المنصوري الأمير سيف الدين ولي نيابة السلطنة بحلب في سنة سبعين وسبعمائة عوضاً عن الأمير سيف الدين استنبغا الأبي بكري واستمر بها قليلاً ثم توجه في السنة المذكورة وصحبته طائفة من العسكر الحلبي لردع العرب من بني كلاب وغيرهم حين ترصدوا لقطع الطريق بين حماة وحلب ونهبوا المسافرين وبعض المتوجهين الى الحجاز الشريف فلما وصل العسكر الى تل السلطان بالقرب من حلب وجدوا هناك عدة من بيوت العرب ومضاربهم ومواشيهم فاستاقوا كثيراً من مواشيهم وجمالهم ودخلوا الى بيوتهم فنهبوها فنهض العرب واستنجدوا بمن كان نازلاً هناك من آل مهنا وجرى بينهم قتال شديد وقتل في المركة نائب السلطنة المذكور وولده وعدة من العسكر وكسروا كسرة شنيعة وواوا هاربين وتبعهم العرب يأخذون ما قدروا عليه منهم من الخيل والعدة وسلموا ولم ينج من السلب الا القليل ودخلوا البلد دخولاً فاحشاً وذلك

لطمهم وفيهم يقول بعض اهل الادب
 تبا لجيش طمعوا فوقعوا * في شرك العرب والاعراب
 وعاد كل منهم مجرداً * من الثواب ومن الاتواب
 وكان الامير قشتمر المذكور اميراً كبيراً خيراً احسن الشكل فصيحاً كاتباً كريهولياً
 نيابة السلطنة بمصر ودمشق وحلب وطرابلس وصفد وكانت وفاته بالمكان
 المذكور مقتولاً في السنة المذكورة عن نيف وستين سنة تقدمه الله برحمته
 قال ابن اياس في هذه السنة جاءت الاخبار من حلب بأن نائب حلب قشتمر
 المنصوري قد قتل هو وولده محمد (١) وسبب ذلك ان شخصاً من آل فضل
 يسمى الأمير جبار وقع بينه وبين نائب حلب تشاجر فخرج اليه نائب حلب
 مع العساكر الحلبية فتقاتل مع الامير جبار فقويت العربان على نائب حلب فقتل
 هو وولده في المعركة. ثم ان السلطان خلع على الامير اشقتمر واستقر به نائب
 حلب عوضاً عن قشتمر المنصوري وارسل خلة الى الامير زامل من آل فضل
 بأن يكون عوضاً عن الامير جبار بن مهنا فخرج الامير اشقتمر وتوجه الى
 حلب (وقد تقدم ان مجيئه كان في اول سنة ٧٧١ وهذه للمرة الثانية)
 (سنة ٧٧٣)

﴿ ولاية عز الدين ايدمر ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة ولي عز الدين ايدمر الدوادار نيابة حلب
 (٥) اقول وهما مدفونان في جامع المقامات بظاهر حلب داخل القبليّة على يمين المنبر
 ومكتوب على قبر قشتمر مانصه (١) هذا قبر المقر المرحوم السيفي قشتمر المنصوري
 مولانا (٢) ملك الامراء بحلب المحروسة كان توفي الى رحمة الله (٣) عند رجليه تعالى
 في يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة (٤) الحرام سنة سبعين وسبعمائة رحمه الله اهـ
 والى جانبه قبر ولده محمد ومكتوب عليه (هذا قبر امير محمد ولده)

عوضاً عن اشقتمر ونقل الى مكانه بطرابلس نائباً

﴿ بناء اشقتمر جامعہ في هذه السنة وذكر بقية آثاره ﴾

قال في الدر المنتخب في الباب الحادي والعشرين الذي ذكر فيه ما تجدد بعد ابن شداد من المساجد والمدارس . فن ذلك مسجد آشق تمر داخل باب النيرب بناء في سنة ٠٠٠ [بياض في الأصول] وانشأ بالقرب منه حماماً وفرناً وخاناً ومعصرة وحوانيت ووقفها عليه وعلى التربة التي انشاها ظاهر باب المقام بمئة الظاهر من المدينة وهي تربة عظيمة واسعة لها بوابة من الحجر النحيت الأبيض ذات عقد مصلب له ثلاث قناطر ومساطب رخام اصفر وداخلها مدفن معقود عليه قبة كبيرة وحوش كبير به بركة كبيرة مرخمة الدائر يصل اليها الماء من القنساء وبصدر هذا الحوش ايوان كبير ذو شبابيك احدهما مطل على قسطل كبير يجرى اليه من فايز البركة وللأيوان المذكور شباكان مكتنفان بمحرابه مطلان على جنينة وشباك غربي يقابل الشباك الشرقي المطل على القسطل وللتربة حجر ومنافع ومرتفق وبهذه التربة دفن سيدي الوالد [١] الترم الأمير نوروز المحافظ عمي قاضي القضاة فتح الدين بدفنه هنالك غصباً لتكون التربة المذكورة جارية تحت نظرنا اه

اقول اشتهر هذا الجامع الآن بجامع السكاكيني وهو في محلة القصيلة ومكتوب على قنطرة بابه [انشا هذا المسجد العبد الفقير الى الله تعالى اشقتمر الأثرفي [٢] غفر الله له وللمسلمين في شهور سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة] وفي الجامع في الجهة الشمالية منه مصطبة ورائها خمس حجر لطابة العلم كان بناها

(١) هو ابو الوليد محمد بن الشحنة صاحب روض المناظر المتوفى سنة ٨١٥

(٢) الشين من الكلمتين ذاهبة

السيد راجي بيازيد بعد سنة ١٢٦٠ بقليل للشيخ حسين الغزالي حينما جاء الى حلب وتوطن فيها وصار مدرساً في هذا الجامع وهو الآن تحت يد الأوقاف والباقي له من العقارات فرن ودكان ومخزن يبلغ وارداتها نحو خمسين ايرة عثمانية ذهباً

﴿ ذكر اتخاذ علامات خضر في رؤس الأشراف ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة رسم السلطان الملك الاشرف شعبان ان يكون الأشراف علامة خضراء في رؤسهم تعظيماً لهم واحتراماً وانشدت

شرفت الاشرف من سلطاننا * الاشرف بالخضر من القبضات
عزاً وابدالاً بما قد البست * اسلافهم في عالي الجنات

وانشد الشيخ ابو عبد الله المغربي محمد بن جابر الهواري الاندلسي نزيل حلب جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم * ينفي الشريف عن الطراز الأخضر

قال ابن اياس وقال الشيخ بدر الدين بن حبيب الحلبي

عمائم الاشرف قد تميزت * بمخضرة رقت ورافت منظرا
وهذه اشارة ان لهم * في جنة الخلد لباساً اخضرا

(سنة ٧٧٤)

فيها اعيد الأمير اشقتمر لنيابة حلب وهذه ولايته للمرة الثالثة .

(سنة ٧٧٥)

﴿ ولاية بكتمر الخوارزمي ثم اشقتمر ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة ولى الأمير بكتمر الخوارزمي نيابة حلب عوضاً عن آشقتمر وبعد اربعة اشهر نقل بكتمر الى نيابة دمشق واعيد اشقتمر

الى نيابة حلب اهـ

وهذه ولايته للمرة الرابعة وبقى الى سنة ٧٨٠ وكانت وفاته بحلب سنة ٧٩١
ودفن في تربته التي انشاها

(سنة ٧٧٦)

﴿ ذكر فتح مدينة سيس ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة توجه نائب حلب الأمير اشقتمر بالعساكر
الحلبية بأمر السلطان الملك الأشرف لأخذ سيس وفتحها بعد حصار شهرين
وعاد سالماً غانماً صحبة تكفور الأرمني وجهزه الى مصر واستقر اقبنا الدوادار
نائباً لها ثم بعد قليل جعلت سيس مملكة برأسها للفتوحات الجاهانية واصيف
اليها طرسوس وآذنة واياس وغيرها واستقر في كفالتها الأمير موسى بن شهري
واستقر بها حجاب وكان سر وارباب الدولة على عادة الممالك واقطعت جهاتها
بمناشير وتوفي بها رحمه الله

(سنة ٧٧٨)

﴿ تعيين ابي الوليد بن الشحنة لقضاء حلب ﴾

قال المحب ابو الوليد محمد بن الشحنة في روض المناظر في هذه السنة كنت نزيراً
بالقاهرة مقيماً بالصرغتمشية فطلبني الملك الأشرف شعبان بن حسين وولاني
قضاء حلب شكوا من جهل ابن العديم (١) وطلبوا قاضياً من اهل العلم فطلب
السلطان من علماء مصر من يصلح فاشار الشيخ سراج الدين البقيني والشيخ
أكمل الدين محمد الحنفي بولايتي فكانت

(١) اسمه ابراهيم بن محمد وهذا تحامل منه شأ من المعاصرة وسيأتيك في حوادث سنة
٧٨٧ ما قاله ابن اياس في حقه وستاتيك ترجمته الحافلة في القسم الثاني ان شاء الله تعالى

والخان الكائن امام البيارستان الارغوني في محلة باب قنسرين المسمى خان القاضى منسوب اليه وذلك للكتابة التي على جدار الخان في مدخله من الطرف الأيسر وبعد عناء حتى تمكنت من قرائتها وهي (١) لما كان بتاريخ مستهل سنة خمس المقر الكريم العالى القضاى المحبى القاضى محب الدين ابن الشحنة الحنفى (٢) اسبغ الله ظلاله قد ابطال ما على مدينة نصارا قارا من الموجب الذي على بضايهم المباعه بمدينة حلب (٣) من القماش والثمار خارجاً عن الفاكهة حسب الرسوم الشريف الذي بيدهم ملعون من يحددها [٤] او يسمى في تجديدها عليه اللعنة الى يوم الدين .

وقد اكد امر ابطال هذه الرسوم بأمر آخر نقش على جدار البيارستان على يسار الباب ويظهر ان الكاتب واحد وصورته [١] لما كان بتاريخ ثاني عشرين ربيع الآخر سنة ستة واربعين وثمانماية ابطال المقر الشريف العالى الموالي المخذو [مى] [٢] الزينى عمر السفاح الشافعى صاحب ديوان الأثناء الشريف بالملكة الحلبية المحروسة اخذ موجب ما يجلبه نصارة مدينة قاره ا [لى] [٣] المحروسة من القماش والثمار خارجاً عن الفاكهة في معلوم كتابة السر... يجلب ابتغاء لوجه (الله) [٤] تعالى فن بدله بعد ما سمعه فأثما ائمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم اه [الحروف الموضوعه بين هلالين ذاهبة من آخر السطور]

(سنة ٧٧٩)

ذكر قتل الملك الأشرف شعبان وسلطنة ولده الملك

المنصور علي

قال في روض المناظر ما خلاصته في هذه السنة قتل الملك الأشرف شعبان واستقر

في السلطنة ولده الملك المنصور على ابن الملك الأشرف شعبان ابن الملك الاحب
 حسين ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاون [قال ابن اياس] وهو
 الثالث والعشرون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية

(سنة ٧٨٠)

ذكر تولية حلب للامير منكلي بغا البلدي ثم لتمر باي

قال في روض المناظر في هذه السنة استقر في نيابة حلب الامير منكلي بغا البلدي
 عوضاً عن اشقتمر ثم امسك واستقر عوضه سيف الدين تمر باي التمرداشي
 وتوجه الى التركان وانكسر عسكر حلب كسرة لم تسبق مثلها من التركان ومنها
 عظم شأن التركان ومنعوا العداد اه

وتوجه الى محاربة التركان في سنة سبعمائة واحدى وثمانين قال في تحف الانبياء
 في هذه السنة سار الامير سيف الدين التمرداشي المنصوري وصحبه العساكر
 الحلبية وطائفة من عسكر حماة ودمشق الى جهة البلاد السيسية ليردع طوائف
 التركان حين ظهر فسادهم واشتهر بغيهم وعنادهم فلما وصل العسكر الى القرب
 من مدينة اياس وبلغ التركان خبرهم بادروا الى الخضوع والطاعة وحضر منهم
 نحو اربعين من اكابرهم وامراتهم واستصحبوا ما استطاعوا من الهدايا والتحف
 فحين اقبلوا على النائب المشار اليه اظهروا الطاعة وطلبوا الأمان فلم يقبل منهم
 وامر باعتقالهم في القيود وركب بمن معه من العساكر الى بيوتهم في الحال
 واوقعوا بهم من النكال ما احال منهم الحال ونهبوا اموالهم وسبوا نساءهم وقتلوا
 رجالهم وتقووا على الضميف فعند ذلك احتال التركان وجمعوا جموعهم وكنوا
 للعسكر بمضيق في طريقهم يقال له باب الملك عند شاطئ البحر واوقعوا بهم فلم

ينج منهم الاطربح او جربح او سلمه القضاء والقدر فطار مع الريح وطلبوا ما كان معهم وتشتت شملهم وتقل في درة الأسلاك في دولة الأتراك انه يحكى من كان حاضرا هذه الواقعة ان الذي اخذه التركان فيها من الأموال والائاث والخيل ما لا يحصى فمن جملة ثلاثون الف جبل بأحمالها وثلاثة عشر الفاً من الخيل بسروجها اه

سنة ٧٨٢

ذكر عود منكلى بغا البلدى لنيابة حلب

قال في روض المناظر في هذه السنة عاد منكلى بغا البلدى الاحمدى الى نيابة حلب ورفع المكس عن عزاز ثم توفي بحلب اه وعبارة تحف الانباء تفيد انه عاد اليها في اواخر سنة ٧٨١

ذكر ولاية الامير اينال اليوسفى

قال في روض المناظر بعد وفاة منكلى بغا استقر عوضه الامير اينال اليوسفى في نيابة حلب

سنة ٧٨٣

وفاة الملك المنصور علي وسلطنة اخيه الملك الصالح حاجى

قال في روض المناظر في هذه السنة توفي السلطان الملك المنصور على بن شعبان واستقر في السلطنة اخوه الملك الصالح حاجى بن شعبان . قال واستقر بلبغا الناصرى في نيابة حلب عوضاً عن اينال

(سنة ٧٨٤)

خلع الملك الصالح حاجي وابتداء دولة الجراكسة

قال في روض المناظر في هذه السنة تاسع عشر رمضان خلع السلطان الملك الصالح حاجي ابن شعبان واستقر عوضه الامير سيف الدين برقوق سلطانا ولقب بالملك الظاهر ابو سعيد وقد بسط ابن اياس الحوادث والاسباب في ذلك قال وكان اصل الملك الظاهر برقوق من ممالك الانابكي يلبغا العمري الناصري جابه الى مصر الخواجا عثمان بن مسافر فاشتراه منه الاتابكي يلبغا واقام عنده مدة ثم اعتقه فلما مات يلبغا وجرى لمالكه ما جرى هرب برقوق وتوجه نحو الشام لخدم عند منجك نائب الشام فلما توفي منجك صار برقوق من جملة ممالك السلطان فلما كانت دولة الاشرف شعبان بقي برقوق امير عشرة ثم بقي امير اربعين ثم بقي مقدم الف ثم بقي امير اخور كبير ثم بقي اتابك العساكر في دولة الملك المنصور علي بن الاشرف شعبان ثم بقي سلطانا بمصر بعد خلع الملك الصالح امير حاج وكان برقوق من خلاصة الجراكسة

سنة ٧٨٦

قال في روض المناظر في هذه السنة ارسل التون بغا الجوناني الى الناصري يطلب ابياتا تنقش على سنان رمح مثلث فأنشد فيه فضلاء دمشق وانشد فيه الحلبيّة وانشدت انا

انا الاسمر الخطي اسمو الى العلا * تقصر عني المرهفات وتقصر
حياض الميا من قناتي قد جرت * انابيهها تهمني دماء وتهمر
وتجني ثمار النصر مني جنية * فعودي لعمري ذابل وهو مشر

(سنة ٧٨٧)

ذكر القبض على يلبغا الناصري وتولية حلب للامير

سودون المظفري

قال في روض المناظر في هذه السنة امسك يلبغا الناصري وحبس بالاسكندرية واستقر عوضه بحلب سودون المظفري واساء السيرة في اهل حلب وتحميل من ارباب المناصب انهم لا يرونه بعين العظمة لكونه نشأ بحلب وضيعاً اه

قال ابن اياس في هذه السنة ارسل السلطان الامير بهادر المنجكي استادار العالية الى يلبغا الناصري نائب حلب فقال له قم كلم السلطان فلما خرج من حلب ووصل الى غزوة قبض عليه وقيده وارسله الى السجن بشفر الاسكندرية وكان سبب تغير خاطر السلطان على يلبغا الناصري انه بلغه عنه انه متواطئ مع الاميرسولى ابن ذي النادر امير التركمان وقد اتفقا على العصيان فلما تحقق السلطان ذلك ارسل قبض على يلبغا الناصري وسجنه بشفر الاسكندرية ثم ان السلطان عمل الموكب وخلع على الامير سودون المظفري واستقر به نائب حلب عوضاً عن يلبغا الناصري ثم ان السلطان ارسل الامير جمال الامير محمود شاد الدواوين الى حلب بسبب الحوطة على موجود يلبغا الناصري وتوجه الامير محمود الى حلب بسبب ذلك آثاره بحلب

قال في الدر المنتخب ومنها جامع يلبغا الناصري نائب حلب بناه بدار العدل ملاصقاً لتربة السيدة لما توحش خاطره من الملك الظاهر برقوق فتوهم انه ربما يهجم عليه في صلاة الجمعة اه (١) اقول ولا اثر لهذا الجامع الآن

[١] وقع في النسخة المطبوعة من الدر المنتخب بعد قوله في صلاة الجمعة وذلك في سنة ستة وستمائة وهذا سهو من الناسخ ولا اثر لهذه الجملة في نسخ الخطية

قال وفيها خلع السلطان على القاضي محب الدين بن الشحنة الحنفي (صاحب روض المناظر) واستقر به قاضي القضاة الحنفية بحلب عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين بن العديم بحكم وفاته وكان ابن العديم هذا من اعيان علماء الحنفية وكانت وفاته بحلب وعاش من العمر نحو ثمان وسبعين سنة اهـ

سنة ٧٨٨

ذكر وصول تمرلنك الى مدينة قريباغ

قال ابن اياس في هذه السنة حضر الى الابواب الشريفة قاصد القان احمد بن اويس صاحب بغداد واخبر ان الخارجى تمرلنك قد وصل الى مدينة قريباغ ونهبها وسبي اهلها فأرسل القان احمد يعرف السلطان بذلك ليكون على حذر من امره

— ذكر اعادة يلبغا الناصرى لنيابة حلب وعصيان منطاش بملطية —

قال في روض المناظر في هذه السنة عصي منطاش بملطية وكان قد وصل اليه مقدم تمرلنك واتفق معه كما سيأتى قريباً فاستضعف السلطان سودون عن احضاره فمزله واعاد السلطان يلبغا الناصرى الى نيابة حلب واهين سودون واستقر الناصرى بحلب اميراً اهـ وسنذكر في حوادث السنة الآتية نقلاً عن ابن خلدون الاسباب التي دعت منطاش الى العصيان

سنة ٧٨٩

ذكر استعداد المصريين لمحاربة تمرلنك

قال ابن اياس في هذه السنة حضر الى الأبواب الشريفة الامير طغاي وكان قد توجه الى بلاد الشرق لأخبار تمرلنك فلما حضر اخبر السلطان ان جاليش تمرلنك

قد وصل الى الرها وكسر قرا محمد امير التركمان وان بوادر عساكر تمرلنك قد وصلت الى ملطاية فلما تحقق السلطان ذلك امر بمقعد مجلس بالقصر الكبير وطلب القضاة الاربعة والخليفة وشيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقيني واعيان المشايخ المفتين وحضر سائر الامراء فلما تكامل المجلس تكلم السلطان مع الخليفة والقضاة الاربعة في امر تمرلنك ثم ان السلطان تكلم في اخذ مال الأوقاف من الجوامع والمدارس وغيرها فلم يوافق شيخ الاسلام على ذلك ولا القضاة الاربعة فشكا لهم السلطان بأن الخزائن خالية من الاموال والعدو زاحف على البلاد وان لم تخرج العساكر بسرعة والاوصل الى حلب والشام والعسكر لا تسافر بلا نفقة فوقع في المجلس جدال عظيم ودافعوا السلطان واغلظوا عليه في القول فلما طال الأمر وقع الاتفاق بحضور الخليفة والقضاة الاربعة بأن يؤخذ من مال الاوقاف اجرة الأماكن وخراج الاراضي سنة كاملة وتبقى الاوقاف على حالها وانفصل المجلس على ذلك . ورسم السلطان لمحتسب القاهرة بأن يتولى جبي الاموال من الناس فأخذوا في اسباب ذلك ثم ان السلطان عين تجريدة وعين لها جماعة من الامراء وهم الطنبغا المعلم امير سلاح وقردم الحسيني رأس نوبة امير كبير ويونس النوروزي الداودار وسودون بساق احد المقدمين وعين من الامراء والطبلخانات رأس نوبة كبير ثمانية ومن الامراء العشرواات عشرة وعين من المماليك السلطانية ثلثائة مملوك وانفق عليهم واخذوا في اسباب السفر والتوجه الى حلب والاقامة بها الى حضور السلطان ثم ان السلطان رسم بأخذ زكاة الأموال من التجار وندب الى ذلك القاضي الطرابلسي الحنفي وفي رجب خرجت التجريدة من القاهرة في تجمل زائد واستمرت الاطلاب تنسحب من باكر النهار الى قريب الظهر وكان يوماً مشهوداً فلما خرجت التجريدة اشتد الأمر على الناس

وجبيت الاموال منهم غصبا بالعصا فجبوا ذلك من الناس في يوم واحد ثم فرج الله عنهم وجاءت الأخبار بأن تمرلنك رجع الى بلاده وان ولده قد قتل فسكن الاضطراب ورسم السلطان بأعادة ما اخذوه من الناس فزايدت ادعيتهم له بالنصر
ذكر الوقعة التي اشير اليها

قال في روض المناظر في حوادث هذه السنة فيها وجه الناصري (نائب حلب) بن معه من العساكر المصرية والشامية والحلبية الى جهة منطاش، فالتجأ منطاش الى القاضي برهان الدين صاحب سيواس ووصل الناصري بن معه الى سيواس وحاصرها مدة وقارب اخذها فأرسل القاضي برهان الدين يطلب الأمان وسأل الناصري ان يتأخر عن المدينة قليلاً ليخرج اليه ويسلمه منطاش فاتفق الناصري مع عساكره على ان يظهر الاجابة لذلك ورحل من جانب النهر الى الجانب الآخر فلم ينزل معه من الجانب الآخر من العساكر الا القليل وطلبوا قدام وتمت الحيلة على الناصري وركب صاحب سيواس ومنطاش ومن معهما من التتر في نحو عشرين الفا فتبث الناصري بن معه وكانوا دون الألف وقاتلهم ونصر الله الناصري وكسر صاحب سيواس فهرب هو ومنطاش الى المدينة وقتل الناصري منهم نحو الألف واسر مثل ذلك وعاد.

قال ابن خلدون كان منطاش هذا وتمرتاي الدمرداشي الذي مر ذكره اخوين لتمرارز الناصري من موالي الملك الناصر محمد بن قلاوون وربيا في كفالة امهما وكان اسم تمرتاي محمداً وهو الأكبر واسم منطاش احمد وهو الأصغر واتصل تمرتاي بالسلطان الأشرف وترقى في دولته في الوظائف الى ان ولي حلب سنة ثمانين وكانت واقمته مع التركمان وذلك انه وقد عليه امرأتهم فقبض عليهم لما كان من عيبتهم في النواحي واجتمعوا فسار اليهم وامده السلطان بعساكر الشام

وحماة وانهمزموا امامهم الى الدربند ثم كروا على العساكر فهزموها ونهبوها في المضايق وتوفي ثمرتاي سنة اثنين وثمانين وكان السلطان الظاهر برقوق يرعى لها هذا الولاة فولى منطاش على ملطية ولما قعد على الكرسي واستبد بالسلطان بدت من منطاش علامات الخلاف فهم به ثم راجع ووفد وتنصل للسلطان وكان (سودون باق) من امراء الألو فخالصة للسلطان ومن اهل عصبية وكان من قبل ذلك في جملة الأمير ثمرتاي فرعى لمنطاش حق اخيه وشفع له عند السلطان وكفل حسن الطاعة منه وانه يخرج على التركمان المخالفين ويحسم على فسادهم وانطاق الى قاعدة عمله بملطية ثم لم نزل آثار العصيان بسادية عليه وبما داخل امراء التركمان في ذلك ونمى الخبر الى السلطان فطوى له وشعر هو بذلك فراسل صاحب سيواس قاعدة بلاد الروم وبها قاض مستبد على صبي من اعقاب بني ارثى ملوكها من عهد هولاء كو وقد اعصوب عليه بقية من احياء التتر الذين كانوا حاميته هناك مع الشحنة فيها كما نذكره ولما وصلت رسل منطاش وكتبه الى هذا القاضي بادر بأجابته وبعث رسلاً وفداً من اصحابه في امام الحديث معه فخرج منطاش الى لقائهم واستخلف على ملطية دواداره وكان منفلاً فحشى مغبة ما يرومه صاحبه من الانتقاض فلاذ بالطاعة وتبرأ من منطاش واقام دعوة السلطان بالبلد وبلغ الخبر الى منطاش فاضطرب ثم استمر وسار مع وفد القاضي الى سيواس فلما قدم عليه وقد اتقطع الجبل في يده اعرض عنه وصار الى مخالطة السلطان عما اتاه من مداخلة منطاش وقبض عليه وحبسه وسرح السلطان سنة تسع وثمانين عساكره مع يونس الموادار وقردم رأس نوبة والطنبنا الرماح امير سلاح وسودون باق من امراء الألو ف واوعز الى الناصري فأبى وطلب ان يخرج معهم بمساكرهم والى اينال اليوسفي من امراء الألو ف بدمشق

وساروا جميعاً .

وكان يومئذ ملك التتار بما وراء النهر وخراسان تمر من نسب جنطاي قد زحف الى المراقين واذربيجان وملك توريز عنوة واستباحها وهو يحاول ملك بغداد فسارت هذه العساكر توري بغزوه ودفاعه حتى اذا بلغوا حلب اتى اليهم الخبر بأن تمر رجع بعساكره لخارج خرج عليه بقاصية ما وراء النهر فرجعت عساكر السلطان الى جهة سيواس واقتحموا تخومها على حين غفلة من اهلها فبادر القاضي الى اطلاق منطاش لوقته وقد كان ايام حبسه يوسوس اليه بالرجوع عن موالة السلطان ومماثته ولم يزل يفتل له في الذورة والغارب حتى جنح الى قوله فبعث لأحياء التتر الذين كانوا ببلاد الروم فيثة ابن اريثا بن اول فسار اليهم واستجاشهم على عسكر السلطان وحذرهم استئصال شأفتهم باستئصال ملك ابن اريثا وبلده ووصلت العساكر خلال ذلك الى سيواس فحاصروها اياماً وضيقوا عليها وكادت ان تلقى باليد ووصل منطاش اثر ذلك بأحياء التتر فقاتلهم العساكر ودافعوهم ونالوا منهم وجلا الناصري في هذه الوقائع وادرك العساكر الملل والضجر من طول المقام وبطء الظفر وانقطاع الميرة بتوغلهم في البلاد وبعد الشقة فتداعوا للرجوع ودعوا الأمراء اليه فجنح لذلك بعضهم فانكفوا على تعبيتهم وسار بعض التتر في اتباعهم فكروا عليهم واستلحموهم وخلصوا الى بلاد الشام على احسن حالات الظهور ونية العود ليحسموا على العدو ويمحووا اثر الفتنة اهـ

﴿ الزلازل في انطاكية وحلب ﴾

قال الجلال السيوطي في كتابه المصلصلة في الزلزلة . وفي ذي القعدة في سنة تسع وثمانين وسبعمائة زلزلت انطاكية زلزلة عظيمة ومات تحت الردم خلق كثير

وقال بعد اسطر وفي هذه السنة في ربيع الأول زلزلت حلب ست مرات او اكثر زلزلة شديدة .

ذكر عصيان يلبغا الناصري نائب حلب وقتله للامير

﴿ سودون النائب السابق واستيلائه على الشام ثم على مصر ﴾

﴿ وخلمه للسلطان الملك الظاهر برقوق واقامته في الملك للملك الصالح حاجي ﴾

قال ابن اياس في هذه السنة جاءت الاخبار بأن يلبغا الناصري نائب حلب

خامر وخرج عن الطاعة وقتل الأمير سودون المظفري الذي كان نائب حلب

قبله وقتل اربعة انفس من مماليك سودون وامسك حاجب الحجاب بحلب وجماعا

من امرائها وسبب ذلك (١) انه كان قد وقع بينه وبين سودون المظفري

تشاجر فأرسل سودون يشتكى من يلبغا الناصري الى السلطان بما وقع منه في حقه

فلما بلغ السلطان ذلك ارسل الأمير تملكتمر المحمدي الدوادار الثاني الى حلب

ليصلح بين يلبغا الناصري وبين سودون المظفري وقيل ان السلطان ارسل في

الدمس مرايم على يد الأمير تملكتمر الى سودون المظفري بأن يقبض على يلبغا

الناصرى نائب حلب فلما وصل الأمير تملكتمر الى حلب بلغ الناصري امر

المرايم التي جاء بها الأمير تملكتمر فخرج الى تلقيه وكان بين الأمير يلبغا الناصري

وبين الأمير تملكتمر صحبة مؤكدة فما امكنه ان يخفى منه امر المرايم فلما وقف

عليها يلبغا الناصري اخذها واخفاها ثم توجه الى دار السعادة (دار العدل كما

في روض المناظر) وطلب قضاة حلب والأمير سودون المظفري ليقرأ عليهم

المرايم التي جاءت بالأمر بالصلح بين يلبغا الناصري وسودون فلما ارسل خلف

(١) ذكر ابن خلدون في اواخر الجزء الخامس من تاريخه اسباباً آخر لخروج يلبغا

الناصرى عن الطاعة فراجعها ان شئت

سودون لم يحضر الى دار السعادة فأرسل خلفه اربع مرات والقضاة جالسون
والأمير تلتكتمر فما حضر سودون الا بعد جهد كبير فطلع سودون وهو لابس
زردية من تحت ثيابه وكان يلبغا الناصري هياً جماعة من مماليكه في دار السعادة وهم
لابسون آلة الحرب فلما دخل سودون من باب دار السعادة تقدم اليه مملوك من
ممالك يلبغا وجس كتف سودون فرآه لابسها من تحت ثيابه فقال له ياأمير
سودون الذي يريد الصلح يدخل الى دار السعادة وهو لابس آلة الحرب فلكمه
سودون فصاح على ذلك الكمين فخرجوا الى سودون وقتلوه في دار السعادة
وقتلوا معه اربعة ممالك من مماليكه

اظهار يلبغاالناصرى العصيان وتولية اينال اليوسفى

على حلب

ثم ان يلبغا الناصري اظهرالعصيان والتف عليه جماعة كثيرة من ممالك الأشرف
شعبان وكان من جهة من التف على يلبغا الناصري تمرىنا الأفضلى المدعو منطاش
مملوك الظاهر برقوق وكان له مدة وهو منى في المدن الشامية فالتف على
يلبغا الناصري ثم ان الأمير تكلتمر لما جرى ماجرى بحلب رجع واخبر السلطان
بما وقع لسودون المظفرى مع يلبغا فلما تحقق السلطان عصيان يلبغا الناصري
ارسل خلعة الى الأمير اينال اليوسفى بأن يستقر نائب حلب عوضاً عن يلبغا
الناصرى وكان اينال انابكى العساكر بدمشق ويلبغا الناصري في نفسه من الملك
الظاهر برقوق عداوة قديمة كامنة في قلبه كما قيل

الجرح يبراً ولكن كلما نظرت عين الجريح اليه جدد الوجع

قال ابن اياس ما خلاصته ثم انضم الى يلبغا الناصري نائب طرابلس ثم نائب حماة

سودون العثماني ثم حضر قاصد من عند الأمير خليل بن قراجا بن ذي الغادر فأخبر ان الأمير سنقر نائب حلب قد خامر وخرج عن الطاعة ووافق يلبغا الناصري على العصيان ورحل من سيس واتى الى حلب فلما تحقق السلطان ان النواب قد خامر واطاعه انفق على المسكر فخرجوا من القاهرة في عظمة زائدة فلما خرجوا منها ووصلوا الى دمشق جاءت الأخبار هناك مع السعاة بأن العساكر لما وصلت الى دمشق وجدوا يلبغا الناصري قد ملك الشام حتى قلعتهما فلما وصل المسكر اليه اوقعوا معه بظاهر دمشق واقعة عظيمة حتى جرى الدم بينهم وقتل من الفريقين مالا يحصى عددهم وآخر الأمر انكسر عسكر السلطان الذي ارسله وانتصر عليهم يلبغا الناصري ثم توجه يلبغا الى مصر وضايقها وآخز الأمر طلب السلطان الأمان من يلبغا ثم اختفى ودخل يلبغا الى مصر ثم وقع الاتفاق على عود الملك الصالح امير حاج ابن الأشرف شعبان الذي خلمه برقوق من السلطنة واقب بالملك المنصور وقد بسط ابن اياس الحوادث في ذلك الى ان قال

ذكر ولاية الأمير كمشبنغا الحموي لنيابة حلب

وخلع هلى المقر السيفي كمشبنغا الحموي واستقر به نائب حلب

سنة ٧٩٢

(اطلاق الملك الظاهر برقوق والحرب بينه وبين منطاش بالقرب من دمشق)
ذكر ابن اياس حوادث واموراً يطول شرحها ادت الى اطلاق الملك الظاهر برقوق من حبس الكرك . قال في روض المناظر ولما اطلقوا السلطان برقوق من الكرك سار الى دمشق بفرقة يسيرة وخرج اليه حتمر بالعساكر الشامية فكسرهم ونزل بقبة يلبغا وحاصر دمشق وتوجه اليه نائب حلب كمشبنغا بعساكر حلب ناصراً

له واجتمع اليه من كان تفرق عنه فخرج اليه منطاش من مصر بالسلطان والمساكر المصرية والخليفة والقضاة وقرب من الشام والتقى الجمعان بشمحب فانتصر بعض كل من الفريقين وانكسر البعض ولم يعلم احد حال احد فولى كمشبنغا هارباً نحو حلب وولى منطاش نحو دمشق ولم يشعر الملك الظاهر برقوق بنفسه الا وهو يخيم على الملك المنصور حاجي فنزل وامسكه وجلس على الكرسي وجعل كل من يحضر من الفتيين يجده جالساً فلا يسمعه الا النزول وتقبيل الأرض وفي ثاني يوم خرج منطاش والتقى الجمعان وتناوشا قليلا ورجع كل احد منهما وتوجه السلطان الظاهر من ليلته الى مصر فوصل اليها ووجد مماليكه قد خرجوا من الحبس وامسكوا خلفاء منطاش ومنطاش مقيم بدمشق فدخل السلطان مصر مطمئناً فرحاً واطلق الأمراء الذين حبسهم منطاش

قال ابن اياس لما استقر الملك الظاهر برقوق خلع على امرائه ونوابه في البلاد ثم رسم بالأفراج عن المقر السيفي يلبغا الناصري الذي كان نائب حلب وخامر على السلطان وجرى منه ماجرى وكان سبباً لروال ملك الظاهر برقوق كما تقدم فلما عاد الملك الظاهر برقوق في هذه المرة زال ما كان بينه وبين يلبغا الناصري من العداوة وردم بالأفراج عنه

ارسال منطاش متمم الى حلب نائباً ومحاصرة نائبها كمشبنغا

قال في روض المناظر واما منطاش فإنه ارسل وهو بدمشق متمم الموساي الى حلب نائباً وانضم اليه جماعة وحاصروا كمشبنغا في قلعتها وجهاز السلطان برقوق عسكرياً من مصر ومقدمهم الأمير يلبغا الناصري وارسل معه الجوباني نائباً بدمشق وقرا دمر داش نائباً بطرابلس وبلغ ذلك منطاش فهرب من دمشق وبلغ ذلك متمم فهرب من حلب وخرج الناصري والجوباني ومن معها من المساكر من

دمشق في اثر منطاش وهو منضم الى نعيم وعنقا [اميران للعرب] وحصلت وقعة عظيمة على حمص قتل فيها الجوباني وجماعة من الأمراء وعاد الناصري الى دمشق فجاءه تقليد بنيابتها وبلغ ذلك كمشيفا نائب حلب فأخذ في عمارة سورها فعمرت احسن عمارة ولم تكن من عهد قازان عمرت ووصل منطاش ونيير وعنقا بمساكر عظيمة ونازلوا حلب وحاصروها في شهر رمضان وانقلبوا خاسئين وتوجه منطاش الى شولى ابن دلفادر وقصدا عين تاب وكان بها الأمير ناصر الدين محمد بن عز الدين شهري بن شهري من اشار بوضع هذا التاريخ المشار اليه في اول الكتاب وحوصر فأجاد في رفعهم عنها وظهرت فروسيته وشكر على ذلك وطلبه السلطان بعد ذلك وانعم عليه وأكرمه

[زيادة بيان في محاصرة تمتع الأشرفي لحلب ومحاصرة منطاش لعينتاب]
قال ابن اياس وفي رجب جاءت الأخبار من حلب بأن منطاش ارسل شخصاً يسمى تمان تمر الأشرفي الى مدينة حلب وكان نائب حلب كمشيفا الجموي قد تقل امره على اهل حلب فما صدقوا بهذه الحركة فحاصروا نائب حلب اشد المحاصرة وتصبوا الى منطاش فقبوا القلعة من ثلاث مواضع فصار كمشيفا نائب حلب يقاتلهم من داخل النقب على البرج واستمروا على ذلك نحو ثلاثة شهور فانتصر كمشيفا نائب حلب على تمان تمر الأشرفي الذي ولاء منطاش على حلب فانكسر تمان تمر وولى هارباً ثم ان كمشيفا نائب حلب اخذ في اسباب عمارة ما تهدم من المدينة وزاد

ثم قال وبعد مدة جاءت الأخبار بأن منطاش توجه الى عينتاب فالتف عليه جماعة كثيرة من التركان فحاصر مدينة عينتاب اشد ما يكون من المحاصرة فللكها وهرب النائب الذي كان بها فلما دخل الليل جمع نائب عينتاب جماعة كثيرة

من التركان وكبس منطاش قتل من عسكره نحو مائتي انسان وهرب منطاش
فحو الفرات

ترجمة كشمبغا وزيادة بيان في الحرب بينه وبين الباقوسيين

قال ابن خطيب الناصرية كشمبغا الجموي الأمير سيف الدين نائب حلب هو من
عتقاء الأمير يلبغا الخاصكي العمري وكان عالي المنزلة عنده واستقر به امير
اربعين بالقاهرة وكان اكبر رؤس النوب عنده ثم اخرج بعد وفاته الى حلب
واقام بها بطالاً الى ان كانت ايام الملك الظاهر ابي سعيد برقوق فولاه نيابة
السلطنة ونقله من صفد الى حماة والى طرابلس وحلب ودمشق ثم حبسه بقلعة
دمشق ثم ولي نيابة السلطنة بحلب فدخل اليها في السنة المذكورة فلما ركب
منطاش على الناصري وامسكه وظهر برقوق من الكرك جمع الأمير كشمبغا
عسكر حلب وحلفهم لبرقوق وذلك في رمضان من السنة فلما انقضى رمضان
ودخل شوال ركب الباقوسيون وصحبتهم بعض الأمراء على الأمير كشمبغا
وكان مجوساً بقلعة حلب الأمير طرنتاي الذي كان نائب دمشق وبكلمش
احد الأمراء المصريين كان الناصري قد امسكهم بدمشق وحبسهم بقلعة حلب
فأطلقهما الأمير كشمبغا واحسن اليها وانفقا معه وجد في قتال الباقوسيين وكان
في عسكر قليل وهم في عسكر كثير واستمر القتال بينهم في البياضة ثلاثة ايام ثم
انتصر كشمبغا على الباقوسيين وقتل منهم جماعة فلما حضر برقوق من الكرك
الى دمشق واقام على قبة يلبغا ظاهر دمشق توجه اليه الأمير كشمبغا بمن معه
من العسكر الحلبي وامده بكثير من الخيم والخيل والماعون وغير ذلك وبالغ في
ذلك ولما كان يوم شمحب (مكان الواقعة وقدم تقدم ذكرها) توجه منهزماً
الى جهة حلب لما حصت الكسرة للميسرة التي كان هو مقدمها فلم يرد وجهه

الى ان دخل حلب ثم طلع الى قلعتها فلما علم الباقوسيون بهذا الامر قاموا
 وجدوا في قتاله وحاصروه وبعث اليهم منطاش نائبا الى حلب هو اخوه الأمير
 تمنمتر وكان انسانا حسنا وجدوا في حصار القلعة وصبر الأمير كمشيفا على
 محاصرتهم له ولم يمكنهم من بلوغ الغرض واستمر الحصار اربعة اشهر الا يومين
 وذلك سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ومنطاش يومئذ بدمشق بعد عود السلطان
 الملك الظاهر برقوق الى الديار المصرية من شعجب فلما بلغ الأمير كمشيفا انهزام
 منطاش من دمشق فتح باب قلعة حلب بموافقة الباقوسيين له وهرب نائب حلب
 الذي كان من جهة منطاش فاستمر الصلح بينهم اياما قلائل جدا نحو ثلثة ثم
 وقع بينهم فقاتلهم الأمير كمشيفا وقتلوه قتالا شديدا فانتصر عليهم وقتل من
 اعيانهم وجندهم جماعة كثيرة ونهب باقوسا كما نهبها اولاً واجتهد في تحصين
 حلب واسوارها لما بلغه ان منطاش ونميرا قاصدا الى حلب فجد في ذلك بالرجال
 والمال ثم حضر منطاش ونمير الى ظاهر حلب فقاتلهم الأمير كمشيفا واهل حلب
 معه وقتلوا معه قتالا شديدا عدة ايام وذلك في رمضان من السنة الى ان ردم
 عنها خابئين فلما نرحوا منها واطمان خاطره اجتهد في تقرير احوالها وعمارة
 اسوارها وعمل ابوابها مصفحة بالحديد وبذل همه في ذلك بحيث صار ذلك
 في اربعين يوماً وكانت من وقعة هولاء كوجلب خالية من الأبواب مخربة
 الأسوار الى ان قبض الله تعالى الأمير كمشيفا فبنى بعض اسوارها واصلحه وعمل
 لها ابواباً كما ذكرناه لاخيب الله سميه

— ﴿﴾ * طلب الأمير كمشيفا الى مصر وتعيين قرا دمرداش بجلب * ﴿﴾ —

ثم بعد تمام ما عزم عليه من ذلك طلبه السلطان الملك الظاهر برقوق الى الديار
 المصرية واستقر به اتابك العساكر ورفع منزلته وكان الأمير كمشيفا المذكور

اميراً كبيراً كريماً جداً مدبراً وشكلاً حسناً علي الهمة مجتهداً في عمل الخير واسداء المعروف محسناً الى الرعيه ولم يزل اتابك المساكر بالديار المصرية الى ان حصل عند الملك الظاهر من جهته وحشة وتخييل ممن وشى به اليه فأمسكه وجهزه الى الأعتقال بشفر الاسكندرية في اوائل سنة احدى وثمانمائة واستمر مقبلاً كذلك الى ان توفي به ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة احدى وثمانمائة وقد جاوز ستين سنة تغمده الله برحمته اه
قال في روض المناظر لما طلب الامير كمشبقا الى مصر واستقر بها اميراً كبيراً استقر عوضه قراد مر داس مجلب

سنة ٧٩٣

ذكر استيلاء منطاش على حماة وحمص وبعليك و...

السلطان الملك الظاهر برقوق الى حلب وقتله الأمير يلبغا الناصري
قال ابن اياس ما خلاصته وفي هذه السنة جاءت الأخبار بأن منطاش قد ملك حماة وحمص وبعليك ولم يشوش على احد من اهلها فمال اليه الرعية وصاروا يسلمونه المدن من غير قتال ثم ان منطاش توجه الى الشام وحاصر المدينة (الى ان قال) ولما بلغ السلطان ذلك نادى للمسكر بالعرض . وقوى عزمه على الخروج الى منطاش ولما وصل الى الشام اقام بها اياماً وتوجه الى حلب
قال في روض المناظر واما منطاش فانه لما بلغه توجه السلطان هرب نحو الشرق ولما قدم السلطان دمشق استصحب معه يلبغا الناصري ولما قدم حلب اقام بها شهوراً ثم عاد وليلة عوده قتل يلبغا الناصري وجماعة من الامراء بقلعة حلب المحروسة قال ابن اياس كان الذين قتلهم الملك الظاهر برقوق من الامراء في حلب ثلاثة

وعشرين اميراً وكان سبب ذلك ان الامير سالم الدوكاري امير التركمان ارسل يعرف السلطان بأن يلبغا الناصري ارسل اليه كتاباً وهو يقول فيه خذ منطاش واهرب به الى بلاد الروم فإنه مادام منطاش موجوداً فنحن موجودون ثم ان الأمير سالم الدوكاري ارسل كتاب يلبغا الناصري على يد قاصده فلما تحقق السلطان صحة ذلك طلب الأُمراء فلما حضروا قرأ عليهم كتاب يلبغا الناصري الذي ارسله الى الأمير سالم الدوكاري ثم ان السلطان وبخ يلبغا الناصري بالكلام في ذلك المجلس فلم ينطق بحجة وانعقد لسانه عن الكلام ثم ان السلطان قبض على يلبغا الناصري وعلى جماعة من الأُمراء وسجنهم بقلعة حلب ثم امر قتلهم فقتلوا ثم رجع الى الديار المصرية فوصل اليها منتصف المحرم سنة ٧٩٤

﴿ عزل قراد مرداش وتعيين الأمير جليان ﴾

قال ابن الخطيب دخل الأمير قراد مرداش الى حلب واستمر بها الى سنة ثلاث فلما جاء برقوق الى حلب وتوجه الى القاهرة في ذى الحجة من سنة ثلاث ولى نيابة حلب الأمير جليان وصحب معه قراد مرداش ثم امسكه وتوفي مقتولاً في سنة اربع وتسعين وسبعمائة في ذى الحجة منها وكان اميراً كبيراً مهيباً شجاعاً عفيفاً عن الشراب عفا الله تعالى عنا وعنه

وقال السخاوى فى الضوء اللامع فى ترجمة الأمير جليان استقر جليان فى نيابة حلب سنة ثلاث وتسعين وجرت له مع التركمان وقعة بالباب انتصر فيها عليهم ثم اخرى مع نعيم انتصر فيها ايضاً ثم قبض عليه اسناذه سنة ست وتسعين وحبسه مدة بالقاهرة ثم اطلقه وجعله اتابكاً بدمشق ثم كان ممن عصى على والده الناصر وقام مع تم فأمسك وقتل بقلعة دمشق صبراً فى رجب او شعبان سنة ٨٠٢ وقد أناف على الثلاثين وكان جميلاً كريماً شجاعاً سيوساً يحب العلماء

ويعتقد الفقهاء ذكره ابن خطيب الناصرية وشيخنا اه

(سنة ٧٩٤)

﴿ ذكر عود منطاش وحصره مدينة حلب ﴾

قال ابن اياس في هذه السنة جاءت الأخبار بأن منطاش حضر الى حلب مع جماعة من التركمان فحاصر المدينة فخرج عليه عسكر حلب واوقعوا معه واقعة فكسروه ورجع هارباً الى الفرات . ثم حضر قاصد نعيم بن جبار امير آل فضل على يده كتاب من عند نعيم فكان مضمونه انه ارسل يطلب من السلطان اربع بلاد وهو ياتزم بالقبض على منطاش فقال السلطان للأمير ابي يزيد الدوادار اكتب له كتاباً على لسانك انك ان امسكت منطاش نمطك جميع ماطلبتة وزيادة على ذلك فأرسل اليه الأمير ابو يزيد الدوادار بذلك .

(سنة ٧٩٥)

(ذكر مقتل منطاش وانتهاء فتنته)

قال ابن خلدون في اواخر الجزء الخامس كان منطاش فرم مع سالم الدوكاري الى سنجار واقام معه اياماً ثم فارقه ولحق بنعيم فأقام في احيائه واصهر اليه بعض اهل الحبي بأبنته فزوجها واقام معهم ثم سار اول رمضان سنة اربع وتسعين وعبر الفرات الى نواحي حلب واوقمت به العساكر هناك وهزموهم واسروا جماعة من اصحابه ثم طال على نعيم امر الخلاف وضجر قومه من افتقاد الميرة من اللول فأرسل حاجبه يسأل الأمان وانه يمكن من منطاش على ان يقطع اربع بلاد منها المرة فكتب له الدوادار ابو يزيد على لسانه بالأجابة الى ذلك ثم وفد محمد

ابن (١) سنة خمس وتسعين فأخبر انه كان مقبلاً بسلمية في احيائه
ومعه التركمان المقيمون بشيزر فركبوا اليهم وهزموهم وضرب بعض الفرسان
منطاش فأكبه وجرحه ولم يعرف في المعركة لسوء صورته بما اصابه من الشظف
والخفاء فأردفه ابن نعير ونجا به وقتل منهم جماعة منهم ابن بردعان وابن اينال
وجي برؤسهما الى دمشق واوعز السلطان الى امراء الشام ان يخرجوا بالعساكر
وينفوه الى اطراف البلاد لجمائتها حتى يرفع الناس زروعهم ثم زحف نعير
ومنطاش في العساكر اول جمادى الآخرة من السنة الى سلمية فقيم نائب حلب
ونائب حماة فهزموهما ونهبوا حماة وخالفهم نائب حلب الى احياء نعير فأغار عليها
ونهب سوادها واموالها واستاق نعمها ومواسيها واضرم النار فيما بقي واكن
لهم ينتظر رجوعهم وبلغهم الخبر بحماة فأسرعوا الكر الى احيائهم فخرج عليهم
الكمناة وانحنوا فيهم وهلك بين الفريقين خلق من العرب والأمراء والمماليك
ثم وفد على السلطان اواخر شعبان عامر بن طاهر بن جبار طائفاً للسلطان
ومنابدأ لعمه وذكوان بن نعير على طاعة السلطان وانهم يمكنون من منطاش متى
طلب منهم فأقبل عليه السلطان واتقل كاهله بالأحسان والمواعيد ودس معه الى
بني نعير بأمضاء ذلك ولهم ما يختارونه فلما رجع عامر ابن عمهم طاهر بمواعيد
السلطان تفاوضوا مع آل مهنا جميعاً ودرغوبهم فيما عند السلطان وذكروا ما هم فيه
من الضنك وسوء العيش بالخلاف والانحراف عن الطاعة وعرضوا على نعير ان
يجيبهم الى احدى الحسينين من امساك منطاش او تخلية سبيلهم الى طاعة السلطان
ويفارقهم الى حيث شاء من البلاد فجزع لذلك ولم يسمع خلافهم واذن لهم في
القبض على منطاش وتسليمه الى نواب السلطان فقبضوا عليه وبعثوا الى نائب

حلب فيمن يتسلمه واستحلفوه على مقاصدم من السلطان لهم ولأبيهم نعيم فحلف لهم وبعث اليهم بعض امرائه فأمكنوه منه وبعثوا معه الفرسان والرجال حتى اوصلوه الى حلب في يوم مشهود وحبس بالقاعة وبعث السلطان اميراً من القاهرة فافتحمه وقتله وحمل رأسه وطاف به في ممالك الشام وجاء به الى القاهرة حادي عشر رمضان سنة خمس وتسعين فعلقت على باب القاعة ثم طيف بها مصر والقاهرة وعلقت على باب زويلة ثم دفعت الى اهله فدفنوها في آخر رمضان من السنة والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين اهـ

﴿ بيان مذكوره ابن اياس في هذه السنة من اخبار منطاش الى ان قتل ﴾ قال في هذه السنة جاءت الأخبار من حلب بأن منطاش ونعيراً توجهوا بمن معهم من العساكر الى مدينة حماة فخرج اليهم نائب حماة فأوقع معهم واقعة قوية فانكسر نائب حماة وهرب فدخل منطاش ونعير الى المدينة ونهبوا اسواقها واخذوا اموال التجار فلما بلغ نائب حلب ذلك ركب هو وعساكر حلب وكبس على بلاد نعيم ونهب امواله واخذ امواله ونساءه واحرق بيوته وقتل من عربانه مالا يحصي عدده [ثم قال]

وفيها حضر الى الأبواب الشريفة مملوك نائب حلب واخبر بأن نعيم قبض على منطاش وسلمه الى نائب حلب . وكان سبب امساكه ان نعيم بن جبار ارسل يطلب من نائب حلب اولاده ونسائه الذين اسرهم كما تقدم فأرسل نائب حلب يقول له ما اطلق نساءك واولادك حتى تسلمنا منطاش وكان منطاش قد تزوج من بنات نعيم واستنسل منهم فلما رأى نعيم ان السلطان ونائب حلب عليه وقد نهبوا امواله ومواشيه واسروا اولاده ونساءه قصد ان يرضى السلطان بأمسالك منطاش حتى يزول ما عنده مما جرى منه في حق السلطان كما تقدم ثم ان نعيم اندب الى

منطاش اربع عبيد غلاظ شداد فلما اتوا اليه احس بالشر وكان راكباً على هجين
فزل عنه وركب على فرس فأمسك بمض العبيد لجام الفرس وقال له كلم الامير
نميرا فقال منطاش وايش يعمل بي نمير فتكأثر عليه العبيد وانزلوه عن فرسه
واخذوا سيفه منه فقال لهم منطاش دعوني حتى ابول فقصد الى جانب حائط
وكان في تكته خنجر فشق به بطنه فغشى عليه فحمله العبيد واتوا به الى نمير
فقيده وارسله الى نائب حلب وارسل معه جماعة من العربان حتى اسلمه الى نائب
حلب وكان له يوم مشهود فتسلمه نائب حلب وسجنه بالقلعة وكتب بذلك
مخضراً وارسله الى السلطان فلما تمتق السلطان هذا الخبر خلع على القاصد خلة
عظيمة ودقت الكوسات وزينت له القاهرة سبعة ايام ونسي السلطان لما ظفر
بمنطاش ما قاساه من التعب ومن القهر ومن المال الذي صرفه على التجاريد
فكان كما قيل

اذا اظفرت من الدنيا بقربكم * فكل ذنب جناه الدهر مغفور
ثم ان السلطان عين الامير طولو بن على شاه الى حلب ليحضر منطاش فلما وصل
الى حلب تسلم منطاش وجعل يعاقبه ويعصره ويقرره على الاموال التي غصبها
من البلاد فلم يقر بشئ ودخل عليه النزع فقطع الامير طولو رأسه ووضعها
في علة ثم خرج من حلب وجعل يطوف برأس منطاش في كل مدينة يدخلها
حتى وصل الى القاهرة فكان يوم دخوله الى القاهرة يوماً مشهوداً وزينت
المدينة زينة عظيمة فشقوا برأس منطاش في القاهرة ثم طلوا بها الى القلعة فرسم
السلطان بأن تعلق على باب زويلة فعلقت ثلاثة ايام ثم دفنت وانقضى امر منطاش
ثم ان السلطان ارسل الى نمير خلة واقره على عادته امير آل فضل اه وقتل الامير
نمير سنة ٨٠٨ كما سيأتي في ترجمته في القسم الثاني ان شاء الله تعالى

استيلاء تمرلنك على بغداد وهرب صاحبها السلطان

احمد ابن اويس ومجيبه الى حلب واستعداد المصريين

قال ابن اياس ان الناس ما صدقوا ان فتنة منطاش قد خمدت حتى استأنفت لهم فتنة اخرى وهي انه عقب ذلك حضر طواشي رومي يسمى صفي الدين جوهر ارسله صاحب ماردين فأخبر بأن تمرلنك قد اخذ تبريز ثم حضر عقب ذلك قاصد صاحب بسطام فأخبر بأن تمرلنك قد أخذ شيراز ثم حضر قاصد نائب الرحبة واخبر بأن القان احمد بن اويس صاحب بغداد قد وصل الى الرحبة وهو هارب من تمرلنك وقد احتاط على غالب بلاده وملكها وكان سبب اخذ تمرلنك بلاد القان احمد بن اويس ان تمرلنك ارسل الى القان احمد كتاباً يترفق له فيه ويقول له انا ما جشك محارباً وانما جشك خاطباً اتزوج باختك وازوجك بتي ففرح القان احمد بذلك وظن ان هذا الكلام صحيح فكان كما قيل في المعنى لا تركزن الى الخريف فئاؤه * مستوخم و هواؤه خطاف

يمشى مع الاجسام مشي صديقها * ومن الصديق على الصديق يخاف

وكان القان احمد استعد لقتال تمرلنك وجمع له العساكر فلما اتى قاصد تمرلنك بهذا الخبر ننى عزمه عن القتال واستعاد من العسكر الذين قد جمعهم ما اعطاهم من آلة القتال وصرف همته عن القتال فلم يشعر الا وقد دهمته عساكر تمرلنك من كل مكان فضاقت بهم رحب الفضاء فخرج اليهم القان احمد بمن بقي معه من العساكر فبينما القان يقع مع عسكر تمرلنك اذ فتح اهل بغداد بقية ابواب المدينة وقد خافوا على انفسهم مما جرى عليهم من هولاء كوايام الخليفة المستعصم بالله فلما رأى تمرلنك ابواب المدينة مفتحة دخل الى المدينة وملكها ولم يجد من يرده عنها

فلما بلغ القان احمد ذلك ما امكنه الا الهرب فأقى الى جسر هناك فعدى من فوقه ثم قطعه فلما بلغ عسكر تمرلنك تتبعوا القان احمد وخاضوا خلفه الماء فهرب منهم فتبعوه مسيرة ثلاثة ايام فلما حصلت له هذه الكسرة قصد التوجه الى الديار المصرية ثم حضر قاصد نائب حلب واخبر بأن القان احمد بن اويس قد وصل الى حلب

فلما تحقق السلطان صحة هذا الخبر جمع الامراء واستشارهم فيما يكون من امر القان احمد فوقع الاتفاق من الامراء على ان السلطان يرسل اليه الاقامات ويلقيه فعند ذلك عين السلطان الامير ازدرم الساقى وصحبته الاقامات وما يحتاج اليه القان احمد من مال وقماش وغير ذلك فخرج الامير ازدرم على جياد الخيل . ثم عقب ذلك حضر الى الابواب الشريفة قاصد ابى يزيد مراد بك بن عثمان ملك الروم على يده تقادم عظيمة للسلطان وكان سبب عجبى قاصد ابن عثمان (رسول السلطان بايزيد رحمه الله) انه ارسل يخبر السلطان بأمر تمرلنك ويحذره عن الغفلة في امره . ثم حضر قاصد ماردين واخبر بأن تمرلنك ملك بلاد الاكراد وان تمرلنك حاصر البصرة ورجع عنها بخفي حين بعد ان قتل من عسكره ما لا يحصى .

فلما تواترت الاخبار بذلك رسم السلطان للأمر علاء الدين بن الطبلاوي والى القاهرة بأن ينادى في القاهرة للمسكر بالعرض في الميدان بسبب تمرلنك الخارجي وجعل يكرر هذه المنسادة ثلاثة ايام متوالية بأن لا يتأخر عن العرض لا كبير ولا صغير وعلق الجباليش فاضطربت احوال الديار المصرية وما صدق المسكر بأن فتنة منطاش قد خمدت فانتشت لهم هذه الفتنة العظيمة فكان كما قيل في المعنى وتقبل ما برحنا * نتمنى البعد عنه * غاب عنا ففرحنا * جاءنا اتقل منه

سنة ٧٩٦

وصول القان احمد الى الديار المصرية واستيلاء تمرلنك
(على ديار بكر والرها وخروج السلطان برقوق مع القان احمد الى دمشق)

قال ابن خلدون في أواخر الجزء الخامس لما استولى تمرلنك على بغداد وانهزم
منه صاحبها القان احمد بن اويس وصل احمد الى الرحبة من تخوم الشام فأراح
بها وطالع نائبها السلطان بأمره فسرح بهض خواصه لتقلية بالنفقات والازواد
وليستقدمه فقدم به الى حلب واراح بها وطرقه مرض ابطاً به عن مصر وجاءت
الاخبار بان تمرلنك عاث في مخلفه واستصفي ذخائره واستوعب موجود اهل
بغداد بالمصادرات لأغنيائهم وققرائهم حتى مستهم الحاجة واقفرت جوانب
بغداد من العيث ثم قدم احمد بن اويس على السلطان بمصر في شهر ربيع سنة
ست وتسعين مستصرخاً به على طلب ملكه والانتقام من عدوه فأجاب السلطان
صريحه ونادى في عسكره بالتجهيز الى الشام وقد كان تمرلنك بعد ما استولى على
بغداد زحف في عساكره الى تكريت مأوى المخالفين وعش الحرابة ورصد
السابلة واناخ عليها يجموعه اربعين يوماً فحاصرها حتى نزلوا على حكمه وقتل
من قتل منهم ثم خربها واقفرها وانتشرت عساكره في ديار بكر الى الرها
ووقفوا عليها ساعة من نهار فلكوها وانتسفوا نعمها واقترق اهلها وبلغ الخبر
الى السلطان فحيم بالريدانية اياماً ازاح فيها علل عسكره وافاض المطاء في
مماليكه واستوعب الحشد من سائر اصناف الجند واستخلف على القاهرة النائب
سودون وارتمحل على التعبئة ومعه احمد ابن اويس بعد ان كففاه مهمه وسرب
النفقات في تابعه وجنده ودخل دمشق آخر جمادى الاولى وقد كان اوغز الى

جلبان نائب حلب بالخروج الى الفرات واستنفر العرب والتركمان للأقامة هناك رسداً للعدو فلما وصل الى دمشق وفد عليه جلبان وطالعه بمهياته وما عنده من اخبار القوم ورجع لأنفاذ اوامره والفصل فيما يطالعه فيه وبعث السلطان على اثره العساكر مدداً له مع كمشيفا الأتابك وتكلمش امير سلاح واحمد بن بييغا وكان العدو قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها اشهرراً وملكها وعانت عساكره فيها واكتسحت نواحيها وامتنعت عليه قلعتهما فارتحل عنها الى ناحية بلاد الروم وصر بقلاع الأكراد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا المهدي وهو شعبان سنة ست وتسعين مقيم بدمشق مستجمع لنطاحه والوثبة به متى استقبل جهته اه

﴿ ذكر وصول السلطان برقوق الى حلب ﴾

﴿ ورجوع تمرلنك الى بلاده ورجوع القان احمد بن اويس الى بلاده ايضاً ﴾ قال ابن اياس ان السلطان رحل من الريدانية وصحبته القان احمد ابن اويس وسائر الأمراء وجد في السير حتى وصل الى دمشق يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الآخر فلما دخلها نزل بالقصر الأبلق الذي في الميدان وحكم بين الناس واقام بالشام اياماً ثم رحل عنها وتوجه الى حلب فلما اقام بحلب حضر اليه قاصد من عند ابن عثمان (السلطان بايزيد رحمه الله) وعلى يده مطالعات مضمونها ان يكون هو والسلطان يداً واحدة على دفع العدو الباغي تمرلنك فأجابه السلطان الى ذلك ورد له الجواب عن ذلك بما يطيب خاطره ثم حضر اليه قاصد طقتمش خان صاحب بسطام وعلى يده مطالعات تتضمن ما قاله ابن عثمان فأجابه السلطان كما اجاب ابن عثمان فلما اقام السلطان بحلب بلغه ان جاليش عسكر

تمرنك قد وصل الى البيرة فصار جماعة من عسكر السلطان يعدون تحت الليل من الفرات ويكبسوا عليهم فغنموا من عسكر تمرلك اشياء كثيرة فقيل ان عسكر مصر كانوا ينفخون القرب ويحطلونها تحت بطون الخيل ويعدون من الفرات تحت الليل حتى يقفوا مع عسكر تمرلك . ثم باغ السلطان ان تمرلك رجع الى بلاده (١) ولما تحقق السلطان ذلك قصد الرجوع الى الديار المصرية وكذلك القان احمد بن اويس رجع الى بلاده ولم يقع بين السلطان وبين الملك الظاهر برفوق قنال في هذه المرة بل رجع كل من الفريقين الى بلاده

﴿ تعيين الامير تغري بردى الى حلب ﴾

ثم ان السلطان رجع الى الشام فأقامها اياما وخلع على المقر السيفي تغري بردى ابن يشبغا واستقر به نائب حلب ثم قال في حوادث سنة ٧٩٧ ان السلطان وصل الى القاهرة ثالث عشر صفر ودخلها في موكب عظيم وفي روض المناظر كانت اقامة السلطان بحلب اربعين يوماً

﴿ بناء الامير تغري بردى جامع في محلة السفاحية ﴾

قال في الدر المنتخب ومنها جامع تغري بردى نائب حلب ثم دمشق بالقرب من الأسفريس وحارة التركمان بناء حين كان نائبا بحلب سنة ستة وتسعين وسبعمائة وكان قد اسسه ابن طومان اه

وقال ابن الخطيب في الدر المنتخب في ترجمة علي بن محمد الصرخدى لما بنى الأمير تغري بردى جامعه المشهور بالأسفريس فوض اليه تدريس الشافعية به فحضره ودرس فيه بحضور ملك الأمراء المشار اليه يوم الجمعة بمد الصلاة اه

(١) اقول يظهر ان سبب رجوعه استعداد الدولتين المصرية والعثمانية لملاقاته فكان كما نقواه
هذه سياسي العصر الاستعداد للحرب يمنع الحرب

اقول موقع الجامع في المحلة المعروفة الآن بالسفاحية وقد اشتهر بالموازيني لأن المتواين عليه من نحو مائة سنة الى الآن بنو الموازيني وقد قام الحاج محمد الموازيني بأمر هذا الجامع احسن قيام ورمه وبلط صحته وعاد الى حالته الاولى وكذلك رمم اوقافه وقد توفي في السنة الماضية وهي سنة ١٣٤١ وكان رحمه الله رجلاً صالحاً ورعاً حافظاً لكتاب الله تعالى بخطب بهذا الجامع بغير معلوم المكتوب على بابه

اشأ هذا الجامع المبارك في ايام مولانا الغازی المالكی الملك الظاهر ابی سعید برفوق خلد الله ملكه المقر الأشرفی العالی المولی الكافلی المالكی الظاهری كافر المملكة الشريفة بحباب المحروسة اعز الله تعالى انصاره والبسه من التوفيق حلًا وذلك سنة ٧٩٧

وفي جدار قبليّة الجامع بجانب المحراب لوح من دف بديع الصنعة طوله اربعة اشبار وعرضه ثلاثة وقد كتب عليه تاريخ عمارة الجامع وهو (١) انشاء المقر الاشرف العالی المولوی الامیري السيفی تغری بردي المالكی الظاهری عز نصره (٢) بتولى المقر الكريم شهاب الدين احمد بن التيزيني وذلك في سنة تسع وتسعين وسبعمائة

وفي وسط اللوح اطرافه كتابات بالخط الكوفي ومكتوب عليه ايضاً (٤ احمد الليثي) ومكتوب على قنطرة المنبر

منبر جامع محاسن فضل * ذلك الجمع ماله من نظير

خص عزاء الجمعة وخطاب * عن رسول مبشر ونذير

قد بنسأ لله تغری بردي * كي يمازى يجنة وحرير

وفي القبليّة عامودان عظيمان من الحجر الأحمر السماقي وعمودان من الحجر الأسود

وسقف المحراب منقوش بالحجارة الصغيرة وفوق المحراب حجر مكتوب بالخط الكوفي من الجهات الاربعة (لا اله الا الله محمد رسول الله) وفي وسطها (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم)

ما احدث في زمن تفري بردي في الجامع الكبير

في جدار الرواق الشمالي بجانب الحنفيات حجر مكتوب عليه (١) امر بإنشائه مولانا المقام الأعظم السلطان الملك الظاهر ابو سعيد برقوقى عن نصره (٢) في ايسام المقر السيفي تفري بردي كافل المملكة الحلبية عن نصره بتولى العبد (٣) الفقير الى الله تعالى حمزة الجعفري الحنفي في شهور سنة سبع وتسعين وسبعمائة اه تحت هذه الكتابة باب كان يخرج منه الى خلا احدته الشيخ حمزة المذكور في هذه السنة الا ان الراضحة كانت تخرج منه الى الجامع فسد هذا الباب وابطل الخلا من هذا الموضع واتخذ غربى الباب الشمالى ثم انه ابطل من هذا المكان خوفاً على المأذنة واتخذ موضعه مكتبا وفتح له باب في صحن الجامع واه وظيفة عثمانية والآن هو سكن الامام الحنفي الجهري (١) ونقلت المطهرة الى نجاه الباب الاصلى نقلها الحاج حسن ابن الاميري وجعلها في غاية السعة وجعل بابها من خارج الباب الشمالى وذلك سنة ١١٦٩ وجعل لها بابا آخر من داخل الجامع في قرنة الرواق الشمالى كى لا يمتنع دخول المجاورين بالمسجد ليلاً الى الخلا ثم سد هذا الباب من آخر المدخل فصار حجرة صغيرة يوضع فيها لوازم الجامع وربما سكنها بعض الخدم

(١) هى الحجرة التى عن يسار الداخل من باب المحلوبة

سنة ٧٩٩

ذكر تولية حلب للأمير ارغون شاه

قال في روض المناظر في هذه السنة طلب الامير تفرى بردى الى مصر واستقر بها اميراً كبيراً واستقر عوضه بحلب ارغون شاه نقل اليها من طرابلس وكان قبلها نائباً بصفد واقام بحلب شهوراً ومات

قال ابن اياس وفي هذه السنة جاءت الاخبار من حلب بأن جاليس تمرلك قد وصل الى اطراف بلاد الروم واخذ مدينة تسمى ارزنكان [آذربيجان] وقتل اهلها ونهب ما فيها فلما سمع السلطان ذلك ارسل الى سائر النواب بأن يتوجهوا الى شاطي الفرات ويحصنوا البلاد فخرج سائر النواب الى شاطي الفرات واقاموا هناك سنة (٨٠٠)

﴿ ذكر تعيين الامير علاء الدين اقبغا لنيابة حلب ﴾

قال في روض المناظر في هذه السنة استقر في نيابة حلب الأمير علاء الدين اقبغا الهذباني عوضاً عن ارغون شاه

(سنة ٨٠١)

﴿ وفاة الملك الظاهر برقوق بن انص العثماني ﴾

قال ابن اياس كانت وفاته خامس عشر شوال من سنة احدى وثمانمائة وكان مدة سلطته ست عشرة سنة واربعة اشهر وعهد بالملك بعده لولده المقر الزيني فرج ولقب الملك الناصر ابو السعادات وله من العمر اثنتا عشر سنة



﴿ ذكر استيلا السلطان بايزيد على ملطية ﴾

﴿ وورود الأخبار بقصده حلب ثم رجوعه الى بلاده ﴾

من ابن اياس في اواخر هذه السنة جاءت الأخبار من حلب بأن ابن عثمان ملك الروم قد تحرك على بلاد السلطان وقد وصل اوائل جاليشه الى بلاد الأبلستين (البستان) وهو قاصد حلب فلما بلغ السلطان والأمرأ هذا الخبر امر الأتابكي ايتمش بعقد مجلس بالقصر الكبير فحضر امير المؤمنين المتوكل والقضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين البقيني وسائر الأمرأ وضربوا مشورة في امر ابن عثمان فوقع الأتفاق على محاربتة والخروج اليه وان يؤخذ من اجرة الاملاك شهر واحد يتقوي بها المسكر على دفع العدو ثم بعد مدة جاءت الأخبار بأن ابن عثمان وصل الى ملطية وملكها ولم يشوش على احد من اهلها وامر عسكره بان لا ينهبوا الاحد من الرعية شيئاً فاقام بملطية اياماً ثم رجع الى بلاده فبطل امر التجريد وسكن الحال .

(سنة ٨٠٢)

ذكر عصيان ثم نائب الشام واقبيغا الجمالى نائب حلب

وبقية نواب البلاد الشامية ومحاربتهم للسلطان فرج وتعيين دمرdash الخاصكى لنيابة حلب

قال ابن اياس لما توفي الملك الناصر فرج خرج ثم نائب الشام عن الطاعة واطهر العصيان ووضع يده على البلاد الشامية وواقفه على العصيان نائب حلب ونائب حماة ونائب صغد ونائب طرابلس والتف عليه من العسكر والعربان مالا يحصى عددهم ثم اتهم اليهم الأتابكى ايتمش بعد ان انكسر في محاربتة للسلطان بمصر وخلاصة

الامر ان السلطان خرج اليهم والتقى الجمعان بارض فلسطين وانكسر تم وامسك هو وجماعة من الامراء وقتلوا وعاد السلطان الى الديار المصرية منصوراً وقرر في نيابة دمشق خاله سودون وفي نيابة حلب الامير دمرداش المحمدي الحاصكي

ذكر مجيئ مقلمة تمرلنك الى نواحي ملطية وتوجهه عسكر

حماة وحلب الى محاربتهم وانكسار هذين

قال ابن اياس في ذي القعدة حضر مملوك نائب حلب واخبر بأن القان احمد بن اويس صاحب بغداد وقرا يوسف امير التركان حضر اليهم جاليش تمرلنك فأوقعوا معهم واقعة عظيمة فانكسر جاليش تمرلنك فلما انكسروا اتوا الى ملطية وكانوا نحو سبعة آلاف فارسلوا الى نائب حلب يقولون له عين لنا مكاناً نزل به فلما سمع نائب حلب بذلك ركب هو ونائب حماة وتوجهوا الى عسكر تمرلنك فأوقعوا معهم واقعة عظيمة فانكسر نائب حماة وقتل من عسكر حلب جماعة كثيرة منهم جاني بك اليحياوي انابك المساكر بحلب واسر نائب حماة دقاق المحمدي حتى اشترى نفسه منهم بمال جنريل ورجع نائب حلب الى حلب وهو مكسور وكانت هذه اول الفتن بين عسكر مصر وبين تمرلنك فلما بلغ السلطان ذلك رسم لنائب الشام ونائب صغد ونائب طرابلس بأن يجمعوا المساكر ويتوجهوا الى حلب يقيمون بها

اصل تمرلنك وشيئ من احواله الى ان استفحل ملكه

والكتاب الذي ارسله الى الملك الظاهر برقوق صاحب مصر وجواب هذا الكتاب والاسباب التي دعت الى الرجوع الى هذه البلاد وبجئته الى سيواس والبستان ثم عينتاب وقلعة الروم ثم الى حلب وما فعله بهذه

البلاد ثم مجلب من الفطائع وعظيم الجرائم والاسئلة التي سأل عنها علماء
الشهباء واجاب عنها القاضي عجب الدين ابو الوليد محمد بن الشحنة
وتوجهه الى الشام وعوده منها الى اطراف حلب ثم رجوعه الى بلاد
[الشرق ووفاته وما آل اليه امر ملكه وملك بنيه]

قال العلامة الدحلاني في تاريخه الفتوحات الاسلامية كان ظهور تيمرلنك في
اواخر القرن الثامن بالديار الهندية وخراسان والعراق وكان ظهوره من
اشد المحن والبلايا على هذه الأمة افسد في الارض واهلك الحرث والنسل وهو
وان كان يدعي الاسلام الا ان قتاله مثل قتال الكفار لانه فعل افعالاً مع
المسلمين اكثر مما تفعله الكفار من القتل والأسر والتخريب وكان رافضياً شديداً
الرفض وسبب خروجه ان ملوك التتر اقتسموا الممالك وانتشرت الفتن بينهم
مع بعضهم وكثر عليهم الثوار والخارجون وكان ذلك كله سبباً لضعف دولة
التتر وموجباً لقيام تيمور وغيره

واختلفوا في نسب تيمور فقيل ان نسبه ينتهي الى جنكزخان ملك التتر وفي
تاريخ ابن خلدون ان تيمور ينسب هو وقومه الى جفطاي بن جنكزخان وجزم
بعضهم بأن نسبه الى جفطاي بن جنكزخان انما هو من جهة امه لامن جهة ابيه
وكان اول ظهوره سنة سبعمائة وثلاث وسبعين وارضه بعضهم بقوله [عذاب
٧٧٣] وكان مبدأ امره وأمر ابيه انها كانا فقيرين وكان ابوه اسكافياً من قرية
من اعمال كش وهي مدينة من مدائن ما وراء النهر ونشأ ولده تيمور جلدأ
قويًا ذا جسم غليظ فكان لشدة فقره يسرق كثيراً فسرق في بعض الليالي شاة
واحنملها فشعر به الراعي فرماه بسهمين اصاب بأحدهما فخذه وبالأخر كنفه
فأعابها فكان اعرج اليمناوين ولذلك كان يقال له نصف انسان ومع هذا لم

يترك السرقة وما زال كذلك حتى اشتهر امره وافساده فظفر به السلطان حسين ملك هراة فأمر بضربه ثم بصلبه فضرب ثم تشفع في ترك صلبه الامير غياث الدين ابن السلطان حسين المذكور فقال له ابو حسين هذا اصل مادة الفساد لئن بقي ليهلكن العباد والبلاد فقال له ابنه غياث الدين وما عسى ان يصدر من نصف آدمي وقد اصيب بالدواهي فما زال يراجع اياه حتى قبل شفاعته ووجهه له وعنى عنه ثم ان غياث الدين اصطحبه معه وقربه وادناه وجعله من خواصه وزوجه اخته ورقاه حتى صار من وزرائه فلما صار الملك لغياث الدين بعد موت ابيه حسين ازدادت منزلة تيمور و صار مقدماً على كثير من الجند فظنى وبنى على مولاه غياث الدين ومبدأ ذلك ان زوجة تيمور وهى اخت السلطان غياث الدين وقع بينها وبين تيمور شئاً اغضبه فقتلها ولم يراع حرمة مولاه ثم لم يسمه الامر الا بالخروج على السلطان غياث الدين وخلع الطاعة واقعد غارب التمرد والظنيان فتمالك بما كان تحت يده من الجند كثيراً من الممالك حتى استصفي ممالك ماوراء النهر وذلت لأوامره ملوك الدهر وشرع في استخلاص بقية البلاد واسترقاق العباد فكان يجرى في جسد العالم مجرى الشيطان من بنى آدم ويدب في البلاد دبيب السم في الاجساد ثم ارسل الى مخدومه سلطان هراة الملك غياث الدين يطلب منه الدخول في طاعته ليجازيه على احسانه بأسيائه فيتحقق بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم [كتب الله على كل نفس خبيثة ان لا تخرج من الدنيا حتى تسبى الى من احسن اليها]

فأرسل غياث الدين يقول له اما كنت خادماً لى واحسنت اليك واسبت ذيل نعمتى عليك وذلك بعد ان نجيتك من الضرب والصلب فان لم تكن انساناً يعرف الاحسان فكن كالكلب فلم يصنع لذلك بل عبر جيحون بمن معه من الجند

وتوجه الى محاصرة مولاه غياث الدين بهراة ولم يكن لغياث الدين قوة الى قتاله والوقوف بين يديه فخصن نفسه في القلعة فحاصره وضيق عليه ثم امنه وقبض عليه وحبسه ومنع عنه الطعام والشراب حتى مات جوعاً وعطشاً ثم عاد الى خراسان فانتقم اولاً من اهل سجستان فوضع السيف فيهم فأفناهم عن آخرهم ثم خرب المدينة ورحل عنها ولم يزل هذا دأبه حتى تخلص له جميع ممالك المعجم ودانت له ملوكهم والأمم

وقدمنا في حوادث سنة ٨٩٥ استيلائه على بغداد وانهازم صاحبها السلطان اويس بن احمد وعيَّنه الى حلب ثم توجهه منها الى القاهرة وخروج السلطان برقوق بالعساكر المصرية الى حلب واستعداده تمام الاستعداد لملاقاته فلما بلغ ذلك تيمور رجع الى بلاده وكانت وفاة الملك الظاهر برقوق سنة ٨٠١

كتاب تيمرلنك الى الملك الظاهر برقوق

قال القرمانى في تاريخه في ثالث عشر صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة حضرت رسل تيمرلنك وهم اربعة ومعهم كتاب نسخته بعد البسمة الشريفة : قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اعلما اننا جند الله في ارضه مخلوقون من سخطة مسلطون على من يحل عليه غضبه لا نرق لشاك ولا نرحم عبرة بالك قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا قد خربنا البلاد ويتمنا الاولاد واطهرنا في الارض الفساد خيولنا سوابق وسيوفنا صواعق وسهامنا خوارق وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال وجارنا لا يضام من سالنا سلم ومن رام حربنا ندم فأن انتم قيام شرطنا واطعتم امرنا فلنكم مالنا وعليكم ما علينا وان انتم خالفتم وعلى بئكم تماديتم فلا تلوموا الا انفسكم وذلك بما كسبت ايديكم فالحصون لا تمنع والعساكر لا ترد

ولا تدفع لانكم اكلتم الحرام وضيعتم الجمع فابشروا بالمذلة والهوان فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بنير الحق وبما كنتم تفسقون ويقولون انه قد صبح عندكم اننا كفيرة فقد ثبت عندنا انكم فجرة وقد سلطنا عليكم من بيده امور مدبرة واحكام مقدره فعزيزكم عندنا ذليل وكثيركم لدينا قليل وقد اوضحنا لكم الخطاب فاسرعوا برد الجواب قبل ان ينكشف الغطا ويدخل علينا منكم الخطا وتزوي الحرب نارها وتلقى اوزارها وتدهون منابا عظم داهية ولا يبقى لكم باقية وينادي عليكم منادي الفناء هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركرا الآن قد انصفناكم اذ راسلناكم فردوا رسلنا بجواب هذا الكلام والسلام

جواب هذا الكتاب من الملك الظاهر برقوق

قال القرمانى فلما سمع السلطان هذا الكتاب اغتاض غيظاً عظيماً وامر بتوسيط الرسل [بقتلهم] فوسطوا وعلقوا وامر بكتب جواب فكتب ذلك بأنشاء ابن فضل الله العمري رحمه الله تعالى ونسخته كما في القرمانى وتاريخ تيمور لأبن عمر بشاه [بسم الله الرحمن الرحيم] قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شي قدير حصل الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة الايلخانية والسدة العظيمة الكبيرة السلطانية قولكم انكم مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه وانكم لا ترفون لشاك ولا ترحمون عبرة بآك وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم فذلك من اكبر عيوبكم وهذه صفات الشياطين لا صفات السلاطين [قل يا ايها الكافرون لا اعبدوا ما تعبدون] ففي كل كتاب لعنتم وعلى لسان كل رسول بالسوء ذكركم وبكل قبيح وصفتم وعندنا العلم بكم من حين خلقتم وانتم الكفرة كما زعمتم الا لعنة الله

على الكافرين نحن المؤمنون حقا لا يدخلنا عيب ولا يخامرنا ريب القرآن على
 نبينا نزل والرب بنا رحيم لم ينزل انما النار لكم خلقت ولجلودكم اضرمت اذا السماء
 انفطرت ومن اعجب العجائب تهديد الرتوت باللثوت والسباع بالضباع والكمات
 بالكرع ونحن خيولنا برفية وسهامنا بمنية وسيوفنا شديدة المضارب وذكرونا في
 المشارق والمغرب ان قتلناكم فنعم البضاعة وان قتلنا فيننا وبين الجنة ساعة
 | ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون] وقولكم
 قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال فالقصاب لا يبالي بكثرة الغنم وكثير الجطيط
 يكفيه قليل من الصرم] كم من فئة قليلة غابت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين]
 الفرار الفرار من الرزايا لا من المنايا ونحن من الطمانينة على عادة الامينة ان قتلنا
 فشهداء وان عشنا كنا سعداء] [الا ان حزب الله هم الغالبون] ابعده امير المؤمنين
 وخليفة رسول رب العالمين [يعنى الخليفة العباسي الذي كان اذ ذاك بمصر]
 تطلبون منا طاعة لاسمعا لكم ولا طاعة وطلبتم ان نوضح لكم امرنا قبل ان
 ينكشف الغطا ويدخل علينا منكم الخطا هذا الكلام في نظمه تركيك وفي سلكه
 تفكيك لو كشف لبان بعد التبيان اكفر بعد ايمان واتخاذ رب تان] لقد جنتم شيئا
 اذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا] قل لكاتبك الذي
 وضع رسالته ووصف مقالته وصل كتاب كصير الباب او كطين الذباب
 [فسنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا] وما لكم عندنا الا السيف بقوة
 الله تعالى .

قال الدحلاني فلما وصل الكتاب الى تيمور غضب غضباً شديداً وكان الله القى
 الرعب في قلب تيمور من السلطان برقوق فرجع الى بلاده
 اقول يستفاد من كلام ابن عريشاه في تاريخه عجائب المقدور انه في هذا الأثناء

وافته الأخبار ان سلطان الهند فيروز شاه توفي الى رحمة الله ولم يكن له ولد
يكون له خليفة واضطربت احوال بلاد الهند وولى الاهلون وزيراً اسمه ملوا
وصارت بلاد الهند فرقاً وطوائف فوجد ان توجهه الى بلاد الهند والاستيلاء
عليها لعظم النعمة اولى من مجيئه الى الديار المصرية ومحاربة برقوق فكر راجعاً
الى بلاد الهند واستولى عليها وبسط القول في ذلك .

قال ابن عربشاه وبينما هو في الهند وقد استولى على كرسي الهند واهصاره واحتوى
على ممالكه واقطاره وبلغت مراسيمه ذري انجاده واعماق اغواره وانبت جيشه
في ولايتها سهلاً ووعراً وظهر فسادهم في رعاياها براً وبحراً وقد عليه المبشر
من جانب الشام (وذلك في سنة احدى وثمانمائة) ان القاضي برهان الدين
احمد السيواسي والملك الظاهر ابا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام فسر بذلك
صدره والشرح وكاد ان يطير الى جهة الشام من الفرح فنجز بسرعة امور
الهند ونقل الى مملكته من فيها من العسكر والجند بما اخذه من الأتقال ونفائس
الأموال ووزع ذلك على الجمهور وسائر الجند المأسور على اطراف ما وراء النهر
من الحدود والثغور واقام في الهند نائباً ثم صدر عن سمرقند قاصداً الى الشام
ومعه من الهند رؤس اجنادها ووجوه اعيانها .

قال في روض المناظر وفي سنة ثلاث وثمانمائة شاعت الأخبار بأن تيمورلنك حين
عاد من اخذ بلاد الهند بلغه وفاة السلطان الملك الظاهر برقوق فاستبشر لذلك وانعم
على مخبره بجملة مستكثرة وكان في نفسه من قتله رسله ومن اخذ ابن عثمان (السلطان
بايزيد رحمه الله) سيواس وملطية واخذ السلطان احمد بنغداد فقصده بلاد الشام ومعه
من المساكر مالا يحصى اخبرني المحافظ الخوارزمي ان بديوان عسكره المختصة به
ثمانمائة الف وانه اجتاز علي سيواس وحاصرها واخذها بعد ان حلف لأهلها

انه لا يضع فيهم السيف فلما تمكن منهم حفر لهم حفائر ودفنهم فيها احياء قيل كانوا ثلاثة آلاف مسلم ثم حرقها وخربها وتوجه نحو البستان فوجد اهلها قد اخلوها فأحرقها وخربها ثم توجه الى ملطية فهرب من كان بها فأخذها وخربها ثم اجتاز على بهسنى فحاصرها ونصب عليها المنجنيق وهدم بعض قلعتها ثم اخذها صلحا وقصد قلعة المسلمين (١) وكان نائبها فارس المسلمين المقر الأشرف الناصري محمد بن المرحوم الشريف موسى بن شهري سبط مولانا السلطان المشار اليه في اول الكتاب وكان قد بدع بجماعة تمرلنك وطواشيه مدة اقامته على بهسنى وقتل منهم جماعة وارسل رؤسهم الى حلب وكسر قوماً من الذين جهزهم اليه اربع كسرة حتى رمى غالب جماعته نفوسهم في الفرات وجهرت تمرلنك كتاباً الى المشار اليه يقول فيه اننى خرجت من اقصى بلاد سمرقند ولم يقف احد اماسى وسائر ملوك البلاد حضروا الي و انت سلطت على جماعتي من يشوش عليهم ويقتل من يظفر بهم والآن قد مشيا عليك بعساكرنا فان اشفقت على نفسك ورعيتك فاحضر الينا لترى من الرحمة والشفقة مالا مزيد عليه والا نزلنا عليك وخربنا بلدك وقد قال الله تعالى (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون) فاستعد لما يحيط بك ان ابيت الحضور .

فأمسك المشار اليه الرسول وحبسه ولم يلتفت الى كتاب تمرلنك فشى عليه اوائل عسكره فبرز اليه المشار اليه وقابلهم وكسرهم وفي اليوم الثاني حضر تمرلنك ونزل على قلعة المسلمين فبرز اليه المشار اليه وقاتله قتالاً شديداً وكانت وقعة عظيمة ولما

[١] من هنا الى قوله من السلالة الطاهرة العمرية غير موجود في النسخة المطبوعة من روض المناظر على هامش ابن الأثير وقد وجدت هذه الزيادة في نسخة خطية منه وبتمامها سقطت من النسخة المطبوعة

رأى تمرلنك شدة حزمه رجع عن محاربتة واخذ في مخادعته وملاطفته وطلب
 الصلح وان يرسل اليه خيلاً ومالاً لأجل حرمة فلم ينخدع معه وتنازل معه الى
 ان طلب منه حامياً فلم يعطه وعاد خائباً واخذ المشار اليه في اواخره نهياً وقتلاً
 واسراً كل ذلك وباب قلعة مفتوح ولم يغلقة يوماً وانشد فيه لسان الحال
 هذا الأمير الذي صحت مناقبه * ليث الوغى عمت الدنيا مفاخره
 ولى تمرلنك مكسوراً اوائله * منه مراراً ومذعوراً اواخره

وكان حصول تلك السعادة للمشار اليه دون غيره من الملوك واصحاب الحصون لما
 كان فيه من العلم والديانة والأخلاص والعيانة ولكونه من السلالة الطاهرة العمرية .
 قال ابن عربشاه لما أتى تيمور الى قلعة الروم كان نائبها الناصري محمد ابن موسى
 ابن شهزي فأقام بها يوماً ثم تركها ورحل عنها الى عيتاب وكان نائبها اركاش
 فحسبها واستمد وبأشر القتال بنفسه ثم لما علم ان لا طاقة له بتيمور هرب الى
 حلب واستولى تيمور على عيتاب ثم ارسل وهو في عيتاب رسولاً الى نائب
 حلب ومعه كتاب له طلب فيه منه ان يطيع او امره وان يكف عن القتال وان
 يسلمه اطلاقاً زوج بنت اخوت تيمور وكان هذا اسيراً في مصر كان اسره
 التركان وارسلوه الى مصر قبل هذه المدة فلم يجب الى شيء مما طلبه وقتل سودون
 نائب دمشق الذي كان وقتئذ موجوداً في حلب مع بقية نواب البلاد الشامية
 رسول تمرلنك قبل ان يسمع كلامه وضرب رأسه على رؤس الأشهاد وبشس ما فعل
 قال في روض المناظر ولما كان يوم الخميس تاسع ربيع الأول نازل الملعون حلب
 وكان نائبها المقر السبني دمرداش الخاصكى وقد حضرت اليه عساكر المملكة
 الشامية عسكر دمشق مع نائبها سيدي سودون وعسكر طرابلس مع نائبها المقر
 السبني شيخ الخاصكى وعسكر حماة مع نائبها دقاق وعسكر صفد وغزة

قال ابن عربشاه ما خلاصة معناه ثم ان النواب تشاوروا كيف يتكفون
 تيمورلنك فقال البيض الرأي ان نحصن البلد ونكون على الأسوار فاذا جاء العدو
 نحاربه من الأسوار فقال له بعض الأمراء هذا اشارة المعجز والرأي ان نخلق
 حوايلها ونمنع العدو من الوصول اليها ويكون ذلك افسح للمجال ثم ذكر كل
 من الأمراء ما عن له في ذلك ثم قال المقر السيفي شيخ الذي صار ملكاً بعد
 ذلك وكان ذا رأي سديد وهو اذ ذلك نائب طرابلس ان العدو عظيم امره كثير
 عدده لكنه وان كان كذلك فهو اعمى لأنه غريب عن البلاد والرأي عندي
 ان نحصن المدينة ونكون خارجها في جانب واحد ثم نحفر حولنا خنادق ونطير
 الى الآفاق اجنحة البطايق الى الأعراب والأكراد والتراكمة وعشرات البلاد
 فيتسلطون على العدو من الجوانب ويصير بين قاتل وناهب فأن اقام وأنى له
 ذلك ففي شر مقام وان تقدم الينا صالحناه وان رجع رجع بجنية وهو المرام
 وواقفه على هذا الرأي شاه منصور

فقال دمرداش وهو اذ ذلك نائب المدينة الأولى ان نناجزه والمناضلة خير من
 المطاولة واذا لم نناجزه آنس منا الوهن وخور العزيمة واخذ يحرصهم على ذلك
 ومما قاله انا اذا كسرناهم فنزنا بالمرام وكفينا عسكر المصريين المؤنة واذا كانت
 الكرة علينا نكون قد بذلنا المجهود واقمنا عذراً لدى السلطان برقوق

قال ابن عربشاه ولا زال دمرداش يحسن لهم هذا الرأي الفاسد حتى اجموا
 عليه واتفقوا على الخروج الى تيمورلنك لأنه كان صاحب البلد وكان في الباطن
 موافقاً لتيمور

ثم انهم حصنوا المدينة واوعدوا ابوابها ووكلوا بكل حارة وشحلة اصحابها وفتحوا
 البابين المقابلين للجهة التي نزل فيها تيمورلنك وهما باب النصر وباب القنطرة

ويوم وصوله وهو يوم الخميس تاسع ربيع الأول برز من عسكر تيمورلنك الفا رجل فبرز اليهم من المساكر الشامية ثلثمائة فهزمهم هؤلاء.

ويوم الجمعة برز من عسكرهم نحو من خمسة آلاف فتقدم اليهم طائفة اخرى واشتبك بينهم القتال واشتد وابلت المساكر الشامية بلاءً حسناً وبقي الحرب الى المساء فراجع الفريقان وقد قتل من عسكر تيمورلنك ولم يقتل من العسكر الشامية سوى رجلين

ويوم السبت حادي عشر ربيع الأول برزت المساكر الشامية وتقدمت عساكر ذلك وكان قد عباها تحت جناح الليل فقابل مقدمتهم وشغلهم بأوائهم واحاط الباقون بهم فأتوهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شماليهم فشى عليهم مثنى موسى على الشعر وسعى سمي الدبا على الزرع الأخضر وكان هذا الجولان على قرية حيلان ثم فرت ميمنة المساكر الشامية وكان رأسها دمرداش، فام يلبث الباقون ساعة من نهار حتى ولوا الأدبار وعسكر تيمورلنك وراء ظهورهم فقصدوا المدينة من الأبواب المفتوحة وازدحموا عندها والسيوف تشقهم والرماح تدقهم فاستدت الأبواب بالقتلى ولم يتمكن الكثيرون من الدخول فتشتتوا في البلاد وكسر الممالك باب انطاكية وخرجوا منه قاصدين بلاد الشام وصعد النواب الى القلعة وتمحصنوا فيها

قال ابن اياس لما بلغ تيمورلنك ان رسواه قتل زحف الى قرية من قرى حلب يقال لها حيلان واحتاط بمدينة حلب ونهب ما حولها من الضياع ولما كان يوم السبت حادي عشر ربيع الأول من سنة ثلاث وثمانمائة خرج عساكر حلب وسائر النواب بعساكرهم واتفقوا مع تيمورلنك فكان بينهم ساعة تشيب منها النواصي وقد دهمتهم عساكر تيمورلنك كأمواج البحار المتلاطمة ومالت عليهم كتاب

الجنود المزاخرة فلم تثبت معهم عساكر حلب وولوا على اعقابهم مدبرين واقبلوا نحو المدينة منهزمين وقد داست حوافر الخيل اجساد العامة وحل بهم من البؤس كل داهية طامة. وكان قد احتفى بالمرارات والمساجد الجم الفقير من النساء والاطفال فدخلوا اليهم واسروهم وقرنوهم بالجبال واسرفوا في قتل النساء والرجال وصارت الأبيكار تفتض في المساجد ولم يراعوا حرمة المساجد فلم يرثوا لبكاء الرضع ولم يخشوا دعاء الركع وقد صارت المساجد كالحجزرة من القتلى فلا حول ولا قوة الا بالله واستمر هذا الأمر الشنيع يتزايد من يوم السبت الى يوم الثلاثاء فلما رأى دمرداش نائب حلب عين القلب نزل من القلعة هو وبقية النواب واخذوا في رقابهم مناديل وتوجهوا الى تمرلنك يطلبون منه الامان فلما مثلوا بين يديه خلع عليهم اقبية مخمل احمر والبسهم تيجاناً مذهبة وقال لهم انتم صرتم نوابي (١) ثم ارسل معهم جماعة من امرائه يتسلمون القلعة فاستزلوا من كان بها وهم في قيود واستمر مقيماً على حلب نحو شهر وعسكره ينهبون القرى التي حول حلب ويقطعون الاشجار التي بها ويهدمون البيوت وقد اسرفوا في القتل حتى ونهب الأموال وصارت الأرجل لا تظأ الا على جثة انسان لكثرة القتلى حتى قيل انه بنى من رؤس القتلى عشرة مآذن دور كل مأذنة عشرون ذراعاً وصعودها في الهواء مثل ذلك وجعلوا الوجوه فيها بارزة تسفوا عليها الرياح وتركوا اجساد القتلى في الفلاة تنهشها الكلاب والوحوش فكان عدة من قتل في هذه الواقعة من اهل حلب من صغار وكبار ونساء ورجال نحواً من عشرين الف انسان هذا خارج

(١) الذي في تاريخ تيمور لأبن عربشاه لما نزل اليه النواب قبض على سيدى سودون وشيخ الخصاصكى والطنبغا العثماني نائب صفد وعمر بن الطيجان نائب عزة وقيدهم وخلع على دمرداش فقط مكافاة له على مخامرته كما تقدم

عما هلك من الناس تحت ارجل الخيول عند اقتحام ابواب المدينة وقت الهزيمة
وبهالك من الجوع والعطش أكثر من ذلك

فلما ملك تمرلنك مدينة حلب والقلمة نهب جميع ما في المدينة والقلمة ثم رحل
عنها بعد ما جعلها خاوية على عروشها وقد تعطلت في مدة هذه المحاصرة عن
الأذان والأقامة وعن صلاة الجمعة

ومما يحكى عن اخبار عسكر تمرلنك فيما فعلوه بمسكر حلب قيل كانوا يطئون
الأبكار في محراب المساجد وآبأؤهن يشاهدون ذلك بعينهم ، ولقد حكى من
اسر معهم انهم من حين استولوا على حلب الى حين رحلوا عنها لم يسمع في
عسكرهم اذان وانهم يجامعون النساء في الحيض ولا يعاودون الوطي الا بعد
اغتسال ولو كان في قلب الشتاء بالماء البارد وقيل ان تمرلنك كان يحتجب عن
عسكره نحو اسبوعين فلا يجتمع على احد من عسكره وينعكف على شرب الخمر
ففي مدة انعكافه تنهب عسكره البلاد ويفسقون في اهلها فلم يجدوا من يمنهم
عن ذلك ولا يردم فيستمروا على ذلك.

اسئلة تيمورلنك والجواب عنها من القاضي ابن الشحنة

قال المحب ابو الوعيد بن الشحنة في آخر تاريخه روض المناظر . وفي يوم الثلاثاء
رابع عشر ربيع الاول اخذ القلمة بالامان والأيمان التي ليس معها ايمان وفي
ثاني يوم صعد اليها وآخر النهار طلب علمائها وقضاتها فغضرنا اليه فأوقفنا
ساعة ثم امر يجلوسنا وطلب من معهم من اهل العلم فقال لأمير عنده وهو المولى
عبد الجبار بن العلامة نعمان الدين الحنفي عنها والده من العلماء المشهورين بسمرقند
قل لهم اني سائلكم عن مسألة سألت عنها علماء سمرقند وبخارا وهرارة وسائر

البلاد التي افتتحتها ولم يوضحوا الجواب فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبني الا اعلمكم
وافضلكم وليعرف ما يتكلم به فان خالطت العلماء ولى بهم اختصاص والفقه
ولى في طلب العلم طلب قديم وكان بلغنا انه يعنت العلماء في الأسئلة ويجعل ذلك
سبباً لقتلهم او تعذيبهم

فقال القاضي شرف الدين موسى الأنصارى الشافعي عنى هذا شيخنا ومدرس هذه
البلاد ومفتيها سلوه والله المستعان

فقال لى عبد الجبار ساطاننا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فن الشهيد فتيلنا
ام قتيالكم فوجم الجميع وقلنا في انفسنا هذا الذي بلغنا عنه من التعنت فصكت
القوم وفتح الله علي مجواب سريع بديع وقلت هذا سؤال سئل عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا محجب بما اجاب به سيدنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لى صاحبي القاضي شرف الدين موسى الانصارى بعد ان
انقضت الحادثة والله العظيم لما قلت هذا سؤال سئل عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم واجاب عنه وانه لمحدث زماننا وعالمنا قد اختل عقله وهو معذور فان
هذا سؤال لا يمكن الجواب عنه في هذا المقام ووقع في نفس عبد الجبار مثل ذلك
والقى تيمورلنك سمعه وبصره الي وقال لى عبد الجبار يسخر من كلامي كيف
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف اجاب قلت (جاء اعرابي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل يقا تل حمية ويقا تل شجاعة
ويقا تل ليمرف مكانه فأينا في سبيل الله فقال عليه السلام من قاتل لتكون كلمة الله
هي العليا فهو في سبيل الله) ومن قاتل منا ومنكم لأعلاء كلمة الله فهو الشهيد
فقال تيمورلنك خوب وقال عبد الجبار ما احسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة
وقال تيمورلنك انى رجل نصف آدمي وقد اخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر

ممالك العجم والمراق والهند وسائر بلاد التتر فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الأمة ولا تقتل احداً فقال والله اني لم اقتل احداً قصداً وانما انتم قتلتم انفسكم في الأبواب ووالله لا اقتل منكم احداً وانتم آمنون على انفسكم واموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة منا وطمع كل احد من الفقهاء والحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة والقاضي شرف الدين ينهاهم ويقول لهم اسكتوا ليجاب هذا الرجل فإنه يعرف ما يقول وآخر سؤال سئل عنه ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد فأسرالى القاضي شرف الدين وكان الى جانبي ان اعرف كيف تجاوبه فإنه شيعي فلم افرغ من سماع كلامه الا وقد قال القاضي علم الدين ابن القفصي الصيفي المالكى كلاماً معناه ان الكل مجتهدون ففضب تيمورلنك لذلك غضباً شديداً وقال علي على الحق ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وانتم حلييون تبع لأهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فأخذت في ملاطفته بالاعتذار عن المالكى بأنه اجاب بشيء وجدته في كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ما كان عليه من البسط واخذ عبد الجبار يسأل مني ومن شرف الدين فقال عنى هذا عالم مليح وعن شرف الدين هذا رجل فصيح فسألني تيمورلنك عن عمري فقلت مولدى سنة تسع واربعين وسبعمائة وقد بلغت الآن اربعاً وخمسين سنة وقال للقاضي شرف الدين كم همرك قال انا اكبر منه بسنة فقال تيمورلنك انتم في عمر اولادى انا عمري اليوم خمساً وسبعين سنة وحضرت صلاة المغرب واقامت الصلاة وامناعبد الجبار وصلى تيمورلنك الى جانبي قائماً يركع ويسجد ثم تفرقنا وفي اليوم الثانى غدربكل من في القلعة واخذ جميع ما كان فيها من الأموال والاقشة والامتعة مما لا يحصى . اخبرنى بمض كتابه انه لم يكن اخذ من مدينة قط ما اخذ من هذه القلعة ولا ما يقاربه وعوقب غالب المسلمين بأنواع العقوبات

وحبسوا بالقلعة ما بين مقيد ومزنجبر ومسجون ومرسم عليه ونزل تيمورلنك من القلعة بدار النيابة وصنع وليمة على زى المنل وقف سائر الملوك والنوابين في خدمته وادار عليهم كؤوس الخمر والمسلمون في عقاب وعذاب وسبي وقتل واسر وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم في هدم وحرق وتخریب ونبش الى آخر شهر ربيع الاول طلبني ورفيقي القاضي شرف الدين واعاد السؤال علينا فقلت له الحق كان مع علي وايس معاوية من الخلفاء فإنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدي ثلاثون وقد تمت بعلي فقال تيمورلنك قل علي الحق معاوية ظالم فقلت قال صاحب الهداية يجوز تقلد القضاء من ولاية الجور فإن كثيراً من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معاوية وكان الحق مع علي في نوبته فانسر لذلك وطلب الأمراء الذين عينهم للأقامة بجلب وقال لهم ان هذين الرجلين نزول عندكم بهذه البلدة فأحسنوا اليهما والى الزامهما واصحابهما ومن ينضم اليهما ولا تمكنوا احداً من اذيتها ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما في القلعة بل اجعلوا اقامتهما بالمدرسة يعنى السلطانية التى تجاه القلعة وفعلوا ما وصاهم به الا انهم لم ينزلونا من القلعة وقال لنا الذي ولي الحكم منهم بجلب الأمير موسى بن الحاجى طغاي اني اخاف عليكما والذي فهمته من نسق تيمور انه اذا امر بسوء فعل بسرعة ولا محيد عنه واذا امر بخير فالامر فيه لمن وليه .

وفي اول يوم من ربيع الآخر برز الى ظاهر البلد متوجهاً نحو دمشق وثانى يوم ارسل يطلب علماء البلد فرحنا اليه والمسلمون في امر مريج وقطع رؤس فقلنا ما الخبر فقيل ان تيمورلنك يطلب من عساكره رؤساء المسلمين على عادته التى كان يفعلها في البلاد التى اخذها فلما وصلنا اليه ارسلنا رسولاً يقول له اننا قد حضرنا وهو قد حلف ان لا يقتل منا احداً صبراً فعاد اليه ونحن ننظره وبين

يديه لحم سليق في طبق يأكل منه فتكلم معه يسيرا ثم جاء اليها شخص بشيء من ذلك اللحم فلم تفرغ من اكله الا وزججة قائمة وتيمورلنك صوته عال وساق شخص هكذا وآخر هكذا وجاءنا امير ليمتذر ويقول ان سلطاننا لم يأمر بأحضار رؤس المسلمين وانما امر بقطع رؤس القتلى وان يجعل منها قبة اقامة لحرمة علي جري عاداته ففهموا عنه غير ما اراد وانه قد اطلقكم فامضوا حيث بشتم وركب تيمورلنك من ساعته وتوجه نحو دمشق فعدنا الى القلعة ورأينا المصلحة في الإقامة بها واخذ الأمير موسى في الاحسان الينا وقبول شفاعتنا وتفقد احوالنا مدة اقامته بحلب وقلعتها وتأتينا الاخبار بأن سلطان المسلمين الملك الناصر فرج قد نزل الى دمشق وانه كسر تيمورلنك وصرة نسمع بالعكس الى ان انجلت القضية عن توجه السلطان الى مصر بعد ان قاتل مع تيمورلنك قتالاً عظيماً أشرف منه تيمورلنك على الكسر والهزيمة (١) وانما حصل من بعض امرائه خيانة وكان ذلك سبب توجهه الى مصر اخذاً بالحزم ودخل تمرلنك الى دمشق ونهبها وحرقتها وفعل فيها فوق ما فعل بحلب ولم يدخل طرابلس بل احضر له منها مال ولاجاوز فلسطين وعاد نحو حلب راجعاً طالباً بلاده

ولما كان سابع عشر شهر شعبان من السنة المذكورة وصل تيمورلنك عائداً من الشام الى الجبول شرق حلب ولم يدخل حلب بل امر المقيمين بها من جهته بتخريب القلعة واحراق المدينة ففعلوا ونزلوا من القلعة وطلبني الأمير السيد عز الدين وكان من أكبر امرائه وقال ان الامير تيمورقان يسلم عليك ويقول ان عنده مثلك كثيرا وهذه البلاد باب مكة وليس بها عالم فلتكن انت بها وقد

(١) من قوله وانما حصل الى قوله طالباً بلاده سقط من النسخة المطبوعة على هامش الكامل وهي موجودة في نسخة خطية

رسم بأطلاقك ومن معك من القضاة فاطلب من شئت واكثر لأروح معكم الى مشهد الحسين واقم عندكم حتى لا يبقى من عساكرنا احد وكان القاضي شرف الدين موسى لا يفارقني وطلبنا من تأخر من القضاة بالقلعة واجتمع منا نحو النبي مسلم وتوجهنا صجبة المشار اليه بشهد الحسين واقنا به ننظر الى حلب والنار تصرم في ارجائها وبعد ثلاثة ايام لم يبق من التتار احد وزلنا الى بيوتنا بالمدينة فاستوحشنا منها ولم يقدر احد منا على الإقامة بيته من التن والوحشة ولا يمكن السلوك في الازقة من ذلك كما قال

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر
وكانت نواب الشام معه مأسورين فانفلتوا منه اولاً بأول وكان السيني دمر داش
الخاصكى حين انفلت منه من حماة حال توجهه الى نحو دمشق توجه نحو السلطان
واتفق على ما تقدم اولاً وجاءه تقليد شريف من السلطان باستمراره في نيابة
حلب فدخلها واخذ في عمارتها ورمم دار النيابة وسكن بها وتراجعت الناس
واما نائب الشام فإنه مات مبطوناً واستقر في نيابة دمشق الامير تغري بردى .
قال الدحلاني وفي سنة سبع وثمانمائة كان هلاك تيمورلنك بمدينة ازار وحملوه الى
سمرقند ودفنوه بها وعمره قد جاوز ثمانين سنة ومدة ملكه نحو ست وثلاثين
سنة وتملك بعده حفيد خليل بن امير شاه بن تيمور ومكث قليلا وهلك وتفرق
ملكهم بأيدي المتغلبين وتغلب على بغداد ملوك التركان الى ان انتزعها منهم اسماعيل
شاه سلطان المعجم ثم انتزعتها منه الدولة العثمانية والبقاء لله وحده وبقي لتييمور
عقب كان منهم سلاطين في الهند اه



سنة ٨٠٤

﴿ ذكر تولية حلب للامير دقماق المحمدي ﴾

قال ابن اياس في هذه السنة ارسل السلطان الى دقماق المحمدي نائب حماة بأن يستقر نائب حلب عوضاً عن المقر السيفي دمرداش المحمدي ورسم لدمرداش المحمدي بأن يحضر الى القاهرة لما تقتضيه الآراء الشريفة (ثم قال)
وفيهما جاءت الاخبار من حلب بأن الامير دقماق المحمدي لما استقر نائب حلب وتوجه اليها خرج اليه دمرداش نائب حلب وواقع معه واقعة قوية فانكسر دمرداش ونهب بركه وهرب الى ملطية (وفي تحف الابناء) انه قبض عليه وارسله الى القاهرة وهو الاصح لانه عين سنة خمس لنيابة طرابلس كما في روض المناظر قال السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة الامير دقماق انه ولي حلب سنة اربع وثمانمائة وهرب منها في سنة ست لما استشعر بالقبض عليه فقرر غيره في نيابتها فلم يلبث ان مات فعاد دقماق اليها ففر منه صاحبها واستنجد بمن ساعده على محاصرته فانهض دقماق لمقاومته لغلبة من معه ففر الى جهة التركان وارسل يطلب الأمان فاجيب واعطى نيابة حماة ثانياً الى ان قتله جكم صبرا بظاھرھا في رجب او شعبان سنة ثمان ونفرت القلوب من قاتله وكان اميراً جليلاً كريماً ذا شكالة مليحة وخلق حسن متواضعاً قريباً من الناس مع حشمة ورياسة وعدل في الرعية وعفة عن اموالهم انشأ تربة خارج حلب ووقف عليها وقفاً



(سنة ١٠٦)

ذكر تولية حلب للامير علاء الدين اقبغا ووفاته بها.

وعود دمرداش المحمدي لنيابة حلب

قال في روض المناظر فيها استقر الامير علاء الدين اقبغا الجمالي الهذباني نائب حلب عائداً اليها فعاد واقام قليلاً ومات بحلب ودفن بتربته التي انشأها بسوق الخيل واستقر في نيابة حلب السيفي دمرداش عائداً اليها

قال السخاوي في الضوء اللامع عاد الامير علاء الدين اقبغا الى حلب بعد دقاق واستمر على نيابتها اربعين يوماً ثم مات في ليلة الجمعة سابع عشر جمادى الثاني سنة ست ودفن قبل الصلاة بتربته التي انشأها داخل جامعها وكان ساكناً عاقلاً قليل الشر مائلاً الى الخير ذكره ابن خطيب الناصرية ثم شيخنا اه

اقول كانت وفاته قبل اكمال عمارة الجامع واكمله دمرداش في ولايته سنة ٨١١ وسيأتي الكلام عليه ثمة . وقبر اقبغا لا زال موجوداً في تربته عن يمين الداخل الى الجامع ولتربة قبة مرتفعة البناء جداً وهي من الحجر المنحوت كتب في اعلاها بين الكوتين (صنعه جعفر بن ابي غانم رحمه الله) ولتربة اربع شبابيك اثنان من الجهة الشمالية واثنان من الجهة الغربية واللذان من هذه الجهة عليهما من الخارج كتابات تعسر علي قراءتها ومكتوب في ذيل المنارة عن يسار قنطرة باب الجامع الغربي (انشاء العبد الفقير الى الله تعالى اقبغا الظاهري غفر الله له) قال في روض المناظر وفيها كانت زلزلة عظيمة بحلب وبلاد كثيرة وخرت منها اماكن كثيرة وتبع ذلك زلازل عديدة اخف منها فأجتمعت الزلازل والفتن وانما تتكرر الزلازل والفتن بين يدي الساعة والظاهر ان الامر قد قرب والدنيا

على فراغ فالترلازل يخوف الله بها اهل المعاصي. وتؤذنت بزلزلة القيامة تنشأ في
بعض الارض كما تنشأ الرعدة للمحموم وزلزلة الارض اما لأن الله تعالى يطلع
عليها فتزلزل هيبة وفرعا واما لأن الحوت الذي عليه الأرض يتحرك بعضه
(١) واما ان يعمل عليها المعاصي والخطايا فتزلزل غضباً للرب والله اعلم (٢)
(سنة ٨٠٧)

(ذكر عصيان الامير چكم والامير شيخ)

قال السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة چكم انه اعتقل بقلعة المرقب ثم نقل الى
حلب فحبس بدار العدل ثم نقل الى غيرها ثم اطلق وآل امره الى ان ملك
حلب (تغلب على نائبها الامير دمرداش) ثم اتفق هو وجماعة من الامراء
على العصيان ووصلوا الى الصالحية (بدمشق) فخرج الملك الناصر فكانت
الكسرة على عسكره ورجع هارباً ثم كر عليهم العسكر المصري ثانياً فكانت
النصرة لهم وآل امر جده الى ان اخذ هو وشيخ دمشق ودخلها واستمر بها
مدة ثم اخذ ايضاً حاة [سنة ٨٠٨]

(ذكر خلع الملك الناصر فرج وسلطنة اخيه ابي العز)

عبد العزيز ثم ظهور الملك الناصر وعوده الى الملك وخلع اخيه
قال ابن اياس ما خلاصته لما عصى الامير چكم العوضي ومعه جماعة من الامراء

[١] يظهر ان ابن الشحنة ليس من ابناء هذا الفن حتى تسربت الى فكره هذه الخرافة
[٢] اقول بهذه العبارة نهاية تاريخ روض المناظر المطبوع على هامش ابن الأثير وفي
النسخة الخطية التي امامنا زيادة ثمان ورقات بعد هذه العبارة فيها ذكر الملاحم والفتن
واشراط الساعة وكلها اهلكت في الطبع ويظهر ان ذلك لانتهاه تاريخ ابن الأثير اولاً
للملاحم والفتن واشراط الساعة ذكراً في كثير من كتب الحديث وغيرها وكيفما كان فإن
هذا ليس بصواب من ارباب المطابع

اضطربت احوال الملك الناصر وضاعت عليه الأمور وآل الامر الى اختفائه وسلطنة اخيه ابي العز عبد العزيز الا انه لم يتم امره في السلطنة ولا ساعدته الأقدار فبقي في السلطنة شهرين وعشرة ايام ثم ظهر الملك الناصر واعيد الى كرسي السلطنة وخلع ابو العز عبد العزيز وذلك رابع جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة .

قال السخاوي في ترجمة جكم بعد ان استولى جكم على حماة ظهر الملك الناصر فرج وتسلطن فجهز تقليدا لشيخ بديابة دمشق وجكم مجلب ثم اضيف اليه نيابة الرها وملك عدة قلاع اه . ويستفاد من كلام السخاوي في ترجمة الامير علان اليحياوي انه كان نائبها في هذه السنة وخلفه جكم قال ابن اياس لما توجه جكم الى حلب واستقر بها نائباً اظهر العصيان والمخامرة على السلطان وباس له الامراء الارض وتلقب بالملك العادل وصار واضع اليد على البلاد الحلبية واخرج اوقاف الناس وجعلها اقطاعات وفرقتها مثالات على عسكر حلب وصار يحكم من الشام الى الفرات فانزعت يد الملك الناصر من البلاد الشامية والحلبية قال السخاوي قطع جكم الخطبة للناصر وخطب باسمه وضربت السكة باسمه

(ذكر عصيان فارس بن صاحب الباز التركماني)

سنة ٨٠٦ وما كان من امره الى قتل سنة ٨٠٨

قال ابن الخطيب . فارس بن صاحب الباز التركماني امير التركمان بناحية العمق كان ابوه من امراء التركمان بالناحية المذكورة ثم نشأ هو فلما انزاح التتار عن البلاد كثر جمعه فاستولى على انطاكية وتلك الناحية ثم قوي امره عند خلف المساكن بالشام ومصر واستولى على القصير وبلادها وديركوش ثم ان الأمير

دمرداش خرج اليه بعساكر حلب فوصل الى جب العميان موضع بناحية العمق بين القصير وانطاكية والتقى الفريقان هناك يوم الاثنين ثامن او تاسع المحرم سنة ست وثمانمائة فكسر الأمير دمرداش وعسكر حلب وقتل منهم جماعة وبعض الأمراء المقدمين ودخل الأمير دمرداش الى حلب بكرة عيد الأضحى فتقوى امر ابن صاحب الباز جداً .

ثم ان الأمير دمرداش جمع العسكر وتوجه الى انطاكية لقتال ابن صاحب الباز ثانياً وذلك في سنة سبع وثمانمائة وكتب الى الأمير علي بك بن ذى القادر والى الأمير احمد بن رمضان مقدي التركمان بالبلاد الشمالية يستنجد بهما على ابن صاحب الباز فوافياه على انطاكية فدخل ابن صاحب الباز الى انطاكية ومعه الأمير جكم وتمحصن بها فأقام العسكر عليها مدة ولم يظفروا منها بطائل ثم رجع عنها الأمير دمرداش حين بلغه الخبر ان المصريين اختلفوا وهرب منهم جماعة من الأمراء الكبار ووصلوا الى دمشق ودخل الأمير دمرداش الى حلب بالعسكر فاستفحل امر فارس بن صاحب الباز وعظم شأنه واستولى على البلاد الغربية بأسرها ووصل الى اطراف جبل سمان وتوجه الى جماعة من جند حلب واقاموا عنده لأجل اقطاعهم وكذلك استولى على جانب من بلاد طرابلس كصهيون وناحيتها وصار له من باب الملك صهيون وبرزية واطراف بلد سرمين واطراف جبل سمان وبقي نواب حلب ليس لهم حكم في تلك البلاد بالكلية وصاروا كالمحصورين فان هذه البلاد التي استولى عليها هي التي كانت عامرة من اعمال حلب وهي انطاكية والقصير والشفر وديركوش وتيزين وحارم وبفراس والحلقة وسائر اعمالها وبرزية وصهيون واللاذقية وجبله وتلك النواحي وعجز النواب عن دفعه للخلف وقلة العسكر وصار ابن صاحب الباز في عسكر عظيم الى

ان قدر الله تعالى بتولية حكيم نيابة حلب من قبل السلطان الملك الناصر فرج ابن برقوق فدخل حلب واستمر بها اياماً ثم اخذته الأنفة والحمية فجمع عسكر حلب وجماعة من غير العسكر من اهل حلب رجالة وخيالة وخرج من حلب متوجهاً لقتال ابن صاحب الباز واستدقاز البلاد منه بعد ان جهز يطلب منه البلاد فلم يجب الى ذلك وجمع وحشد وتوجه نحو حلب فوصل الى ارتاح فوصل اليه الأمير حكيم بعساكره وجماعته وتصافوا وتقاتلا فانكسر ابن صاحب الباز وهزمه الله تعالى فولى هارباً نحو انطاكية وذلك في اوائل شوال سنة ثمان وثمانمائة ونهب الأمير حكيم والعسكر الحلبي جميع ما مع التركمان واستمر فارس هارباً الى ان دخل انطاكية فتوجه اليه الأمير حكيم بمن معه من العساكر وحاصره بانطاكية مدة ثم بلغ الأمير حكيم ان الأمير نعيم بن جبار متوجه اليه نجدة لابن صاحب الباز فترك حكيم انطاكية وتوجه بعساكره الى جهة نعيم فوصل بلد سرهين ثم نزل على قرية زيتان من نهريات حلب القبلية واتفق بينه وبين نعيم وقعة حكيماها في ترجمة الأمير حكيم . ثم لما فرغ الأمير حكيم من قتالهم رجع من فوره الى جهة انطاكية ولم يدخل حلب فوجد ابن صاحب الباز قد تجمع ونزل على جسر الحديد من جهة الغرب وقطع الجسر فنزل حكيم من شرقي الجسر واستمر يحاصره اياماً وشرع الأمير حكيم في حفر نهر ليحول العاصي ويدخل اليهم واوهمهم بذلك وكتب الى ابن رمضان (صاحب مرعش) لينجده وكتب ابن صاحب الباز الى ابن رمضان ايضاً وهو شهاب الدين احمد لينجده فجاء ابن رمضان فخافه ابن صاحب الباز فهرب الى جهة القصير وصعد القلعة وتحصن بها هو وجماعته فتوجه اليه الأمير حكيم بعساكره وحاصره بقلعة القصير اياماً ثم ان ابن صاحب الباز طلب الأمان من حكيم فأعطاه الأمان ونزل اليه من القلعة فاستمر عنده

أياماً ثم سلمه الى الأمير غازي بن اوزر وكان بينه وبين ابن صاحب الباز عداوة وكان ابن صاحب الباز قد قتل بعض جماعة ابن اوزر فقتله غازي ابن اوزر وقتل معه ابنه وغيره من جماعته وذلك في شوال او ذي القعدة سنة ثمان وثمانمائة [آثاره] وكان ابن صاحب الباز اميراً كبيراً فارساً شجاعاً بنى بانطاكية مدرسة بمحضرة مقام سيدي حبيب النجار رضي الله عنه ولما قتل عادت البلاد التي استولى عليها كل بلد الى معاملة وانكسرت شوكة التركمان والله الحمد اهـ

ذكر تولية حلب للامير جر كس سيف الدين القاسمي

قال السخاوي في الضوء اللامع في ترجمته ولاء الملك الناصر نيابة حلب عوضاً عن دمر داش في سنة تسع وثمانمائة ولم يقيم بها الا مدة اقامة الناصر بها يوماً او يومين ورجع معه الى القاهرة خوفاً من حكمه اهـ

وفي تحف الانبياء ان الملك الناصر توجه في هذه السنة الى دمشق ثم منها الى حلب فلما دخلها قرر في نيابتها جر كس القاسمي وجعله نائب السلطنة بهي فلما بلغ حكمه نجيب السلطان الى حلب اخذ نوروز الحافظي وتمرينا المشطوب وعدي الفرات ولما توجه السلطان من حلب الى دمشق رجع حكمه ونوروز الى حلب وملكها وفر منها جر كس وتسلطن حكمه بها ولما بلغه مسير السلطان من دمشق الى مصر سار الى دمشق فلما فر منها نائبها شيخ وتسلطن بهي كما فعل بحلب وتلقب بالملك العادل ابي الفتوحات فعند ذلك تحرك عليه قرابك وكثير من التركمان فتحمس ببابل حكمه مسيره اليهم فسار الى قرب ساردين وثارب معهم فانكسر عسكر قرابك وانهزم الى ان اتى نحو آمد فتبعه حكمه في بني عسكر قليل ودخل ارضاً مضيقاً لا يسعه الفرار منها فانحصر فيها وسقط عن

فرسه فتقدم اليه بعض التركان فقطع رأسه

(سنة ١٠٩)

قتل جكم الذي تسلطن بحلب وحمل رأسه الى مصر في هذه السنة قتل جكم قال ابن اياس وكان سبب ذلك ان خارجاً من التركان من اولاد قرا يوسف خرج عليه فخرج اليه جكم مع العساكر الحلبية فالتقى معه فكان بينهم واقعة عظيمة فقتل من الفريقين مالا يحصى عددهم وقد جكم العوضى في المعركة ولا يعلم له خبر ولا عرف كيف قتل وقال قبل ذلك انه قتل في المعركة بين بساتين آمد ولا يعلم من قتله وان ابن نمير (امير العرب) ارسل الى السلطان رأس جكم العوضى الذي تسلطن بحلب فعلقت رأسه على باب زويلة وكان له يوم مشهود وكفى الملك الناصر شره.

قال السخاوي كان قتل جكم في ذي القعدة سنة تسع وكان مهابة شجاعاً مقداماً مدبراً له حرمة ومهابة ممدحاً مائلاً لمجالسة العلماء ومذاكرتهم تصنياً لنظم الشعر شعباً لسماعه بل ويجز عليه الجوائز السنوية ويجب الانصاف ولا يتمكن احد معه من الفساد طول ابن خطيب الناصرية ثم شيخنا (ابن حجر) ترجمته وكذا المقرئ في عقوده اه

(سنة ١١٠)

ذكر تغلب تيمور بغا المشطوب على حلب

قال السخاوي في ترجمته ان تيمور بغا المشطوب التف مع جكم وذهب معه الى فرايلك وقاسى هناك شدة ثم تخلص وجاء الى حلب والتف عليه بقص الظاهرية وغيرهم واستولى على حلب مدة ثم التحق بشيخ نوروز حين توجهها الى مصر للاستيلاء عليها فات بأرض البلقاء من الشام وهو معها

(سنة ٨١١)

* ذكر إعادة دمر داش لنيابة حلب *

قال ابن اياس ما خلاصته لما توجه شيخ ونوروز الى مصر آل الأمر الى انكسارهما ثم ان السلطان ارسل تقليداً الى شيخ بنيابة الشام وتقليداً الى دمر داش بنيابة حلب ثم عين نوروز الى القدس بطالا ثم كتب الى دمر داش نائب حلب بالحضور ذكر اكمال دمر داش للجامع الاطروش والكلام عليه

قال في الدر المنتخب ومنها جامع آق بغا الأطروشي نائب حلب ثم دمشق بمحضرة سوق الخيل وكان مكانه سوق الغنم ابتداءً بأساسه سنة واحد وثمانمائة وبني حيطانه وقطم له عمداً من الرخام الاصفر البعادي وبني وهي عمد عظيمة وبني له تربة داخل باب الجامع ووقف عليها اوقافاً ثم صرف عن نيابة حلب وانتقل الى طرابلس ودمشق ثم عاد الى حلب ثانياً ومات بها سنة ست وثمانمائة قبل ان يكمل عمارة الجامع المذكور فكمل عمارته دمر داش نائب حلب ووقف عليه فهو الآن يعرف بكل منهما وهو جامع حسن وبه تصلى نواب حلب العيدين وكانوا قديماً يصلونها بجامع الطنبغا اه

اقول موقع الجامع في المحل المعروف بسوق الجمعة بين المحلة المعروفة بالقصيلة والمحلة المعروفة بساحة الملح ومشتهر بين الناس الآن بجامع الأطروش ولا يعرف بغير هذا الأسم وله بابان عظيمان باب من جهة الغرب وباب من جهة الشمال المكتوب على الباب الاول (١) عمر هذا الجامع المقر الأشرف العالي المولوي العالمي العادلي المخدومي الكافلي السيفي دمر داش الناصري [٢] مولانا ملك الأمراء ابو المساكين والفقراء كافل المملكتين الشريفتين الحلبية والطرابلسية اعز

الله انصاره وضاعف اقتداره بمحمد وآله [٣] ابتغاء لوجه الله تعالى في العشر الأخير من شوال المبارك سنة احد عشر وثمانمائة من الهجرة النبوية

والمكتوب على الباب الشمالي [١] عمر هذا الجامع المبرور ابتغاء لوجه الله تعالى المقر الاشرف العالى المولوى المحدثى الكافى [٢] السيفى دمرداش الناصرى مولانا ملك الامراء كافل المملكتين الشرىفتين الحلبية والطرابلسية اعز الله انصاره وضاعف اقتداره [٣] بمحمد وآله بتولى العبد الفقير الى الله تعالى يوسف الأشرفى وكان الفراع منه سلع شعبان المكرم من سنة اثنى عشر وثمانماية.

طول صحن الجامع تسعة وعشرون ذراعاً وعرضه ثمانية عشر ونصف ذراع وطول القبلىة خمسون ذراعاً وعرضها مع السوارى ثمانية عشر ذراعاً وفي آخرها من جهة الشرق مقصورتان معدتان لصلاة الأمراء وله ثلاثة اروقة شرقاً وغرباً وشمالاً لها عشر اسطوانات عرض الأسطوانة نحو ثلاثة اذرع وبمجموع محيطها احد عشر ذراعاً وعلى الاسطوانتين اللتين عن يمين باب الجامع الشمالي رسم ربع دائرة فيها خطوط يعرف منها وقتا الظهر والمصر وعرض الرواقين الشرقى والغربى عشرون ذراعاً ونصف ذراع

وكان المتولى عليه شخص يقال له السيد حسن ثم انتقلت التولية منه الى عبد الوهاب درويش ثم الى الشيخ محمد الهيراتى ثم الى الشيخ محمد الخياط ثم الى الحاج احمد الجاموس وذلك منذ نحو اربعين سنة وفي زمنه ازال عن سطح القبلىة اتربة عظيمة كانت عليه ولم يعمل له مزاريب تذهب بالماء فنقل التراب عليه فأدى الى سقوط السقف جميعه . ثم ولي عليه الشيخ محمد العيسى مفتى حلب فلم يتمكن من إعادة السقف الى ما كان عليه لأحتياجه الى نفقة كثيرة لا تقوم بها واردات وقف الجامع فأهل امره لهذا السبب فأدى ذلك الى سقوط جدارى

القبليّة القبلي والشالي وامتلاً صحنه بالأترية والأحجار وتعطلت إقامة الصلاة فيه وفي القبليّة اربع عواميد ضخمة جداً طويلة وحينما وقع السقف تكسر منها عمودان وبقي عمودان .

وفي السنة الماضية وهي سنة ١٣٤١ اهتم بأمر هذا الجامع اهل محلة القصيلة ومحلة ساحة الملح وفي مقدمتهم الشيخ عبد اللطيف الخياط وجمعوا له من انفسهم ومن اهل الخير ١٦٥ الفاً من القروش الراجحة واقاموا جدار القبليّة القبلي واعادوه الى ما كان عليه وبنوا مكان العمودين اللذين تكسرا ساريتين واصلحوا المنارة حيث وضعوا لها سقفاً ودرابزيناً لأنها كانت بدون سقف وبلغ مجموع النفقة الى الآن ١٣٠ الفاً ولا زال العمل قائماً فيه شـكـر الله سميع

وبعد وفاة متوليه مفتى حلب في السنة الماضية ايضاً استلمت دائرة الاوقاف الجامع مع اوقافه التي هي عبارة عن خمس دكاكين بين الجامع وبينها عرصة واسعة على طول قبليّة الجامع تعود له يبلغ وارداتها ١٥ ليرة عثمانية ذهباً وله احكار في سوق القصيلة وفي محلة الطابننا والأعجام يبلغ ريعها ٦ ليرات وارض في سوق الجمعة وقد عزمت دائرة الأوقاف على صرف مائتي الف قرش لأكمال الجامع واعادته الى حالته الأولى وعزم اهل المحلتين على بناء عشر دكاكين بين الجامع وبين الدكاكين الخمس التي اشرنا اليها واتخاذ خان وراء هذه الدكاكين واطافة الجميع الى اوقاف الجامع وقمهم الله الى تحقيق امانهم

وجدار الجامع الغرب الذي لم يزل محفوظاً هو والمارة من حين تأسيس الجامع يعد هو والشبابيك التي فيه وبابا الجامع في جملة الآثار العربية القديمة المهفة بالنظر لحسن بنائه واحكامه ولطيف نقوشه وهو موضع اعجاب الغربيين به وقد أكثروا من اخذ صورته بالمصور الشمسي والبنائون والنجارون في حلب معجبون

به وهم يقتبسون من محاسن صنعته وبديع هندسته وسبحان الواحد الباقي

(سنة ٨١٢)

﴿ ذكر تولية حلب للأمير نوروز ﴾

قال في تحف الأنباء وفي هذه السنة في المحرم ارسل السلطان الى نوروز بأن يكون نائباً بحلب وفي شوال اصطلح نوروز مع نائب الشام شيخ وتحالفوا على العصيان على الملك الناصر واستولوا على البلاد الحلبية والشامية حتى على انطاكية

(سنة ٨١٣)

(ذكر تولية حلب للأمير قرقماش ثم لشيخ)

قال في تحف الأنباء وفي هذه السنة في ربيع الآخر توجه السلطان نحو الشام ومعه الخليفة المستعين بالله العباسي فلما وصل الى دمشق هرب منه نوروز وشيخ وقرر في نيابة حلب قرقماش ووقع بين الشيخ ونوروز مصادرات وحروب الى ان اعطي شيخ نيابة السلطنة بحلب ونوروز نيابة طرابلس وذلك في ذي القعدة وتحالفوا على ان لا يخرجوا عن الطاعة

[سنة ٨١٥]

ذكر تولية حلب للأمير دمر داش ثم للأمير يشبك

في هذه السنة كان الوالي بحلب الأمير دمر داش كما يستفاد من تحف الأنباء في حوادث هذه السنة حيث قال وفي ربيع الآخر أتى نوروز الى حلب فهرب منه دمر داش وعين لنيابتها يشبك بن ازدر [١]

(١) ذلك بعد محاربة نوروز وشيخ الملك الناصر فرج وقتل الملك الناصر في دمشق وتولية السلطنة للخليفة العباسي ثم خلمه بعد ستة اشهر وتولية السلطنة لشيخ الملقب بالملك المؤيد كما بسطه ابن اياس في بدائع الزهور

﴿ ترجمة دمر داش ﴾

قال في الضوء اللامع ان دمر داش قتل بالاسكندرية سنة ثمان عشرة وكان معظماً للعلماء كريماً حليماً حشماً لكن لم تكن لأملاك الناس ولا للأوقاف عنده حرمة وابتنى بحلب جامعاً ثم قال والجامع الذي له بحلب كان اسسه اقبغا الهذباني الأطروشي فكماله هو ووقف عليه وقفاً جيداً اه اقول وقد تقدم الكلام على الجامع مستوفى

[سنة ٨١٦]

﴿ ذكر تولية حلب للأمير اينال الصلاني ﴾

قال السخاوي في ترجمته انه كان ممن انضم الى الملك المؤيد شيخ فولاء نيابة حلب في شوال سنة ست عشرة وكان فيمن حاصر معه نوروز الى ان قتل نوروز ورجع الى ولايته بحلب [وذلك سنة ٨١٧] وكان شكلاً حسناً عاقلاً شجاعاً عارفاً بالأمر قليل الشر ثم كان ممن عصى على المؤيد هو وقايتباي نائب الشام ونائب طرابلس ونائب حماة وآل امرهم الى ان انهزموا واسروا وقتل اينال بقلمة حلب في شعبان قال ورأيت الحلبيين يثنون عليه كثيراً ولما حاصر على المؤيد لم يحصل لأحد من اهل بلده منه شر بل طلب اخذ القلمة فعصى عليه نائبها فحاصره اياماً ثم تركه وتوجه الى الشام

[سنة ٨١٨]

(ذكر تولية حلب للأمير اقباي المؤيدي)

قال السخاوي في ترجمته ان استاذه ولاء الدوادارية الكبرى بالقاهرة ثم نيابة السلطنة بحلب في سنة ثمان عشرة ثم خرج منها بعد يسير مختلفياً على المهجن بحيث

وصل الى القاهرة في اثني عشر يوماً لكونه بلغه انه تكلم في حقه عند السلطان فأكرمه وولاه نيابة دمشق فتوجه اليها في اوائل سنة عشرين الى ان قال وله وقف على زاوية جبلان وذكره ابن خطيب الناصرية
[سنة ٨٢٠]

﴿ ذكر تولية حلب للأمر قجقار القردهي ﴾

قال ابن خطيب الناصرية بققار القردهي الأمير سيف الدين نائب حلب كان في صحبة الملك المؤيد حين كان المؤيد نائباً بحلب فلما تسلطن ولاء امره مائة فارس بالديار المصرية وصار من الأمراء الأثوف ثم ولاء نيابة حلب في سنة عشرين وثمانمائة عوضاً عن الأمير سيف الدين اقباي وجاء الى حلب ودخلها ثم جاء السلطان بعد قليل الى حلب وتوجه الى بلاد الروم وتوجه معه الأمير بققار ثم جاء الى حلب وخلف الأمير بققار واقباي نائب دمشق لحصار كركر ثم لما جاء قرايوسف الى جهة آمد خاف منه فرحل عن كركر وجاء الى حلب فغضب عليه السلطان وامسكه ساعة ثم اطلقه وجهزه بمنزولاً الى دمشق فلما توجه السلطان الى الديار المصرية اعاده مقداً واستقر بها ثم جهزه السلطان صحبة الأمراء الذين جهزهم مع ابنه ابراهيم لأخذ البلاد القرمانية فجاء الى حلب وتوجه صحبة ولد السلطان ثم لما قضوا اربهم رجعوا ورجع بققار صحبتهم الى الديار المصرية واستمر مقداً الى ان توفي السلطان الملك المؤيد فهم بالركوب وادعاً الأمر فعاجله الأمير سيف الدين ططر الذي صار سلطاناً وامسكه وحبسه قبل ان يدفن السلطان وذلك في المحرم سنة اربع وعشرين وثمانمائة ثم قتل مقبوضاً عليه في السنة المذكورة وكان اميراً كبيراً كريماً محترماً محتشماً عنده ادب وكان من ابناء الستين او يزيد عليها رحمه الله تعالى اه

✽ ذكر تولية حلب للأمير يشبك اليوسفي ✽

وفي هذه السنة تولى نيابة حلب الأمير يشبك اليوسفي قال السخاوي في الضوء اللامع وكان يشبك شاباً جاهلاً فاسقاً ظالماً عسوقاً طماعاً اشتراه المؤيد وهو نائب طرابلس بالف دينار كما سمعه العيني من المؤيد ثم ترقى عنده الى ان عمله شاد الشرايخانة ثم اعطاه مقدمة ثم نيابة طرابلس ثم نيابة حلب ولم يشتهر عنه معروف وذكره ابن خطيب الناصرية فقال قدمه استاذه فكان عنده حين نيابته بحلب شاد الشرايخانة فلما استقر في المملكة ولاء نيابة طرابلس ثم نقله منها الى حلب سنة عشرين وكان شاباً فارساً شهياً شجاعاً بنى بحلب مسجداً بالقرب من الشاذنجية وجنينة بالقرب منه وربة ومكتب ايتام ثم قتل بعده في المحرم سنة اربع وعشرين ونسبه بعضهم يوسفياً اه

قال في الدر المتخبط (المدرسة الشبكية براس سوق النشابين) المسمى الآن سوق الزرب (الضرب) لصيق القسطل بناها الامير يشبك اليوسفي المؤيدي نائب حلب وجعل له بها مدفناً وبه دفن بعد قتله سنة اربع وعشرين وثمانمائة ووقف عليها سوقه الذي بناه بالقرب منها اه

(سنة ٨٢١)

مجيئ قر ايووسف التركماني الى الديار الحلبية وعيئه فيها

قال السخاوي في الضوء اللامع في ترجمته. قر ايووسف بن قرا محمد بن بيرم خجا التركماني ملك بغداد وفي سنة احدى وعشرين وثمانمائة كانت بين قر ايووسف وبين قرايلك [من امراء التركمان] في نواحي الموصل وديار بكر وماردين [وقعات حتى فر قرايلك فقدم حلب وانتقل الناس من حلب خوفاً من قر ايووسف

وكان قد وصل الى عينتاب وكثب الى المؤيد يعتذر بأنه لم يدخل هذه البلاد الا طلباً لقراييك لكونه هجم على ماردین وهي من بلاد قرايوسف فأخس في الاسر والقتل والسي بجيث بيع صغير بدرهمين وحرق المدينة فلما جاء قرايوسف احرق عينتاب واخذ من اهلها مالا كثيراً مصالحةً وتوجه الى البيرة فنهبها ثم بلغه ان ولده محمد شاه عصى عليه ببغداد فتوجه وحصره واستصنى امواله وعاد الى تبريز فات في ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين

ذكر الأثمان المتعامل بها ومقدار الرطل والكيل في هذا العصر

ذكر العلامة القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ في كتابه صبح الأعشى في صناعة الأنشا [١] فصولاً مهمة بين فيها الأثمان المتعامل بها ومقدار الرطل والكيل المستعمل في هذا العصر في مصر ودمشق وحلب وغير ذلك فأحببنا اثبات تلك الفصول في تاريخنا وان لا يكون خالياً منها لعلمنا ان كثيراً من النفوس تتطلع الى معرفة ذلك فتقول

قال في الجزء الرابع منه في الكلام على نيابة حلب . اما الأثمان المتعامل بها من الدينار والدراهم والصنجة فعلى ما تقدم في دمشق من غير فرق (سياًتيك بيان ذلك) ولم ترج الفلوس الجدد فيها الى الآن وانما يتعامل فيها بالفلوس القديمة

ورطلها سبعمائة وعشرون درهماً (٢) واواقيه اثنا عشرة اوقية كل اوقية

(١) طبع في مصر سنة ١٣٣٢ في ١٤ مجلداً وهو كتاب جليل في صناعة الأنشا والتاريخ وترتيب الممالك في ذلك العصر الى غير ذلك من الفوائد
(٢) اقول وفي اوائل القرن السابع كان الرطل بهذا المقدار ففي تاريخ ابن شداد في الكلام

ستون درهما وفي اعمالها ربما زاد الرطل على ذلك
وتعتبر مكيلاتها بالمكوك في حاضرتها وساثر اعمالها والمكوك المعتبر في حاضرتها
سبع وبيات بالكيل المصري (سيأتي بيان ذلك)
واما في نواحيها وبلادها فيختلف اختلافاً متبايناً في الزيادة والنقص . قال في
مسالك الأبصار والمعتدل منها ان يكون كل مكوكين ونصف غرارة وما بين
ذلك كل ذلك تقريباً

بيان الويبة والمكوك والفرارة

قال في صبح الاعشى ان بمصر اقداحاً مختلفة المقادير والمستعمل منها بالحاضرة
القدح المصري وهو قدح صغير تقديره من الحب المعتدل ٢٣٢ درهما وكل ستة
عشر قدحاً تسمى ويبة (فتكون الويبة ٣٧١٢ درهما والمكوك كما تقدم ٧
ويبات فاذا ضربناها في ٣٧١٢ يكون الحاصل ٢٥٩٨٤ درهما هي المكوك
وقتئذ في حلب واذا كان كل مكوكين ونصف غرارة فاذا ضربنا ٢٥٩٨٤
في ٢ ونصف يكون الحاصل ٦٤٩٦٠ درهما هي الفرارة . والمكوك مكيال
(راجع القاموس) والفرارة بالكسر شبه العدل والجمع غرائر .

على بناء القلعة . وفي السنة الرابعة والعشرين وسبعمائة مهدت ارض الخندق الملاصق
للقلعة فوجد فيها تسعة عشر لبنة ذهباً ابريزاً كان وزنها تسعة وعشرين رطلاً بالحلي والرطل
سبعمائة وعشرون درهما اهـ

وقد هجر التعامل بالرطل الذي يزن هذا المقدار ولا ادري متى هجر غير ان النيل
الهندي لازال يباع بالرطل الذي يزن ٧٢٠ درهماً الى زمننا هذا وعند باعة النيل ابطال
هذا الوزن ولا يوجد صنف من اصناف البضائع يباع بهذا الرطل غيره فهو الباقي
من ذلك العصر الى وقتنا هذا الا ان باعة هذا الصنف اصطالحوا الآن على ان كل
عشرة ابطال من الرطل المسمى بالعتيق الذي يزن ثمانمائة درهم بأحد عشر رطلاً فعلى
هذا صار رطل النيل ٧٢٨ درهماً وهو اصطلاح حديث مضى عليه سنون قلائل

ويقاس القماش بها بذرهم يزيد على ذراع القماش المصري سدس ذراع وهو اربعة
قراريط (سيأتي بيان ذلك)

وتعتبر ارض دورها بذرهم العمل كما في الديار المصرية . وارض زراعتها بالفدان
الاسلامي والفدان الرومي كما في دمشق . وخراج ارض الزراعة بها كما في
دمشق . (١) واسعارها على نحو اسعار دمشق الا في الفواكه فانها في دمشق
ارخص لكثرتها بها اه (سيأتي بيان الاسعار وقنشد في دمشق ومصر)

ايضاح لما اجل هنا

بيان الاثمان المتعامل بها في دمشق

قال الفلقشندي في الكلام على نيابة دمشق . اما الاثمان المتعامل بها فيها فعلي
ما تقدم في الكلام على معاملات الديار المصرية من المعاملة بالدنانير المصرية ونحوها
وزناً والدنانير الافرنطية عدداً والدرهم القرة وزناً

بيان الاثمان المتعامل بها في الديار المصرية

قال الفلقشندي في الجزء الثالث في الكلام على الدنانير المسكوكة مما يضرب
بالديار المصرية او يأتي اليها من المسكوك في غيرها من الممالك وهي ضربان

الضرب الأول

ما يتعامل به وزناً كالذهب المصري وما في معناه

والعبرة في وزنها المثاقيل وضابطها ان كل سبعة مثاقيل زنتها عشرة دراهم من
الدراهم الآتي ذكرها . والمثقال معتبر بأربعة وعشرين قيراطاً . وقدر بشتين
وسبعين حبة شعير من الشعير الوسط باتفاق العلماء .

وقد كان الامير صلاح الدين بن عرام في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين

(١) لم يبين الفلقشندي الفدان الاسلامي والفدان الرومي وخراج ارض الزراعة في دمشق

بعد السبعين والسبعمائة ضرب بالاسكندرية وهو نائب السلطنة بها يومئذ دنانير زنة كل دينار منها مثقال . على احد الوجهين (محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (ضرب بالاسكندرية في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عز نصره) ثم امسك عن ذلك فلم تكثر هذه الدنانير ولم تشتهر ثم ضرب الامير يلغا السالمى استادار البالية في الدولة الناصرية فرج بن برقوق دنانير زنة كل واحد منها مثقال في وسط سكوته دائرة فيها مكتوب [فرج] وربما كان منها ما زنته مثقال ونصف او مثقالان وربما كان نصف مثقال او ربع مثقال . الا ان الغالب فيها تقص اوزانها وكانهم جعلوا تقصها في نظير كلفة ضربها

الضرب الثاني ما يتعامل به معادة

وهي دنانير يوثى بها من بلاد الأفرنجية والروم معلومة الاوزان كل دينار منها معتبر بتسعة عشر قيراطاً ونصف قيراط من المصرى . واعتباره بصنج الفضة المصرية كل دينار زنة درهم وحبتي خروب يرجح قليلا . وهذه الدنانير مشخصة على احد وجهيها صورة الملك الذي تضرب في زمنه . وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس الحواريين الذين بعث بهما المسيح الى رومية ويعبر عنها بالأفرنجية جمع افرنجي واصله افرنسى بسين مهملة بدل التاء المشناة فوق نسبة الى افرنسة مدينة من مدتهم وربما قيل افرنجية واليها تنسب طائفة الفرنج وهي مقرة الفرنسيس ملكهم . ويعبر عنه بالدوكات . وهذا الاسم في الحقيقة لا يطلق عليه الا اذا كان ضرب البندقية من الفرنجة وذلك ان الملك اسمه عندهم دوك وكان الألف والتاء في الآخر قائمان مقام النسب .

ثم ضرب الناصر فرج بن برقوق دنانير على زنة الدنانير الافرنجية المقدمة الذكر في احد الوجهين (لا اله الا الله محمد رسول الله) وفي الآخر اسم السلطان وفي

وسطه سفظ مستطيل بين خطين وعرفت بالناصرية وكثر وجدانها وصار بها
أكثر المعاملات الا انهم يتفصونها في الأثمان عن الدينار الافرنطية عشرة دراهم
ثم ضرب على نظيرها الأمام المستمين بالله ابو الفضل العباس (او ابو العباس)
حين استبد بالأمر بعد الناصر فرج ولم يتغير فيها غير السكة باعتبار انتقالها من
اسم السلطان الى اسم امير المؤمنين .

ثم صرف الذهب بالديار المصرية لا يثبت على حاله بل يعاود تارة ويهبط اخرى
بحسب ما تقتضيه الحال وغالب ما كان عليه صرف الدينار المصري فيما ادركناه
في التسعين والسبعائة وما حولها عشرون درهما والافرنطى سبعة عشر درهما وما
قارب ذلك اما الآن فقد زاد وخرج عن الحد خصوصاً في سنة ثلاث عشرة
وثمانمائة وان كان في الدولة الظاهرية بيبرس قد بلغ المصري ثمانية وعشرين درهماً
ونصفاً فيما رأيت في بعض النواريح

الدراهم النقرة

قال في صبح الاعشى اصل موضوعها ان يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس
وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية على نحو ما تقدم في الدينار ويكون منها
دراهم صحاح وقراضات مكسرة . والعبرة في وزنها بالدراهم وهو معتبر بأربعة
وعشرين قيراطا وقد رست عشرة حبة من حب الخروب فتكون كل خروبتين
ثمان دراهم . وهن اربع حبات من حب البر المعتدل والدرهم من الدينار نصفه
وخمسه وان شئت قلت سبعة اعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم

الفلوس وهي صنفان مطبوع بالسكة وغير مطبوع

فأما المطبوع فكان في الزمن الأول الى اواخر الدولة الناصرية حسن بن محمد بن
قلاوون فلوس لطاف يعتبر كل ثمانية واربعين فلساً منها بدرهم من النقرة على

اختلاف السكة فيها ثم احدث في سنة تسع وخمسين وسبعمائة في سلطنة حسن ايضاً فلوس شهرت بالجدد جمع جديد زنة كل فلس منها مثقال . وكل فلس منها قيراط من الدرهم مطبوعة بالسكة السلطانية لجنات في نهاية الحسن وبطل ما عداها من الفلوس وهي اكثر ما يتعامل به اهل زماننا الا انها فسد قانونها في تنقيصها في الوزن عن المثقال حتى صار فيها ما هو دون الدرهم وصار تكويتها غير مستديرو كانت توزن بالقبان كل مائة وثمانية عشر رطلاً بالمصري بمبلغ خمسمائة درهم ثم اخذت في التناقص لصغر الفلوس وتقص اوزانها حتى صار كل مائة واحد عشر رطلاً بمبلغ خمسمائة قات «القائل القلقشندي» ثم استقر الحال فيها على ذلك على انه لو جعل كل اوقية فادونها بدرهم لكان حسناً باعتبار غلو النحاس وقلة الواصل منه الى الديار المصرية وحمل التجار الفلوس المصروبة من الديار المصرية الى الحجاز واليمن وغيرهما من الاقاليم متجرراً . ويوشك ان دام هذا ان تنفذ الفلوس من الديار المصرية ولا يوجد ما يتعامل به الناس

واما غير المطبوعة فنحاس مكسر من الأحمر والأصفر ويمبر عنها بالعتق وكانت في الزمن الاول كل زنة رطل منها بالمصري بدرهمين من النقرة فلما عملت الفلوس الجدد المتقدمة الذكر استقر كل رطل منها بدرهم ونصف وهي على ذلك الى الآن قلت ثم نفذت هذه الفلوس من الديار المصرية لفلو النحاس وصار مهياً . وجد من النحاس المكسور خلط بالفلوس الجدد ودرج معها على مثل وزنها اه تتمه لهذا البحث وذكر ما كان يتعامل به الناس في الديار المصرية

والشامية من سنة ٥٦٩ الى القرن التاسع

قال العلامة المقرئ في رسالته (التقود الاسلامية) لما زالت الدولة الفاطمية بدخول الفرس الشام ومصر على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب

في سنة تسع وستين وخمسمائة قررت النكحة بالقاهرة باسم المرتضى بأمر الله
 « الخليفة العباسي » وباسم الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب بلاد
 الشام فرسم اسم كل منهما في وجهه . ثم لما استبد الملك صلاح الدين بعدموت
 الملك العادل نور الدين امر في شوال سنة ٥٨٣ بأن تبطل نقود مصر وضرب
 الدينار ذهباً مصرياً وابطل الدرهم الأسود وضرب الدرهم الناصرية وجعلها
 من فضة خالصة ومن نحاس نصفين بالسوي فاستمر ذلك بمصر والشام الى ان ملك
 الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل ابي بكر محمد بن ايوب فأبطل الدرهم
 الناصري واصر في ذي القعدة من سنة ٦٢٢ بضرب دراهم مستديرة وتقدم انه
 لا يتعامل الناس بالدرهم المصرية العتق وهي التي تعرف في مصر والاسكندرية
 بالزيروف وجعل الدرهم الكامل ثلاثة اثلاث ثلثيه من فضة وثلثه من نحاس
 فاستمر ذلك بمصر والشام مدة ايام ملوك بني ايوب فلما انقرضوا وقامت الأتراك
 من بعدهم ابقوا سائر شعائهم واقتدوا بهم في جميع احوالهم واقروا تقدم على
 حاله من اجل انهم كانوا يفتخرون بالأتقاء اليهم حتى اني شاهدت المراسيم
 التي كانت تصدر عن الملك المنصور قلاوون وفيها بعد البسملة الملكي الصالحى
 وتحت ذلك بخطه قلاوون فلما ولي الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى
 الصالحى النجمى وكان من اعظم ملوك الإسلام وممن يتعين على كل ملك معرفة
 سيرته ضرب دراهم ظاهرية وجعلها كل مائة درهم من سبعين درهماً فضة خالصة
 وثلاثين نحاساً وجعل رنكه على الدرهم وهو صورة سبع فلم تزل الدرهم الظاهرية
 والكاملية بديار مصر والشام الى ان فسدت في سنة ٧٨١ بدخول الدرهم
 الحموية فكثرت تعنت الناس منها وكان ذلك في امارة الظاهر برقوق فلما وصل
 الامر اليه واقام الامير محمود بن علي استادارا اكثر من ضرب الفلوس وابطل

ضرب الدرهم فتناقصت حتى صارت عرضاً ينادى عليه في الاسواق بمجراج حراج
 وغليت الفلوس الى ان قدم الملك المؤيد شيخ عز نصره من دمشق في رمضان
 سنة ٨١٧ بعد قتل الامير نوروز الحافظي نائب دمشق فوصل مع العسكر واتباعهم
 شي كثير من الدراهم البندقية والدراهم النوروزية فتعامل الناس بها وحسن
 موقعها لبعده المهدي بالدراهم فلما ضرب الملك المؤيد شيخ عز نصره الدراهم المؤيدية
 في شوال منها نودى في القاهرة بالمعاملة بها في يوم السبت ٢٤ صفر سنة ٨١٨
 فتعامل الناس بها اه

بيان ذراع القماش في مصر

قال في صبح الاعشى واما الأتشة فأنها تقاس بالقاهرة بذراع طوله ذراع بذراع
 اليد واربع اصابع مطبوعة .

بيان ذراع الاراضى والدور

قال في صبح الاعشى . وقد اصطلحوا على قياسها بذراع يعرف بذراع العمل
 طوله ثلاثة اشبار بشبر رجل معتدل . ولعله الذراع الذى كان يقاس به ارض
 السواد بالعراق . فقد ذكر الزجاجي انه ذراع وثلاث بذراع اليد . وكان ابتداء
 وضع الذراع لقياس الارضين ان زياد ابن ابيه حين ولاء معاوية العراق واراد
 قياس السواد جمع ثلاثة رجال . رجلا من طوال القوم ورجلا من قصارهم ورجلا
 متوسطاً بين ذلك واخذ طول ذراع كل منهم فجمع ذلك واخذ ثلثه فجعله ذراعاً
 لقياس الارضين وهو المعروف بالذراع الريادى لوقوع تقديره بأمر زياد . ولم
 يزل ذلك حتى صارت الخلافة لبنى العباس فاتخذوا ذراعاً مخالفاً لذلك كأنه اطول
 منه فسمى بالهاشمي لوقوعه في خلافة بني العباس ضرورة كونهم من بنى هاشم .

الأسعار في دمشق ومصر

قال في صبح الاعشى وسعر اللحم بها « بدمشق » ارخص من مصر والدجاج والاوز اغلى من مصر وكذلك السكر الا ان الفاكهة فيها ارخص من مصر بالقدر الكثير والقمح والشعير والباقلا نحو من سعر مصر وذلك كله عند اعتدال الاسعار وقال في الكلام على الاسعار بمصر . قال ابن فضل الله في مسالك الأَبصار واوسط اسعارها في غالب الأوقات ان يكون الاردب القمح بخمسة عشر درهماً والشعير بعشرة وبقية الحبوب على هذا الأتموزج والارز يبلغ فوق ذلك واللحم اقل سعره الرطل بنصف درهم (رطل مصر ١٤٤ درهما) وفي الغالب أكثر من ذلك والدجاج يختلف سعره بحسب حاله فجيده الطائر منه بدرهمين الى ثلاثة . والدون منه بدرهم واحد والسكر الرطل بدرهم ونصف وربما زاد. والمكرر منه بدرهمين ونصف قلت وهذه الاسعار التي ذكرها قد ادركنا غالبها وبقيت الى ما بعد الثمانين والسبعمائة فقلت الاسعار وتزايدت في كل صنف من ذلك وغيره وصار المثل الى ثلاثة امثاله واربعة امثاله .

العربان القاطنون حول حلب

قال في صبح الاعشى ان ديار آل فضل من حمص الى قلعة جعبر الى الرحبة آخذين على شقي الفرات واطراف العراق (١) ثم قال ان آل فضل تشعبوا شعبا كثيرة منهم آل عيسى وآل فرج وآل سميط وآل مسلم وآل علي ثم ذكر من انضاف اليهم ودخل فيهم ثم قال في الكلام على حلب والمختص بأعمال حلب من العرب المشهورين قبيلتان

(١) قدمنا في حوادث سنة ٧٣٥ خبر وفاة مهننا بن عيسى من امراء آل فضل وسياتيك في قسم التراجم ترجمة نعيم بن جبار بن مهننا المتوفى سنة ٨٠٨ و ترجمة ولده عجل بن نعيم المتوفى

القبيلة الأولى

(بنو كلاب) قال في مسالك الابصار وهم عرب اطراف حلب والروم ولهم غزوات عظيمة معلومة وغارات لا تعد ولا تزال تباع بنات الروم وابنائهم من سباياهم ويتكلمون بالتركية ويركبون الاكاديش وهم عرب غزو ورجال حروب وابطال جيوش وهم من اشد العرب بأساً وأكثرهم ناساً قال ولافراط نكايتهم في الروم صنفت السيرة المعروفة «بدلهمة والبطال» منسوبة اليهم بما فيها من ملح الحديث ولاح الابطال «١» ولكنهم لا يدينون لامير منهم يجمع كلمتهم ولو انقادوا لأمر واحد لم يبق لاحد من العرب بهم طاقة . وكان سلطاننا يعني الناصر محمد بن قلاوون لا يزال ما فتئنا الى تألف بني كلاب هؤلاء . وكان احمد بن نصير المعروف بالنتري قد عاث في البلاد والأطراف واشتد في قطع الطريق فأمنه وخلع عليه واقطعه فاتقادت بنو كلاب للطاعة وكان الملك الناصر قد امر عليهم سليمان بن مهنا وجعل عليه حفظ جمر وما جاورها.

القبيلة الثانية

«آل بشار» قال في مسالك الابصار وديارهم الجزيرة والاحص ببلاد حلب قال والاحلاف منهم حالهم في عدم الاتقياد لأمر واحد حال بني كلاب ولو اجتمعوا لما امن بأمرهم تقيم على تفرق كلمتهم وبسبب جماعتهم لا يزال آل فضل منهم على وجل وظالما باتوا وقلوبهم منهم ملأى من الحذر وعيونهم وسنى من السهر وبينهم دماء وهم وبنو ربيعة وبنو عجل جيران . وديارهم من سنجاز وما يدانيها الى البارة او قرب الجزيرة العمرية الى اطراف بغداد اه.

(١) في هامش صبح الاعشى . هي السيرة المشهورة الآن بدأت الهمة وقد طبعت اخيراً بالمطبعة الحسينية وانتشرت في ايدي العامة وهي في بابها لا بأس بها اه